مجلة الدراسات الافريقية



العـدد الثانى

١٩٧٣

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية ـ جامعة القاهرة

مجلة الدراسات الافريقية



العـدد الثانى ١٩٧٣

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية ـ جامعة القاهرة

رقم الايداع بدار الكتب ٢١٣ سنة ١٩٧٤

رئيس التحرير : د. محمد السيد غلاب
سكرتير التحرير : دكتور محمد عبد الغنى سعودى
المراسلات باسم : دكتور محمد عبد الغنى سعودى
٣٣ شارع المساحة بالدقى ـ القاهرة

المحتـــويات

الصفحة

القسم العربى :

١ - د . محمد عبد الغنى سعودى

سد الفولتا ١

٢ - د . سعد زغلول عبد ربه

الحركات الوطنية فى أنجولا ٣١

٣ - د . شوقى الجمل

قضية روديسيا ٦٩

٤ - د . سمير غبور

موارد الأسماك البحرية حول أفريقيا ١٢١

٥ - د . حسن عثمان

بعض ملامح أفريقيا فى مطهر دانتى ١٥٧

٦ - د . محمد نجيب نصار

الحفاظ على الموارد الوراثية ١٧٩

٧ - د . محمد محمد أمين

العبدلاب وسقوط مملكة علوه ١٩١

٨ - د . السعيد البدوى

أفريقيا الإستوائية (دراسة فى الجغرافيا الطبيعية) ٢١٩

٩ - د . سعاد شعبان

قرية هورين ٢٥٣

القسم الافرنجى :

١ - د . محمد جابر بركات ، د . مصطفى امام

نبذة مبدئية عن تواجد كثبان رملية قديمة فى منطقة جمصة فى شمال الدلتا ١

سد الفولتا أو سد أوكسمبو

الدكتور محمد عبد الغنى سعودي
أستاذ الجغرافيا المساعد
معهد البحوث والدراسات الافريقية ـ جامعة القاهرة

The Volta Dam by : Dr. M. A. Seoudy

Building dams is an economic phenomenon that Africa has seen since the end of the second world war. The Volta dam, is one of three projects that was designed for economic development in Ghana, vis : the dam at Akosombo, the Tema smelter, the resettlement scheme. The dam was officially inaugurated in January 1966 after Nakrumah's overthrown, though he was the creator. It was his major dream to add economic independence to political independence, by diversifying Ghana's economy, through exploiting the country's Bauxite, and converting it into aluminum. Therefore, it was inevitable to have a cheap source of electricity. Though it is said that the Volta dam is a multi purpose project, But in reality, generating hydro-eletercity was the main purpose and other targets as developing fishing industries, faciltating transports came as side effects. Though the dam is one of the biggest projects in west Africa, but it has not fullfilled its aim, that is exploiting Ghana's Bauxite and diversifying ghana's economy. Till now the Tema semelter has depended on imported alumina from overseas and Ghana depends on one major export erop (Cocoa).

ظاهرة بناء السدود فى افريقية

تعتبر ظاهرة بناء السدود من علامات ومظاهر التنمية الاقتصادية فى افريقية الجديدة فاذا كان العقد السادس هو عقد التحرر السياسى ، فان هذا العقد أيضا يمثل الاتجاه نحو التحرر الاقتصادى ، والعلاقة بينة ومعـــامل الارتباط واضح بين الحرية السياسية والتحرر الاقتصادى ، ذلك أن تغير الظروف السياسية من التبعية إلى الاستقلال ، كان من شأنه أن يطلق يد الأفارقة فى تخطيط اقتصادهم لصالحهم ، الأمر الذى لم يكن ممكنا من قبل . وتعتبر ظاهرة بناء السدود النهرية العملاقة علامة ورمزا للتنمية الاقتصادية فى إفريقية الجديدة ، كما كانت أعلام التحرير الجديدة رمزا لنموها السياسى .

فكان السد العالى ، وسد الكاريبا وسد الفولتا ، وسد كاينجى وغيرها . وتختلف هذه الأنواع عن سدود ما قبل العقد السادس ، فقد كانت سدود ما قبل العقد السادس سنوية التخزين ، على حين أصبحت هذه السدود قرنية التخزين، أو بعبارة أخرى طويلة الأجل ، أو سدود عوالى ،منها ما تعددت أغراضه ليخدم زراعة وصناعة ، كما هو الحال فى افريقية الجافة وشبه الجافة وسدنا العالى خير مثال . غير أننا فى افريقية المدارية لا تشتد بنا الحاجة إلى رى الأرض إذ تعتمد على الغيث اعتمادا يكون كليا ، من ثم كان توليد الطاقة هو البؤرة وهو الركيزة وإن كانت الإفادات الجانبية متعددة سواء فى ميدان الملاحة أو الثروة السمكية أو حتى الري . وسد الفولتا أو سد أوكسمبو هو مثل للنوع الثانى .

وفى الحق أن مشروعات الطاقة تعتبر رمزا لافريقية الجديدة ، لأنه من بين جميع مجالات النشاط الاقتصادى فى افريقية ، أصبح إنتاج الطاقة الكهربائية فى توسع سريع . وهذا النمو لا يقتصر على افريقية فحسب بل هو ظاهرة عالمية . وما زال نصيب افريقية من الإنتاج العالمى ضئيل للغاية وخاصة افريقية المدارية .

فكانت افريقية المدارية قبل الحرب العالمية الثانية تقوم بانتاج الكهرباء على نطاق ضيق[1]، بل وحتى فى عام ١٩٤٨ كان مجموع الطاقة المولدة يزيد قليلا على ٢٠٠٠ مليون كيلوات ساعة ، ارتفع هذا الرقم عام ١٩٥٦ إلى ٦٠٠٠ مليون ،

وفى عام ١٩٦٧ إلى ١٦,٥٠٠ مليونا . على أن التطور لم يكن فى الكم وحده بل تعداه إلى الكيف وإلى المصدر ففى عام ١٩٤٨ كان معظم الانتاج هو كهرباء حرارية والفحم عمادها . وبينما ازداد انتاج الكهربا الحرارية بشكل ملحوظ فى أقطار عديدة، وخاصة التى تعتمد أساسا على البترول ، فان الكهرباء المائية أصبحت ذات أهمية خاصة فى افريقية وخاصة المدارية حيث شهدت ثلاثة سدود ضخمة أقيمت من أجل توليدها أساسا ؛ حتى انه فى عام ١٩٥٦ تعادلت الكهرباء المولدة من المصدرين الحرارى والمائى ، ثم قفزت الكهرمائية إلى الثلاثة أرباع فى يومنا هذا (١) .

ورغم أنه من الناحية الواقعية قد زادت كمية الطاقة الكهرحرارية قليلا فى هذا العقد عن العقد الماضى ، فانه فى بعض السنوات كان هناك نقص نتيجة لتوقف بعض المحطات الحرارية عن العمل وبقائها كاحتياطى . غير أنه يجب أن نلاحظ أن ضعف نصيب أفريقية المدارية فى الانتاج العالمى للطاقة لا يرجع إلى نقص فى مواردها الطبيعية . وإذا كانت هناك بعض أقطار ظهر فيها البترول الذى يمكن على أساسه اقامة محطات توليد الكهرباء فان التقديرات تعطى افريقية المدارية ما بين ٣٠ ٪ ، ٤٠ ٪ من امكانات الطاقة الكهرومائية الكامنة فى العالم . هذه النسبة العالية للامكانات الكامنة تفسرها ظروف القارة :

كتلة قديمة تعرضت لحركات رفع متعددة أدت إلى ظهور سلاسل من الهضاب والأحواض ذات الانحدار الفجائى فيما بينها فحتى أكبر الأنهار وأطولها لا يخلو من المندفعات عند انحداره من هذه الهضاب . وهذه هى المناطق المثلى للحصول على الطاقة . ثم كان لطبيعة التكوينات الصخرية أثرها ، وهى أنها فى معظمها صخور قديمة مما يعطى أساسا قويا ليقام السد فوقها ، وإذا استثنينا النيل كانت نسبة الطمى فى الماء منخفضة فى معظم هذه الأنهار .

على أن العقبة الكبرى والرئيسية لتوليد الطاقة والتى تمثلها البيئة الطبيعية هى الاختلاف الموسمى فى التصريف المائى . وكان هذا هو السبب الأساسى فى كثير

---

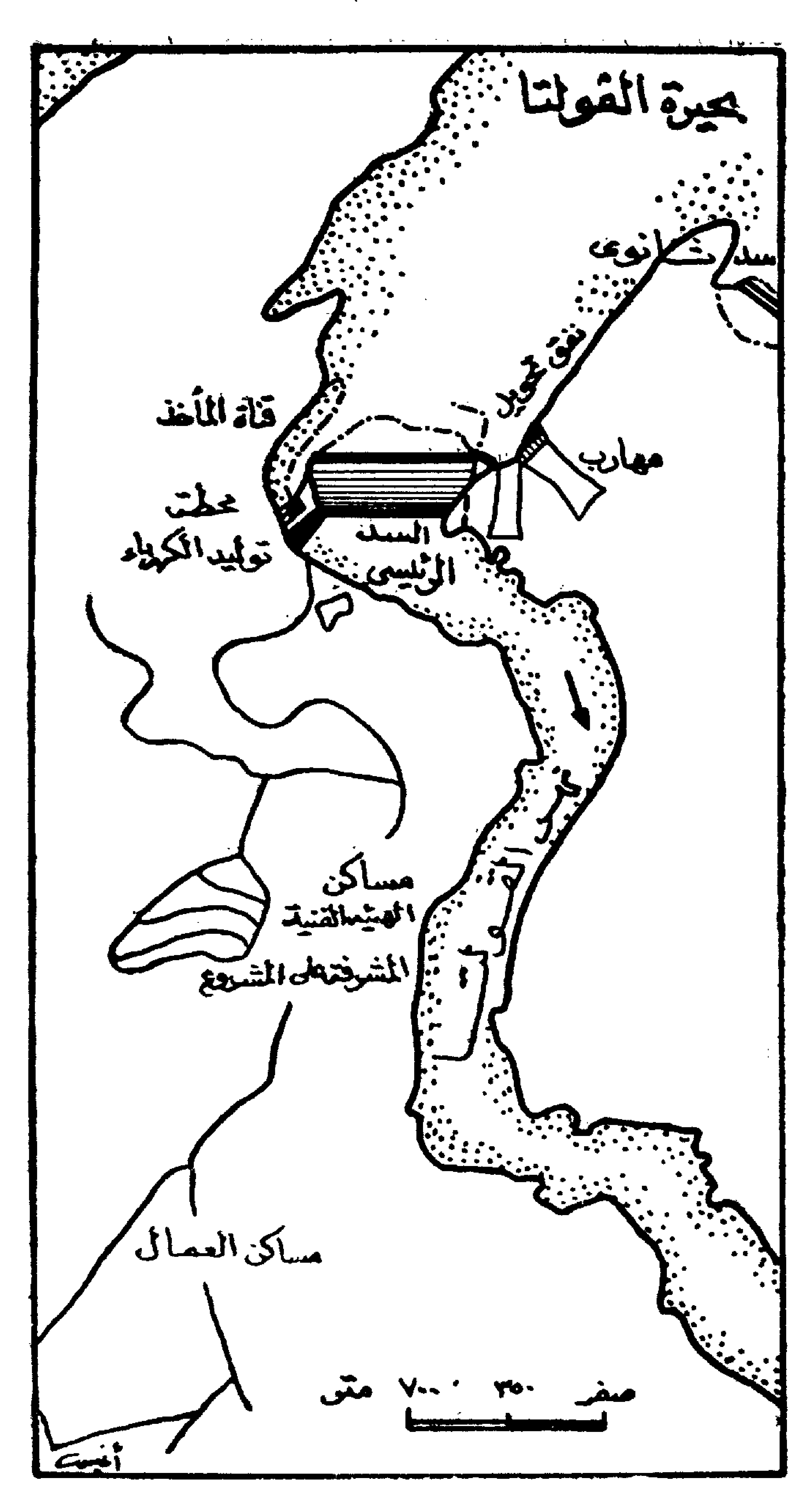
(١) UN., Situation, Trends and Prospects of Electric Power Supply in Africa, E/CN. 14/EP. 3/Rev. I, pp 28-51.

من الأحيان فى بناء سدود ضخمة خلقت أمامها بحيرات ضخمة صناعية تحجز كميات كبيرة من المياه ، ومع ذلك فان العوامل التى تؤدى إلى انخفاض انتاج الكهرمائية فى افريقية المدارية هى العوامل الاقتصادية أكثر من الظروف الطبيعية . ومن أهمها نقص رأس المال اللازم ، وقلة الطلب على الكهرباء فى معظم الأحوال . وكان الحصول على رأس المال من الخارج رغم الفائدة المرتفعة هو الذى جعل فى الامكان تنفيذ هذه المشروعات .

وكانت قلة الطلب راجعة أساسا إلى أن المناطق التى تزيد فيها امكانات الكهرمائية بعيدة غالبا عن مناطق التصنيع والازدحام السكانى ، إذ أن هذه الامكانات تزيد فى افريقية المدارية ، بينما مناطق الاستهلاك والازدحام النسبى فى أطراف القارة ، ولكن رغبة هذه الأقطار فى التصنيع وتنويع الانتاج للخروج من أزماتها الاقتصادية أدى إلى اتساع السوق أمام هذا المورد من موارد الطاقة .

الكاكاو والألومنيوم

ويعتبر مشروع الفولتا من أكثر مشروعات توليد الطاقة الكهرمائية فى غرب افريقية وضمن أكبر هذه المشروعات فى افريقية المدارية ، كما أن تنفيذه يعد أكبر خطوه خطتها غانا فى ميدان التنمية الإقتصادية بعامه ، وفى ميدان التنمية الإقتصادية الصناعية بخاصة . وذلك فى محاولة لاخراج غانا من مشكلة الإعتماد على غله واحده وهى الكاكاو ، تتحكم فى إقتصادها وتعرضه لمخاطرات السوق الأجنبى وتقلباته . وأهمية الكاكاو فى الاقتصاد الغانى تتمثل فى كونه مسئولا عن أكثر من ٦٠ ٪ من قيمة الصادرات . ويعطى مثلا حيا على أخطار الأوبئة والأمراض وتدهور التربة وتعريتها ، فضلا عن تحكم السوق الخارجى فى أسعاره فعلى سبيل المثال مرض Swollen Shoot الذى أدى بحكومة غانا إلى قطع نحو ٥,٤ مليون شجرة مصابة فى الفترة بين ١٩٥٧ ، ١٩٦١ ومرض Capsid bug الذى كان مسئولا عن فقدان ربع محصول غانا فى بعض السنوات . أما عن تحكم السوق الخارجى فتمثل فى ذبذبات الأسعار العالمية التى شهدها الكاكاو فى العقد الماضى



شكل رقم (١)
سد أوكسمبو على نهر الفولتا

والتى تراوحت بين ٥٦٢ جنيها للطن عام ١٩٥٤ ، ١٥٣٢ جنيها عام ١٩٦١ أى بذبذبة تزيد على ٢٧٠ ٪ ويقابل هذا عدم مرونة موارد الكاكاو لأن النباتات الجديدة لايمكن أن تؤثر فى سعر السوق إلا بعد فترة تتراوح بين أربع وسبع سنوات . ويقابل هذا مرونة فى الطلب على هذه السلعة فأسعاره العالية تجعل صانعو الحلوى يتجهون نحو بدائل أخرى مما يقلل من استهلاكه ، على حين أن الأسعار المنخفضة تعتبر ضربة قاصمة لمنتجى الكاكاو زراعا وحكومات .

إذن بتنفيذ المشروع يعتمد الاقتصاد الغانى على أكثر من ركيزة واحدة ، يعتمد على زراعة وصناعة . ويرفع من مستوى الدخل . وقد يجعل هذا المشروع غانا أكثر أجزاء غرب افريقية تصنيعا ، ذلك أن مشروع سد الفولتا يهدف أساساً إلى توليد الطاقة الكهربائية الرخيصة وهذه الطاقة لازمة وضرورية للحصول على الألومنيوم من خاماته وهى البوكسيت . ولولا الطاقة الرخيصة لما أمكن بحال الاستفادة من البوكسيت فى الحصول على الألومنيوم فرغم أن البوكسيت من أكثر المعادن وفرة فى قشرة الأرض ، فانه من أحدثها استغلالا ، فمنذ مايزيد قليلا على القرن ، كان يعتبر من المعادن النفيسة . ويكفى أن مكانه كان فى معرض باريس الدولى عام ١٨٥٥ بعد مجوهرات التاج مباشرة . بينما انخفضت قيمته بعد ذلك بقرن بنحو ألف مرة لتجعله واحدا من أكثر المعادن الاقتصادية[1]. ولم يكن هذا ممكنا ولا ميسورا إلا بفضل مورد من الطاقة رخيص ، إذ يستخرج الألومنيوم من البوكسيت فى ثلاثة عمليات منفصلة . ويتم استخراج البوكسيت وتفصل منه الشوائب كالطين ، ثم يحول إلى أوكسيد الألومنيوم عن طريق تعريضه للضغط الشديد والحرارة المرتفعة مع اضافة الصودا الكاوية إليه . ويعرف أكسيد الألومنيوم الناتج باسم الألومينا ، ويعرف المصنع الذى تتم فيه هذه العملية باسم مصنع الألومينا ، وبعد ذلك يختزل الألومينا إلى معدن الألومنيوم فى مصاهر تستهلك كميات كبيرة من الطاقة الكهربائية حتى أطلق على معـــدن الألومنيوم **Packged Power** [2] ويعرف المصنع الذى تتم فيه العملية باسم مصهر الألومنيوم .

---

(١) R .J ., Maxon, «Volta : Man's Greatest lake, Deutsch, London, 1969, P. 211

(٢) Hance, W., « African Economic Development» New York, 1958, P. 54

وهكذا تقوم صناعة الألومنيوم على عنصرين رئيسين الطاقة والألومينا . ولاستخراج طن واحد من الألومينا يستهلك ما بين أربعة إلى خمسة أطنان من البوكسيت ، بينما يستخرج طن من الألومنيوم من نحو طنين من الألومينا وتوضح الأرقام تكاليف الحصول على طن من الألومنيوم .

	جنيه إسترليني
٢٠,٠٠٠ كيلوات ساعة من الكهرباء	٢١
٢ طن من الألومنيا سعر ٢٥ جنيه للطن	٥٠
١٤ هندردويت من الفحم سعر ١٨ جنيه للطن	١٣
٣٠ ساعة عمل سعر ٢ بنس ٧ شلن للساعة	١١
تشغيل وصيانة معدات	٧
أخـــرى	٩
المجمـــوع	١١١ (١)

دهكذا نجد أن تكاليف الألومنيوم يحددها تكاليف الألومينا والطاقة ، وبالتالى هما اللذان يحددان مدى أربحية المشروع . ويتحكم فى سعر الألومنيوم الموقع الجغرافى لمصنعها بالنسبة لمناجم البوكسيت نظراً لأن وزن البوكسيت يتراوح بين ثمانية وعشرة مرات قدر الناتج النهائى من ثم فهناك إقتصاد كبير فى التكاليف إذا ماكان هناك تركيز جغرافى للعمليات الثلاث المنتجة للألومنيوم .

المشروع بين التفكير والتنفيذ

أكتشفت موارد غانا من البوكسيت عام ١٩١٥ ، أكتشفها سير ارثر كيتسون A, Kitson مـــدير المساحة الجيولوجية بساحـــل الذهب حينـــذاك . وظهرت فكرة قيام مشروع متكامل عام ١٩٢٤ على أساس توليد الكهرباء المائية وصناعة الألومنيـــوم . وكان صـــاحب المشروع مستر دنـــكان روز Duncan Rose مهندس من جنوب افريقية . غير أن هذه الأفكار لم تر النور وبدلا من هذا المشروع

(١) Birmingham, W. Neustadt, I., Omaboe, E., «A Study of Contemporary Ghana, vol I, London, 1966, P. 401

بدأت شركة الألومنيوم البريطانية تصدر البوكسيت من غانا عام ١٩٤٠ وحتى فى هذا المضمار ظل إنتاج غانا من البوكسيت متخلفا عن الأقطار الأخرى المنتجة له مثل غينى وجمهورية الدومنيكان وسوريتام والمجر ويوغسلافيا ولا يرجع هذا إلى قلة إحتياطها بقدر ما يرجع إلى بعد مناطق التعدين بما يتراوح بين ٨٠٠ ، ١٠٠ ميل عن البحر ، بينما نجدها فى تلك الأقطار قريبة من منافذ التصدير وأقرب إلى الأسواق المستوردة[1] ومع نهاية الحرب العالمية الثانية، كان هناك إهتمام على المستوى غير الرسمى بامكانات توليد الكهرباء على الفولتا الأدنى . وبدأت دراسات للمشروع وعلاقته باقتصاد ساحل الذهب عام ١٩٤٩ وتعددت التقارير ومنها تقرير مؤسسة Harclow الذى قدم عام ١٩٥١ وأيد الفكرة وإن أشار إلى عمليات التنمية المرتبطة بالمشروع مثل تشييد ميناء عميق فى شرقى غانا ، وبناء محطة توليد كهرباء فى أجينا Ajena (٣ أميال شمال أوكسمبو) وخط حديدى من تما إلى المصاهر فى كبونج Kepong ولكن ظهر أن هذا يتطلب رأس مال كبير قدر بنحو ٢٢٠ مليونا من الجنيهات ، مما قد يعد مانعا من قيام المشروع وصدر بعد ذلك كتاب أبيض عام ١٩٥٢ وتكونت لجنة تحضيرية تحت رئاسة Sir R. Jakson وذهب هذا إلى دراسة مستقبل الطلب على الألومنيوم بل والتكاليف المحتملة للحصول على القوى من الطـــاقة الذرية . وكان آخر هذه اللجان قبل الاستقلال لجنة Sir A. Lewis ، التى أصدرت تقريرها فى ثلاث مجلدات ضخمة عام ١٩٥٦ ومالبثت أن ظهرت دولة غانا المستقلة إلى الوجود بعد صدور هذا التقرير بشهور عام ١٩٥٧ وبدأ المشروع بعد الاستقلال يتعرض لمجموعة من العوامل المتناقضة . منها حماس حكومة غانا المستقلة لتنفيذ المشروع كأكبر مشروع لا فى غانا فحسب ، بل فى غرب أفريقية ، مشروع صناعى ضخم تتوج به غانا استقلالها، ولعله من الانصاف هنا أن نذكر أنه كان حلم نكروما الرئيسى الذى ذلل له جميع العقبات . ولكن كان هناك فى نفس الوقت انخفاض فى أسعار الألومنيوم وفى الطلب عليه حينذاك ، كما كان هناك شك فيما يختص بامكانات حكومة الاستقلال من الناحيتين السياسية والاقتصادية ، مما أدى إلى سفر دكتور نكروما إلى الولايات المتحـــدة الأمريكية والاتصـــال بمؤسسة كايزر Kaiser

(١) ECA., «Economic Survey for Africa, vol. 7, Nos. 1,2, 1966, P. 81

من كاليفورنيا لاعداد تقرير فنى عن المشروع بتكليف من حكومة غانا ، من أجل المحافظة على حيوية المشروع وجذب أنظار العالم إليه ، وللحصول على التمويل الخارجي . وأعاد تقرير مؤسسة كايزر الحياة إلى المشروع ذلك أنها فى اعد- تقديرها للموقف قامت بعدة تعديلات بغية اختصار التكاليف فكما عرفنا كانت التقارير السابقة قد أوصت باقامة السد فى أجينا والمصاهر فى كبونج فضلا عن استغلال بوكسيت غانا نفسه ولكن مشروع كايزر اقترح التعديلات التالية :

نقل مكان السد من أجينا إلى أكسمبو على بعد ثلاثة أميال إلى الجنوب .

اقامة مصاهر الألومنيوم فى ميناء تيما بدلا من كبونج وذلك لصرف النظر عن استغلال البوكسيت المحلى والاعتماد على استيراد الألومينا المستوردة .

وبتأجيل عملية استغلال بوكسيت غانا مؤقتا ، وبالتالى تأجيل مد الخطوط الحديدية ومصهر الألومنيوم فى كبونج . انخفضت تكاليف المشروع بنسبة ٤٠٪ لأنه لن تكون هناك حاجة إلى بناء مساكن للعاملين فى المشروع فى مدينة أوكسمبو كما لو كان قد حدث إذا ما أقيمت المصاهر فى كبونج [١] .

وهكذا أصبحت الصورة النهائية للمشروع كما يلى :

١ - اقامة سد عند أوكسمبو لتوليد الكهرباء ، بطاقة قدرها ٥٨٩ ألف كيلوات تولدها أربعة تربينات طاقة كل منها ١٤٧,٢٠٠ كيلوات . أما طاقته النهائية فتبلغ ٨٣٣ ألف كيلوات بعد تشغيل وحدتين أخرتين[٢] وإلى الأمام من السد تتكون بحيرة طولها ٢٥٠ ميلا وبمساحة قدرها ٣٢٧٥ ميلا مربعا تستغل امكاناتها فى الصيد البحيرى فضلا عن كونها وسيلة للنقل البحيرى .

٢ - عندما يبدأ جريان النهر فى الانتظام من سد أوكسمبو يمكن تشغيل محطة توليد الكهرباء فى كبونج على بعد ١٢ ميلا إلى الجنوب والتى سوف تضيف نحو ٨٦ ألف كيلوات أخرى . وهناك مشروع بناء سد صغير عند بوى Bui يولد طاقة قدرها ١٩٠ ألف كيلوات .

---

(١) Hilton, T. E., Akosombo Dam and the Volta River Project, Geography, vol. 51, part 3, 1966, P. 251

(٢) للمقارنة بالسد العالى فى مصر نذكر بأن السد العالى يحتوى على ١٢ وحدة توليد مائية طاقة كل منها ١٧٥ ألف كيلوات ، تنتج طاقة كهربائية سنوية تصل إلى ١٠ مليار كيلوات ساعة

٣ – بناء مؤسسة فالكو Valco مصنع لاستخراج الألومنيوم فى ميناء تيما بطاقة مبدئية قدرها ٧٨ ألف طن سنويا ترتفع بالتدريج إلى أن تبلغ ١٣٥ ألف طن ، ويعمل على الألومينا المستوردة فى المرحلة الأولى وتستهلك نحو ٢٠٠ ألف كيلوات فى المرحلة الأولى تزيد إلى ٣٠٠ ألف كيلوات بعد ذلك .

٤ – لتسهيل أوجه الاستهلاك الأخرى للكهرباء سوف تمد خطوط نقل لمسافة ٥٠٠ ميل لتخدم أوجه النشاط المختلفة فى أكرا ، وتاكورادى ، وكوماسى ، فضلا عن مناطق التعدين ، أى خدمة النصف الجنوبى من غانا بصفة عامة [1] .

التمويل

وقد أثار هذا المشروع فى ظل ظروفه الجديدة ، جميع الأطراف المعنية بصناعة الألومنيوم والمهتمة بغانا سياسيا كأول وحدة تنال أستقلالها فى غرب افريقية ، وفى مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة ، وبطبيعة الحال البنك الدولى للانشاء والتعمير . وظلت غانا دون الحصول على ضمان لتمويل المشروع حتى ديسمبر ١٩٦١ حينما أعلن الرئيس كنيدى تدعيمه وتأييده للمشروع بقرض بلغ ٦٢ مليون جنيه للصرف منه على مشروع السد ومشروع المصاهر [2]، وبذلك يعتبر أكبر أستثمار حكومى أمريكى فى افريقية هذا بينما ساهمت المملكة المتحدة بخمسة ملايين من الجنيهات وأسهمت حكومة غانا بخمسة وعشرين مليونا لتمويل عمليات البناء الأولية وكذلك كل العمليات الهندسية فى الفترة من ١٩٥٨–١٩٦٢ [3] .

وعندما أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية عن قروضها للسد ، كان معروفا أيضا بأن حكومة الولايات المتحدة سوف تقدم قرضاً آخر قدره ٣٤,٥ مليون جنيه عن طريق بنك التصدير والاستيراد إلى شركة فالكو ، وسوف تمنح ضمانا لاستثمارات كايزر ورينولدز قدره ٩,٥ مليون جنيه عن طريق الوكالة الأمريكية

---

(١) Birmingham, Omabea, op. cit., PP. 393, 394.

(٢) يبدو أن الولايات المتحدة الأمريكية والرئيس كنيدى بصفة خاصة لم يكن يريد أن يتكرر الخطأ الذى وقعت فيه السياسة الأمريكية فى مصر عام ١٩٥٦ حينما عرقلت تمويل مشروع السد العالى وبالتالى اتجهت مصر إلى الاقتراض من الاتحاد السوفيتى .

(٣) Hilton, «A Kosombo Dam», P. 251 .

للتنمية الدولية .U. S. Agency for Int. Develop فضلا عن ضمان ضد أى نوع من المصادرة أو أى أخطار أخرى ، كما قدمت حكومة غانا تعهدا مكتوبا بعدم مصادرة المصاهر[1] ، بل على العكس سوف تكون حامية لها بصرف النظر عن تغير الحكومات وتقلب الاهواء .

وهكذا تحددت الصورة أمام مشروع ضخم يستند على ثلاث مشروعات أساسية متكامله هى :

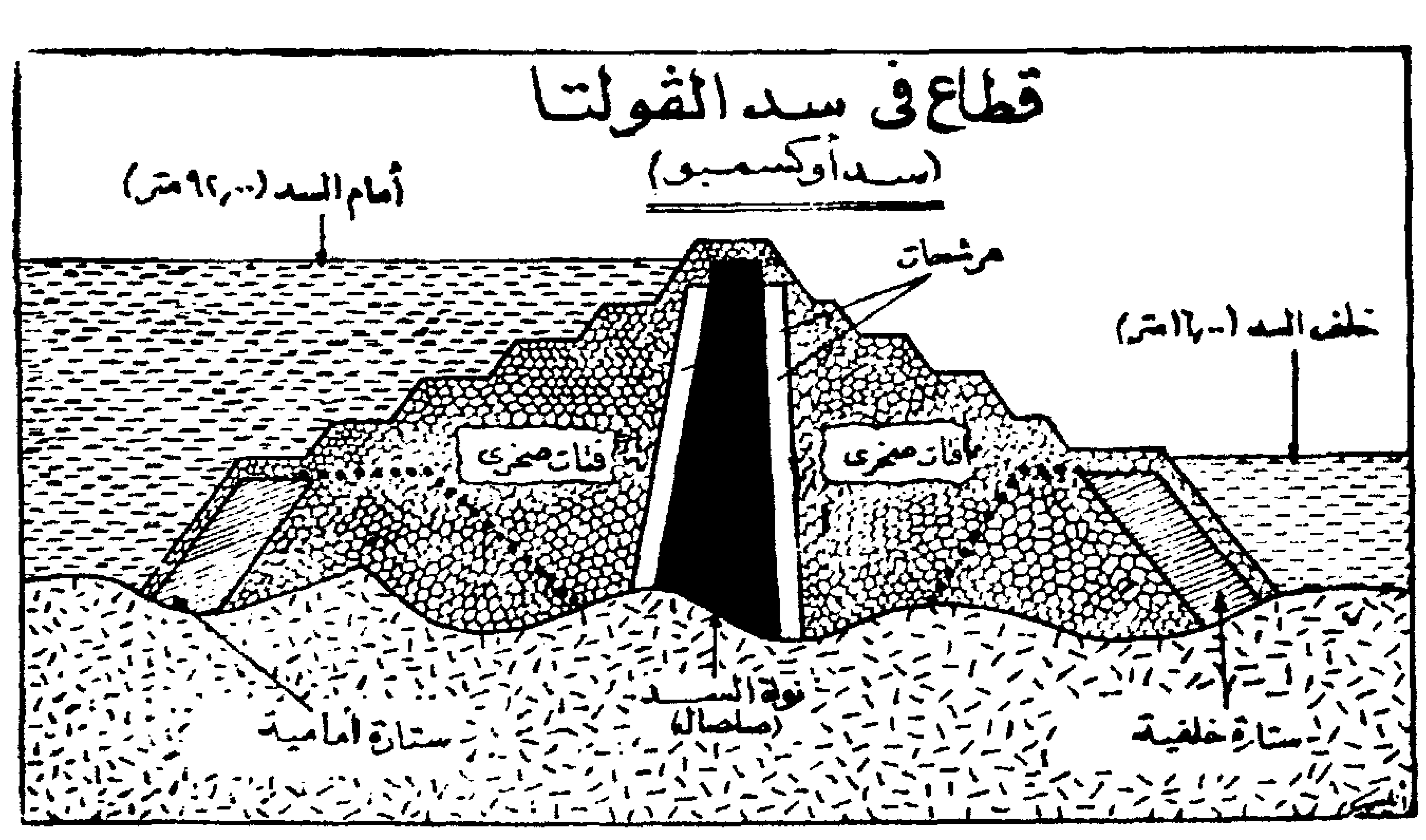
– سد أوكسمبو ومحطة توليد الكهرباء الذى اشتركت فى تمويله حكومة غانا مع الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة والبنك الدولى .

– ميناء تيما الذى كلف حكومة غانا ٣٥ مليون جنيه .

– المصاهر التى أقامتها الشركات الأمريكية بقروضه وضمان من الحكومة الأمريكية وقدرت تكاليفها بنحو ٦٠ مليون جنيه .

السد وبحيرته

على بعد ٥٠ ميلا من أكرا وثلاثين ميلا من البحر يعبر نهر الڤولتا خانقاغائرا بين حافتين من الكوارتزيت والحجر الرملى لتلال أكوابيم Akwapim ليتجه إلى



شكل رقم (٢)   قطاع من سد الڤولتا

(١) Maxon, «Volta, Man's Greatest lake» P. 202

سهول الفولتا الأدنى . وقد أختير هذا المكان لبناء السد الذى يبلغ طوله ٧٠٠ متر عند القمة ٤٦٠ مترا عند القاعدة ، كما يبلغ ارتفاعه من القاعدة الصخرية إلى القمة ١٢٤ متراً [1] أو ٨١ متر فوق سطح الماء .

وهذا يجعل طوله ٤ مرات قدر ارتفاعه . وقد بنى السد على أساس نواة صلصالية فى الوسط غير منفذه للماء وحولها الفتات أو الركام الصخرى . وهذه الطريقة فى البناء استلزمتها ظروف المنطقة من الناحية الجيولوجية ، إذ أن أقليم أوكسمبو من الأقاليم التى تتعرض للهزات الزلزالية بين حين وآخر ، مما لا يسمح ببناء السد على هيئة كتله صماء تتعرض للتشقق إذا ما أصابتها هزة زلزالية عنيفة ، من ثم فهذه الطريقة صالحة لبناء السدود فى مثل هذه المناطق .

وقد عرض بناء السد فى عطاء دولى ونجحت شركة Impreglio الايطالية فى الحصول على هذا العطاء وهى شركة مؤلفة من كونسرتيوم شركات إيطالية ، ولها خبرة سابقة فى بناء السدود فى أفريقيه ، فقد نفذت من قبل سد الكاريبا على الزمبيزى ، وسد كاينجى على النيجر ، وسد الروصيرص على النيل الأزرق ، ووقعت حكومة غانا عقداً معها فى مايو ١٩٦١ وبدأ العمل فى السد فى يناير ١٩٦٢ .

ولأكسمبو أن تفخر بأنها مكان لسدين بدلا من سد واحد ، ذلك أنه بعد نصف ميل إلى الشمال من أوكسمبو يوجد وادى متسع كان لابد من سده حتى لاتتسرب فيه مياه البحيرة المستقبلة ، من ثم أقيم سد ثانوى Saddle Dam على هذا الوادى بطول ٤٠٠ متر وارتفاع ٤٠ متراً . وعلى الضفه الغربيــة بالقرب من السد الرئيسى شيدت محطة توليد الكهرباء وزودت بمولدات طاقتها ١٤٧ ميجاوات على أن يلحق بها مولدان آخران فيما بعد لتصل بطاقتها إلى ٨٨٣ ميجاوات . وتصل المياه إلى محطة التوليد عن طريق أنابيب من الصلب طولها ١٢٠ متراًوباتساع ٨ أمتار ، وهذه تأتى بالمياه من قناة المأخذ التى حفرت فى الصخر بطول ٩٠ متراً . وعلى الضفة الشرقية وبالقرب من السد أيضا يوجد مهربان Spillways وعليهما بوابتان من الصلب (مقاس ١٦ × ١٥ متر) لتصريف أى زيادة فى المياه فوق

---

(١) يبلغ طول السد العالى ٢٦٠٠ متر منها ٥٢٠ مترا بين ضفتى النيل ، كما يبلغ ارتفاعه ١١١ مترا فوق قاع النيل .

طاقة السد ، وقد عمل مصممو السد حسابهم على أساس أن يقوم المهربان بمهمتهما فى ظل أسوأ فيضانات قد تشهدها غانا والتى تتوقع لأن تكون ضعف تصديف عام ١٩٦٣ وهو ٥٠٠ ألف قدم مكعب فى الثانية . وقد صمم السد على أساس خلق خزان ضخم لعمل توازن فى ذبذبات النهر التى تتراوح بين حد أدنى قدره ١٠٠٠ قدم مكعب فى الثانية وحد أعلى قدره ٥٠٠ ألف قدم مكعب فى الثانية .

ولم تكن عملية البناء سهلة لينه دون عقبات ومشكلات ومفاجآت . فعلى سبيل المثال كانت التقديرات بأن تتعمق الستائر تحت منسوب الماء بنحو ٧٥ متراً ، ولكن ظهر أنه لابد من التعمق أكثر من هذا .

كذلك كان فيضان عام ١٩٦٣ من أهم عوائق التقدم فى العمل ، ذلك أنه كان فيضانا إستثنائيا للغاية ، من الفيضانات الاستثنائية التى تنساب فيها المياه بمعدل ٥٠٠ ألف قدم مكعب فى الثانية والتى تتنبأ التقديرات بأنها تحدث مرة واحدة كل قرن من الزمان ، وكان آخرها عام ١٩١٧ ولكن المقياس سجل ٥١٠ ألف قدم مكعب فى الثانية يوم ٢٣ سبتمبر من عام ١٩٦٣ ورغم أن التلفيات التى حدثت كانت أقل من نظيرتها التى شهدها سد الكاريبا عندما تتابع فيضانان عاليان فى عامين متتاليين فان عمليات اعادة بناء أجزاء كثيرة كانت ضرورة حتمية .

كهرباء السد

بلغت مساحة البحيرة عند تمام الامتلاء ٣٢٧٥ ميلا مربعا وطول سواحلها نحو ٤٥٠٠ ميلا وتمتد البحيرة إلى الخلف لمسافة ٢٥٠ ميلا أمام السد ، كما يبلغ أقصى عرض لها ٥٠ ميلا ويمتد نصفها الشمالى فى اقليم السفانا ، بينما تمتد أطرافها الجنوبية فى اقليم الغابات . وبدأت مياه البحيرة تتجمع أمام السد فى مايو ١٩٦٤ أى قبل الفيضان حينما أغلقت قناة التحويل وكان عام ١٩٦٨ هو أول عام تصل فيه البحيرة إلى أعلى منسوب لها . وانتهى العمل فى محطة توليد الكهرباء خلال ١٩٦٥ ، وبدأ سد أوكسمبو يسد حاجة غانا من الكهرباء منذ ذلك التاريخ .

ويعمل الآن فى محطة توليد الكهرباء أربع مولدات تعطى ٥٨٨ ميجاوات سنويا وكان من المنتظر أن يتركب مولدان آخران فى نهاية ١٩٧٣ وبذلك تبلغ مجموعة

الطاقة المولدة ٨٨٢ ميجاوات سنوية وحتى بالطاقة المبدئية لعام ١٩٦٧ نجد أنها تعادل ٥ مرات الطاقة المولدة عام ١٩٦١ .

وقد بدأ بناء أكبر مشروع صناعى خاص فى غرب أفريقية عام ١٩٦٤ وهو مصاهر الألومينا فى تيما وبدأ انتاج شركة فالكو Valco [١] فى الظهور عام ١٩٦٦ بعد الإطاحة بنكروما . ويذهب البعض إلى أنه من تناقضات حكم نكروما أن تكسب شركتان أمريكيتان ضخمتان تأييده ورعايته لمثل هذا المشروع ، وفى نفس الوقت يهاجم نكروما الاحتكارات الرأسمالية فى كتابه «الاستعمار الجديد» عام ١٩٦٥ .

والواقع أن مصاهر تيما لا يمكن دراستها إلا فى اطار مشروع الفولتا . فمن البداية كانت مصاهر للألومنيوم نظرا لشراهتها الفريدة للطاقة الكهربائية . وفى وقتنا الحاضر تستهلك المصاهر أكثر من نصف الكهرباء المولدة فى أوكسمبو . وصدرت ميناء تيما أول شحنة من الألومنيوم عام ١٩٦٧ وقدرها ٢٥٠ طنا ولكن بتركيب المولدان فى نهاية ١٩٧٣ تصبح طاقة المصاهر ١٤٥ ألف طن من الألومنيوم سنويا إذا ما قورنت بطاقتها المبدئية ١٠٣ ألف طن وبالتالى تعتبر أكبر مصاهر للألومنيوم خارج أمريكا الشمالية [٢] .

وقبل أن توافق الولايات المتحدة والبنك الدولى على أقراض ٩٨ مليون دولار لاضافتها إلى مبلغ مماثل تدفعه غانا لمشروع الفولتا ، كان عليهما التأكد من أن فالكوسوف تكون قادرة على دفع تكاليف الطاقة ، من ثم عقدت إتفاقية بين حكومة غانا وبين فالكو تعهدت الأخيرة بمقتضاها (سواء استغلت أم لا) دفع قيمة ٢٠٠ ألف كيلوات سنويا خلال الخمس سنوات الأولى للمشروع ثم قيمة ٣٠٠ ألف كيلوات لمدة الخمس وعشرين عاما التالية . لذلك سوف تدفع فالكو إلى حكومة غانا ٧ مليون دولار سنويا . وخلال الثلاثين عاما سوف تكون بمقتضى هذه الاتفاقية قد دفعت ما يزيد على ٢٠٠ مليون دولار [٣] وهذه المدفوعات جميعها بالعملة الصعبة وهكذا يكون قرض الفولتا مضمونا بواسطة الفالكو التى

---

(١) Volta Aluminum Company.

(٢) West Africa, «Valco in the New Ghana» : 4 27/9/1969, P. 1139

(٣) Ibid., P. 1139

استثمرت وحدها ١٢٠ مليون دولار زادت الآن على ١٤٥ مليون دولار وضمنتها امتيازات جعلت وضعها فريداً بىن المشروعات الأجنبية فى غانا .

اتفاقية فالكو

تكونت شركة فالكو Valco عام ١٩٥٩ وهى عبارة عن كونسرتيوم من شركتين أمريكيتين تعملان فى ميدان صناعة الألومنيوم (وهما شركة كايزر واتحاد الكيماويات ونصيبهما ٩٠٪ من الأسهم ، وشركة رينولدز ونصيبها ١٠٪) وذلك لدراسة أمكانات إنشاء مصاهر للالومنيوم فى غانا . وقد تعهدت فالكو بشراء ٣٠٠ ألف كيلوات من طاقة سد الفولتا لمدة ثلاثين عاما (وهو قدر يعادل نصف ما ستولده الأربع تربينات) وذلك بسعر سنوى قدره ٢,٥ مليون جنيه .

وهذا المبلغ لاشك يغطى تكاليف المشروع المقدرة بنحو ٧٠ مليون جنيه ، وسوف تكون هناك فترة مبدئية قدرها ست سنوات حتى تصل الشركة إلى مرحلة إستهلاك هذه الكمية . وحدد أبريل ١٩٦٧ لبداية عمل المصاهر بطاقة سبدئية تتراوح بين ١٠٠ ، ٢٠٠ ألف كيلوات وبدأ العمل فى المصهر يوم ٥ ديسمبر ١٩٦٤ .

وتم الاتفاق مع الحكومة فيما يختص باستيراد الألومينا للمصهر وتصدر الألومنيوم على أن تقوم كل شركة على أساس نسبة نصيب كل منهما فى فالكو بمد المصنع باحتياجاته ، من ثم فعلى شركة كايزر أن تمد المصنع بنحو ٩٠٪ من الألومينا الخام وتصدر ٩٠٪ من الألومنيوم . وعلى مدى ثلاثين عاما سيكون نصيب أرنولد نحو ½ مليون طن من الألومنيوم قيمتها ١٠٠ مليون جنيه بالاسعار الجارية ، بينما يرتفع نصيب كايزر إلى البليون جنيه (١) .

فالمشروع ولو أنه لايسمح فى المرحلة الأولى بتصدير الألومنيوم من الخامات المحلية . فانه سمح بتصدير كمية ضخمة من الطاقة لأن كل طن ألومنيوم يستهلك ما قيمته ١٧ جنيه من الطاقة الكهربائية أو بمعنى آخر كأن غانا تصدر ما قيمته ٥٠٠٠ جنيه من الطاقة يوميا للمشروع فى مرحلته الأولية وضعف هذا القدر عندما يعمل المصهر بكامل طاقته .

---

(١) Maxon, j, op. cit. P. 210

إعداد المصهر للعمل :

أعدت فالكو مخازن للألومنيوم على بعد ميلين من تيما فى مساحة قدرها ٤٥٠ فدانا وتم توصيل المخازن بأرصفتها فى المرفأ . وبدأ العمل الرسمى فى المصهر يوم ٥ ديسمبر ١٩٦٤ وقد ألقى نكروما كلمته فى ذلك اليوم « أن المصهر هو أحد مشروعات ثلاثه متكاملة وهى ميناء تيما . والسد ، والمصهر » .

ويوجه نقد كبير إلى شركة فالكو وإلى الاتفاقية المعقودة مع غانا ، على اعتبار أن فالكو قد استغلت ظروف غانا ورغبتها الشديدة فى اقامة المشروع من ناحية . ولقوة فالكو الاحتكارية من ناحية أخرى إذ تمتلك شركة كايزر للألومنيوم واتحاد الكيماويات (وهذه الأخيرة بدورها فرع فى إتحاد كايزر للصناعات) عدة مصانع فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والهند والسويد وتركيا وألمانيا الغربية فضلا عن جهات أخرى وتعطى مثلا جيداً على التكامل الرأسى فى الصناعة ،ونموذجا للاحتكارات الأمريكية ، لأنها تضم جميع عمليات انتاج الألومنيوم من تعدين البوكسيت إلى صناعة الألومنيوم فضلا عن تسويق المنتجات النهائية وبذلك يصبح مصهر فالكو ما هو إلا جزء من عملية ضخمة على المستوى العالمى . ومن المهم معرفة هذه الحقيقة لتفهم العوامل المتعلقة باستثمارات فالكو فى غانا .

ويجب أن نذكر أن شركة كايزر كان موقفها قويا فى المفاوضات لعقد الاتفاقية مع الحكومة ، وتعكس شروط هذه الاتفاقية هذا الموقف ، إذ كانت قادرة على الحصول على عدد من الامتيازات الضريبية من الحكومة نذكر منها :

١ – تعفى جميع واردات فالكو اللازمة لبناء المصهر وتشغيله لفترة الثلاثين عاما الأولى (المواد من ١٥ إلى ٢٠) .

٢ – لاقيود ولا تحكم ولا ضرائب على صادرات الألومنيوم (مادة ١٩) .

٣ – تعفى أرباح شركة فالكو من الضرائب لمدة سنوات على الأقل ، تمتد إلى مدة أقصاها ١٠ سنوات إذا لم تصل الأرباح إلى حد أدنى معين وهو على أساس أرقام ١٩٦٦ يبلغ ٢٠ مليون جنيه .

٤ – تعفى واردات الألومنيوم لفترة الثلاثين عاما الأولى .

٥ — تقدر ضريبة الدخل منذ بدء استحقاق دفعها حتى ١٩٩٧ على أساس ضرائب الأرباح المطبقة على الشركات فى ٢ يناير ١٩٦١ والتى كانت تقدر بأربعين فى المائة من الأرباح ، يضاف إليها ٢ ½ ٪ على الأرباح المحولة إلى الخارج . ولا توضع أى ضرائب أخرى على عمليات شركة فالكو خلال هذه الفترة إلا باستثناءات محدودة (ملحق ٣) وهناك أيضا أهم امتيازين غير مذكورين فى هذه القائمة وهما : —

(ا) الاتفاق على بيع الطاقة إلى المصهر بسعر يزيد قليلا عن سعر التكلفة (١) .

(ب) عدم الضغط على فالكو للقيام بانشاء مصنع للألومينا فى غانا . ونظرا لأهمية تكاليف الطاقة فى مجموع التكاليف العامة لصناعة الألومنيوم فقد ضمنت الاتفاقية لفالكو سعراً يعتبر من أرخص الأسعار فى العالم إذا ماقدر بالأسعار فى جهات أخرى تعتبر نماذج لمنتجى الألومنيوم فى العالم .

وكان انخفاض سعر الطاقة ، فضلا عن رخص اليد العاملة فى غانا من أهم العوامل التى ساعدت على قيام صناعة الصهر فى غانا معتمدة على الألومينا المستوردة وبعبارة أخرى لو كان سعر الطاقة فوق حد معين لما كان فى الامكان قيام صناعة الألومنيوم فى غانا إلا أعتمادا على استغلال البوكسيت المحلى .

فاذا نظر إليها من هذه الزاوية فان تثبيت سعر القوة المحركة لمدة ثلاثين عاما معناه منع غانا من الضغط على فالكو لاقامة مصنع ألومينا يعتمد على البوكسيت المحلى .

وهكذا كان التوقيع على اتفاق يمنع غانا من استغلال بوكسيتها المحلى ، معناه الخروج عن المفهوم الأصلى لمشروع سد الفولتا . ورغم أن تقرير كايزر (عن إعادة

---

(١) يرجع انخفاض سعر الطاقة إلى أن السعر الذى حدد لكهرباء المصهر يتراوح بين $\frac{1}{4}$ و $\frac{1}{3}$ السعر الذى حدد للأغراض الأخرى . وهو على سبيل المثال يعادل $\frac{1}{3}$ تكاليف انتاج الكهرباء فى أكثر محطات الكهرباء كفاءة فى غانا . ويفسر طريقة تشغيل المصاهر بسبب هذا الرخص ، فالمصاهر تعمل طيلة ٢٤ ساعة كاملة ، من ثم يصبح طلب المصاهر على الكهرباء له صفة الاستمرار ، على حين أنه يتميز بعدم الانتظام فى أوجه الاستهلاك الأخرى ، له قمة وحضيض خلال اليوم الواحد ، هكذا يصبح سعر الكهرباء بالنسبة للمصاهر بسعر التكلفة ، وتصبح زيادة الطلب من جانب أوجه الاستهلاك الأخرى أمرا ضروريا ليربح مشروع الكهرباء .

تقدير الموقف) أوصى بأن تكون الاستثمارات المبدئية لشركات الألومنيوم تتجه نحو انشاء مصهر الألومنيوم. إلا أن هذا لايمنع أن تكون هناك مادة أو نص على تعدين البوكسيت المحلى واقامة مصنع الومينا (١) فى المستقبل القريب .

وإذا قيل بأن الاتفاق يضمن ما يشجع فالكو فى المستقبل على استغلال البوكسيت المحلى والاشارة هنا إلى أنه بعد عام ١٩٧٧ إذا لم تستغل فالكو البوكسيت المحلى ، فان ما تتقضاه الحكومة على الألومينا المستوردة سوف ترتفع من ٥٦ ٪ إلى ٦٠ ٪ من الأسعار العالمية للألومنيوم حينئذ وهذا لايمثل دافعا بأيه حال (٢) .

وإذا كانت الدراسات لم تتم بعد على نوعيته ، فان التقارير تذكر أن عامل قربه من تيما يجعل استغلاله لاستخراج الألومنيوم عملية اقتصادية .

وفى الحق هناك من الأسباب والدوافع التى تجعل من اللازم اقامة صناعة

---

(١) يبدو أن هناك سببا سياسيا فى عدم استغلال بوكسيت غانا المحلى ، وإقامة مصنع ألومينا فى غانا . ذلك أن مصنع الألومنيوم الحالى فى تيما إنما يعتمد على الألومينا التى تستوردها شركة كايزر ذاتها . وسبق أن تعرفنا على الموقف الاحتكارى لشركة كايزر فى صناعة الألومينا والألومنيوم فى العالم ، من ثم لا يمكن لغانا أن تقوم بأى عملية تأميم لمصاهر تيما لأن هذه المصاهر لا يمكنها أن تعمل على البوكسيت المحلى ، وإنما على الألومينا المستوردة والتى تتحكم فيها احتكارات شركة كايزر .

(٢) ترد الشركة على هذا بأنها مكنت غانا من أن يكون لها مصاهر للألومنيوم تقف على قدم المساواة مع المصاهر العالمية الأخرى ، وبذلك مكنت غانا من الحصول على ما يقرب من ٩ مليون دولار من العملة الصعبة سنويا ، فضلا عن تشغيل قوة عاملة قدرها ١٧٥٠ نسمة منهم ١٦٥٠ من الغانيين ، كما أن نصف الرؤساء والمديرين غانيين ، ولكن واضح ضعف هذا الرد وعدم استفادة الاقتصاد الغانى بصورة واضحة ، فليست هناك حركة انسيابية بين التقدم فى مصاهر تيما وبين التخلف الذى تعانيه البلاد — من ثم تصبح أشبه ببؤرة أو جزيرة منعزلة من التقدم وسط محيط من التخلف . ولا ننسى أيضا أن للشركة السيطرة الكاملة على موظفيها من الخبراء ، كما تضع كل أرباحها من هذه العملية بالعملة الصعبة فى حساب لها بالولايات المتحدة الأمريكية (راجع فى هذا Africa. No. 3, 71) وقد فكرت الحكومة فى اقامة مصهر للألومينا غير مصهر فالكو يعتمد على البوكسيت المحلى راجع «Boost from Bauxite» Africa, No. 4, 71.

وأحست شركة كايزر بهذا فأعلن إدجار كايزر رئيس مجلس ادارة فالكو بأن الشركة سوف تبدأ عمليات حفر كثيفة لتحديد كيات الاحتياطى الغانى من البوكسيت حتى يمكن استغلاله ، لأن الحد الأدنى لطاقة مصنع الألومينا يجب ألا تقل عن ٦٠٠ ألف طن سنويا ، ليقف على قدم المساواة مع نظائره فى السوق العالمية ، وأن فالكو سوف تقوم ببناء مصهر آخر بمجرد التأكد من كية الاحتياطى ، حتى يبثوا الثقة فى المقرضين للمشروع (راجع West Africa, Sept. 1969, p. 1139) .

ألومنيوم متكاملة فى غانا . فوجود الخام ومورد رخيص للطاقة وتسهيلات ضخمة فى ميناء تيما يوفر ظروفا فريدة لانتاج ألومنيوم رخيص . فمعظم منتجى الألومنيوم فى العالم يشحنون الألومينا أو البوكسيت لمسافات طويلة إلى المصاهر . ولعله من الغريب أن معظم الألومنيوم الذى تنتجه مصاهر فالكو فى غانا يأتيها من الولايات المتحدة الأمريكية وهذه بدورها مستخرجة من بوكسيت شحن للولايات المتحدة من جمايكا .

إن فائدة الاقتصاد الغانى من قيام صناعة الألومنيوم متكاملة ليست فى حاجة إلى مناقشة أو جدل كبير .

فأولا وقبل كل شيء سوف تزيد قدرة البلاد على الاستيراد ، ذلك أن سعر الطن من البوكسيت من النقد الأجنبى يرتفع بصورة طردية مع درجة تكريره . فاذا أخذنا أسعار ١٩٦٠ سنجد ما يلى بالنسبة لطن البوكسيت (١) .

قيمة تصدير طن من خام البوكسيت	٢ جنيه و ١٠ شلن
قيمة تصدير طن من الألومينا	٥ – ٦ جنيه
(كل ٤ طن تعطى طنين من الألومينا)	
قيمة تصدير طن من الألومنيوم	١٨–٢٢ جنيه
(كل طن ألومنيوم يستخرج من ٨–١٠ طن بوكست)	

وعلى هذا فالقوه الشرائية للألومنيوم تعادل سبع مرات خام البوكسيت ، والسبب الرئيسى فى عدم إنشاء مصهر للألومنيوم هو تكاليف هذا المصهر وما يرتبط به من استخراج البوكسيت وهذه تبلغ ٣٤ مليون جنيه ، وهو رقم ليس ببعيد عن تكاليف المصهر الذى أقيم وبلغت تكاليفه ٤٣ مليون جنيه ، ومع ذلك يبدو أن فالكو لا تريد أن تقامر بهذا المبلغ .

نتائج تكوين البحيرة

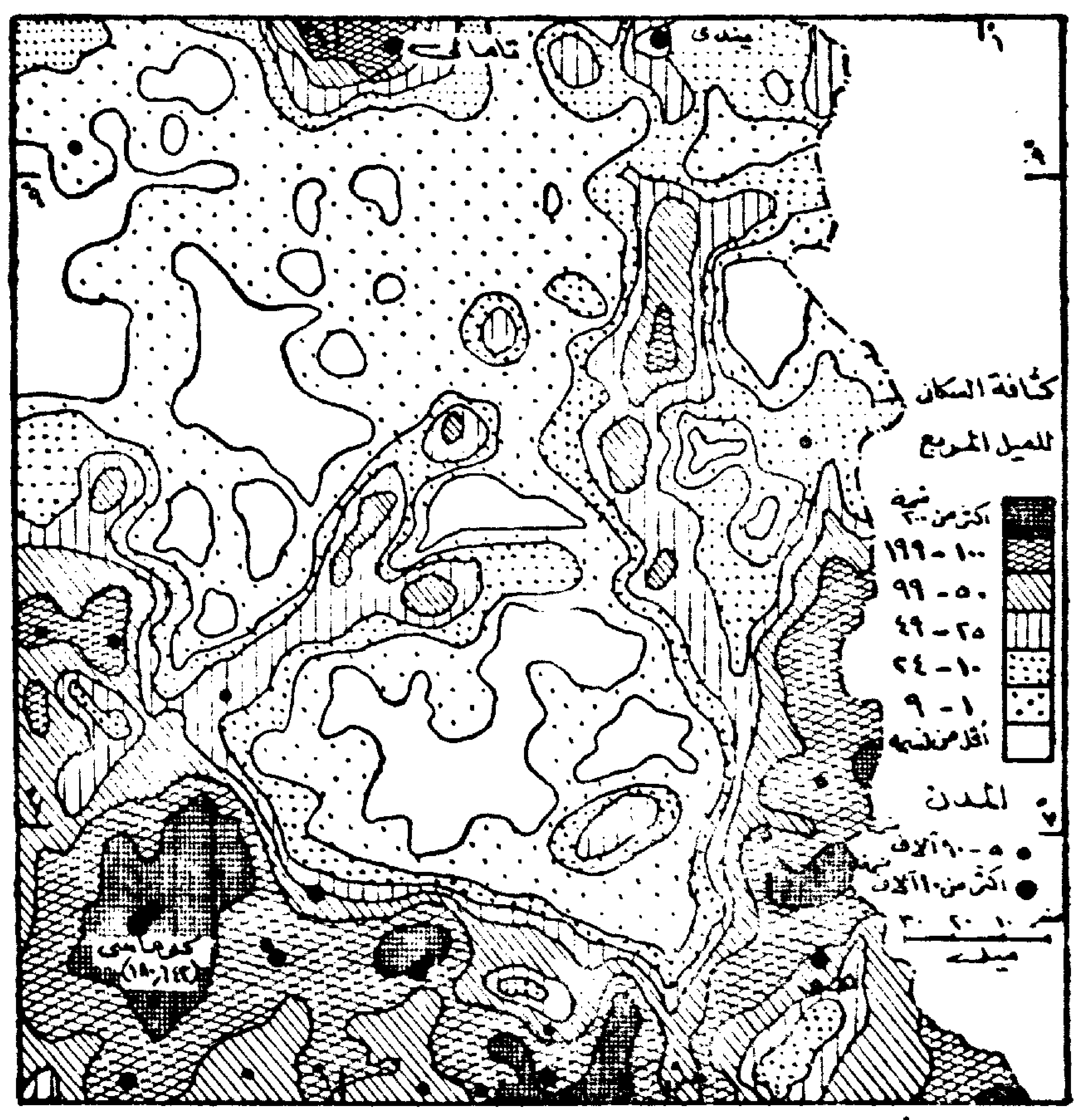
اعادة توطين السكان

ذكرنا أن البحيرة غطت نحو ٣٪ من مساحة غانا ، وتمتد لمسافة ٢٠٠ ميل

---

(١) Contemporary Ghana, P. 405.

شمالا مما أدى إلى ضرورة إعادة توطين السكان الذين ستغرق البحيرة أراضيهم ، ولكن لحسن الحظ كانت منطقة البحيرة مخلخلة السكان . وكانت هناك أول الأمر فكرة اعطاء تعويضات نقدية للمتضررين ، ولكن ثبت عدم جدوى مثل هذه الفكرة فى مشروع مماثل له فى الهند وهو مشروع وادى دامودار Damodar حيث اختار ٩١٪ من السكان التعويض النقدى بدلا من أرض جديدة وكانت المشكلة الضخمة بعد ذلك هى هجرتهم إلى المدن وتركهم الزراعة ، ثم محاولة جمعهم من طرقات المدن . ولتفادى هذا عورض مبدأ البدل النقدى ، ولم



كثافة السكان فى منطقة المشروع قبل تنفيذه عام ١٩٦٠

شكل رقم (٣)

يسمح به إلا لعدد بلغ ٩٥٥٧ نسمة أربعة أخماسهم من التونجوالصيادين المهاجرين من الفولتا الأدنى (١) .

وبدأ مشروع توطين السكان عام ١٩٦٢ لاعادة اسكان ٨٠ ألف نسمه الذين أغرقت بحيرة الفولتا أراضيهم . وهؤلاء كانوا يعيشون من قبل فى ٧٤٠ قريةمبعثرة بمتوسط كثافة سكانية قدرها ٢٤ للميل المربع ، منها ٦٠٠ قرية عدد سكان كل منها يقل عن مائة نسمة وكان هذا العامل فضلا عن تبعثرها وعدم سهولة الوصول إليها ماجعل من الاحصاء عملية صعبة ، وما يتبع ذلك من مسح إجتماعى ،فلم يكن هناك سوى سبعة عشر قرية بها أسواق . كما كان سكان تلك القرى يعيشون فى مستوى معيشى منخفض عن المتوسط العام باستثناء بعض الحالات المعروفة كسكان المراكز التى تزرع اليام حول كيتى كراتش Kete Karachi وزراع الكاكاو جنوبى افرام ، وكانت معظم المنازل مبنية من الطين والقش وقدرت الوحدة السكنية بنحو ٢٠ جنيه بالاضافة إلى الأثاث والمعدات والأدوات التى لم يزد تقديرها على ١٠ جنيهات لكل وحدة سكنية .

وكان ٩٠٪ من السكان الذين أعيد توطينهم يعتمدون أساسا على الزراعة فى دخلهم ، أى يعتمدون على زراعة نوع معين من المحاصيل ، وعلى سهولة تسويقها ، ومن أجل هذا تذبذبت دخولهم : ففى منطقة زراعة اليام فى الشمال يتراوح متوسط دخل المزرعة ذات الأربعة أفدنة بين ١٠٠ — ١٤٠ جنيها على أساس زراعةمحصول واحد سنويا بينما يرتفع هذا الدخل إلى ١٥٠ جنيها فى مزرعة الكاكاو جنوبى افرام وأن كانت هناك بعض الأسر التى تحصل على ٥٠٠ جنيه سنويا . ولكن المزارع عادة لايزرع أكثر من فدان ونصف تعطيه ما بين ٥٠ ، ٨٠ جنيها ، وهناك أيضا عشرون ألفا من قبيلة الايفى Ewe الذين يعملون بالصيد (٢) . ولكنهم مهاجرون من الفولتا الأدنى ، من ثم لم يدخلوا ضمن مشروع التوطين .

وقد وضعت هيئة نهر الفولتا (VRA) (٣) فى الاعتبار عند عملية التوطين

---

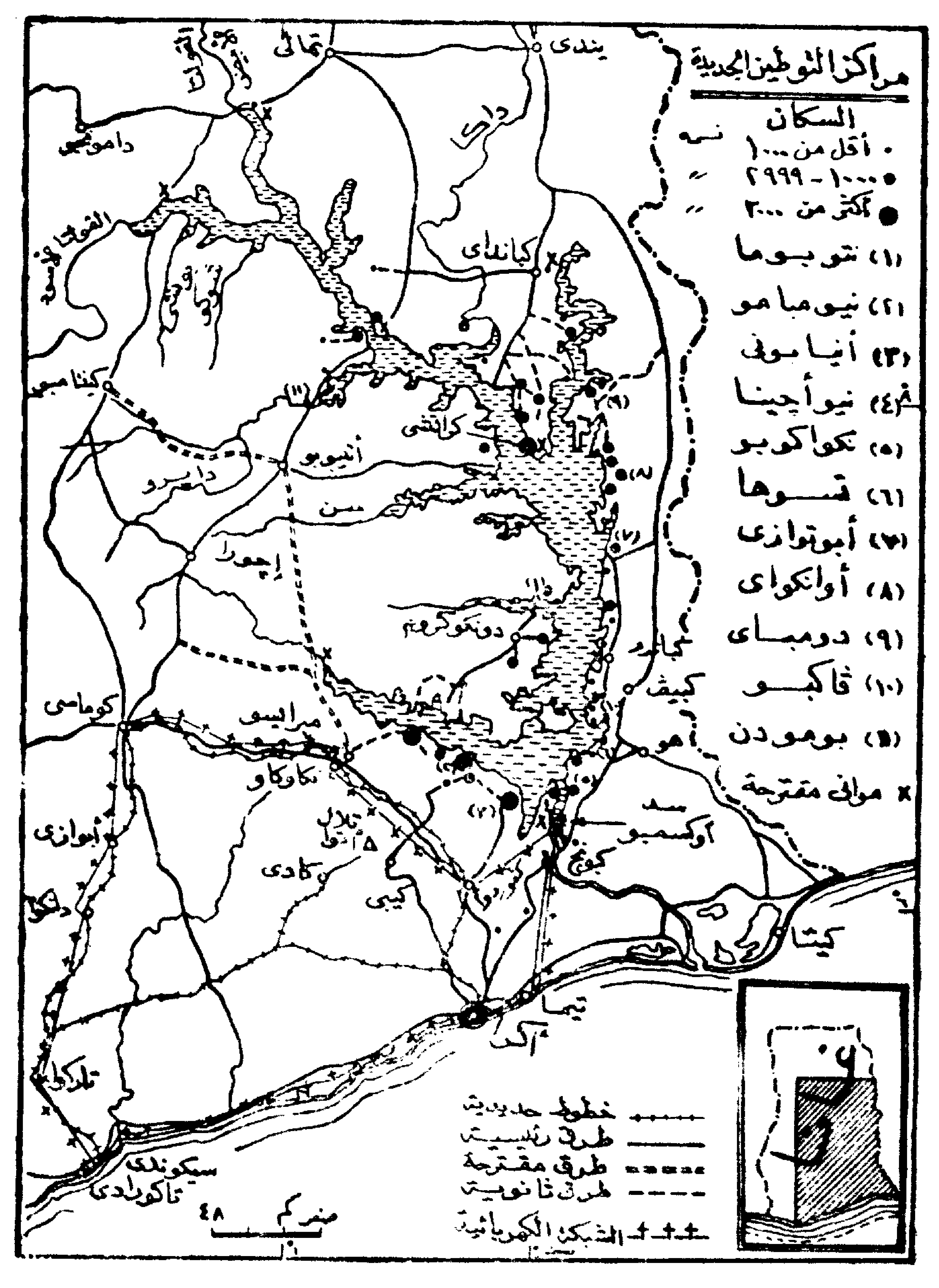
(١) Hilton, «The Volta Reseltlement Scheme», P. 14

(٢) Rowena Lawson, «Three Rural Development Schemes in Africa» African Affairs, vol 67, no. 267, P. 124

(٣) اختصار Volta River Authority وقد تكونت هذه الهيئة فى ابريل ١٩٦١ للاشراف على تخطيط وتنفيذ المشروع بكامله من بناء وتشغيل السد ومحطة توليد الكهرباء إلى محطات التحويل إلى الاشراف على النواحى الاجتماعية والاقتصادية الخاصة بالسكان

البحث عن البيئة المناسبة مما اقتضى قدرا كبيراً من البحوث الاجتماعية .

أعيد توطين السكان فى ٥٢ قرية كبيرة مدت ببعض الضروريات كمياه الشرب ودورات المياه والأسواق ولم تكن هذه التسهيلات معروفة لكل السكان قبل ذلك



شكل رقم (٤)
مراكز التوطين الجديدة

كما أن مستوى المساكن التى يعيشون فيها الآن أعلى بكثير من مستوى المساكن السابقة ، بل وأرفع مستوى من مساكن الجماعات المضيفه . وصممت المساكن بحيث تحتوى كل مسكن على حجرتين ومطبخ وحجرة للمعيشه . وبنى المسكن من الطوب وسقفه من الألومنيوم [1] وفى معظم القرى تركت فراغات بجوار المساكن للتوسع فى عدد الحجرات فى المستقبل . وقدرت تكاليف المسكن بنحو ٢٠٠ جنيه ، ولكن نظراً لارتفاع تكاليف البناء ولزيادة التضخم ارتفعت التكاليف إلى ٣٥٠ جنيه عام ١٩٦٤ -٦٥ مما جعل متوسط تكاليف الوحدة السكنيه يبلغ ٣٣٠ جنيه فى المشروع ككل .

وكانت هناك خطط لمساعدة المزارع على أن يحيا حياة جديدة ، ولكنها لم تنفذ جميعا ؛ على سبيل المثال كانت الطريقة الوحيدة للحصول على كفاية من الأرض الزراعية هى تجنب طريقة الزراعة القديمة .. والعمل فى ظل نظام دورة زراعية للمحاصيل . وما يتطلبه ذلك من تطهير واعداد الأرض . واستعمال الآلات الزراعية الميكانيكية فضلا عن التسميد . وكان من المقترح أن تبدأ عملية تطهير واعداد الأرض اللازمة للزراعة فى نفس الوقت الذى تبدأ فيه عملية تطهير الأرض واعداد المساكن . ولكن تضافرت عوامل عديدة كنقص المعدات ، ونقص التخطيط والحاجة إلى نقل المعدات الثقيلة لمسافات طويلة من مدينة إلى أخرى وكانت النتيجة أن انتقل السكان إلى مواطنهم الجديدة دون أن يجدوا الأرض الزراعية الكافية لهم وواجهتهم مشكلتى البحث عن الأرض المناسبة لأنفسهم . وعلى سبيل المثال كانت الأرض الزراعية المطلوبة فى ظل التخطيط الأول للمشروع ٥٤ ألف فدان ، ولكن مع بداية ١٩٦٥ لم يكن هناك سوى ١٥ ألف فدان مطهرة تماما ، نصفها لبناء القرى وفى نهاية ١٩٦٥ طهر ١٢ ألف فدان أخرى للزراعة وبذلك ظل هناك ٤٢ ألف فدان يلزم اعدادها . واستمر هذا الموقف حتى أكتوبر ١٩٦٧

---

(١) ورغم ذلك فقد تدخلت العوامل الاجتماعية كالتقاليد والعادات القبلية فى ظهور مشكلات توطين كعدم قبول سكنى قرى معينة لأنها تستلزم عبور مجرى مائى معين يعتبر من المحرمات Taboo الكبير ، ويذهب الرجل لزيارة كل زوجة حسب الظروف ، ولكن فى ظل المبانى التى أقامتها هيئة نهر الفولتا كان على الزوجات أن يعشن معا .

راجع Imoh Omo-Fadaka, «A Second Look at the Volta Project», west Africa, 5 may 1972, P. 556

حينما قدم برنامج الغذاء العالمى المساعدات للمشروع للاسراع فى تطهير الأرض ومحاولة لإشراك الأهالى أنفسهم فى العملية [1] .

وتفاوتت تكاليف تطهير الأرض فى الأقاليم المختلفة فى الغابات الكثيفة فى وادى أفرام تراوحت تكاليف الفدان بين ٥٠ ، ٦٠ جنيها بينما انخفضت إلى مايتراوح بين ٣٠ ، ٣٥ جنيها فى جنوب شرق البحرة . وكانت أقل تكاليف فى الشمال أى فى اقليم السفانا حيث تراوحت بين ١٥ و ٢٠ جنيها وبهذا فاقت التكاليف الفعلية التقديرات الأولية .

وأدخلت هيئة نهر الفولتا نظام الدورة الزراعية الذى يستند على أسس علمية والذى بمقتضاه تنتظم الدورة ٦ محاصيل زراعية وهى الذرةالعريضة واللوبيا والفول السودانى والدخان والبطاطا والعلف الحيوانى وتزرع فى أشرطة فى حقل كبير وبحيث تسمح بعملية التطهير والحرث والحصاد الآلى. ويشغل كل شريط محصول واحد وذلك لتسهيل الاشراف وتسميد ومقاومة الحشرات وغيرها . وطبقا للتخطيط كان نصيب كل مزارع فدانين لكل محصول أى بمجموع اثنا عشر فدانا وأن يتبع النظام التعاونى فى التسويق ويتحمل المزارع مسئولية تطهير الأرض من الحشائش والحصاد . ويتوقف نصيبه على أساس المحصول وإلى جانب زراع المحاصيل هناك المزارعين الذين يربون الماشية والذين يقومون بزارعة المحاصيل الشجرية وهؤلاء أيضا ينتظمون فى وحدات تعاونية .

ولم تكن التجربة ناجحة تماما بالنسبة لزراع المحاصيل ، بينما نجحت أول الامر بالنسبة للمزارعين الذين قاموا بتربية الحيوان ، غير أن هذه التجربة بدأت تلاقى الفشل عام ١٩٦٦ نظراً لارتفاع أسعار الذرة وندرة مواد العلف الأخرى وأن كان قد أعيد احياؤها مرة أخرى وكان النجاح الملحوظ لدى صيادى الأسماك الذين ازداد انتاجهم حتى اجتذبت هذه الحرفة مهاجرين وبصفة خاصة من الايفى سكان الفولتا الأدنى .

ويمكن ارجاع عدم نجاح المشروع الزراعى تماما إلى أكثر من سبب منها :

---

(1) Rowena Lawson, op. cit ·p. 125

١ – عدم تطهير مساحات كافية فضلا عن استهلاك الآلات .

٢ – عدم كفاية وسائل الاعلام وعدم كفاية الخدمات وجهل المزارعين فى المشروع بالنظم الزراعية الجديدة .

٣ – الفشل فى تنظيم التعاونيات .

٤ – التأخير فى تسويق المحاصيل وبصفة خاصة الدخان وبذلك حرم المزارعون من العائد السريع .

٥ – امتناع بعض المزارعين عن التحول إلى الغلات النقدية والعودة إلى زراعة الاستكفاء .

وبعد انقلاب ١٩٦٦ ظهرت بعض مشكلات أخرى منها حسد القبائل المضيفة للمستوطنين على مساكنهم الجديدة وعلى التسهيلات وعلى وسائل الراحة النسبية التى يستمتعون بها .

وكان هناك اتفاق على أن يتنازل السكان الأصليون عن بعض المساحات للمستوطنين ولكن هذا لم يتم فى بعض الجهات ووجدت هيئة نهر الفولتا صعوبات فى الحصول على هذه الأرض نظرا لعدم وجود تسجيل للملكيات ، كما انتقل بعض المستوطنين إلى أماكن أخرى فنتج عن ذلك ما عرف بمدن الأشباح **Ghost Towns** نظرا لعدم وجود أراضى زراعية كافية بجوار المراكز الجديدة وأصبح من الصعب إعادتهم إلى المراكز مرة أخرى وذلك لفقدان الثقة بين الأهالى[١] .

الثروة السمكية :

واستخدام البحيرة كمصايد للاسماك كان من الأمور التى اهتمت بها هيئة سد الفولتا وعينت خبيرا لدراسة النتائج . وخرج من دراسته بأن مياه البحيرة يمكن أن تعطى مايقرب من ٦ أطنان من الأسماك لكل ميل مربع سنويا وهذا معناه أن انتاج البحيرة سوف يبلغ ٢٠ ألف طن سنويا أو مايعادل ما تستورده غانا من

---

(١) أنظر الجهود التى بذلت والخطوات التى اتبعت فى سبيل تنفيذ اعادة عملية التوطين بقلم الخبراء الذين اشتركوا فى هذا المشروع فى :

Robert Chambrers, «The volta Reseltlemht Experience», London, 1970

أسماك ، وبذلك توفر على الدولة مايقرب من ثلاثة ملايين من الجنيهات . وقد حدث فعلا انفجار ضخم فى كميات الاسماك التى تعطيها البحيرة رغم أنه لم يدخل البحيرة أسماك من الخارج ، فقد أصبح فيها الآن مايزيد على ١٢٠ نوعا منها ٦٠ نوعا تصاد بكميات تجارية وصالحة للغذاء ، فالمياه الآن غنية بالبلانكتون ، وأفضل مواطن الصيد هى القريبة من الشاطىء حيث تنمو الحشائش وتكثر المواد العضوية التى تزدهر فى التكوينات الطينية الساحلية والأخشاب العطنة ، لذلك لم تكن الزيادة فى اعداد الأسماك نحسب بل أيضا فى احجامها [١] . ومعظم صيادى البحيرة من قبيلة التنجو Tungu وكانت مساكنهم جنوب السد ولكنهم اعتادوا الهجرة نحو الشمال لعلمهم بغنى المياه بالأسماك، وإذا كان بعضهم يقوم بهجرات سنوية نحو الشمال، ثم يرجع ثانية إلى الجنوب ، فان البعض الآخر بنى مساكن ثابته على ضفاف البحيرة . ويقدر عدد الصيادين بنحو ٧٠ ألفا يمتدون على شواطىء البحيرة فيما يقرب من ٧٥٠ قرية ، من ثم يقدر بأن كل عشرة من السكان بينهم فرد من التنجو [٢] ويأتى التجار البحيرة من جهات مختلفة لشراء الأسماك وتجفيفها بالشمس أو تمليحها لحفظها . وتظهر أهمية البحيرة فى الغذاء السكانى فى أن مايتراوح بين ٥٪ ، ١٠ ٪ من الأسماك المستهلكة فى الجهات الساحلية لغانا هى نتاج بحيرة الفولتا وترتفع هذه النسبة إلى ٣٠ ، ٤٠ ٪ كلما اتجهنا من الساحل نحو الشمال [٣] . وكان من نتائج ارتفاع المستوى الغذائى اختفاء مرض Kwashiorker الناتج عن سوء التغذية . غير أن هناك وجه آخر للموضوع ، فاذا كانت البحيرة قد ساعدت على منع أمراض سوء التغذية فانها كانت سببا فى انتشار أمراض أخرى .

فن المعروف أن نصف السكان فوق الأربعين والذين يعيشون على ضفاف الفولتا مصابون بالعمى بسبب ذبابة Simulium ذلك نتيجة قرص الذباب الذى يؤدى إلى ترك ديدان صغيرة . فاذا كان قرصها فى العين ونفقت

(١) Maxon, op cit., P. 156

(٢) A Second Look at the volta Project, P. 555

(٣) سجل الصيد فى البحيرة ٦٠ ألف طن من الأسماك فى موسم ١٩٦٩ — ٧٠ وهو يعتبر رقما قياسيا راجع Africa, Special Report, No 16, Dec. 1972, P. 72

الدودة فان جسم الإنسان يحيطها بمادة ليفية مما يؤدى إلى فقدان البصر . وقد ظن المسئولون أنه بتكوين البحيرة يتم القضاء تلقائيا على هذا المرض ولكن الذبابة فى الحقيقة انتقلت إلى روافد الفولتا ، ثم كان اندفاع الماء من السد بمعدل ٢٠ ألف قدم مكعب فى الثانية ، معناه توفير بيئة مثالية للذبابة مما أدى إلى سوء الحالة لدرجة أن نسبة المصابين فى قرية Atimpoker بالقرب من جسر Adomi بلغت ٦٨٪ من أهل القرية ، ٩٢ ٪ منهم من الذكور البالغين . وهناك محاولات للقضاء على الذبابة باستخدام الد . د . ت وإن كانت النتائج الايكولوجية لم يمكن تقييمها بعد .

وكان انتشار البلهارسيا أحد الجوانب البيئية لتكوين البحيرة ، ولم تكن هذه المنطقة تعانى منها من قبل ، ولكن انتقال ما يتراوح بين ٦٠ ألف ، ٩٠ ألفا من لايفى الصيادين والآتين من الفولتا الأدنى حيث تنتشر قواقع البلهارسيا أدى إلى ظهور بشكل ضخم لهذه القواقع . وهكذا بدأت نسبة المصابين ترتفع منذ عام عام ١٩٦٦ حين كانت ١٠ ٪ بين الاطفال مابين ١٠ ، ١٥ عاما إلى مايقرب من ١٠٠ ٪ عام ١٩٦٨ . ولم تتغير النسبة عام ١٩٧٠ رغم أن شركة سيبا السويسرية أعلنت عام ١٩٦٦ عن تصنيع عقار جديد يسمى Ambilhar [1] .

وتمثل النباتات المائية مشكلة جادة ، ذلك أنها أصبحت تغطى معظم مياه البحيرة ، فهناك ورد النيل Hyacinth المعروف فى نهر النيل ولكن يزيد عليه خص الماء Pistia الذى يتميز بنموه وانتشاره السريع وتبلغ كثافته أشدها فى الاجزاء الغربية من البحيرة ويخشى الباحثون أن تصبح مأوى للبعوض والذباب وقواقع البلهارسيا إن لم تكن الحيات والتماسيح قد وجدت فيها مكانا امينا .

النقـل :

ذكرنا أن البحيرة تشغل مسطحا ضخما قدره ٣٢٧٥٠ ميلا مربعا وبسواحل تبلغ ٤٥٠٠ ميلا ، من ثم يمكن الاستفادة منها كوسيلة من وسائل النقل البرى

---

(١) يذكر Guy Lavoipierre رئيس بعثة منظمة الصحة العالمية إلى غانا أن نسبة الاصابة بين صيادى الايفى فى منطقة عمل البعثة تراوحت بين ٤٠ ٪ ، ٩٠ ٪ راجع تقريره Health and Planning المنشور بمجلة Africa, No. 16, 1972 .

خاصة وأن البحيرة امتدادها شمالى جنوبى ، ولم تكن هذه الحركة قبل تكوين البحيرة كبيرة ، نظرا لأن الأراضى المحيطة لم تكن تعول اعدادا كبيرة ، كما أنها فقيرة فى المواد المعدنية والزراعية بحيث لم يكن حجم الحركة يتعدى ٣٤٠ ألف طن عام ١٩٦٢ . بهذا ستصبح البحيرة شريانا ضخما يخدم عملية التكامل النقلى بوجه عام وتخدم المناطق الشمالية المتخلفة بوجه خاص . من ثم تضمن المشروع تشييد عدة موانى بحرية ، وهذا يتطلب ربط جنوبى البحيرة بالسكك الحديدية من Koforidua إلى ميناء Apimso الذى ينشأ على البحيرة فى جنوبها ومنها يمتد خط ملاحى ليصل إلى ميناء تمالى فى الشمال وفى نفس الوقت يمكن توصيل تمالى فى الشمال بأواجودوجو عن طريق خط حديدى ، وبالاضافة إلى هذا ستمد خطوط من الميناء الجنوبى للبحيرة وبين الموانى الأخرى مثل كيتوكيباندى وكراتشى وتلك الموانى التى تخدم مناطق الكاكاو والتى تحيط بسهل Afram . وهكذا لن تشجع البحيرة الحركة التجارية بين شمالى وجنوبى غانا ، وبين شرقها وغربها فحسب . بل أيضا بين الخمس دول المجاورة : الفلتا العليا ، النيجر ، مالى ، وداهومى ، وتوجو ، وتصبح المنطقة المستفيدة أربع مرات قدر مساحة غانا ويسكنها ما يقرب من ٩ مليون نسمة ، ويؤدى هذا إلى استفادة ميناء تيما لا من الناحية الصناعية فحسب ، بل أيضا كميناء تجارى .

وعلى عكس تقدير الحركة التجارية على النهر فى هذا الجزء عام ١٩٦٢ بنحو ٣٤٠ ألف طن ، فان تقرير مؤسسة كايزر تعطى ٨٧٠ ألف طن عام ١٩٧٥ فضلا عن ٢٤٠ ألف من الركاب . وقدرت تكاليف الأسطول النهرى وانشاء تسع موانى بحرية بنحو ٩ مليون جنيه ، وقد بدأ الأسطول متواضعا بعد بداية ظهور البحيرة عام ١٩٦٤ ، ونما الأسطول بسرعة بحيث أصبح يتكون من ٢٢ وحدة . ولما كانت صلاحية أى نظام من نظم النقل تتوقف على حجم الحركة ، فقد تزداد أهمية البحيرة فى النقل إذا استغلت خامات الحديد فى Shieno شمالى البلاد ، خاصة وأن ذلك الجزء يعتبر متخلفا بالنسبة للجنوب .

الرى :

وكانت امكانات الرى موضوع دراسة وبحث منظمة الأغذية والزراعة ،

ومرة أخرى ، فان هذا المشروع من الناحية الفنية لا غبار عليه ، فنى الامكان الحصول على كميات كبيرة من مياه البحيرة لرى مساحة كبيرة من الأرض دون أثر يذكر على توليد الكهرباء ، ولكن التكاليف المبدئية باهظة وقد أشار إلى هذا خبير الأمم المتحدة فى تقارير له إلى هيئة نهر الفولتا بأنه فى الامكان اقامة مشروع مشروع رى ناجح ، لكنه يتكلف ٨,٢٥ مليون جنيه . وأنسب الأقاليم لاستخدام الرى هى سهول أكرا حيث تنتشر التربة السوداء الصالحة بصفة خاصة لزراعة الأرز. وأشار التقرير بأن محصول الأرز سوف تزيد قيمته على مجموع التكاليف كما أن توفير ٣٠ ألف طن من الأرز سنويا يوفر لغانا قدرا من النقد الأجنبى .



شكل رقم (٥) خطوط المطر المتساوى فى منطقة المشروع

وقد اختيرت سهول أكرا لأنها أكثر جهات غانا جفافا ، من ثم يمكن تكثيف الزراعة فيها بعد امدادها بالرى ، وأجريت تجارب ناجحة على زراعة الأرز

وقصب السكر . وقام فعلا مشروعان لزراعة قصب السكر اعتمادا على ضخ المياه من الفولتا الأدنى . ودلت الدراسات التى قامت بها مؤسسة كايزر على امكانية زراعة ٨٠٠ ألف فدان ، على أن تحفر قناة تبدأ من كبونج وتنتهى فى أكرا ، وتقوم القناة أيضا بتوصيل مياه الشرب إلى أكرا وتما .

غير أن هذا المشروع ، لم يقدر له أن يرى النور بعد الاطاحة بحكم نكروما ، ذلك أن الحكومة الجديدة اكتشفت أن على غانا دينا ضخما قدره ٣٠٠ مليون جنيه من النقد الأجنبي مع نفاد احتياطها ، من ثم نصح الاقتصاديون بتوفير النفقات الخاصة بالمشروع والتى لا ترتبط بتوليد القوة الكهربائية ، وكان من آثار هذا التقشف تأجيل مشروع رى سهول أكرا بصفة مبدئية .

---

(١) Contemporary Ghana, p. 408

الحركات الوطنية فى أنجولا

دكتور سعد زغلول عبد ربه

The National Movement in Angola

The national movement in Angola is due to Portuguese cruelty against the natives. The movement can be divided into two sections. The first one is distingished by individuality. The second section is distinguished by organized groups, which managed at first to win peaceful co-existence with Portuguese settlers, but the Prtuguese refused the native demands, and the revolutionary parties applied to arms, and the Portuguese managed to press it severly.

The Afro-asian group delivered the case to the United Nation Assembly which discussed the matter, and issued a proclamation in favour of the natives. The Portuguese refused the proclamation and the revolt continued. The natives are aimed to liberate all the Angolian territories.

Dr. S.Z. Abdrabou.

الحركات الوطنية فى أنجولا

تنقسم الحركة الوطنية فى أنجولا إلى قسمين متميزين يبدأ احدهما من القرن السابع عشر حتى أوائل القرن العشرين ويبدأ القسم الثانى من أوائل القرن العشرين ويستمر حتى وقتنا الحالى . وقد أدى الضغط البرتغالى على سكان البلاد والحروب التى جرت بينهم وبين الوطنيين إلى حدوث توتر شبه دائم ينتظر الفرصة لاظهاره . وقد انتهز الوطنيون الأنجوليون وصول الهولنديين إلى أنجولا فى سنة ١٦٤١ وثاروا بقيادة ملك الكنغو وملكة ماتمبا وانضموا للقوات الهولندية ، ونتيجة لتلك الثورة لم يبق فى أيدى البرتغاليين من أراضى أنجولا سوى قلعة ماسنجانو وبطرد الهولنديين من أنجولا ، أعاد البرتغاليون احتلال منطقة كبيرة من الأراضى الانجولية ، وعملوا على القضاء على النظام الوطنى الأساسى ، وأجبروا زعماء تلك المناطق على توقيع معاهدات خضوع جديدة واستطاعوا الانتهاء من تنفيذ رغبتهم فى سنة ١٦٧١ . وأستطاع البرتغاليون بعد معارك متتالية هزيمة قوات الكنغو وماتمبا ودنجو ، وبالاستيلاء على قلعة دنجو فى سنة ١٦٧١ استطاعوا القضاء على الثورة ، واحتلال المناطق التى كانوا يسيطرون عليها من قبل . وقد استطاع البرتغاليون القضاء على الثورة وهزيمة القوات الوطنية بمساعدة قوات زنوج الحرب المكونة من المجموعات القبلية الموالية لهم فى المنطقة الواقعة شمالى نهر كوانزا . وكان لتلك القوات دور حاسم فى تمكين البرتغاليين من هزيمة القوى الوطنية الثائرة [١] .

أولا : الحركات الوطنية حتى أوائل القرن العشرين :

ثورة مانيكويتنجو (ماركيز موسيل) : Maniquitungo

أدت المنافسة البريطانية البرتغالية فى المنطقة الواقعة شمالى لواندا إلى بيع التجار

(١) Cadornega, A. : Historia Geral, Vol. II, pp. 298-358.

البريطانيين الأسلحة والبارود للوطنيين المقيمين بالقرب من مصب نهر الكنغو ، وشراء أعداد كبيرة من الرقيق المجلوب من الداخل . واضطر البرتغاليون إلى الدخول فى معركة حربية خطيرة مع ماينكويتنجو المعروف باسم ماركيز موسيل الذى كان يحكم الجزء الأدنى من نهر لوجي Loge المعروف باسم نهر كويتنجو Quitungo[1] وكان مانيكويتنجو يشتغل فى أواخر القرن الثامن عشر بتجارة ناجحة مع السفن البريطانية والفرنسية ويستخدم فى جلب الرقيق اللازم لتلك السفن طريقاً بريا يمتد شرقا حتى بونجو أندنجو . وبلغ من سطوة ذلك الحاكم أن رفض الاعتراف بالسيادة البرتغالية ، وطرد سفارة أرسلها البرتغاليون فى سنة ١٧٨٥ . وحاول البرتغاليون إجباره على الاعتراف بالسيادة البرتغالية ولكنه هزم الجيش الذى أرسله البرتغاليون فى سنة ١٧٨٨ وأجبره على العودة إلى لواند . ولم يكتف بذلك بل شن هجوما على المزارع الأوروبية الممتدة حتى نهر بنجو Bengo . وتحركت الحكومة البرتغالية فى لواندا تحت ضغط والحاح البرتغاليين . وأرسلت فى أواخر سنة ١٧٩٠ جيشاً حاصر الزعيم الوطنى واضطره إلى الالتجاء إلى إحدى السفن البريطانية الراسية فى ميناء أمبريز . وبعد فترة قصيرة أعلن مانيكويتنجو خضوعه للسيادة البرتغالية ، ووقع معاهدة ولاء فى ٢٥ أبريل سنة ١٧٩٢ [2] .

ثورة قبائل دمبو الأولى Dembo

إنتشرت الإشاعات باحتمال الغاء تجارة الرقيق كلية فى مستعمرة أنجولا بعد توقيع بريطانيا والبرتغال للمعاهدات والاتفاقيات المتعلقة بتحديد تجارة الرقيق بالمستعمرات البرتغالية فى سنوات ١٨١٠ ، ١٨١٥ - ١٨١٧ ؛ وكان لتلك الإشاعات أثرها على الرأى العام فى المستعمرة . ولقيت تلك الفكرة معارضة شديدة من المنتفعين بتجارة الرقيق من الإفريقيين والبيض . وبعض البرازيليين الذين بقوا فى أنجولا بعد استقلال البرازيل عن البرتغال . وبدأت أصوات الاحتجاج فى الظهور خشية فقد الأرباح الطائلة التى كانوا يجنونها من وراء تلك التجارة . وازداد الاحتجاج فى داخل أنجولا بعد ظهور عدد من السفن الحربية البريطانية فى

(١) أطلق على ميناء كويتنجو فيما بعد اسم أمبريز Ambriz

(٢) Dias, S. : Os Portuguese, p. 298.

سنة ١٨٣٠ بالمنطقة لمقاومة تصدير الرقيق من أنجولا . وأعتقد الزعماء الإفريقيون المشتغلون بتجارة الرقيق أن ملك البرتغال يرغب فى معاقبتهم على أعمال العنف والسرقات التى أرتكبوها ضد المستوطنين البيض بمنع تجارة الرقيق[1] .

أصدرت الحكومة البرتغالية فى لشبونة مرسوم إلغاء تجارة الرقيق فى جميع الممتلكات البرتغالية فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٣٦ فانهالت الاحتجاجات من كل أنحاء أنجولا . وكان رد الفعل خطيرا واندلعت الثورة فى جنوبى أنجولا بالقرب من بنجويلا . واضطرت حكومة لواندا إلى زيادة حامياتها فى المنطقة ، وبناء التحصينات حول مدينة بنجويلا [2] . وحدثت ثورة أخرى فى مقاطعة دمبو بالقرب من لواندا . وقد تزعم الأمير دوم اليكسودى أجوا Dom Aleixo de Agua وهو أحد أفراد العائلة المالكة فى الكونغو الثورة فى سنة ١٨٤١ ، وأقنع رجاله قبيلة دمبو بالخروج على زعيم المنطقة ، والامتناع عن دفع ضريبة العشور التى فرضها البرتغاليون على المنازل بالمقاطعة تلك الضريبة التى كان على الوطنيين دفعها عينية أو نقدا بدلا من الضريبة سنوية التى كانوا يدفعونها رقيقا . واستطاع البرتغاليون القضاء على الثورة فى سنة ١٨٤٤ . والقبض على دوم اليكسو وسجنه فى لواندا حتى سنة ١٨٥٦ [3] .

ثورة الاخوان جوميس : Gomes

كانت أكثر الثورات خطورة والتى نتجت عن عدم رضا الوطنيين لقرب نهاية تجارة الرقيق تلك الثورة التى قام بها الاخوان جوميس . وأحد الأخوين وهو فريرا جوميس Ferreira Gomes زنجى من بنجويلا قبض عليه البرتغاليون فى سنة ١٨٣٥ بسبب ثورته على السلطة البرتغالية وأرسلوه إلى لشبونة . وبعودة جوميس إلى أنجولا انضم إليه أخوه المولد وزنجيان آخران وأحد البيض سبق واتهم فى سنة ١٨٤٥ بقتل امرأة بيضاء وأحد التجار واحراق المعامل البرتغالية . ثار هؤلاء الخمسة فى سنة ١٨٤٦ على الحكم البرتغالى وجمعوا الزنوج الموالين لهم بالقرب من كاتومبيللا Catumbella ، وتوجهوا إلى بنجويلا وطردوا الأوربيين منها .

---

(١) A .H .U . : Angola, pasta, 73, Letter of 10 June 1830, Gov. Gen.

(٢) Delgado, R .AO Sul do Cuanza, Vol. 1, p. 107.

(٣) A .H .U . : Op. Cit. 2, 20 Sept. 1839.

ولم يكتف الثوار بطرد الأوربيين بل قتلوا الوطنيين الذين رفضوا الانضمام إليهم[1]. ويرجع انتصار الثوار فى مبدأ الأمر إلى ضعف البرتغاليين فى منطقة بنجويلا لسحب الحاميات العسكرية منها بعد سنة ١٨٣٠ . ولكن البرتغاليين استطاعوا القضاء على الثورة بعد جلب الامدادات الكافية .

ثورة كويلانجى كويسانى : Quilange Quissane

هاجم الوطنيون بقيادة الزعيم كويلانجى كويسانجى قلعة أمباكا Ambaca فى سنة ١٨٢٧ فأرسلت حكومة المستعمرة فى أوائل سنة ١٨٣٨ حملة مكونة من آلاف عديدة من قوات زنوج الحرب مزودة بالمدفعية للقضاء على الثورة ، ومد الحكم البرتغالى إلى تلك المنطقة من الممتلكات البرتغالية [2] . وبعد القضاء على الثورة بنى البرتغاليون قلعة جديدة فى المنطقة الشرقية من أنجولا ، وأطلقوا عليها اسم قلعة دوق دى براجنزا Braganza . وأرغموا كويلانجى على توقيع معاهدة تبعية للحكومة البرتغالية . وقد نصت تلك المعاهدة على :

١ – الاعتراف بتبعيته وطاعته للملكة ماريا الثانية Maria II ملكة البرتغال ، والتعهد بالدفاع عن البرتغاليين ضد هجمات الوطنيين ورفع العلم البرتغالى .

٢ – دفع الضرائب التى فرضها البرتغاليون على المنازل والمواشى .

٣ – استقبال جميع المبشرين وإكرامهم ، وتقديم المساعدة اللازمة للموظفين البرتغاليين .

٤ – القبض على جميع الجنود والرقيق الهاربين الذين لا يظهرون تصاريح المرور أو الوثائق الدالة على ايفادهم فى مهام رسمية .

٥ – المساهمة فى الخدمات البرتغالية المتعلقة بالتجارة والأعمال الملكية ومناجم الحديد .

٦ – مساعدة التجار البرتغاليين واحترامهم وامدادهم بالحمالين اللازمين ،

---

(١) A .H .U . : Ibid. 10, No. 13, Gov. Gen. 14 Nov. 1846.

(٢) A .H .U . : Ibid. 2, No. 433, Gov. Gen. 24 Feb. 1838.

٧ — خضوع جميع الزعماء الوطنيين سواء المهزومين أو المتطوعين للسلطات البرتغالية واطاعة أوامرها ،وختمهم بالعلامة الملكية البرتغالية على الجانب الأيسر من صدرهم حتى يحترمهم شعبهم ويطيعهم ويعــترف بتبعيتهم لصاحبة الجلالة البرتغالية [١] .

الثورة فى كاسانجى : ١٨٦٠ — ١٨٦٣

اندلعت الثورة فى كاسانجى التى كانت مستقلة من الناحية الاسمية عن الحكم البرتغالى فى أنجولا لسوء تصرف السلطات البرتغالية [٢] ، وطلبها ضريبة العشور [٣] من ملك كاسانجى الذى لم يكن يدفع عشورا قبل سنة ١٨٦٠ ولكنه كان يدفع ضريبة سنوية قدرها عشرة حمالين يبعث بهم إلى حكومة المستعمرة فى لواندا . وكان مكان اقامة ملك كاسانجى يبعد ثلثمائة ميل عن ساحل غرب إفريقية مما جعله بعيدا عن متناول أيدى البرتغاليين كما كانت الحواجز الطبيعية بالمنطقة تمنع احتلال البرتغاليين للمنطقة احتلالا فعلياً . ورغم حدوث منازعات بسيطة بين الوطنين والتجار البرتغاليين فى السوق التجارى إلا أن الصدام الحقيقى بين الطرفين لم يحدث إلا بعد طلب كارفاليو Carvalho قائد حامية كاسانجى ضريبة العشور مما أدى إلى ثورة الملك وقتل ضابط برتغالى واعلان الحرب على البرتغاليين .

هزمت قوات ملك كاسانجى القوات البرتغالية وأجبرتها على التقهقر إلى مالانجى وتوالت الهزائم على القوات البرتغالية بالقرب من كاسانجى فى أواخر سنة ١٨٦٢ ، واضطر البرتغاليون إلى جلب امدادات وتعزيزات من المنطقة الساحلية لتعزيز قواتهم فى كالانجى وسانزا . ولم تستطع تلك القوات عمل أى شىء حتى أغسطس سنة ١٨٦٣ حيث هزمت قوات ملك كاسانجى وعقد البرتغاليون معه معاهدة سلام. وبتوقيع معاهدة السلام فى ٢٩ أغسطس سنة ١٩٦٣ تسمى ملك كاسانجى باسم دوم باسكول رايزما كادو Dom Pascoal Raiz Machado وتضمنت المعاهدة النصوص الآتية :

---

(١) Mensario Administrativo : 1948, No. 7.

(٢) Reade, W. : Savage Africa, p. 264.

(٣) A .H .U . : op. cit. : 32, No. 380, 2 Oct. 1863.

١ – خضوع ملك كاسانجى للتاج البرتغالى والقوانين البرتغالية وإعادة السلطة البرتغالية إلى كاسانجى .

٢ – الإفراج عن جميع المسجونين الذين قبض عليهم الملك أثناء الحرب ، وتسليم الرقيق المملوك للأوربيين .

٣ – تعويض السلطات البرتغالية والتجار البرتغاليين عن المصاريف والخسائر التى تكبدوها فى الحرب وما نتج عنها من تدمير .

٤ – ضمان الملك لرعاياه فى دفع الديون التى عليهم للتجار الأوربيين . وتقديم الزعماء الوطنيين الشمع والعاج للبرتغاليين كرمز لتنفيذ شروط السلام بين الجانبين.

وبتوقيع معاهدة السلام أرسل ملك كاسانجى سفارة وصلت لواندا فى أكتوبر سنة ١٨٦٣ تحمل شكوى ضد تصرفات البرتغاليين المقيمين فى كاسانجى ، واعتراض الملك على ضريبة العشور بحجة أنها سوف تقضى على الرخاء التجارى فى بلاده(١) . وذكر فى شكواه الأسباب التى أدت إلى حدوث الحرب بينه وبين البرتغاليين ، وعلل ذلك بالسرقات التى ارتكبها أفراد برتغاليون ذكر أسماءهم . وأعلن فى نهاية شكواه رغبته فى البقاء فى بلاده وعدم الهجرة منها كما اتبع من قبل (٢) . ورغم توقيع المعاهدة المذكورة إلا أن البرتغاليين لم يحاولوا استيطان كاسانجى . وبقيت مالانجى أبعد نقطة حدود فى شرق أنجولا . وقد أضعفت حرب كاسانجى القوى البرتغالية فى أنجولا . وعرقلت النشاط الحيوى الأوربى . وقد أعلن أندرادى حاكم عام أنجولا فى سنة ١٨٦٣ خطأ البرتغاليين فى حرب كاسانجى (٣) . وأعلن فى سنة ١٨٦٧ أن الحكم البرتغالى فى كاسانجى كان ضعيفا ومحدودا . وأن تطرف التجار والموظفين البرتغاليين قضى على الهيبة البرتغالية فى المنطقة . وكانت كاسانجى بعيدة عن الإدارة المركزية ولا يمكن إدارتها بصفة رسمية فى ذلك الوقت (٤) . وإذا

---

(١) Carvalho, H. : E tongraphiae Histore, p. 83.

(٢) A .H .U . Op. cit. : 32, No. 380, 2 Oct. 1863.

(٣) A .H .U . : Ibid, 32, No. 380, Gov. Gen. to Overseas Minister.

(٤) A .H .U . : Ibid 37, No. 533, 18 Oct. 1867, Gov. Gen.

كانت معاهدة السلام قد سمحت بوجود موظف برتغالى فى كاسانجى بعد سنة ١٨٦٣ إلا أن البرتغاليين لم ينفذوا ذلك إلا فى أوائل سنة ١٨٨٣ ، ورفعوا العلم البرتغالى على سوق كاسانجى التجارى لأهميته لاقتصاد أنجولا (١) .

الثورة فى شمال أنجولا :

وصلت أنجولا إلى حالة الغليان فى أواخر العقد الخامس من القرن التاسع عشر وانتشرت الأفكار عن ضرورة الاستقلال عن البرتغال بين البيض والزنوج فى أنجولا . كما انتشرت الأفكار الخيالية بالمستعمرة حتى أن بعض البرتغاليين المتطرفين فكروا فى تحرير البرتغال نفسها من الحكم البرتغالى ، وفضلوا الجنسية البرازيلية . بل أن بعض هؤلاء المتطرفين فكروا فى أن تكون أنجولا جزءا من الولايات المتحدة الأمريكية (٢) . ووصل الشك وعدم الثقة بين الرقيق وأسيادهم إلى أوج قمته وخاصة بالقرب من المستوطنات الكبرى . وقتل بعض الرقيق أسيادهم فيما بين سنتى ١٨٦٠ و ١٨٦٢ فى مدينتى لواندا وبنجويلا . كما قتلوا فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٨٦٠ المقيم البرازيلى فى لواندا . وتعتبر حادثة قتل المقيم البرازيلى رابع حادثة قتل ارتكبها الرقيق فى لواندا خلال أربعة أشهر (٣) . وازداد الخوف مرة أخرى فى سنة ١٨٦٢ عندما قتل جون كوك سيده أثناء نومه . و طالب قاضى لشبونة التنكيل بالقاتل ليكون عبرة لغيره (٤) . وكان لتصرفات الرقيق فى أنجولا مع أسيادهم أثرها فى تخويف هؤلاء الأسياد فى منطقة لواندا والمناطق الداخلية الملحقة بها (٥) . وكان السبب المباشر لذلك هو المعاملة الوحشية التى عامل بها المستوطنون البرتغاليون رقيقهم حتى أن بعض هؤلاء المستوطنين كانوا يضربون الرقيق بالسياط أثناء تناول الطعام بحجة جعل الأكل أحسن مذاقا .

وقد عاصر التوتر الشديد بين الرقيق وأسيادهم تشدد حاكم عام أنجولا تجاه الكنغو . فبعد احتلال أمبريز فى سنة ١٨٥٥ احتل البرتغاليون كويبالا Quiballa

---

(١) A .H .U . : Ibid 3, No. 331, Gov. Gen.

(٢) Sarmento, A. : Os Sertões D'Africa, p. 67.

(٣) Boletim Official : No. 783, 6 Oct. 1860.

(٤) A .H .U . : Op. Cit. 31, No. 688, 4 July 1862.

(٥) Reade, W. : Op. Cit. p. 317.

وبمبي Bombe بحاميات صغيرة فى سنة ١٨٥٦ لتشغيل واستغلال مناجم كربونات النحاس malachite فى جبال المنطقة الشرقية من بمبي وأنشئوا شركة «مناجم كربونات نحاس غرب إفريقيه» ، وهي شركة ذات مرسوم ملكي برأس مال بريطاني برازيلي[١] وانتهر الفارود ونجو Alvaro Dongo فرصة موت هنري الثاني ملك الكنغو فى أواخر سنة ١٨٥٧ وأعلن الثورة ، وطرد المركيز كاتندى Catendi إبن أخت الملك المتوفى والوارث الشرعى الذى كانت تؤيده السلطات البرتغالية . وبوصول الامدادات طرد البرتغاليون الفارود نجو فى يونيه سنة ١٨٥٩ من ساو سلفادور عاصمة الكنغو[٢] . وأعادوا الوارث الشرعى الذى تسمى باسم بيدرو الخامس إلى عرش الكنغو . ووضعت الحكومة البرتغالية حامية عسكرية فى عاصمة الكنغو لاول مرة على رغم أن الكنغو كانت من الناحية الرسمية حليفا وصديقا للبرتغال ، وليست تابعة لها[٣] . ولم ييأس الفارود نجو . وهاجم القوات البرتغالية الموجودة خارج أمبريز وحاصر قلعة بمبي فى أواخر نوفمبر سنة ١٨٥٩ . واتهم الحاكم البرتغالى البريطانيين بمد ألفارو بالاسلحة والبارود . وطلب مساعدات عسكرية من لشبونه بعد تعرض المستوطنات البرتغالية الجنوبية فى هويلا لهجوم الوطنيين مرة أخرى[٤]. وقطع الثوار المواصلات شمالى لواندا فى فبراير سنة ١٨٦٠ واستمروا محاصرين للبرتغاليين فى بمبي . ومنعوا الطعام عنهم . وبوصول الامدادات من لشبونة فى مارس سنة ١٨٦٠ توجهت قوة من زنوج الحرب يقدر عددها بثلثمائة جندى بقيادة زعيم بانجو – اكويتامبا Bango-Aquitambq الانجولى إلى أمبريز قضت على ثورة الفارو[٥] .

لم يهنأ البرتغاليون بانتصارهم على ألفارو دنجو طويلا فقد عارض سياستهم الجديدة فى الكنغو قائد وطنى متعلم هو نيكولاس أجو روزادا N.A. Rosada ابن هنرى الثانى ملك الكنغو الراحل الذى لم يكن له حق ولاية عرش مملكة الكنغو طبقا

---

(١) Anstey, R. : Britain and the Congo, p. 51.

(٢) Journal do Commercio, 19, Jan., 1860.

(٣) Journal do Commercio, 1 Dec., 1859.

(٤) A . H . U . : Op. Cit., p. 26, 28 Feb., 1860.

(٥) Boletim official : 15 Sept. 1860, No. 780, p. 4ℨ

لقانون الوراثة الوطنى الذى يقضى بتولى ابن الاخت عرش المملكة . وقد كتب نيكولاس الذى تعلم فى لشبونة ، واشتغل كاتبا بالحكومة فى لواندا ، وكان على صلة بالمجموعات الأجنبية خطاب احتجاج بعث به إلى صحيفة لشبونة فى سبتمبر سنة ١٨٥٩ ذكر فيه أنه أكثر أهلية لتولى عرش الكنغو من كاتندى لتعلمه ، وأن البرتغاليين لايملكون الحق القانونى لاقطاع مملكة الكنغو والتدخل فى إدارتها . وبنشر الصحيفة للخطاب فى ١ ديسمبر سنة ١٨٥٩(١) أمر حاكم عام أنجولا بنقل نيكولاس إلى موزاميدس فى فبراير سنة ١٨٦٠ لوقاحته . ولم يبق نيكولاس طويلا فى موزاميدس ومنها استقل سفينة حربية بريطانية إلى كويسمبو Quissembo ورغم عدم وضوح الهدف من ذلك (٢) إلا أنه يوجد بعض الأدلة على تآمر القنصلين البرازيلى والبريطانى فى موزاميدس مع نيكولاس فيما يتعلق بمستقبله ومستقبل مملكة الكنغو . واتهم الوطنيون نيكولاس بالخيانة وبيع أمبريز للبرتغاليين . كما اتهمه البرتغاليون بالخيانة لكتابة خطاب الاحتجاج السابق . وانتهى الأمر بقتله على يد الوطنيين فى كويسمبو (٣) .

اتخذ حاكم عام أنجولا من مقتل نيكولاس حجة للقضاء على الثورة فى شمال أنجولا ، وأرسل قوة عسكرية عبرة نهر لوجى . واستطاع الثوار ردها على أعقابها إلى أمبريز . وتبعت تلك المحاولة محاولة أخرى للاستيلاء على كويسمبو ولكنها فشلت كسابقتها(٤). واضطرت الحكومة البرتغالية فى لشبونة إلى إرسال حملة عسكرية مكونة من سبعمائة جندى وضابط إلى لواندا فى فى أشهر يونيو وأغسطس وسبتمبر سنة ١٨٦٠ وبقيت تلك القوة كوحدة مقاتلة فى شمال أنجولا ، وبصفة أساسية فى أمبريز وتمبى وساو سلفادور حتى أواخر سنة ١٨٦١ عندما رجع الباقون على قيد الحياة من أفرادها وعددهم ٣٨٤ جنديا إلى لشبونة . وكانت أصابات الجنود بالحمى الصفراء والملاريا أكثر من الاصابة بحراب ورصاص الوطنيين (٥) .

---

(١) Journal do Commercio : Op. Cit. 10 Dec., 1859.

(٢) A .H .U . : Op. Cit. p. 26, 28 Feb., 1860.

(٣) Journal do Commercio : Op. Cit. 13 June, 1860.

(٤) Journal do Commercio : Ibid, 13 June 1860.

(٥) A .H .U . : Op. Cit. No. 748, 1 July 1862.

ولم يستطع البرتغاليون تهدئة شمال أنجولا إلا فى أواخر سنة ١٨٦٢ ، وأصبحت الطرق والمدن الموجودة الواقعة شمالى لواندا آمنه بالنسبة للسكان والتجارة عما كانت عليه فى فترة الحرب (١) .

ثورة قبائل دمبو الثانية :

إقترح أمارال حاكم عام أنجولا فى سنة ١٨٥٦ إنشاء قلعة أو قلعتين فى منطقة قبائل دمبو التى كانت معادية لاحتلال البرتغالين لبمبي وكانوا ينهبون البضائع المارة بالطريق الواصل بين إنكوجى وامبريز . ولم ينفذ ذلك الاقتراح لانشغال البرتغاليين بتهدئة المستعمرة (٢). وقد حاولت حكومة المستعمرة تهدئة قبائل دمبو بارسال الحملات العسكرية والهدايا وفتح الطريق التجارى . وصحبت الحملة التى أرسلت إلى المنطقةفى سنة ١٨٦٢ معها قسيسا وكمية من الهدايا لزعيم المنطقة وتعهدت الإدارة البرتغالية بعدم فرض ضريبة العشور إذا تعهد الزعيم بتقديم الرجال اللازمين لحمل المتاجر إلى الساحل (٣) . وعلى رغم هذا العمل من حكومة المستعمرة بقيت المنطقة معادية للبرتغاليين . واحتفظ زعماؤها بأسمائهم الوطنية ولم يتسموا بأسماء برتغالية على خلاف المتبع مع زعماء المنطقة الخاضعة للحكم البرتغالى فى شمال أنجولا (٤).

ساءت العلاقات بين سكان دمبو والسلطات البرتغالية فى سنة ١٨٧١ . واندلعت الحرب بين الجانبين فى سنة ١٨٧٢ ، وفشلت الحملتان الرئيسيتان اللتان أرسلهما البرتغاليون فى شهرى أبريل ويوليو للقضاء على ثورة شعب دمبو . ولكن زعيم المنطقة اضطر فى النهاية إلى التسليم بعد الهجمات البرتغالية المتتالية ، وحرقهم القرى الوطنية ، وفتحهم الطريق التجارى بالقوة . وعادت القوات البرتغالية إلى لواندا فى أكتوبر سنة ١٨٧٢ حيث استقبلت استقبالا حافلا (٥). وفى الواقع كانت عودة القوات البرتغالية تعتبر هزيمة لها فى أراضى دمبو . وبذلك لم يعد للبرتغاليين قوات

---

(١) Imprensa Nacional ; Relatories dos Governadores, report for 1872- 74,p. 84.

(٢) A .H .U . : Op. Cit. No. 133, 4 Feb. 1857.

(٣) A .H .U . : Ibid. No. 712, 18 June 1862.

(٤) Sarmento, A. : Os Sertoes D'Africa, p. 161.

(٥) Castelbranco, F. : Historia de Angola, p. 244.

عسكرية فى تلك المنطقة بعد سنة ١٨٧٢ (١)، ولم يعد اسم دمبو يذكر فى تقارير حاكم عام أنجولا بعد منتصف سنة ١٨٧٣ ، ولم تدخل القوات البرتغالية المنطقة مرة أخرى إلا فى سنة ١٨٩٠ ، كما لم تتم تهدئتها إلا بعد سنة ١٩١٩ .

ثانيا : الحركات الوطنية فى القرن العشرين :

أعلن البرتغاليون فى سنة ١٩١٩ أن السيادة البرتغالية فى أنجولا أصبحت كاملة، وساد الهدوء جميع المستعمرة . وبدأت فى سنة ١٩٢٢ إدارة فعالة بها . وفى الواقع لم تكن الفترة السابقة انتصارات عسكرية برتغالية متواصلة . ولم تتوقف الثورة الأنجولية المسلحة فى ذلك الوقت إلا لاتفاق الدول الأوربية على حظر تصدير الأسلحة إلى أفريقيا . وكانت الأعمال البرتغالية فى أنجولا تقابل بمقاومة عنيفة من الأنجوليين رغم محاولة البرتغاليين القضاء على تلك المقاونة بكل قسوة وعنف ، ولم يحترموا العادات القبلية المتوارثة ، وأوجدوا نظاماً قبلياً جديداً يختلف عن النظام الموجود بين القبائل . وعلى الرغم من الاحتلال البرتغالى الفعال فقد حدثت فى أنجولا ثورتان كبيرتان فى سنتى ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩ . وعدد قليل من المناوشات قليلة الأهمية (٢) .

ظهر رد الفعل الوطنى للاحتلال البرتغالى من الناحية السياسية بعد التهدئة فى صورة إصدار الصحف الوطنية التى تداولها عدد قليل من الأنجوليين وهم الفئة المتعلمة التى تقيم فى المدن الأنجولية . وعلى الرغم من قلة عدد هؤلاء إلا أن الحكومة الاستعمارية بادرت باغلاق إدارات تلك الصحف . ومصادرة المطبوع منها ، ونفى المسئولين عن إدارتها إلى خارج البلاد خوفا من تأثيرها الضار على الاستعمار البرتغالى . وتمثل رد الفعل الثانى فى تكوين المنظمات السياسية لتبصير الوطنيين الأنجوليين بحقوقهم السياسية . وكشف مساوىء الاستعمار البرتغالى . وكانت منظمة العصبة الافريقية Liga Africana التى تكونت فى لشبونه ودعت فى سنة ١٩٢٣ إلى عقد المؤتمر الإفريقى الثالث تحت رعايتها أولى تلك المنظمات . وقد وصف التقرير النهائى للمؤتمر العصبة الإفريقية بأنها « اتحاد حقيقى لجميع الهيئات الوطنية المنتشرة

---

(١) Imprensa Nacional : Op. Cit., pp. 84-85.

(٢) Pinheiro, P.M.C. : Polotics of A Revolt (Angola), P. 105

فى خمس مقاطعات من أفريقية البرتغالية ، وتمثل ملايين عديدة من الأفراد ..
وعلى الرغم من وجودها فى قلب البرتغال أن لها لجنة تتكلم باسمها تمثل جميع المنظمات الوطنية، وتعرف العصبة كيف تعبر للحكومة البرتغالية بوضوح وبدون امتهان عن الطرق التى يجب اتباعها لإلغاء القوانين الجائرة ، ونشر العدل فى المقاطعات ، وعلى هذا كانت العصبة الإفريقية فى لشبونه هى الموجه لحركة إفريقية البرتغالية ، وسياستها استخدام الكلمة الحسنة ، وعدم الالتجاء إلى العنف ، وعدم تخطى الحدود الدستورية (١) .

وبتولى الدكتور سالازار الحكم فى البرتغال ووضعه أسس استعمارية جديدة كانت الظروف السائدة فى المستعمرات البرتغالية قد جعلت الوطنيين على استعداد لمقاومة الاستعمار البرتغالى ، ولم يتوان الوطنيون فى مقاومة ذلك النظام. وتكونت فى سنة ١٩٢٩ العصبة الوطنية الإفريقية LNA (٢) ، وكان مقرها مدينة لواندا ، واشترك فى تأسيسها عدد من المنظمات القانونية فى المستعمرة . وتأسس فى نفس العام النادى الإفريقى Grémio Africano الذى أطلق عليه فيما بعد اسم الجمعية الإقليمية لشعب أنجولا ANANGOALA (٣) وعلى هذا فقد وجد الشعور القومى الأنجولى متنفسا له للاحتجاج على التصرفات البرتغالية فى العشر سنوات التالية . وما لبثت الخلافات أن ظهرت فى آراء الانجوليين المشتركين فى العصبة الوطنية الإفريقية فى العقد الرابع من القرن العشرين ، ومنذ ذلك الوقت حصرت العصبة نشاطها فى المطالبة بالإصلاح ، وتصحيح الظلم الواقع على الأنجوليين باشراكهم المباشر فى الحكم . ولما كانت العصبة تضم العناصر الأنجولية المولدة فقط فقد ظهرت أصوات تطالب باشراك الوطنيين فيها مثل المولدين . وقد ردت الإدارة الاستعمارية على تلك الآراء والمطالب باستخدام التهديد والضغط من جميع الأنواع ، وادخال عناصر عميلة لها فى العصبة ، ثم عينت فى النهاية لجنة إدارية للعصبة بدلا من نظام الانتخاب الذى كان معمولا به (٤) .

(١) Pinheiro, P.M.C. : Ibid, pp. 106-107.
(٢) Liga Nacional Africana.
(٣) Associacas Regional dos Naturais de Angola.
(٤) Pinheiro, P.M.C. : Op. Cit. p. 107.

كون الانجوليون منظمة قانونية أخرى هى الجمعية الإفريقية لكل أنجولا (A.A.S.A.) [١] التى أسسها عمال السكك الحديدة فى لشبونة الحديدة ، ولم تلبث الإدارة أن تدخلت فى برنامج كفاحها وتوجيهها حتى أصبحت عديمة الجدوى لاتستطيع التأثير فى مجرى الأمور السياسية فى أنجولا [٢] .

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية انتشر الوعى السياسى بين الإفريقيين الأنجوليين ، وأدى التجاء الإدارة إلى تنفيذ سياسة العمل الإجبارى والاستغلال التجارى والتجريد من الحقوق المدنية إلى زيادة استياء الشعب الأنجولى وخاصة منذ تولى سالازار حكم البرتغال ، وفرض الرقابة الشديدة على المستعمرات فى العقد الخامس من القرن العشرين . وبدأت المطبوعات الأجنبية وخاصة البرازيلية التى تنادى بمحاربة الفاشية ، والقتال لتحرير البلاد المستعمرة فى الوصول إلى أنجولا . وفى نفس الوقت بدأت أخبار الحركات الاستقلالية فى البلاد الافريقية الخاضعة للاستعمار فى التدفق على أنجولا . وكان لهذين العاملين أثرهما على الموقف فى أنجولا . وأصبح الشباب الأنجولى مشتاقا للاصلاح الإجتماعى والسياسى . وبدأ الأنجوليون فى الكلام عن ضرورة القضاء على الحواجز اللونية الموجودة بين الوطنيين والمولدين . وطالبوا بتكوين كتله إفريقية للعمل على استقلال أنجولا [٣] .

وكان حزب الاتحاد النضالى لأفريقى أنجولا (PLUA)[٤] هو أول حزب سياسى ثورى تأسس كهيئة غير شرعية فى أنجولا . وقد أصدر ذلك الحزب اعلانا طالب فيه الإفريقيين الأنجوليين بالانضمام إلى المجموعات السرية والاتحاد فى حركة عريضة لتحرير المستعمرة من الحكم البرتغالى . وقد التقى زعماء حزب الاتحاد النضالى فى ديسمبر سنة ١٩٥٦ مع غيرهم من المنظمات الأنجولية فى مدينة لواندا لتوحيد نشاطهم . وانتهى ذلك الإجتماع بتكوين هيئة جديدة هى الحركة الشعبية لتحرير أنجولا MPLA [٥] . وتمثل المنظمة الحديدة تكتلا سياسيا جديداً يعمل من داخل أنجولا . وكان مؤسسوها من الإفريقيين الذين لم يتركوا أنجولا .

---

(١) Associaças African du Sul de Angola.

(٢) Pinheiro, P.M.C. : Op. Cit. p. 107.

(٣) Pinheiro, P.M.C. : Ibid. pp. 107-108.

(٤) Unida dos Africanos.

(٥) Movemento Popular de Libertaçao de Angola.

(٦) Pinheriro, P.M.C. : Op. Cit. p. 108.

وفى خارج أنجولا تكونت فى سنة ١٩٥٤ منظمة أطلق عليها اسم اتحاد شعب شمال أنجولا UPNA (١) ، وأعيد تسميتها فى سنة ١٩٥٨ باسم اتحاد شعب أنجولا UPA (٢) وتأسست تلك المنظمة فى الكونغو البلجيكى (زائيرى) ، وتعكس طموح الوطنيين الأنجوليين ورغبتهم فى الاستقلال عن البرتغال ، ونشرت آراءها بين أكثر من نصف مليون من العمال الأنجوليين المهاجرين الذين ذهبوا إلى الكنغو بحثا عن العمل والأجور المرتفعة . وقد أعلنت إدارة تلك المنظمة أن عدد أعضائها المسجلين بلغ أربعين ألف شخص ، وكان لها صحيفة نصف شهرية تحمل اسم الشعب الانجولى بدأت فى الصدور فى سبتمبر سنة ١٩٦٠ بأربع لغات هى الفرنسية والبرتغالية ولغتان أفريقيتان . وتوجد إدارة المنظمة فى ليوبولد فيل ولها فرع فى نيويورك أنشىء بمساعدة الجمهورية التونسية . وقد نشرت المنظمة برنامجها فى سنة ١٩٦٠ ذلك البرنامج الذى أدانت فيه الظلم والتمييز العنصرى فى أنجولا وسياسة الاستعباد والرجعية الحضارية ، وأحتجت على إرسال القوات البرتغالية إلى أنجولا . واستخدم قنابل النابالم بواسطة القوات الجوية البرتغالية ، وطرد السكان الوطنيين من بيوتهم وإعدامهم . وقد ذكر البرنامج أن أهداف المنظمة « إزالة الفوارق بين السكان الوطنيين والبرتغاليين ، وتكوين شعب واحد » وأرجعت اشتداد المقاومة الوطنية يوما بعد يوم إلى « التمييز العنصرى وعدم المساواة فى الحقوق الأساسية ، والضغط الشديد الذى ليس له سوابق فى التاريخ الاستعمارى وأن الحوادث الجارية فى أنجولا ماهى إلا ثورة آخذة فى النمو لتحرير أنجولا واستقلالها (٣) .

وللأهمية الكبرى للدور العسكرى الذى قامت به منظمة اتحاد شعب أنجولا فى الصراع التحررى القائم فى أنجولا أعلن سالازار وأيده فى ذلك بعض المراقبين الأجانب أن المنظمة تعمل بتوجيه من خارج المستعمرة ، وتحت رعاية أجانب يحتمل أنهم من البلاد الشيوعية . وقد أظهرت المنظمة منذ تأسيسها الصفة الوطنية للحركة الأنجولية . وكان أول نشاط لها انشاء بعض المدارس السرية لتعليم الأميين

(١) União das Populações das Norte de Angola.

(٢) União das Populações de Angola.

(٣) Pinheiro, P.M.C. : Op. Cit. pp. 115, 116, Panikkar K.M.: Angola, p. 69. Duffy, J. Portuguese Africa, p. 218.

القراءة والكتابة . واستغلت االمنظمة الهياج المستمر فى أنجولا وقامت بالدعاية لتحرير البلاد من الاستعمار البرتغالى ، وأصدرت المنشورات معلنة عن سياستها الوطنية . وبمضى الوقت ازدادت هيبة المنظمة ، وانعكست أراؤها على جمعية العصبة الوطنية الإفريقية المصرح بقيامها قانونا وعلى الجمعية الإقليمية لشعب أنجولا. وأدى نشاط المنظمة إلى إنتشار السخط وعدم الرضا بين الإفريقيين الأنجوليين إلى أقصى مداه (١) .

أما حزب الاستقلال الوطنى لأنجولا MINA(٢) الذى تكون فى سنة ١٩٥٨ فقد اندمج مع حزب الحركة الشعبية لتحرير أنجولا . وتكون حزبان آخران مهمان هما اتحاد عمال الصناعات السود فى أنجولا UTONA(٣) وله مركز إدارة سرى خارج أنجولا ، واتحاد الصناعات الأنجولية UNTA(٤) الذى كان مركز إدارته فى ليوبوللغيل (زائرى) وينتسب إلى مؤتمر الهيئات الوطنية للمستعمرات البرتغالية ، وكلا الحزبين لا يتمتع بالصفة القانونية وكان هناك حزب وطنى آخر مقره ليوبولدفيل هو تحالف شعب زمبو ALIazo (٥) . وقد تكون ذلك الحزب من أفراد شعب زمبو الذين هاجروا إلى الكنغو . وقد أعلن ذلك الحزب أنه يعتمد على تأييد حوالى ثلثى مليون نسمة من الأنجوليين الذين يقيمون بين أوبجا Uige وحدود الكنغو ، وزار أندرا ماساكى A. Massaki زعيم الحزب ومساعده أنطوين ماتومونا A. Matumona أوربا وحاولا اقناع الحكومات الغربية بتغيير سياستها تجاه حكومة سالازار (٦) .

بدأت خطورة الأحزاب الوطنية الأنجولية فى الظهور فتحركت الإدارة البرتغالية فى ٢٩ مارس سنة ١٩٥٩ وألقت القبض على المئات من الإفريقيين بما فى ذلك بعض قادة حزب الحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، وألقت بهم فى السجون . واضطر كثير من زعماء الحزب إلى الفرار من البلاد لتجنب القبض عليهم وشل

(١) Pinheiro, P.M.C. : Op. Cit, p. 108.

(٢) Movimento Para a Independencia Nacional de Angola.

(٣) Uniâo Trabalhadores e Operarios Negro de Angola.

(٤) Uniâo dos Trabalhadores Angolanos.

(٥) Zombo Peoplês Alliance.

(٦) Pinheiro, P.M.C. Op. Cit. p. 109.

حركة الحزب ولممارسة نشاطهم السياسى فى المنفى . واستقرت قيادة الحزب فى كوناكرى عاصمة جمهورية غينيا . وقد ترتب على بعد مركز إدارة الحزب عن مسرح العمليات الحربية فى أنجولا ، وعدم تنسيق نشاطه مع نشاط منظمة اتحاد شعب أنجولا إلى سوء فهم دور الحركة الشعبية فى معركة التحرير . وتم نقل مركز إدارة الحزب إلى ليوبولد فيل رسمياً فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٦١ . وأعلن ماريو أندرادى زعيم الحزب الأسباب التى أدت إلى الانتقال إلى ليوبولدفيل ، والنقط الأساسية لسياسة الحركة ، وذكر أنها تتركز فى بذل الجهود لتوحيد العمل بين جميع القوى الوطنية الانجولية . وأبدى استعداد الحزب لتقديم كل التسهيلات اللازمة لتكوين جبهة موحدة لتحرير أنجولا . ودعا جميع زعماء المنظمات الأنجولية إلى اجتماع لرسم سياسة ثابتة للعمل على زيادة سرعة حركة التحرير فى أنجولا . وأوضح أندرادى أن سياسة الحركة قائمة على أساس الحياد الإيجابى . وتهدف إلى كسب عطف وتأييد جميع قطاعات العالم لمعركة استقلال أنجولا ، كما أعلن مسئولية الحركة عن عمليات فبراير سنة ١٩٦١ التى كانت الشرارة الأولى التى شجعت شعب شمال أنجولا على الثورة فى الشهر التالى . وبين أن نشاط الفدائيين يهدف أساسا إلى شل الاقتصاد الاستعمارى فى أنجولا ، وخلخلة الجهاز الإدارى والمقاومة العسكرية للعدو [١] .

استطاعت الحركة الشعبية تنفيذ أغراضها . ووصل نشاطها إلى جميع مناطق أنجولا ولما كانت القوات البرتغالية مجهزة بأحسن وأحدث الأسلحة ، وعلى درجة كبيرة من القوة فقد عملت المنظمة على إخلاء جميع المناطق التى يحتلها الجيش البرتغالى ونقل سكانها المدنيين إلى الأحراش . وتعاون السكان الوطنيون مع جيش الحركة الشعبية تعاوناً كاملا ، واشتركوا فى تدمير الجسور ، وتصفية عملاء الاستعمار ، ونقل الغذاء والذخيرة للوحدات الوطنية المقاتلة ، والقيام بعمليات الاستطلاع ، وتدمير مزارع المستوطنين البرتغاليين والمحافظة على صحة الوطنيين ، كما ساعدت كتيبة الانقاذ التى كانت تحت اشراف مؤتمر المنظمات الوطنية فى المستعمرات البرتغالية والتى كان للحركة الشــعبية فضل السبق فى إنشائها عددا كبيرا

---

(١) Pinheiro, P.M.C. Ibid. pp. 113-114.

من اللاجئين فى الكونغو بلغ عددهم ١٦٠٠٠ لاجىء . وقد ذكر أندرادى أن الضعف فى تنظيم المعركة التحررية فى أنجولا يمكن التغلب عليه بتوحيد جميع التنظيمات السياسية . وبدأت تلك الوحدة فى الظهور والنمو بين الشبان الوطنيين بغض النظر عن اعتقادهم السياسى (١) .

وقد اتهمت حكومة الإدارة الاستعمارية المقبوض عليهم من الوطنيين الأنجوليين بالعمل ضد الأمن الخارجى والداخلى للدولة ووحدة الشعب ، وحدثت ثلاث محاكمات بلغ عدد المتهمين فيها سبعة وخمسين شخصاً وحدثت أول محاكمة لخمسة وعشرين أنجوليا بينهم زنجيان من كوبا وفود واحد من الولايات المتحدة الأمريكية وحوكم فى المحاكمة الثانية أربعون فردا منهم سبعة برتغاليين وأحد رجال البحر الملونين من رعايا الولايات المتحدة الأمريكية . وكان جميع المتهمين غائبين باستثناء البرتغاليين . وقبضت السلطات البرتغالية فى الفترة الواقعة بين شهرى مارس وأغسطس سنة ١٩٥٩ على أكثر من مائتى شخص، وتبع ذلك محاكمة خمسة وعشرين فرداً . وتعتبر محاكمة هؤلاء السبب المباشر للثورة الأنجولية فقد كان بين المقبوض عليهم الأب يواقيم دى أندرادى Joachim de Andrade والدكتور نيتو Neto الشاعر الأنجولى المشهور وهو أحد زعماء الحركة الشعبية . وعندما احتج الأنجوليين على المعاملة الوحشية التى تعرض لها نيتو قضت قوات المخابرات الدولية البرتغالية PIDE (٢) على المظاهرة السلمية بكل قسوة . وقتلت الكثير من الأنجوليين الذين اشتركوا فيها (٣) . وبعد فترة قصيرة بدأ البرتغاليون فى تعزيز قواتهم العسكرية فى أنجولا وأعلنت الحكومة البرتغالية رسميا وجود حركة مقاومة سياسية فى أنجولا . وطلب سالازار فى شهر مايو من الدول الأوربية الانضمام إلى البرتغال للقيام بعمل موحد ضد ما أطلق عليه اشتعال اللهب من الخارج . وإذا كان الحزبان الوطنيان الرئيسيان فى أنجولا وهما حزب الحركة الشعبية لتحرير أنجولا وحزب اتحاد شعب أنجولا قد أخفيا فى أول الأمر أنهما سيطلبان عطف وتأييد شعوب القارة الأفريقية ضد الحركة الاستعمارية البرتغالية إلا أنهما بعد طلب سالازار تدخل الدول الأوربية

---

(١) Pinheiro, P.M.C. : Ibid, p. 114.

(٢) Policia International de Defesa do Estado.

(٣) Panikkar, K.M. : Op. Cit. pp. 68-69, Duffy, J. Op. Cit. p. 213.

حضروا المؤتمرات الإفريقية الدولية ، وطلبوا مساعدة الدول الإفريقية المستقلة لحركة التحرير فى أنجولا (١) .

أعلن أندرادى النقط الأساسية فى برنامج الحركة الشعبية وهى حق تقرير المصير لشعب أنجولا . واصدار عفو عام عن جميع المسجونين السياسيين ، وحق الشعب القانونى فى تكوين الأحزاب السياسية . وتقديم الضمانات الكاملة لممارسة تلك الأحزاب لنشاطها السياسى . واطلاق الحرية للسكان المدنيين . وسحب القوات المسلحة والقواعد العسكرية البرتغالية من أنجولا ، وعقد موتمر مائدة مستديرة بين ممثلى جميع الأحزاب السياسية فى أنجولا والحكومة البرتغالية للوصول إلى حل سلمى لنظام الادارة الاستعمارية فى أنجولا لمصلحة الطرفين . وترتب على إهمال سالازار لمطالب الحركة الشعبية تنفيذ تهديدها وحدوث النزاع المسلح فى أنجولا . ومع هذا لم تتحول الحركة الشعبية عن برنامجها لتفضيل زعمائها تحرير أنجولا بالطرق السلمية . وقد عبر أندرادى عن ذلك الرأى فى خطاب ألقاه فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٦٠ فى مدينة ليوبولدفيل . وأكد أن الحركة تنوى الاستمرار فى المعركة المسلحة ، وأنه لامحل لبحث موضوع الدخول فى محادثات مع الحكومة البرتغالية « مادامت حكومة سالازار الفاشية عدوة الحريات الأساسية وحق تقرير المصير تتولى السلطة » . وأعلن أن مقاتلى أنجولا « وضعوا نظام سالازار فى الطريق المؤدى إلى القبر » (٢) .

ولتوحيد نشاط الأحزاب الوطنية الأنجولية فى داخل أنجولا وخارجها عقد فى مايو سنة ١٩٦٠ مؤتمر حضره زعماء الحركة الشعبية لتحرير أنجولا المنفيون ومندوبون عن الأحزاب الوطنية الموجودة وفى داخل أنجولا . وفى ذلك الاجتماع أعلن مندوبو الأحزاب الموجودة فى داخل أنجولا عن رغبة أحزابهم فى القيام بعمل فورى ضد البرتغاليين ، وعارض الزعماء المنفيون ذلك الاتجاه وطالبوا بعدم اتخاذه إلا بعد استكشاف الطريق ، ومحاولة الوصول إلى حل سلمى ، وتوحيد جميع الأحزاب والهيئات الوطنية قبل اللجوء إلى استخدام القوة . ووجه المجتمعون

(١) Panikkar, K .M . : Op. Cit. p. 68, Pinheiro, P .M .C . : Op. Cit. pp. 109, 110.

(٢) De Figueirdo, A. : Angola, p. 56, Duffy, J. Op. Cit., pp. 219-220.

نداء إلى جميع المنظمات الوطنية لتكوين جبهة التحرير الأنجولية Angolan Liberation Front وتنفيذا لتلك القرارات وجهت الحركة الشعبية فى ١٣ مايو نداء إلى الحكومة البرتغالية طلبت فيه حل مشكلة أنجولا بالطرق السلمية . وكان رد الادارة البرتغالية على ذلك النداء اتخاذ اجراءات عسكرية شديدة والقبض على الوطنيين بطريقة جماعية فى كل من لواندا ولوبيتو ومالانجى ودالاتاند . وجلب تعزيزات عسكرية برية وجوية ووضعها على حدود المقاطعات [١] .

أصبح الموقف شديد التوتر فى شهر مايو سنة ١٩٦٠ ، وبدأت القوات البرتغالية هجمات إرهابية على الأحياء الوطنية فى لواندا فهاجمت السكان وأشعلت النار فى مساكنهم وعذبت النساء والأطفال . ولم يكتف البرتغاليون بذلك بل ارتكبوا فى شهر نوفمبر عملا وحشياً آخر إذ هاجموا اثنين وعشرين وطنياً من كابندا وأطلقوا عليهم النار فى فناء سجن لواندا . وبازدياد أعمال الإرهاب البرتغالية طالبت الحركة الشعبية فى ١٣ سبتمبر سنة ١٩٦٠ أعضاء هيئة الأمم المتحدة بمناقشة الموقف فى أنجولا . والضغط على الحكومة البرتغالية لوقف عمليات الإرهاب والقمع التى تقوم بها القوات البرتغالية فى أنجولا . وأصدرت الهيئة نداء آخر فى شهر نوفمبر طلبت فيه من السكان الأنجوليين توحيد جميع الأحزاب والهيئات الوطنية ولأفراد لمواجهة الإرهاب البرتغالى . وتبع ذلك النداء مؤتمر صحفى فى ديسمبر حضره مندوبوا الهيئات الوطنية فى المستعمرات البرتغالية حذرت فيه الهيئة من إهمال الحكومة البرتغالية لمطالب الشعب الأنجولى . وأن ذلك العمل من جانب الحكومة البرتغالية سيؤدى إلى إغلاق جميع الأبواب فى وجه المحاولات السلمية ، ويترك الباب مفتوحا أمام العمل المسلح للقضاء على الاستعمار البرتغالى . ونفذت الحركة الشعبية تهديدها فى ٤ فبراير سنة ١٩٦١ ، وهاجم الوطنيون من مؤيدى الحركة الشعبية السجون ومحطة الاذاعة وأحد المعسكرات البرتغالية . واستمرت المعارك ثلاثة أيام وقتل البرتغاليون ثلاثة آلاف أنجولى فى يوم ٥ فبراير . ومنذ ذلك التاريخ بدأت الاشتباكات المسلحة تأخذ مكانها فى جميع أنحاء أنجولا ، ثم انتقلت فى مارس من نفس العام إلى منطقة الكنغو فى الجزء الشمالى من مستعمرة أنجولا [٢] .

---

(١) Pinheiro, P.M.C. : Op. Cit. p. 110.

(٢) Piinheiro, P.M.C. : Ibid. pp. 110-111.

كان زعماء الحركة الشعبية من البداية على اتصال بالحركة الوطنية فى غينيا البرتغالية الممثلة فى حزب الاستقلال الإفريقى PAI [1] ، واتفق زعماء الحزبين على تكوين منظمة الحركة المعادية للاستعمار MAC [2] التى تكونت من الإفريقيين المنفيين من المستعمرات البرتغالية . وكان للمنظمة الجديدة أهداف واضحة هى : دراسة حاجات التنظيمات الوطنية فى المستعمرات البرتغالية . والعمل على وحدة العمل الثورى بين الحركات التحررية فى المستعمرات البرتغالية ، وتدريب أنفسهم كاحتياطى للمعركة الدائرة داخل بلادهم . وقد تكلم ممثلو المنظمة فى مؤتمر أقطاب إفريقية الذى انعقد بالدار البيضاء فى المدة من ٤ إلى ٧ يناير سنة ١٩٦١ ، وأوضحوا للرأى العام العالمى ما يدور فى المستعمرات البرتغالية . وقد تحولت تلك المنظمة إلى منظمة جديدة هى الجبهة الثورية للتحرير الوطنى FRAIN [3] . وأصبحت عضويتها مباحة لكل التنظيمات الموجودة فى المستعمرات البرتغالية المشتركة فى النضال للقضاء على الاستعمار البرتغالى [4] .

وقد تقابل مندوبو أنجولا وغينيا وجوا فى لندن فى ديسمبر سنة ١٩٦٠ ، ودعــوا إلى عقــد مؤتمر للمنظمات الوطنية فى المستعمرات البرتغالية لتكوين لجنة اتصال دائمة . وانعقد ذلك المؤتمر فى الدار البيضاء فى المدة من ١٨ — ٢٠ أبريل سنة ١٩٦١ ، ونتج عنه تأسيس مؤتمر المنظمات الوطنية فى المستعمرات البرتغالية CONCP [5] الذى حل محل الجبهة الثورية للتحرير الوطنى . وقد حضر ذلك المؤتمر أربعة عشر مندوبا عن عشر منظمات تمثل المستعمرات البرتغالية باستثناء مستعمرتى مكاو وتيمور . وانتخب أعضاء المؤتمر ماريو دى أندرادى رئيسا له ، وأنشئت سكرتارية دائمة ، وعين مارسيلينو دوس سانتوس مندوب موزمبيق سكرتيرا عامة لها . وقد طالب المؤتمر زعماء الدول الافريقية والأسيوية ببذل

---

(١) Partido Africano de Independência.

(٢) Moviments Anticolonialista.

(٣) Frente Revolutionaria Africana Para a Indepencdência.

(٤) Panlkkar, K.M. : Op. Cit. pp. 70-71, Pinheiro, P.M.C. : Op. Cit. p. 111.

(٥) Conference of Nationalist Organisations of the Portuguese Colonies.

كل جهودهم لإنهاء الحرب فى أنجولا ، وأعلن المؤتمر أن نشاطه سوف يسير على نفس الأسس التى أعلنتها المؤتمرات الأفرو أسيوية المختلفة التى انعقدت بعد مؤتمر باندونج. وتضمنت قرارات المؤتمر ثلاث نقاط مهمة هى ؛ النضال لانهاء الإستعمار البرتغالى بصفة كاملة والقضاء على جميع أنواع الضغط ، والعمل على توحيد وتجميع جميع المنظمات الوطنية فى المستعمرات البرتغالية ، والعمل لضمان التأييد الدولى لحركة النضال من أجل الاستقلال (١) .

إجتمع مؤتمر المنظمات الوطنية فى المستعمرات الإفريقية فى مدينة دلهى فى أكتوبر من نفس العام ، وأصدر تقريراً عما تم إنجازه فى الأشهر الست السابقة : وذكر ذلك التقرير الجهود المادية والدبلوماسية والمساعدات الأدبية الكثيرة التى أمكن الحصول عليها استجابة لمؤتمر الدار البيضاء من ذلك : تحريم غانا رسو السفن البرتغالية بموانيها ونزول الطائرات البرتغالية بمطاراتها . وسحب أندونيسيا لسفيرها من لشبونة . وقطع السنغال لعلاقتها الدبلوماسية مع البرتغال . وتحرير داهومى لقلعة ساوجاو بابيتسادى أجودا البرتغالية . وبذل الجهود لإنشاء جبهة متحدة فى أنجولا من حزبى الحركة الشعبية واتحاد شعب أنجولا . وتكوين كتيبة من المتطوعين لمساعدة اللاجئين الأنجوليين والإشراف على آلاف اللاجئين إلى الكنغو . وأنهى المؤتمر تقريره بمطالبة الدول تقديم المساعدات للمحاربين الأنجوليين من الإمدادات الطبية، والضغط المباشر على الحكومة البرتغالية لحل الأزمة الأنجولية ، وتحريم امداد البرتغال بالأسلحة ، وتوقيع العقوبات بواسطة هيئة الأمم المتحدة على البرتغال (٢).

بدء ثورة التحرير :

تعتبر سنة ١٩٥٥ نقطة تحول فى تاريخ العلاقات بين الإدارة الاستعمارية فى أنجولا وبين شعب الباكونجو ، فنى أبريل من تلك السنة توفى ملك الكنغو ، وبعد عدة شهور انتخب الشعب ملكاً له حسب التقاليد القبلية ، ولكن الإدارة الاستعمارية لم توافق على الشخص المنتخب ، وفرضت على شعب الباكونجو ملكا اختارته . واعتبر شعب الباكونجو هذا العمل من جانب الإدارة الاستعمارية تحدياً واحتقارا

(١) Pinheiro, P.M.C. : Op. Cit. pp. 111-112.

(٢) Pinheiro, P.M.C. : ibid, p.p. 112-113.

لنظمهم القبلية المتوارثة ، ولم تمض شهور قليلة حتى قبض البرتغاليون على كثير من قادتهم فى ساو سلفادور مما أدى إلى إنتشار الغضب ، وتزايد الشعور بعدم الرضا ، وتغيرت نظــرة الشعب كلية فى أبريل سنة ١٩٥٦ .وبقيام الحرب العالمية الثانية أشتركت المستعمرات البريطانية والفرنسية والبلجيكية فيها ، وخاضت شعوبها المعارك ضد النازية والفاشية ، واطلعت على التقدم الحضارى فى البلاد التى وصلوا إليها ، وترتب على ذلك حدوث تحول سياسى بين سكان تلك المستعمرات وظهرت الافكار الجديدة التى تطالب بحق تقرير المصير ، والقضاء على الاستعمار . وبدأت تلك الشعوب تحصل على استقلالها واحدة إثر أخرى ، فحصلت غانا على استقلالها فى سنة ١٩٥٧ ، وانتقلت منها فكرة الاستقلال إلى المستعمرات الفرنسية فى أفريقية فى سنة ١٩٥٨ . وأعلن ليوبولد ملك بلجيكا فى يناير سنة١٩٥٩ عزم بلجيكا على منح الكنغوا ستقلا له ، وتم ذلك فى يونيو سنة ١٩٦٠ . وباستقلال الكنغو البلجيكى يكون القسم الثانى من شعب الباكونجو قد حصل على استقلاله بينما بقى الجزء الأخر المقيم فى أنجولا البالغ عدده نصف مليون نسمة يرزح تحت نير الاستعمار البلجيكى وترتب على ذلك الوضع هياج شعب الباكونجو الذى لم ينس تدخل البرتغاليين فى عملية انتخاب ملكه ، وفرضهم ملكاً آخر لا يرضونه وكان شعب الباكونجو شعباً ريفياً لا توجد ببلاده مدن كبيرة أو صناعات وكان أكثر ما يطمع فيه هوعبور الحدود بحثا عن الثروة بالعمل فى التجارة والصناعة فى الكنغو البلجيكى (زائيرى) حيث يوجد زعماؤه المنفيون ، ولهذا فقد تكونت منظمة إتحاد شعب أنجولا UPA فى الكونغو البلجيكى [١] .

وإلى الجنوب من شعب الباكونجو يوجد شعب كيمبوند والذى اجتذبته الحياة فى لواندا ومالانجى ودندو وغيرها من المدن حيث توجد فرص كثيرة للعمل فى الإدارت الحكومية والمصانع لمواجهة أعباء الحياة ورفع مستوى المعيشة . وفى تلك المدن التحق الأنجوليون بالمدارس الخاصة والمدارس التابعة للبعثات التبشيرية من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الثانوية . ورأى هؤلاء الوطنيون ميلاد منظمة الحركة الشعبية لتحرير أنجولا MPLA ، وشاهدوا عملية القبض على زعمائها

(١) Parsons, C. : Ibid. pp. 58-65.

وإساءة معاملتهم والحكم عليهم بالسجن مددا طويلة مما أدى إلى التفكير في تخليص هؤلاء الزعماء من النفي أو الموت خاصة وأن الإدارة البرتغالية كانت تعمد إلى إلقاء المسجونين السياسيين من الطائرات فى البحر لقتلهم . وتحول الافريقيون الأنجوليون من مرحلة التفكير إلى مرحلة التنفيذ . وقاموا بحركة عصيان غير مسلح فى ٤ فبراير سنة ١٩٦١ لتخليص المسجونين السياسيين فى لواندا . واتخذت الإدارة الاستعمارية من ذلك الحادث ذريعة لزيادة قواتها المسلحة . ونشر الإرهاب بين الإفريقين الذين أصبحوا فى حالة خوف متزايد . وكان يكمن وراء ذلك الانفجار ذكرى السنوات الطويلة من الاستغلال والمعاملة السيئة التى تعرض لها الشعب الانجولى ، وتدفق المهاجرين البرتغاليين على أنجولا مما زاد خوف الوطنيين من استمرار السيادة البرتغالية فى أنجولا [١] .

بدأت العمليات العسكرية الوطنية فى ١٥ مارس سنة ١٩٦١ فى مزرعة من مزارع البن أسمها بريما فيرا فى شمال أنجولا وانتشرت منها إلى جميع أنحاء مقاطعة الكونغو ، ثم انتقلت إلى مقاطعات مالانجى ولواندا ولشبونة الجديدة وغيرها من المدن الواقعة على خط سكة حديد بنجويلا — البرابيث فيل . وكانت العمليات العسكرية مبنية بصفة أساسية على مهاجمة المزارع المنعزلة التى يملكها المستوطنون البرتغاليون والمستوطنات التجارية والمراكز الحكومية . وقطع المواصلات بتدمير الجسور والمعديات وسد الطرق بجذوع الأشجار وحفر الخنادق . وكان رد البرتغاليين على تلك الأعمال سحب المواطنين البرتغاليين من المراكز الرئيسية ، وأجلاء النساء والأطفال إلى لواندا أو المدن المحصنة مثل ماكويلا وكارمونا وساو سلفادو — وأمبريزيتا . وسمحت للمستوطنين البرتغاليين بتكوين فرق حراسة مسلحة . ولما كان هؤلاء المستوطنون يعرفون الطرق الموجودة بالمستعمرة ولهم منازل ومصالح بالمستعمرة فقد كانوا النواة الأولى للمقاومة الأوربية للحركة الوطنية . وقد انحصر وجود القوات الوطنية الفدائية فى مبدأ الأمر فى شريط من الأرض يمتد ستين ميلا على حدود الكنغو فيما بين لوفو وكيمبانجو ، ويشمل بمبى وكامبا الجديدة ومو كابا ونامبو أنجونجو وجبال منطقة دمبو . وكان هدف

---

(١) Parsons, C. : Ibid p. 65, Duffy, J. : Portugal in Africa, pp. 214-215.

الوطنيين من الهجوم على المستوطنات الواقعة على الحدود هو طرد الاوربيين من مناطق الأحراش والغابات حتى تستطيع القوات الوطنية التحرك بحرية وتنظيف مناطق الجناحين قبل الهجوم على المراكز البرتغالية والطرق . ولما كانت المنطقة الساحلية لاتقدم الغطاء الكافى للحركات الفدائية فقد بقيت تلك المنطقة غير متأثرة بالحركة الثورية فى بداية الأمر . وفى الوقت الذى أتحد فيه الأوربيون لمواجهة الخطر الوطنى الثورى كان شعب أنجولا غير متحد فى آرائه . وكان شعب زمبو غير مقتنع باللجوء إلى العمل العسكرى ويأمل فى بدء المحادثات بين الوطنيين والبرتغاليين بمساعدة هيئة الأمم المتحدة . والحصول على الحرية بدون استخدام العنف (١) .

تعرض كثير من المستوطنين البرتغاليين للموت فى الهجوم الأول للثوار . واستغلت الإدارة البرتغالية ذلك وعمدت إلى نشر الاكاذيب عن عدد القتلى والفظائع التى ارتكبها الوطنيون ضدهم وتمثيلهم بجثث القتلى واتخذت الإدارة البرتغالية من ذلك العمل فرصة للانتقام من الوطنيين بحجة قتلهم المستوطنين قبل إعطائهم الفرصة للدفاع عن أنفسهم . وقدر التقرير السنوى لشركة ماس أنجولا الصادر فى ٣٠ يونيو سنة ١٩٦١ عدد القتلى بمائتى فرد . وهذا التقرير له أهمية كبيرة لصدوره بعد يوم ١٥ أبريل وهو اليوم الذى تم فيه إجلاء جميع النساء والأطفال الأوربيين من المناطق المعرضة للهجوم من الثوار . ومن المحتمل أن عدد القتلى من النساء والأطفال الأوربيين كان قليلا جداً ، ولكن الإدارة البرتغالية عمدت إلى التهويل للحصول على عطف وتأييد الدول الأجنبية ، وأثارة حمية المستوطنين لمواجهة الثوار بكل قوة . ومن المحتمل حدوث أخطاء فى العمل الثورى أثناء الهجوم على المستوطنات أدى إلى انسحاب المستوطنين من المستوطنات المجاورة التى لم يصل إليها الوطنيين بعد ، وتجمعهم للدفاع عن تلك الأماكن وخاصة بعد صدور التقارير والبيانات الحكومية المضللة (٢) .

وعلى الرغم من الشك فى صحة الأنباء المتعلقة بالفظائع التى أرتكبها الوطنيون إلا أنه يمكن تفسيرها أن كانت قد حدثت بالأسباب التالية :

---

(١) Duffy, J. : Ibid (Portugal..) pp. 215-216, Parsons, C.: Op. Cit. pp. 66-67, Panikkar, K .M . :. Op. Cit. p. 72.

(٢) Parsons, C. : Op. Cit. pp. 67-68.

١ – شعور الوطنيين بالمراره الشديدة من الفظائع التى أرتكبها البرتغاليون خلال سنوات عديدة واستخدام نظام العقاب الجسدى الجماعى ضد خدم المنازل الذين لايحترمون أسيادهم ، وضد الرجال الذين لايرفعون قبعاتهم احتراما لرئيس المركز البرتغالى ، وضد العامل غير المتقن لعمله والزعيم المحلى الذى يعجز عن تقديم العدد المطلوب من العمال الوطنيين ، وكان البرتغاليون يضربون هؤلاء جميعاً بالسياط جزاء لهم على ما أرتكبوه فى حق المستوطنين البيض . وحتى النساء الإفريقيات لم يسلمن من سوء المعاملة من رجال الشرطة أثناء عملهن بالطريق العامة مما أدى إلى حدوث حالات إجهاض لبعضهن . ولم تسلم البنات من هتك أعراضهن بواسطة رجال الشرطة والموظفين الأوربيين ، وإهمال إنصافهن والاقتصاص من مرتكبي تلك الحوادث .

٢ – محاولة الأنجوليين التخلص من الخضوع الذى رزحوا تحته زمناً طويلا ، والتخلص من المعامله السيئة . والحصول على العدل والمساواة مع غيرهم من الأجناس والشعوب .

٣ – استخدام الأدوية والماء المقدس الذى قيل أنه يسلب الإفريقيين عقولهم ، وخداع مدعى السحر لهم .

٤ – وجود مجرمين بين مجموعات المقاتلين الوطنيين . وهذا لايخلو منه أى تنظيم عسكرى . وكانت القوات البرتغالية هى الأخرى تضم بينها عددا من المجرمين وارتكبت العديد من الفظائع التى حاولت التقارير الرسمية البرتغالية إخفاءها عن الرأى العام البرتغالى والعالمى (١) .

لم تعد البرتغال فى نهاية مارس سنة ١٩٦١ تنكر قيام الثورة الأنجولية وخاصة بعد إنضمام ثلاث فرق من الجنود الوطنيين بأسلحتهم للثوار . وأعلن البرتغاليون أن جنودهم فى أنجولا بلغ عددهم عند قيام الثورة ٦٠٠٠ جندى إفريقى و ٢٠٠٠ جندى برتغالى ، ولكن صحيفة التايمز نشرت فى ٢٧ – ٥–١٩٦٠ تقريراً لمراسلها فى أنجولا ذكر فيه نبأ وصول ٢٠٠٠ جندى برتغالى إلى أنجولا فى سنة ١٩٥٩ وبذلك بلغ عدد القوات البرتغالية عشرين ألف جندى أغلبهم من الجنود الأنجوليين .

(١) Parsons, C. : Ibid. pp. 68-70.

وتم تدعيم تلك القوات بعدد يتراوح بين ثلاثة آلاف من المستوطنين البيض الذين أدوا الخدمة العسكرية فى أنجولا . واستخدمت القوات البرتغالية الأسلحة الحديثة والطائرات وقنابل النابالم والصواريخ ومدافع الماكينة فى وقت استخدم فيه الأفريقيون السكاكين والبنادق العادية ، وما يحصلون عليه من أسلحة حديثة من البرتغاليين أنفسهم . وقد استخدم البرتغاليون أسلحتهم ضد الثوار والمدنيين من الرجال والنساء والأطفال غير المشتركين فى الصراع دون تفرقة . وارتكب البرتغاليون فظائع لايمكن إنكارها . واضطرت الإدارة الاستعمارية إلى اختلاق الأعذار الواهية لتعليل إرتكاب تلك الجرائم بعد أن كانت تصر على انكارها فى مبدأ الأمر (١) .

لم تسلم المناطق التى لم تمتد إليها الثورة فى مبدأ الأمر من ارتكاب البرتغاليين للفظائع ضد السكان المسلمين ، وألقت السلطات البرتغالية القبض على السكان فى مناطق كويبوكولاويمي الذين كانوا يجهلون مشروعات الثورة ولم يشتركوا فيها وتعرض السكان للضرب الوحشى وإطلاق الرصاص والقتل بالجملة . وحدث نفس الشىء فى كارمونا حيث توجد الإرساليات الدينية البريطانية إذ أطلقت السلطات البرتغالية الرصاص على أحد الوطنيين تجرأ واعترف لباترسون قسيس الإرسالية البريطانية بمعلومات عن عمليات القتل الوحشى التى إرتكبتها السلطات البرتغالية ، ولم يكتف البرتغاليون بذلك بل طردوا باترسون من المنطقة . ولم تسلم مدينة لواندا مقر الحكم البرتغالى من إرتكاب الأعمال الوحشية فقد عمد البرتغاليون بعد ثلاثة أسابيع من اندلاع الثورة إلى قتل الإفريقيين الأبرياء المقيمين فى الضاحية المجاورة أثناء الليل . وكان القتال فى ذلك الوقت يبعد مائة ميل عن لواندا . ولم يكتف البرتغاليون بذلك وإرتكبوا عمليات القتل علانية فى الطرق أثناء النهار . وقد وجه البرتغاليون هجومهم مباشرة على الفئة الأنجولية المتعلمة دون غيرها بحجة أنها هى التى تحمل لواء الثورة وتعمل على نشرها فى جميع أرجاء المستعمرة . وكانت الإدارة البرتغالية على علم تام بتلك الحوادث ولكنها أعلنت أنها غير مستعدة لحماية الإفريقيين خوفا من تعرضها لعداء المجتمع الأبيض الذى استفزته الجرائم التى ارتكبها الوطنيون.

---

(١) Parsons, C. : Ibid. pp. 71-72, Panikkar, K .M . : Op. Cit. p. 73.

وامتدت فظائع المستوطنين البرتغاليين إلى هضبة بنجويلا فى الجنوب حيث توجد قبائل بيلوندو الموالية للادارة البرتغالية . واعتقل البرتغاليون عددا كبيرا من قبائل بيلوندو مات منهم خمسة عشر رجلا فى السجن ، ونقلوا الكثيرين منهم من بلادهم . وتكررت عملية القبض والإختفاء فى ريلوندو الجديدة وموازميدس (١) .

قام المستوطنون البرتغاليون فى حالات كثيرة بقطع رؤوس الإفريقيين وغرسها فى أعواد والطواف بها فى الشوارع لإرهاب الوطنين وبث الفزع فى نفوسهم ، ولم يسلم الأحياء من المعاملة الوحشية فطاردت القوات الجوية البرتغالية الفارين من الوطنيين إلى الكونغو البلجيكى ، وألقت عليهم القنابل ، وهاجمتهم بالمدافع الرشاشة ، وأحرقت الحشائش الطويلة والمزروعات، وضربت القرى بالقنابل . وعمد البرتغاليون إلى وخز المسجونين بالسونكى وتقييد الرجال وإلقائهم فى الأنهار ، ودفن البعض الآخر وهم على قيد الحياة . وزعمت الحكومة البرتغالية أن القوات الوطنية هى التى ارتكبت تلك الأعمال ، ولكن اللاجئين أنكروا هذا الإدعاء ، وأعلنوا أن القوات البرتغالية قبضت على جماعات كبيرة من الإفريقيين. وأطلقت عليهم النيران ثم أعلنت بعد ذلك مسئولية الثوار عن ذلك العمل. وللهرب من الفظائع التى يرتكبها البرتغاليون عبر كثير من الإفريقيين الحدود ولجئوا إلى الكنغو البلجيكى حتى بلغ عددهم أربعين ألف لاجىء فى منتصف شهر مايوسنة ١٩٦١ ، وارتفع ذلك العدد إلى ثمانين ألف لاجىء فى شهر يوليو. وادعت الإدارة البرتغالية عودة الكثير من هؤلاء اللاجئين إلى أنجولا إلا أن هيئة الصليب الأحمر الدولية أعلنت أن عدد اللاجئين بلغ مائة وواحد وثلاثين ألفا فى أول سبتمبر سنة ١٩٦١ وارتفع ذلك العدد إلى مائة وواحد وأربعين ألفا فى ٣ أكتوبر من نفس العام . وبذلك تكون قصة عودة اللاجئين التى ذكرتها السلطات البرتغالية مختلفة من أساسها لتناقضها مع البيانات الرسمية لهيئة الصليب الأحمر الدولية وهى هيئة محايدة (٢) .

دور الأمم المتحدة فى الصراع الدائر فى أنجولا :

أدت الشروط والمساوىء الناتجة عن الاستعمار والدور العالمى الجديد لهيئة

(١) Panikkar, K .M . : Ibid. p. 74, Parisons, C. : Op. Cit. pp. 72-73.

(٢) Parison, C. : Ibid. pp. 74-75.

الأمم المتحدة إلى تكوين لجنة للوصاية لمراقبة تطور الدول التى لازالت تحت نير الاستعمار ، والتى كانت بعض الدول الكبرى تشرف عليها وتديرها . وقد طلبت تلك اللجنة من جميع الدول امدادها بصفة دورية بالمعلومات والبيانات عن البلاد التى لازالت غير مستقلة . ووافقت الدول جميعا على ذلك الطلب باستثناء البرتغال وإسبانيا وجمهورية جنوب أفريقيا . فقد رفضت هذه الدول الاستجابة لطلب لجنة الوصاية . ولما كان أغلب الدول الأعضاء فى هيئة الأمم المتحدة وخاصة الدول الأفرو أسيوية قد خضعت من قبل للاستعمار الأجنبى فقد تقدمت ٤٣ دولة أفرو أسيوية باقتراح للجمعية العامة للأمم المتحدة التى وافقت عليه باجماع الأراء فى ٤ ديسمبر سنة ١٩٦٠ يعلن « منح الاستقلال للبلاد والشعوب المستعمرة » وامتنع عن التصويت على ذلك القرار الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة واستراليا وبلجيكا وجمهورية الدومنيكان والبرتغال وأسبانيا واتحاد جنوب أفريقية. ويعتبر هذا الإعلان علامة هامة فى تاريخ الأمم المتحدة .

وقد تضمن إعلان ١٤ ديسمبر سنة ١٩٦٠ سبع نقاط رئيسية هى :

١ — تعارض إخضاع الشعوب للاستعباد والتسلط والإستغلال الأجنبى مع حقوق الإنسان ومخالفة ذلك لميثاق الأمم المتحدة وعرقلته للسلام العالمى .

٢ — حق جميع الشعوب فى حكم نفسها . وبموجب هذا الحق للشعوب الحرية الكاملة فى اختيار نظامهم السياسى . واتباع السبيل المؤدى إلى ترقية نظمهم الاقتصادية والإجتماعية والحضارية .

٣ — لا يمكن الاعتذار بالتأخر السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى لتأخير استقلال الشعوب الخاضعة للاستعمار .

٤ — ضرورة إيقاف جميع العمليات العسكرية والضغط بجميع أنواعه الموجه ضد الشعوب المستقلة وتمكين تلك الشعوب من ممارسة حقوقها واستكمال استقلالها بسلام وحرية تامة واحترام وحدة أراضيها .

٥ — اتخاذ خطوات فورية فى البلاد الواقعة تحت الوصاية والتى ليس بها حكم ذاتى وغيرها من البلاد التى لم تحصل بعد على استقلالها لنقل جميع السلطات

إلى شعوب تلك البلاد بدون أى شروط أو تحفظات طبقاً لرغباتهم الحرة ، وبدون تمييز عنصرى أو لونى لتمكينهم من ممارسة استقلالهم وحريتهم كاملة .

٦ — إن أى محاولة تتخذ لإحداث انشقاق جزئى أو كلى للوحدة الوطنية ووحدة أراضى البلاد الواقعة تحت نير الاستعمار مناقض تماما لأهداف وأسس ميثاق الأمم المتحدة .

٧ — ضرورة تنفيذ جميع الدول بصدق وتدقيق لميثاق الأمم المتحدة والإعلان الدولى لحقوق الإنسان والإعلان الحالى على أسس من المساواة وعدم التدخل فى الشئون الداخلية لجميع الدول ، واحترام حقوق السيادة لجميع الشعوب ووحدة أراضيها (١) .

رفضت البرتغال تقديم بيانات عن مستعمراتها ، ولم يتم أى اجراء حتى سنة ١٩٥٩ على الرغم من عدم موافقة الدول الأفرو أسيوية الأعضاء بالأمم المتحدة وقد شكلت الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة فى ذلك العام لجنة لدراسة ما إذا كانت هناك تعهدات لاعطاء معلومات عن البلاد الخاضعة للاستعمار مما يندرج تحت نص المادة ٧٣ من الميثاق من عدمه . وتبنت الدول الأفروأسيوية الموضوع فى سنة ١٩٦٠ . وناقشت لجنة الوصاية فى المدة الواقعة بين يومى ٢ ، ١١ نوفمبر موضوع المستعمرات البرتغالية والإسبانية . وقدمت أفغانستان وبورما وسيلان وغانا وغينيا والهند ونيجيريا مسودة قرار تقترح فيه أن تجبر الجمعية العمومية للأمم المتحدة حكومتى البرتغال وإسبانيا لإنشاء نظام ديمقراطى فى مستعمراتهما ، وتسهيل حصول تلك المستعمرات على استقلالها ، وأن يكون ذلك العمل إجباريا ، وإلزامهما بتقديم المعلومات عن البلاد الخاضعة لحكمهما عملا بنص المادة ٧٣ وبدون تأخير (٢) .

ناقشت لجنة الوصاية موضوع مسودة القرار الأفروأسيوى بضعة أيام ، وتكلم أكثر من خمسين مندوبا فى الموضوع . وأعلنت اللجنة فى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٦٠ وجوب تقديم البرتغال المعلومات عن مستعمراتها التى أطلقت عليها اسم مقاطعات

---

(١) Panikkar, K.M. Op. Cit. pp. 83-85, Duffy, J. : Op. Cit. (Portugal), p. 222.

(٢) Panikkar, K.M. : Op. Cit. pp. 85-86.

ما وراء البحار إلى الأمم المتحدة . واحتجت البرتغال بشدة على قرار اللجنة ، وأعلنت أن هذا القرار يعتبر تدخلا فى شئونها الداخلية . واقترح مندوب أوكرانيا فى لجنة الوصاية طرد البرتغال وأسبانيا من الأمم المتحدة ولكن أغلبية اللجنة رفضت ذلك الرأى على أساس أنه سوق يخلص البرتغال كلية من مشكلتها معتمدة فى ذلك على انضمامها لحلف الأطلنطى . وبذلك تتجاهل الأمم المتحدة كلية وكانت الحكومة البرتغالية تدرك تمام الإدراك أن الدول الأفروأسيوية لن تترك موضوع المستعمرات البرتغالية ولهذا فقد تعرض سالازار فى خطابة الذى ألقاه أمام الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٦٠ للدول الأفروأسيوية التى تبنت موضوع المستعمرات البرتغالية واتهمها بالجهل والحاجة إلى مراجعة التاريخ ، وتكلم عن شعب يتكون من أجناس كثيرة يمتد من غرب أوربا إلى جزر تيمور ، وكان يقصد بذلك الشعب البرتغالى بعد ادخال سكان المستعمرات البرتغالية ضمن الشعب البرتغالى . ولم يكن سالازار متأكدا من مساندة الولايات المتحدة الأمريكية فى مشكلة البرتغال الاستعمارية ولذلك قابل السفير البرتغالى فى ٧ ديسمبر وزير الدولة الأمريكى وأخطره أن البرتغال لن تتوقف عن اتخاذ أى عمل تراه فى أراضيها الإفريقية[١] .

وببدء الثورة فى أنجولا فى ٤ فبراير سنة ١٩٦١[٢] طلب مندوب ليبريا من مجلس الأمن فى ٢٠ فبراير مناقشة اتخاذ عمل فورى لوقف الفظائع التى يرتكبها البرتغاليون . ومنعهم من تدمير أنجولا وتشريد سكانها . ولم تتوان الدول الأفروأسيوية وأخطرت رئيس مجلس الأمن بتأييدها لطلب مندوب ليبريا . واحتج مندوب البرتغال فى خطاب أرسله لرئيس مجلس الأمن فى ٧ مارس على طلب ليبريا مناقشة موضوع يعتبر من اختصاص الحكومة البرتغالية ، وهو الاحتفاظ بالنظام والأمن الداخلى . وبنى المندوب البرتغالى احتجاجه على أساس أن مقاطعات ما وراء البحار جزء لا يتجزأ من البرتغال وليست مستعمرات . وتقدمت الجمهورية العربية المتحدة (جمهورية مصر) وليبريا وسيلان فى ١٤ مارس بمسودة قرار

(١) Panikkar, K .M . : Ibid. pp. 86-87.

(٢) أنظر صفحة ٥٠ من هذا البحث

لمجلس الأمن طلبت فيها اجراء اصلاحات فى أنجولا فيما يختص بحقوق الإنسان والحريات الأساسية ، وتعيين لجنة فرعية لتقصى المشكلة الأنجولية . وفشل مجلس الأمن فى التصويت الذى أجراه فى ١٥ مارس فى الحصول على الأصوات الضرورية لتنفيذ القرار لامتناع الدول الأوربية المؤيدة للبرتغال عن التصويت [١] .

وبفشل مجلس الأمن فى الوصول إلى قرار نشطت مجموعة الدول الأفروأسيوية، للحصول على تأييد الدول الثلاث اللازم لإدراج المشكلة ضمن جدول الجمعية العمومية للأمم المتحدة . وفى اجتماع مجلس الأمن الذى عقد فى ٢٢ مارس سنة ١٩٦١ للموافقة على المواضيع التى سوف تدرج فى جدول أعمال الجمعية العمومية طلب مندوب اليابان مناقشة طلب ليبريا الخاص بالموقف فى أنجولا . وطلب وضع المشكلة فى جدول الأعمال لمناقشته فى الجمعية العمومية على أساس أن المادة العاشرة من الميثاق تنص على مناقشة أى مشكلة تقع فى نطاق نصوص الميثاق ، وأن الموقف فى أنجولا يعرض السلام الدولى للخطر . ولم يوافق المندوب البرتغالى على ذلك . وعارض إدراج الموضوع فى جدول أعمال الجمعية العمومية . وبنى اعتراضه على أن المجلس سبق وناقش المشكلة . وأن الاحتفاظ بالقانون والأمن فى أنجولا هو عمل داخلى واتخاذ أى إجراء من جانب الأمم المتحدة يعتبر تدخلا فى شئون دولة ذات سيادة . ولم يحدث أى انتقاص لحقوق الإنسان فى أنجولا . ورفض مجلس الأمن الأخذ بوجهة نظر المندوب البرتغالى . وقرر قبول طلب ليبريا. وأدرج المشكلة ضمن جدول الجمعية العمومية للأمم المتحدة لمناقشته [٢] .

عرض الموضوع على الجمعية العمومية للأمم المتحدة وبعد مناقشته وافقت فى ٢٣ أبريل سنة ١٩٦١ بثلاثة وسبعين صوتا ضد صوتين هما صوتا إسبانيا واتحاد جنوب أفريقية على قرار يطالب البرتغال باجراء إصلاحات عاجلة فى أنجولا طبقا لنصوص إعلان الجمعية العمومية الصادر فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩٦٠ الخاص بالمستعمرات [٣] . وشكلت الجمعية العمومية لجنة من خمسة أعضاء لدراسة الموقف فى أنجولا . وجمع الوثائق واستقصاء الحقائق وتقديم تقرير للجمعية العمومية عن

(١) Panikkar, K .M . : Op. Cit. pp. 87-88.

(٢) Panikkar, K .M . : Ibid, p. 88.

(٣) أنظر ص ٥٩-٦٠ من هذا البحث .

نتيجة عملها . ولم توافق البرتغال على قرار الجمعية العمومية ، وأرسل مندوبها خطابا لرئيس مجلس الأمن أوضح فيه أن حكومته تعتبر عمل الجمعية العمومية غير قانونى ، وتدخلا غير ضرورى فى الشئون الداخلية لشعب ذى سيادة(١) .

واجتمع مجلس الأمن فى ٦ يونيو . وبدأ مناقشة الموقف فى أنجولا ، وفى ذلك الاجتماع هاجم الأعضاء الأفرو أسيويون حكومة البرتغال بشدة مما أدى إلى امتناع بريطانيا وفرنسا وهما من أصدقاء ومؤيدى البرتغال عن التصويت . ووافق مجلس الأمن فى ٩ يونيو بتسعة أصوات ضد لا شىء على القرار التالى :

١ — إعادة تأكيد قرار الجمعية العمومية رقم ١٦٠٣ (XV) ومطالبة البرتغال بالعمل طبقا لنصوصه .

٢ — مطالبة اللجنة الفرعية المعينة بناء على قرار الجمعية العمومية بانجاز مهمتها دون تأخير .

٣ — مطالبة البرتغال بالكف فورا عن اتخاذ خطوات قمع فى أنجولا ، ومنح اللجنة الفرعية التسهيلات الضرورية اللازمة لتمكينها من إنجاز عملها بأسرع ما يمكن .

٤ — التعبير عن الأمل بأن يتم الوصول إلى حل سلمى لمشكلة أنجولا طبقا لميثاق الأمم المتحدة .

٥ — مطالبة اللجنة الفرعية برفع تقرير عن نتيجة عملها إلى مجلس الأمن والجمعية العمومية بأسرع ما يمكن(٢) .

بدأت اللجنة الفرعية عملها فى استقصاء الحقائق وجمع الوثائق المتعلقة بالمشكلة ، وطلبت من البرتغال السماح لها بالذهاب إلى أنجولا للحصول على المعلومات من مصادرها الأصلية . ولكن الحكومة البرتغالية تجاهلت اللجنة كلية ، ورفضت فى ٣٠ يونيو السماح لها بالذهاب إلى أنجولا بحجة عدم وجود أخطاء فى أنجولا ، وأن ما كان دائر بها عبارة عن مؤامرة أجنبية من جانب مجموعة الدول الشيوعية ، وقد أمكن القضاء عليها . ووجه سالازار الدعوة لرئيس اللجنة بصفة شخصية

(١) Duffy, J. Op. Cit. (Portugal..), p. 223, Panikkar, K .M . : Op. Cit. pp. 88-89.

(٢) Panikkar, K .M . : Ibid. pp. 89-90.

لزيارة لشبونة دون اللجنة [1] . وقدمت اللجنة تقريرها المكون من ١٤١ صفحة فى ٢٨ نوفمبر وأثبتت فيه ظروف القمع والشدة التى تعرض لها الوطنيون فى أنجولا وأدت إلى حدوث الثورة . وانتقد التقرير السياسية البرتغالية فى أنجولا بصفة عامة وطلبت اللجنة فى تقريرها من البرتغال ضرورة عمل اصلاحات كثيرة ، وإعداد أنجولا للحكم الذاتى وممارسة حق تقرير المصير . وختمت اللجنة تقريرها بقولها إن « السلطات البرتغالية تواجه اختبارا حقيقياً وعليها إما الاستمرار فى استخدام العنف بما يتبعه من بؤس وخسارة اقتصادية متوقعة ، ومستقبل مشكوك فيه أو الاستجابة للرأى العام العالمى ، واتخاذ خطوات لتطمين السكان ، وضمان عودة اللاجئين وقيام علاقات جديدة مع الشعب الأنجولى ، وتفهم لقوى العالم الجديد وقبول التغيير واستخدام الحكومة فى تكوين وتتبع الوسائل المتاحة للابقاء على الحل السلمى » [2] .

أظهرت مناقشات الأمم المتحدة وتصويت عدد كبير من أعضاء حلف شمال الاطلنطى فى موضوع أنجولا عدم تأييد الدول وخصوصا الولايات المتحدة الامريكية للبرتغال . وظهر للبرتغال أنها لاتستطيع الاعتماد على حلفائها وهددت فى اجتماع حلف الاطلنطى الذى عقد فى مايو سنة ١٩٦١ بسحب قواتها من الحلف لاستخدامها فى أنجولا . كما هددت بالانسحاب الكامل من الحلف . وحاولت حكومة الولايات الأمريكية فى أوائل سنة ١٩٦١ الضغط على البرتغال لادخال بعض الاصلاحات على سياستها الاستعمارية . ولكن ذلك الضغط توقف قبل أزمة برلين بفترة قصيرة رغبة فى الإبقاء على تماسك حلف الأطلنطى . واعتقادا أن الرأى العام الإفريقى ليس له أهمية كبرى كما كان يعتقد قبل مؤتمر بلغراد للدول غير المنحازة [3] .

لم تستجب حكومة البرتغال لقرارات الأمم المتحدة ، واستمرت حرب التحرير الأنجولية واتخذت شكلا جديداً فى أواخر سنة ١٩٦٦ . واشتعلت الحرب بشدة

(١) Panikkar, K .M . : Ibid. p. 90, Duffy, J. : Op. Cit. (Portugal..), p. 223.

(٢) Duffy, J. : Ibid. p. 223.

(٣) Duffy, J. : Ibid. pp. 223-224.

فى كابندا وبذلك تكون حركة التحرير قد فتحت جبهة ثانية على حدود أنجولا الشمالية . وهاجمت القوات الوطنية فيلا تكسيرا الواقعة على حدود زامبيا فى أواخر ديسمبر ، وأصبحت القوات البرتغالية مشتبكة فى حرب مع قوات التحرير على الحدود الشرقية والشمالية الشرقية لأنجولا . وطبقاً للأنباء التى نشرت فى الصحف تحركات قوات برتغالية كبيرة إلى حدود جمهورية الكنغو كنشاسا «زائيرى» وحدود زامبيا ، وأخلى البرتغاليون المستوطنات البرتغالية فى منطقة عرضها عدة أميال على الحدود الانجولية ، وأنشأوا بها مطارات جديدة . وأتخذوا خطوات جديدة لتقوية دفاعاتهم ، وأصبحت منطقة شرق أنجولا فى يناير سنة ١٩٦٧ مركز للنشاط العسكرى البرتغالى ، وأغلقت السلطات البرتغالية الحدود بين أنجولا والكنغو كنشاسا (زائيرى) فى ديسمبر سنة ١٩٦٧ بعد عدد من الحوادث بدأت بالهجوم على القنصل البرتغالى فى كنشاسا [١] .

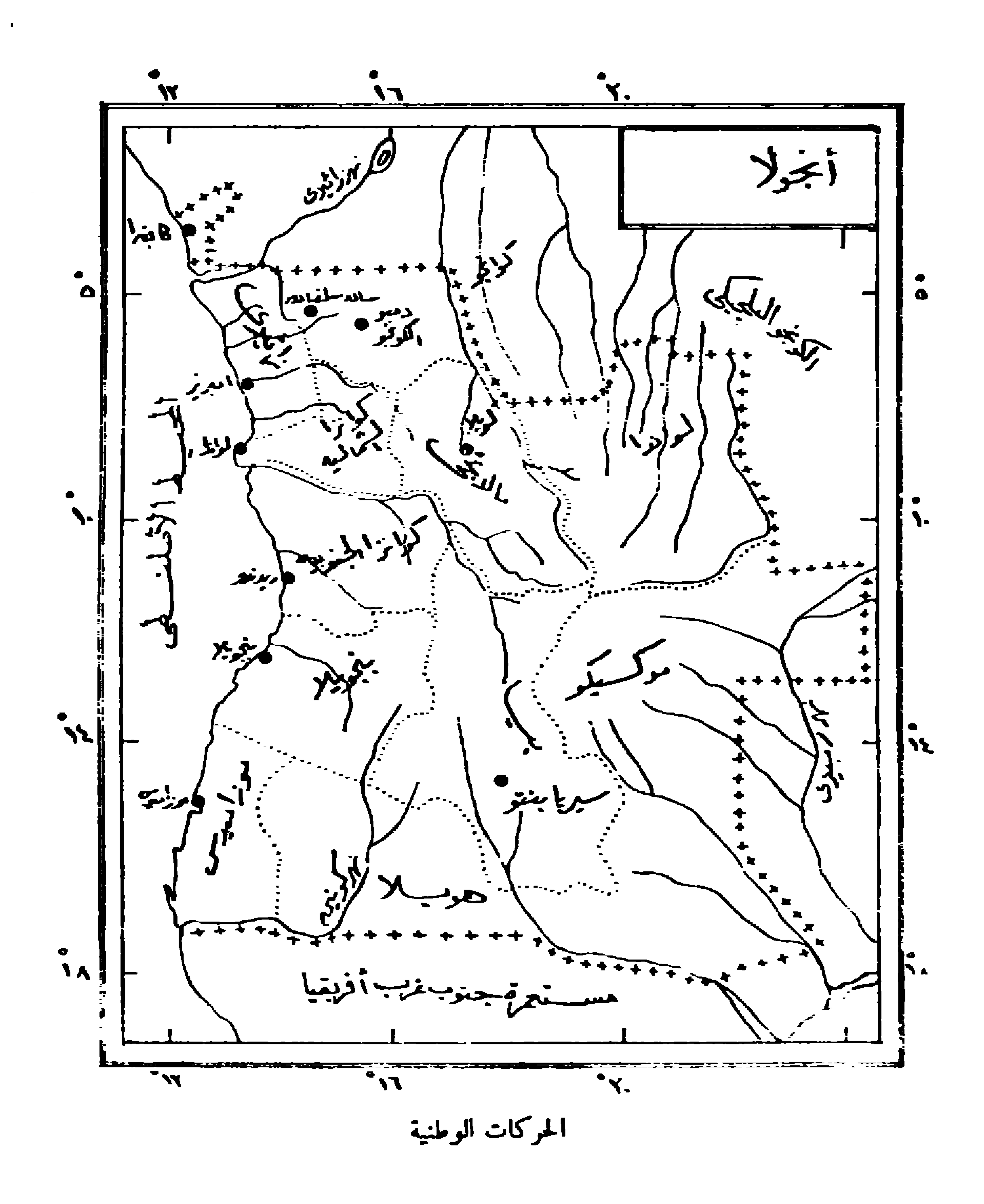
إعترف البرتغاليون فى نشرتهم العسكرية أنهم يقاتلون حركة التحرير الشعبى MPLA ، والحكومة الثورية الانجولية فى المنفى GRAE . والاتحاد الوطنى لتحرير أنجولا UNITA . وأعترف البرتغاليون فى أوائل أبريل سنة ١٩٦٧ باستمرار القتال حول نوكوى Noque بالقرب من حدود جمهورية الكنغو : وحدث هجوم مفاجىء للوطنيين على طريق كانجا — لوكاسا : واستمر القتال فى المنطقة الواقعة فى شمال جبال أويجى Uige ومنطقة دمبو وفى مقاطعة موكسيكو التى ذكرت الصحف أنها المركز الرئيسى للنشاط العسكرى . وبلغت إصابات البرتغاليين فى الأسبوع المنتهى فى ٢١ يناير سنة ١٩٦٨ أحد عشر قتيلا وثمانية عشر جريحا ، وهى نسبة مرتفعة أكثر من العادة . وحدث فى مارس سنة ١٩٦٨ اشتباك بين القوات البرتغالية وبين قوات التحرير فى منطقة سربا بنتو عاصمة مقاطعة كواندا . وأصبح السفر غير مأمون بالنسبة للأفراد غير المسلحين لتعدد هجمات قوات التحرير المفاجئة . ومادامت الحكومة البرتغالية ترفض الاستجابة لقرارات الأمم المتحدة ومطالب الوطنيين الأنجوليين فسوف يستمر القتال ويشتد حتى يتم تحرير أنجولا من الإستعمار البرتغالى بقوة السلاح .

---

(١) U.N.G.A. : Angola, (A/AC. 109/L. 451) 17 April, 1968, pp. 6-7.

(٢) U.N.G.A. : Ibid : p. 7.

(٣) U.N.G.A. : Ibid. p. 27 March, 1968, p. 7.



الحركات الوطنية

مراجع البحث

أولا : وثائق منشورة :

1. Arquivo Historico Ultramarino (A.H.U.). Lisbon, 1885.
2. Boletim Official, Luanda, 1860.
3. Imprensa Nacional : Relatories dos Governadures, Lisbon, 1875.
4. Mensàrio Adminstrativo : No. 7, Lisbon, 1948.
5. United Nation General Assembly (U.N.G.A.): A/AC. 109/L. 451, April and March 1968.

ثانيا : مراجع بلغات أجنبية :

1. Anstey, R.T. : Britain and the Congo, Oxford, 1962.
2. Cadornega, A. : Historia Geral, 3 vols. Lisbon, 1940, 1942
3. Carvalho, H. : Ethongraphiae Historie, Lisbon, 1892.
4. Castelbranco, F. : Historia de Angola, Lisbon, 1932.
5. Delgado, R. : As Sul do Cuanra, Lisbon, 1944.
6. Dias, S. : Os Portuguese em Angola, Lisbon, 1954.
7. Duffy, j. : Portugal in Africa, Cambridge, 1962.
8. Duffy, j. : Poruguese Africa, Cambridge, 1959.
9. de Figueirdo, A. : Portugal and its Empire, London, 1961.
10. de Figueirdo, A. : Angola. Oxford, 1952.
11. Panheiro, P.M.C. : Angola, Oxford, 1952.
12. Panikkar, K.M. : Angola in flams, London, 1962.
13. Parsons, C. : Angola. Oxford, 1952.
14. Reade, W. : Savage Africa, N.Y. 1864.
15. Sarmento, A. : Os Sertoês D'Africa, Lisbon, 1880.

ثالثاً : دوريات :

1. journal do Commercio, 1 Dec. 1859, 19 jan. 1860.

قضية روديسيا[1]

تطورها التاريخي وموقف الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الإفريقية منها

د. شوقي الجمل

THE RHODESIAN PROBLEM

Its historical development and the attitude of the Organization of African Unity and the United Nations towards it,

Dr. Shawki El Gamal

The Rhodesian problem is one of the most important problems that absorbed the Africans and the United Nations and its committees. In fact it shed light on one of the problems emerging from imperialism which the continent suffered for a long period.

This study digs deep into the root of the case, the stages of its historica development and the methods and means used by the white settlers who form only a minority and whose number did not exceed 220 thousands, to dominate the fate of the country and its inhabitants who numbered more than for millions.

This reseearch also, shows clearly the attitude of the organization of African Unity Concerning this problem and it also shows what took place in thei committees of ministerial councils of organization and discussions held in theAfrican summit conference and the resolutions taken and the extent of their effectlceness. All this is based on the reports of the organization's Committees and its cessions .

---

(١) سنستخدم هذا اللفظ – تجاوزا – في هذا البحث رغم أن الوطنيين يفضلون أن يطلقوا على بلادهم لفظ زمبابوى (Zimbabwe) أو زمبيزيا اللفظ القديم المعبر عن أصلهم الإفريقي وحضارتهم القديمة والمرتبط بنهرهم العظيم (الزمبيزي) .

This study also shows the viewpoint of the United Nations, the Security Council and the special and specialized Committees concerning and this problem All this is also basc on htc formal reports and the United Nations documents ind the registered reports of the session. besides depending on the report of ahc Committee, chosen lately by Britain under the supervision of Lord Pearce to know the Rhodesian's point of view in the agreement reached between Britain and racial government of Rhodosia in 1971 or as the agreement called « the test of acceptability ». This report was submitted to the English Parliament in May 1972.

مقدمة :

قضية روديسيا من القضايا الهامة التى شغلت بال الأفريقيين ، ولا تزال تؤرقهم ، بل شغلت هيئة الأمم المتحدة ولجانها المختلفة ؛ ولا تزال مدرجة فى (جدول) مجلس الأمن والجمعية العمومية ؛ كما تستحوز على نشاط وجهود لجان عدة من لجان الهيئة الدولية .

والقضية غريبة فى بعض أطوارها لكنها على العموم تعتبر صورة من الصور التى مارس بها الإستعمار نشاطه فى القارة الإفريقية منذ أن رزئت به فى العصور الحديثة. ووجه الغرابه فيها يرجع إلى أن الأقلية العنصرية من المستوطنين البيض الذين لا يزيد عددهم عن ٢٢٠ ألفا – بينما يتجاوز عدد الوطنيين أصحاب البلد الحقيقيين أربعة ملايين نسمه –قد أعلنت الاستقلال بالبلاد عن النفوذ البريطانى. والاستقلال فى حد ذاته هدف تسعى كل الشعوب المغلوبة على أمرها فى الحصول عليه ولكن استقلال هذه الأقلية الدخيلة وانفرادها بالحكم يعنى فى الحقيقة استبدادها بالأمر دون أصحاب البلاد الحقيقيين واستمرار استغلالها لخيرات البلاد وتسخيرها لأهلها لخدمة مصالح هذه الأقلية التى تشبه الأخطبوط الذى يتساق على النبات الأصلى ليمتص عصارته ويتركه جافا لا حياة فيه .

وتمتد جذور هذه القضية فى الحقيقة إلى الموقف الذى قدم فيه الإستعمارى البريطانى سيسل جون رودس (Cecil John Rhodes) إلى جنوب أفريقيا ، ثم بدأ نشاطه فى هذه البلاد ، وأسس شركة جنوب أفريقيا البريطانية (British South African Company) ليحقق عن طريقها أهدافه بعد أن استطاع الحصول من ملك

قبائل (الميتابلى) الذى كان يحكم هذه البلاد على تصريح بالتنقيب عن المعادن فى أرضها ، فوضع خطة للإطاحة بالملك الإفريقى ، ووضع يده على هذه البلاد واستعمارها واستغلالها لتحقيق أهداف الرجل الأبيض .

وفى عرضنا لتطورات هذه القضية قدمنا عرضاً سريعاً للملامح الجغرافية للبلاد لأهميتها فى تفسير الأحداث التى ألمت بها بعد ذلك ، ثم تتبعنا التطور التاريخى والحضارى للسكان فى الفترة السابقة لامتداد النفوذ البريطانى إليها ، وأبرزنا بعض معالم الحضارة الإفريقية بهذه البلاد والتى يتعمد المستعمرون الأوربيون تجاهلها لأنها تهدم الأساس الذى يبنون عليه استئثارهم بالسلطة دون الأفريقيين إذ يدعون أنه لم يكن لهم نصيب من الحضارة من قبل فلن يمكنهم بالتالى مسايرة الحضارة الحديثة .

وقد شرحت الوسائل التى اتبعها البريطانيون لبسط نفوذهم على هذه البلاد ، ونظام الحكم الذى وضعوه لها الذى أدى فى الحقيقة إلى أن تصل المشكلة إلى الوضع الذى وصلت إليه .

فالمشكلة فى الحقيقة ليست بنت اليوم لكنها النتيجة الطبيعية للسياسة التى اتبعتها بريطانيا منذ البداية فى هذه البلاد ، فسواء فى فترة إدارة شركة جنوب إفريقية البريطانية للمستعمرة وهى الفترة التى أمتدت من ١٨٩٠ إلى ١٩٢٣ أو فى فترة الحكم الذاتى مع التبعية للتاج البريطانى وهى فترة امتدت من ١٩٢٣ إلى ١٩٥٣ ، أو فى فترة الاتحاد الثلاثى (إتحاد وسط إفريقيا) الذى فرضه المستوطنون البيض فى عام ١٩٥٣ مهددين بالإنضمام إلى إتحاد جنوب إفريقيا إذا لم تتحقق الوحدة مع روديسيا الشمالية ونياسالاند — كان واضحاً أن الأقلية البيضاء فى روديسيا تعمل للإنفراد بالسلطة لتستطيع أن تنفذ سياستها العنصرية المتطرفة والتى تتنافى مع كل المبادىء الإنسانية والدولية .

والقاء نظرة على وضع الإفريقيين ومدى ما يتمتعون به من حقوق ، وما تتاح لهم من فرص للإستفادة من الخدمات فى بلادهم ، مقارنة ذلك بوضع الأوربيين المستوطنين يوضح أبعاد السياسة العنصرية التى تعمل الأقلية البيضاء فى روديسيا لتحقيقها .

أما عن موقف منظمة الوحدة الإفريقية من القضية ، وما اتخذته من قرارات فى هذا الشأن ومدى فاعليتها فقد استندت فى توضيحه على تقارير لجان المنظمة ومحاضر جلساتها وقرارات مؤتمراتها .

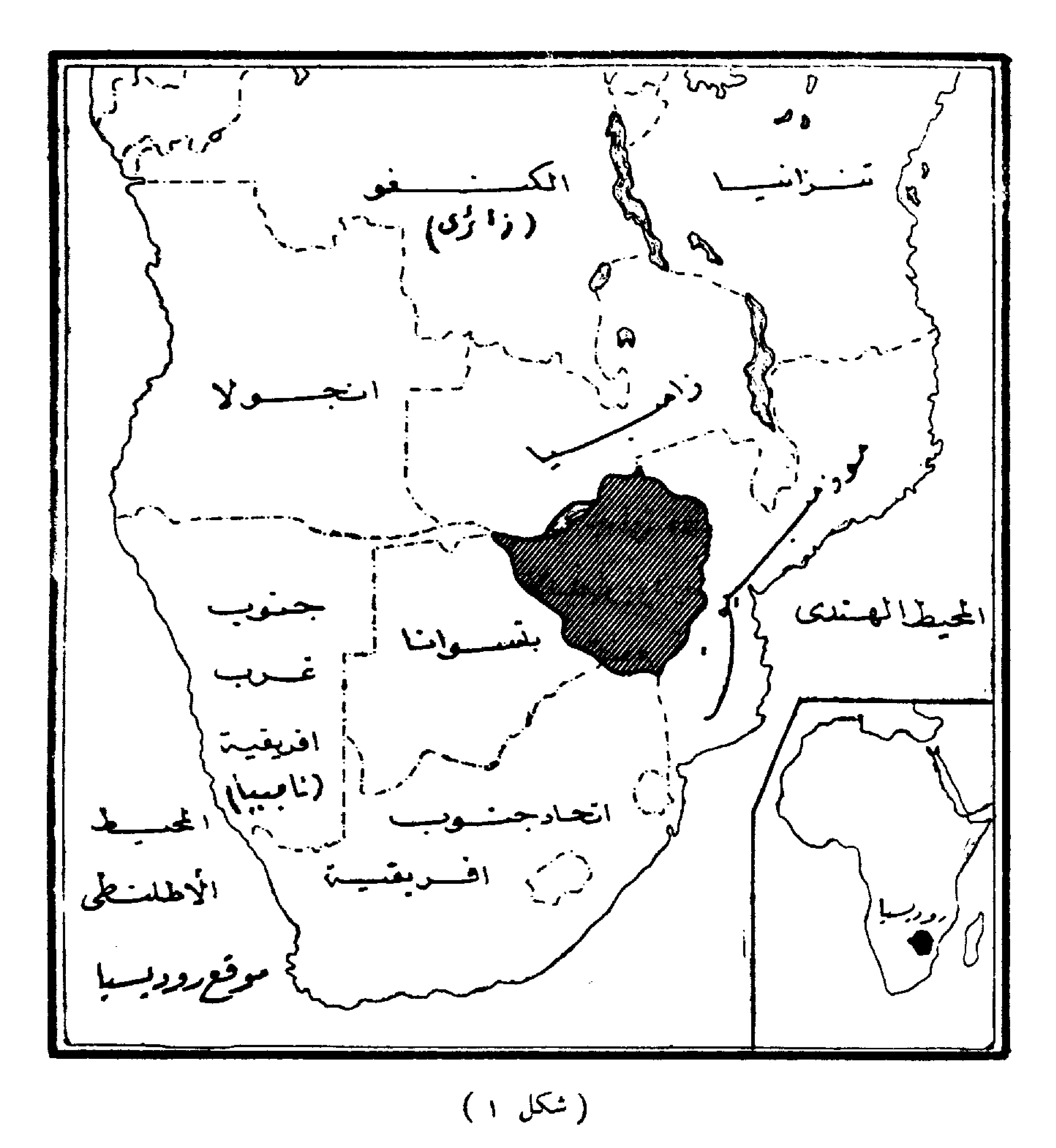
كذلك فى معالجة موقف الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، ومجلس الأمن واللجان الخاصة المتخصصة (لجنة الأربعة والعشرين عضواً)، ولجنة حقوق الإنسان ، والمجلس الإقتصادى والإجتماعى وغيرها من هذه القضية — فقد رجعت لتقارير هذه اللجان الرسمية كما هى واردة فى وثائق الأمم المتحدة ، وقد أشرت بصفة خاصة للدراسة التفصيلية التى قامت بها اللجنة الخاصة لمعرفة مدى نشاط المصالح الإقتصادية الأجنبية وتغلغلها فى روديسيا وأثر ذلك على القضية الروديسية ، فقد تناولت هذه الدراسة كل نواحى النشاط المتعلق بالزراعة والتعدين وأعطت صورة لاستثمارات الشركات الاستغلالية المختلفة فى روديسيا وأرباحها التى تحققها مما يلقى الأضواء على موقف الرأسماليين البريطانيين وموقف القوى الاستعمارية الأخرى من القضية التى تعتبر من أهم وأخطر قضايا الكفاح فى سبيل الحقوق الطبيعية للشعوب .

ولا يسعنى فى هذا المجال إلا أن أسجل شكرى للذين يسروا لى الحصول على الوثائق المتعلقة بمنظمة الوحدة الأفريقية ، وهيئة الأمم المتحدة ولجانها ومجالسها سواء السادة الأفاضل العاملين بمركز المنظمة الإفريقية بأديس أبابا أو بمكتب المنظمة الدولية ومكتبتها (بجاردن سيتى بالقاهرة) أو بالإدارة الأفريقية بوزارة الخارجية المصرية وبوزارة الخارجية البريطانية نفسها .

أولا — الملامح الجغرافية لروديسيا

ليس من شك فى أن (شخصية المكان) — كما يعبر عنها بعض الجغرافيين أو (فلسفة المكان) كما يحلو للبعض أن يسميها[1] — كان لها أكبر الأثر ليس فقط فى إغراء الإستعماريين السابقين من أمثال سيسل جون رودس على الإصرار على مد النفوذ البريطانى لهذه الجهات — ولكن أيضاً كانت فى مقدمة الأسباب التى جعلت أحفاد هؤلاء الإستعماريين يعملون اليوم على زيادة قبضتهم على هذه البلاد .

(١) أنظر حمدان ، جمال : شخصية مصر (القاهرة ١٩٧٠) ص ١ ، ٢ ، ٣ .



(شكل ١)

إذا ألقينا نظرة على خريطة روديسيا فلعل أول ما يلفت النظر هو موقعها الداخلى فى الهضبة الجنوبية للقارة الإفريقية فهى لا تطل على سواحل بحرية أو محيطية وإن كانت تقترب كثيراً من سواحل المحيط الهندى ، وتحدها من الشمال والشمال الغربى جمهورية زامبيا (Zambia) (روديسيا الشمالية سابقاً) ، ومن الشرق مستعمرة موزمبيق البرتغالية (Mozambique) ، ومن الجنوب جمهورية جنوب إفريقيا (S. Africa R.) ومن الغرب بتشوانا (Botswana) (بتشوانا لاند البريطانية سابقاً) فهى تشبه الصدفة المغلقة على نفسها [١] قد حتم هذا الموقع الداخلى على روديسيا أن تتجه إلى الدول الغربية المطلة على المنافذ البحرية مثل موزمبيق (على

(١) Breisford, W.V. : Handbook to the Federation of Rhodesia & Nysaland (London 1960) P. 1

المحيط الهندى) ، وأنجولا (على المحيط الأطلنطى) وارتبطت روديسيا بها بخط حديدى يمتد من ميناء بيرا (Beira) فى موزمبيق إلى بنجويلا (Benguala)على المحيط الاطلنطى فى أنجولا (Angola) ، وقد أدرك (سيسل رودس) أهمية ميناء بيرا لروديسيا باعتباره منفذا طبيعيا لها وكاد أن يدخل فى نزاع مع البرتغال بسببها ، لكن اللورد سولزبرى (Salisbury) رفض أن يذهب إلى حد الحرب مع البرتغال لهذا السبب[1] .

وموقع روديسيا هذا جعلها بين فكى الكماشة المتمثلة فى النفوذ الإستعمارى البرتغالى فى الشرق ، وأنجولا فى الغرب كما جعلها مطمع أنظار الدول الإستعمارية الأخرى خاصة إنجلترا التى كان رجالها الاستعماريون يعملون لمد نفوذها فى جنوب القارة صوب الشمال ، وألمانيا التى كانت تطمع فى ربط مستعمرتيها (إفريقيا الشرقية الألمانية)، (وجنوب غرب إفريقية الألمانية) أحدهما بالأخرى .

هذا من جهة الموقع أما سطح روديسيا فهو مرتفع إذ تمثل هضبة يتراوح إرتفاعها بين ٤,٠٠٠ ، ٥,٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، وقد أدى هذا الارتفاع إلى اعتدال المناخ معظم شهور السنةرغم وقوع (روديسيا الجنوبية) فى العروض المدارية ؛ وأغرى هذا الإرتفاع كثيراً الأوربيين على الهجرة إلى هذه البلاد ، وتقطع الهضبة عدة أنهار تختلف فى إتجاهها وتصريفهاالنهرى ، وأهم هذه الأنهار — نهر الزمبيزى وروافده وهو يسير من الغرب للشرق وتعترض مجراه (شلالات فيكتوريا) الشهيرة التى رآها لفنجستون (Livingstone) فى ١٦ نوفمبر عام ١٨٥٥ فأبدع فى وصفها وقدم لنا صورة من وحى آنفعالاته النفسية أثر مشاهدته لها للوهلة الأولى[2] .

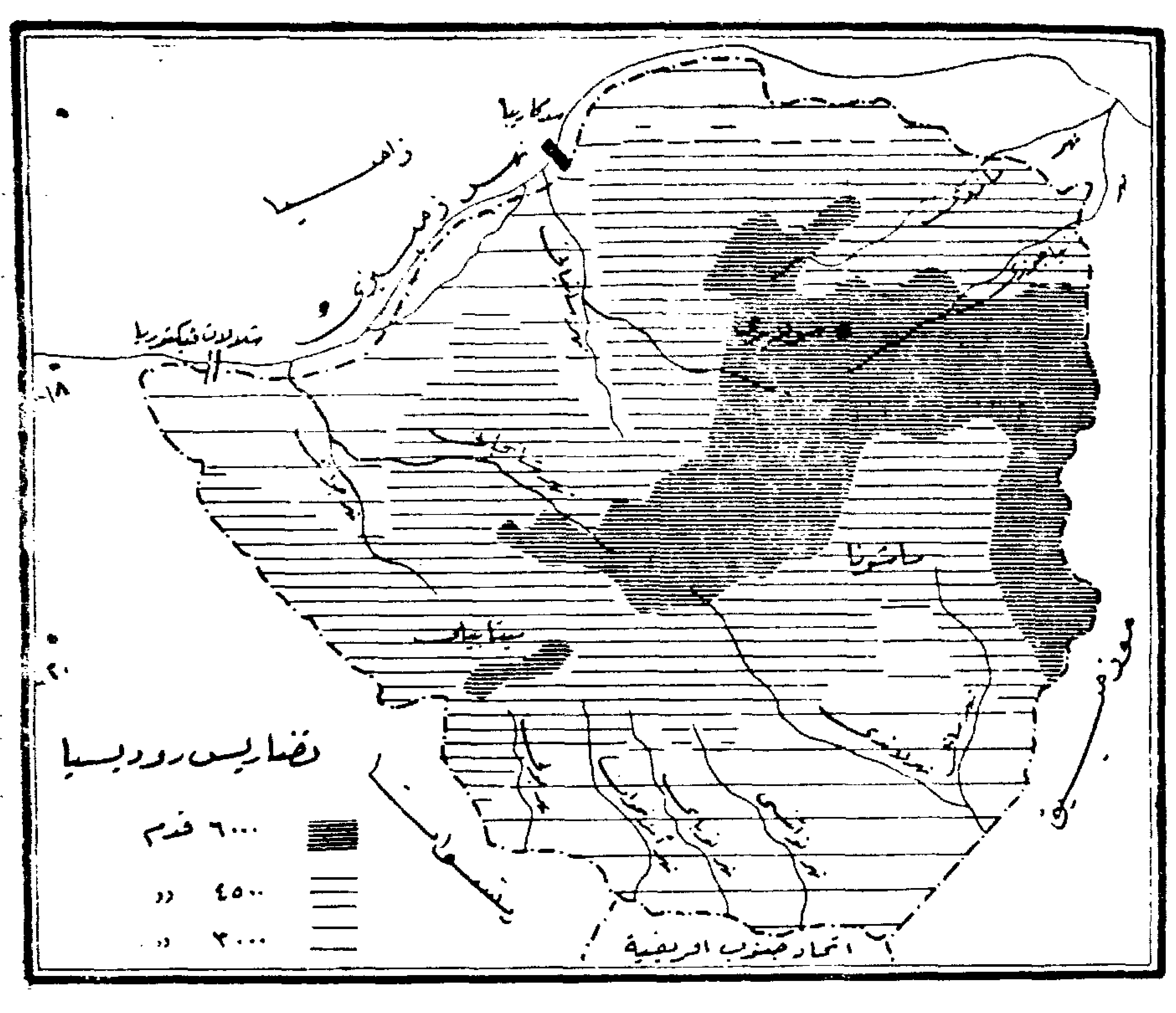
وقد أقيم على هذا النهر سد كاريبا الذى تم تنفيذه فى عام ١٩٥٩ [3] .

---

(١) Waugh, Evelyn : Tourist inAfrica (New York, 1960) P. 149

(٢) Livingstone, David : Missionary Travels & researches in South Africa (1857) P.P. 51—525

(٣) طول جسم السد ٤٢٠ قدما وعرضه ½ ميل تقريبا وتبع إقامته نشأة — بحيرة مساحتها ٢,٠٠٠ ميل مربع وقدترتب عليه تهجير عدد كبير من السكان من الأماكن التى غمرتها مياه السد ، والهدف الأساسى من السد إمداد منطقة(الحزام النحاسى) بقوة كهربية ضخمة تيسر عمليات الاستغلال الاقتصادى التى يحرص عليها المستعمرون الأوربيون .



(شكل ٢)

وبالطبع تختلف درجة الحرارة كما تختلف كميات التساقط (أى الأمطار) تبعاً للإرتفاع وللموقع ، ولذلك اختار المهاجرون الأوربيون المناطق المرتفعة المعتدلة المناخ تاركين المناطق المنخفضة الحارة والتى تنتشر فيها الأمراض للإفريقيين .

ويسقط المطر هنا فى فصل الصيف (الجنوبى) فى الفترة ما بين شهرى نوفمبر ومارس ، بينما يسود الجفاف باقى شهورر السنة ومتوسط المطر ما بين ٢٥ ، ٣٠ بوصه سنويا ، ويلاحظ أن أكثر شهور السنة حرارة ليست هى شهور الصيف ، لكن ترتفع درجة الحرارة بشكل ملحوظ فى فترة الجفاف التى تسبق موسم المطر ، والمطر عامل رئيسى فى تحديد الإنتاج الزراعى[1] .

---

(١) Black, Colin : The Lands & People of Rhodesia & Nysaland (London 1961) P. 23

ومن جهة النبات الطبيعي تغطى حشائش السافانا مساحات واسعة من روديسيا كما تغطى مساحات كبيرة الغابات التي تستغل أخشابها في صناعة الأثاث والصناعات الخشبية الهامة الأخرى بالاضافة إلى استخدامها كوقود ولأغراض التعدين ، ولذا فقط قطعت كثيرمن الأشجار بغير نظام ودون أن يزرع بديل لها مكانها وساعدت الحرائق- التي كثيراً ماكانت تنشب في الغابات ويتعذر أخمادها إلابعد أن تأتي على مساحات واسعة منها على إهدار هذه الثروة الطبيعية . ولذا نجد المتنقل في بعض غابات روديسيا التحذير التالى « شجرة واحدة تعمل مليون عود ثقاب - لكن عود ثقاب واحد يمكن أن يقضي على مليون شجرة [1] » .

أما عن الإنتاج الزراعى فيختلف تبعاً لكمية المطر وأهم الغلات الزراعية : الفاكهة ، والشاى ، والبن ، والذرة ، والطباق ، والقطن ، والحبوب ، وقصب السكر .

وترعى الماشية في المناطق التي تصلح للرعى والتي تتوفر بها المراعى الطبيعية من السافانا ومراعى الفلد الصالحة لتربية الكثير من الحيوانات ، وتعتبرروديسيامن أكبر الدول المصدرة للثروة الحيوانية ومنتجاتها . وقد أدخل الأوربيون أنواعاً جديدة من الماشية التي اشتهرت باعطاء كميات وفيرة من الألبان . كما أدخلوا رعى الخيل والخنازير [2] . وللزراعة والرعى مكانة هامة في حياة الإفريقيين في روديسيا كما في مناطق كثيرة في القارة الإفريقية - فنظرتهم للأرض وللماشية تختلف اختلافاً كلياً عن النظرة الاستقلالية التي ينظر بها الأوربى لها ، فالأرض ملك للقبيلة منها تستمد سلطانها في السلم أو الحرب ، كما أنها ترتبط بعقيدة روحية لديهم فهى المكان الذى تأوى إليه أرواح الأسلاف .

ولذا كان اغتصاب الأوربيين لأراضى الإفريقيين واستغلالها لإنتاج الغلات التجارية (كالطباق ، والشاى ، والفاكهة ، والقطن) دون مراعاة لتقاليد الإفريقيين وحاجاتهم مثار غضبهم وحقدهم على الأوربيين الدخلاء [3] .

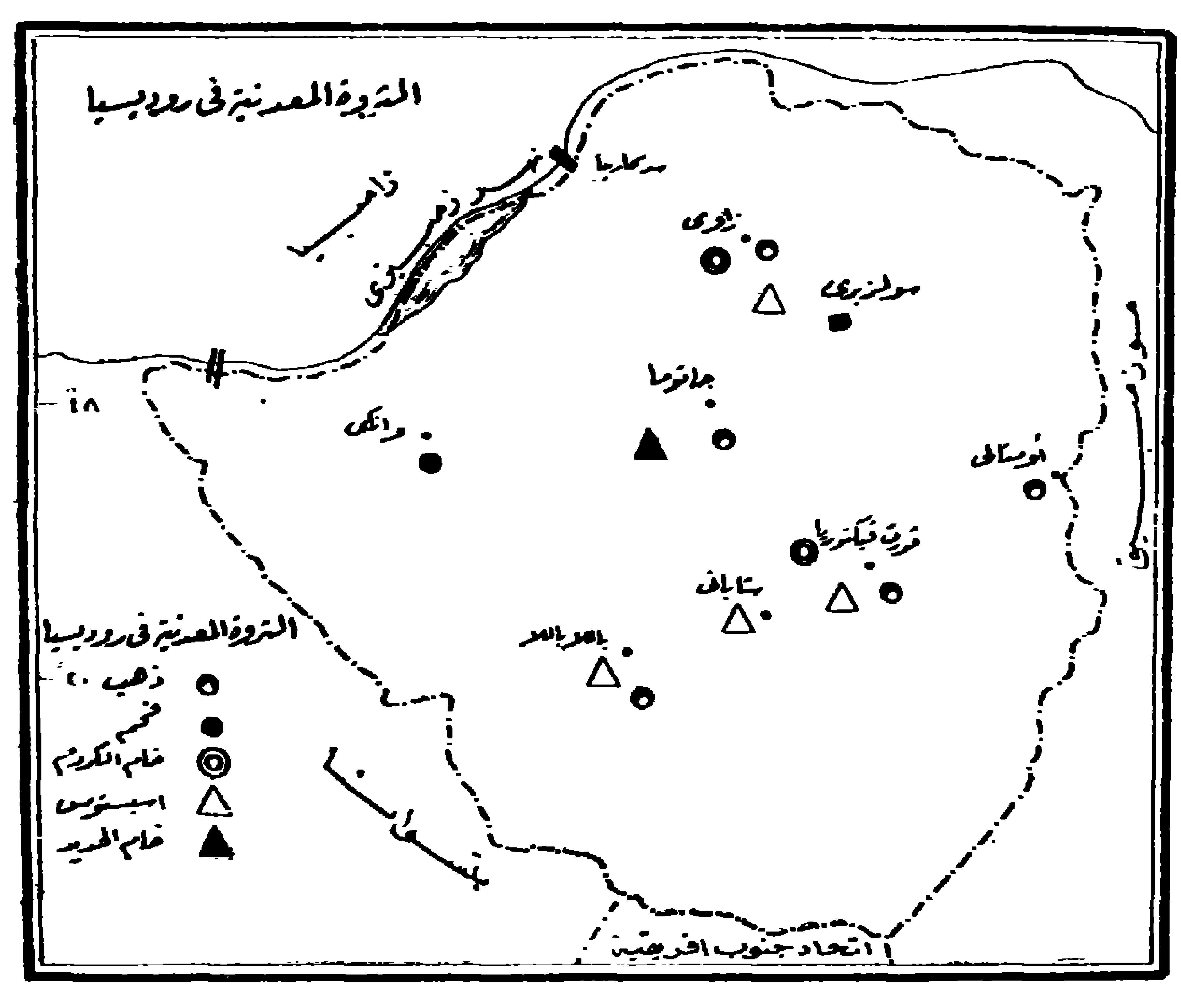
---

(١) Maurette, Fernand : Geographie Universelle Tome XII (Paris 1883) P. 263.

(٢) Kuper, H. : The Shona & Ndebele of Southern Rhodesia (London 1954) P. 20

(٣) أنظر التقارير السنوية عن الانتاج الزراعى الروديسى التى تصدرها وزارة الاقتصاد .
Ministry of Economic Affairs Salisbury : Economic Report

وتمثل الأسماك مورداً من الموارد الهامة للبروتين لأن الروديسي – كما ذكرنا – حريص على الإحتفاظ بماشيته رمز جاهه وثروته ، ومن عادات الأهالي تجفيف الأسماك في الشمس أو النار ليتيسر الاحتفاظ بها مدة طويلة .



(شكل ٣)

وشهرة روديسيا في التعدين ليست حديثة ، ولا يرجع الفضل فيها – كما قد يتبادر للذهن – للمستعمرين الأوربيين ، فقد ذاعت القصص عن شهرة هذه البلاد (بالذهب) ، فقد قيل إن كنوز الملك سليمان التي أشتهر بها جاء الكثير منها من روديسيا وأن ملكة سبأ أتت من أرض سابي التي يجرى فيها نهر سابي ، وقد دلت الآثار على أن (الحديد) و (النحاس) كانا معروفين منذ زمن بعيد في هذه البلاد وكان السكان يصنعون منهما بعض لوازم حياتهم (١) .

وقد أكد الجيولوجي الألماني كارل ماوخ (Carl Mauch) في عام ١٨٦٦ وجود الذهب بروديسيا ، كما يرجع إليه الفضل في لفت أنظار العالم إلى آثار زمبابوى

(١) Ger'rude, Sarah : Rhodes (London 1933) P. 10

(Zimbabwe) وإلى أهميتها فى الكشف عن معالم الحضارة القديمة للشعب الإفريقى الذى سكن هذه البلاد .

ومن المعادن الهامة الأخرى التى كشف عنها فى روديسيا – الاسبستوس ، والكروم ، والفحم أو الحديد ، والنحاس إلى جانب معادن أخرى مثل الجرافيت ، والميكا ، والبريليوم ، والليثيوم ، والقصدير[1] .

ويتضح لنا مما سبق أن المواد الخام الزراعية والمعدنية متوفرة فى روديسيا ، هذا بالإضافة إلى الأيدى العاملة ، ورؤوس الأموال الأجنبية التى تدفقت على البلاد بهدف الاستغلال ، كما توفرت الطاقة المحركة لوجود الفحم بكميات كافية ، ولاستغلال مساقط المياه على نهر زمبيزى بعد إقامة (سد كاريبا) . وكل هذا يتيح الفرص لنجاح مشروعات التصنيع بها .

وتحتل الصناعات المعدنية وخاصة صناعة الحديد والصلب مركزاً هاماً فى اقتصاد البلاد ، كما قامت الصناعات الغذائية ويتركز الإنتاج الصناعى فى المدن الكبرى مثل سولزبرى (Salisbury) وبولاوايو (Bul awayo) .

ومن تحليلنا لجداول الصادرات والواردات ومن التقرير الإقتصادى الذى تصدره وزارة الاقتصاد الروديسية يتضح لنا ما يلى : –[2]

١ – يعتبر الدخان ، والجلود المدبوغة . والذرة ، والأخشاب فى مقدمة الصادرات من الإنتاج النباتى والحيوانى – والأسبستوس ، والكروم ، والذهب ، والنحاس من الإنتاج المعدنى .

٢ – الدول الهامة التى يجرى معها التعامل التجارى هى : دول الكومنولث ، والبرتغال ومستعمراتها (موزمبيق وأنجولا) . وألمانيا الغربية ، وإيطاليا ، والهند ، واليابان وفرنسا .

٣ – منذ سنة (١٩٥٨) دخلت إسرائيل ى عداد الدول المشتركة فى نطاق هذا التبادل التجارى وعقدت معها إتفاقيات إقتصادية كتلك التى عقدت مع اتحاد جنوب

---

(١) Stamp, Dudley: Africa—A Study of Tropical Development (N.Y. 1959) P.432.

(٢) أنظر التقرير الاقتصادى (Economic Report) الصادر عن وزارة الاقتصاد الروديسى والأرقام الخاصة به لعام (١٩٦٥) .

إفريقيا بهدف معاملة هذه البلاد معاملة خاصة تتيح لها الأولوية فى مجال النشاط الإقتصادى ، وحجم التبادل التجارى مع البلدين يسجل تزايداً مستمراً عاماً بعد عام.

وأهمية هذه الدراسة للاقتصاد الروديسى فى موضوع بحثنا هذا ترجع إلى أن أنها تعطى فكرة عن أثر المقاطعة الإقتصادية على الحكومة العنصرية فى روديسيا لو طبقت هذه المقاطعة بحزم ودقة ، كما توضح الدور الذى تلعبه بعض الحكومات الاستعمارية كالبرتغال . وجنوب إفريقيا وإسرائيل فى إفساد فاعلية قرارات المقاطعة التى أصدرتها الأمم المتحدة ضد حكومة الأقلية العنصرية فى روديسيا التى ستتحدث عنها فيما بعد[1] .

وقبل مجيء الأوربيين إلى روديسيا كان الوطنيون يستخدمون الطرق البرية فى تنقلاتهم ورغم وعورة هذه الطرق فقد اعتادوا عليها . لكن الأوربيين طوروا وسائل النقل لتساير أهدافهم الإقتصادية فمهدت عدة طرق برية لتيسير نقل الخامات المعدنية لأماكن التصنيع والتصدير . كما مدت الخطوط الحديدية لتسهيل السيطرة على الإقليم وربطه بالخطوط الحديدية التى تصل إلى موانى جنوب إفريقيا كما ربطت المدن الهامة فى روديسيا بخطوط تلغرافية . وقد أنشىء فى كل من (بولا وايو) ، و (سولزبرى) مطار دولى[2] .

وإذا كان استنزاف ثروة البلاد من أهم الدوافع التى دفعت الأوربيين للاهتمام بتيسير وسائل النقل والمواصلات وربط هذه البلاد بالبلاد الأخرى المجاورة — فاننا لا يمكن أن نقلل من أثر وسائل النقل والإتصال المختلفة فى فتح عيون المواطنين الإفريقيين فى روديسيا إلى ما يدور حولهم فى البلاد الإفريقية الأخرى بل وفى العالم الخارجى .

ثانيا : التطور التاريخى والحضارى لروديسيا

مر تاريخ الشعوب التى سكنت روديسيا فى مراحل أهمها :

---

(١) أنظر تقرير اللجنة الخاصة للأمم المتحدة (Special Committee) عن النشاط الاقتصادى الأجنبى فى روديسيا الجنوبية والصادر فى أكتوبر ١٩٦٦ .

(٢) Hailey Lrod : An African Survery (London 1957) P. 1593

١ ـ المرحلة الأولى فى العصور السابقة للميلاد :

وكشف النقاب عن التاريخ الماضى للشعب الإفريقى فى روديسيا وعن المظاهر الحضارية لهذا الشعب قبل أن ينكب بالاستعمار ، يعتبر أمراً كريها لدى المستوطنين البيض بل هو مصدر رعب بالنسبة لهم لأنه يرتبط فى ذهنهم بما يطالب به الإفريقيون من حق الأغلبية فى الحكم بينما يرتبط هذا التاريخ فى ذهن الأفريقى بماضيه المجيد ومقومات قوميته وحضارته وآماله فى مستقبل سعيد[١] .

وتعتمد الكثير من معلوماتنا عن تاريخ الشعوب التى عاشت فى هذه المنطقة فى الفترة السابقة للاستعمار الأوربى على الآثار التى عثر عليها وعلى الروايات التى يرويها السكان عن أسلافهم وعلى الأساطير التى تشير لمعتقداتهم بالإضافة إلى كتابات الرحالة .

ولعل أول دليل على حضارة وحياة السكان الأوائل لهذه البلاد يتمثل فى الرسوم الجميلة الملونة التى عثر عليها على جدران أكثر من (١٥٠٠) كهف فى روديسيا وهى تدل على مرحلة حضارية متقدمة وعلى فن إفريقى أصيل . فمن دراسة هذه المناظر نستطيع أن نكون فكرة عن حياة هؤلاء السكان ، ونظامهم الإجتماعى . وتقاليدهم ، وحيواناتهم [٢]ــ وقد لجأ الفنان الروديسى إلى صقل الاحجار وفى بعض الأحيان تغطيتها بعجينة ملساء تسهل الرسم عليها ، ويبدو أن الأدوات التى استخدمت فى الرسم هى ريش الطيور وقطع الأخشاب المدببة ، أما المواد التى استخدمت فى التلوين فلعلها أخذت من جذور بعض النباتات بالإضافة إلى مساحيق صنعت من طحن بعض الصخور ومن التربة ذاتها التى تحتوى على بعض المعادن وقد ظهر فى رسومهم اللون الرمادى ، والأصفر ، والأحمر ، والأبيض واللون الأسود الذى ربما حصلوا عليه من الفحم النباتى بينما كان اللون الأزرق نادر الاستخدام ولم

---

(١) Mtshali, Vulindela : Rhodesia; Background to Conflict (London 1968) P.P. 16—19

ــ ملاحظة : مؤلف هذا الكتاب من قبائل (الزولو) فى جنوب أفريقيا ، وقد تخصص فى دراسة الحركات القومية فى جنوب أفريقيا ، وحصل على درجة الماجستير فى العلوم الاجتماعية من معهد الدراسات الأجتماعية فى نيويورك (Institute of Social Studies) ، ويعد رسالة للحصول على الدكتوراه فى العلوم السياسية .

(٢) Brelsfort, : Op. Cit. P. 33

يظهر أثر للون الأخضر فقد كانت الأشجار تلون بلون ذهبي باهت ، وقد بدت فى بعض الأشكال محاولات للتعبير عن الحركة بل لقد تغلب الفنان الروديسى على بعض العقبات التى واجهت الفنان الأوربى فيما بعد كرسم المنظور ومراعاة المسافة[1].

ويرجح بعض المؤرخين أن هذه الآثار الفنية ترجع إلى (البوشمن) ، ويذهب هؤلاء إلى أنهم كانوا منتشرين فى هضبة روديسيا منذ وقت بعيد قد يصل إلى القرن الخامس قبل الميلاد ، لكنهم تحت ضغط موجات أخرى اجتاحت المنطقة اضطروا للهجرة ولم يبق من نسلهم إلا بقايا البوشمن الذين يوجدون اليوم فى صحراء كلهارى وقد تأقلموا على مضى الزمن بالبيئة الجديدة .

ويذهب البعض الآخر من المؤرخين إلى أن السكان الذين تركوا آثارهم فى هذه الكهوف لم يتركوا البلاد نهائيا بل اندمجوا فى هجرات أخرى من أجناس جديدة وفدت على المنطقة[2] .

ولا شك فى أن هذه اللوح الفنية التى تركها سكان روديسيا الأوائل على كهوفهم تحتاج لدراسة أكثر عمقاً ، فمثل هذه الدراسة يمكن أن تعطى صورة أوضح عن خصائص البيئة التى كانوا يعيشون فيها وعن مظاهر حياتهم المختلفة .

وهناك سؤال يلح على المشاهد لهذه الآثار الفنية وهو — ما الدافع الذى دفع الروديسى لأن يسجل هذه المناظر على الأحجار وبهذه الكثرة الغريبة ؟

هل ترتبط هذه الرسوم بالنظام (التوتمى) أو ببعض معتقداتهم ، أم أن الفنان الروديسى كان فى هذه الرسوم فنانا أصيلا يعبر عن انفعالاته أكثر من أى شىء آخر أو يرسم الفن ذاته (L'art pour L'art) ؟

٢ — المرحلة الثانية — فى العصور الميلادية الأولى :

منذ طلائع القرن الأول الميلادى وفد على روديسيا قوم جدد أخذوا يشاركون (البوشمن) فى هذه المنطقة ، ويبدو أن دخولهم فى هذه البلاد كان فى موجات وتم بطريقة سلمية ، ويدل عليهم التغير الواضح فى النقوش والرسوم التى وجدت على

---

(١) Ransford, Oliver : The Rulers of Rhodesia from Earliest Times to the Referendum. (London 1968) P.P. 14 & 15.

(٢) Ransford, Oliver : Op. Cit. P. 748.

الكهوف ، ويبدو أن هؤلاء الوافدين الجدد كانوا يعيشون فى أكواخ وأنهم كانوا على دراية باستغلال المعادن فصنعوا منها الكثير من أدواتهم ، وأنهم كانوا يمتازون عن السكان السابقين بطول القامة وميل البشرة إلى السمره وإن كانت لا تبدو فيهم الصفات الزنجية . وقد ربط بعض المؤرخين بين هؤلاء القادمين الجدد وبين (الهوتنتوت) وذكروا أنهم يمثلون هجرة جديدة من مناطق البحيرات الوسطى فى إفريقيا إلى روديسيا ، بينما رأى آخرون أن التغير الذى طرأ على المنطقة لا يعدو أن يكون مرحلة حضارية متقدمة من المراحل التى مر بها (البوشمن) أنفسهم وأنهم كانوا من المرونة بحيث استطاعت جماعة منهم أن تنتقل من العصر الحجرى إلى عصر المعادن ومن الجمع والصيد والتنقل المستمر إلى الرعى والاستقرار النسبي — ويعتبر هذا بداية شهرة هذه البلاد بالذهب ، والعاج ، وشجع هذا العرب والهنود والصينيين للقدوم للساحل الشرقى لإفريقيا فى انتظار مبادلة بضائعهم بالذهب والعاج الروديسى .

٣ — المرحلة الثالثة — هجرات البانتو لهذه البلاد :

منذ القرن التاسع الميلادى — نلمس بوضوح أن النقوش الفنية للروديسين الأوائل نبدأ تفقد طابعها الأصيل ، ويظهر فيها عامل السرعة والعجلة ، ويستطيع المدقق أن يحكم بيسر على أنها تمثل فترة قلق واضطراب ، ولعل هذا يرجع إلى تعرض المنطقة لغارات الزنوج (البانتو) الذين زحفت جحافلهم على المنطقة فأفقدتها هدوءها .

وأدت هذه الغزوات إلى انقراض معظم سكان هذه البلاد اللهم إلا القلة التى استطاعت أن تهرب للمناطق الوعرة ، وقد اصطدمت هذه القلة فيما بعد بالمستعمرين الأوربيين ، والعجيب أن الأوربيين الذين حرصوا على سن القوانين التى تكفل الحفاظ على بعض الحيوانات التى أدركوا أنها على وشك الإنقراض لم يهتموا بالحفاظ على أحفاد هذا الشعب العريق .

٤ — أمبراطورية المونوماتابا (Monomatapa) :

كان تدفق البانتو على هذه البلاد على شكل موجات بدأت صغيرة لكن

بالتدريج زادت كثافة ، وتعتبر هذه الهجرات من أبرز الهجرات المعروفة فى التاريخ وكان تأثيرها على التكوين السكانى والحضارى على جنوب القارة الإفريقية كله عميقاً وقوياً .

وفيما يختص بروديسيا فقد استطاعت إحدى هذه القبائل المهاجرة المعروفة لقبائل الكارنجا (Karanga) أن تبسط نفوذها على منطقة الميتابلى (Metabele Land) ثم بسطت نفوذها على منطقة الماشونا (Mashona) فى الشمال والشرق ، واستطاع زعماء الكارنجا أن يفرضوا سلطانهم على القبائل المنتشرة شمالا حتى قرب نهر الزمبيزى ، واستمروا يتوارثون حكم هذه المناطق عدة قرون .

ومنذ منتصف القرن الخامس عشر شهدوا سلسلة من الحروب ترتب عليها مد سلطانهم أيضاً حتى ساحل المحيط الهندى وبذا أصبحوا يحكمون المنطقة التى تشمل معظم روديسيا الحالية وجزءا كبيراً من جنوب (موزمبيق) ، وأصبحت حـــدود امبراطوريتهم يمتد من نهر الزمبيزى شمالا إلى نهر (لمبوبو) جنوبا ومن المحيط الهنـــدى شرقا إلى نهر جواى (Gwai R.) غرباً ، وتعاقب على حكم هذه البلاد عدد كبير من الحكام ونقلوا عاصمتهم إلى سفوح تلال تشيتاكو (Chiako) وأختير تل مرتفع منها كمدفن للزعماء المتوفين وأصبح يطلق عليه لفظ (Zimbabwe) وهى يعنى بلغتهم مدافن الزعماء (ground of the Chiefs The Burial) [1] .

ولم يكن فى استطاعة أمبراطور المونوماتابا أن يدير بمفرده شئون هذه المنطقة الواسعة التى إمتد إليها سلطانهم فقسمت البلاد إلى ست ولايات على كل منها حاكم ، وقد وصلت إمبراطورية المونوماتابا إلى قمة مجدها فى القرن الخامس عشر ونهضت منها الصناعة حتى إنه قيل إن بصفة الآلاف من الهنود كانوا يساهمون فى استغلال مناجم الذهب بها وأن ما يقرب من ١٠,٠٠٠ تاجر عربى مسلم كانوا يستقرون بها ليمارسوا عملية التبادل التجارى وليكونوا حلقة الاتصال بين إخوانهم فى الجزيرة العربية وبين سكان هذه البلاد الإفريقية وقد أعطى لنا الرحالة البرتغاليون — الذين أخذوا يترددون على هذه الإمبراطورية منذ القرن السادس عشر — صورة

(١) أطلق اسم (زمبابوى) على أكثر من مدينة حيث كانت تنقل العاصمة ومدفن الزعماء ، لكن يطلق الاسم اليوم فقط على العاصمة القديمة بالقرب من حصن فكتوريا (Fort Victoria) .

عما وصلت إليه من العظمة والتقدم ، فوصفوا لنا القصر الإمبراطورى فى زمبابوى وما به من تحف وسجاجيد وأوانى خزفية ونحاسية والحصون الحجرية المنتشرة فى أنحاء الإمبراطورية حيث كان الإمبراطور يحتفظ بحامياته لحماية المناجم والطرق التجارية المؤدية للساحل ، كما ذكروا أن المراعى كانت فى هذه الإمبراطورية عامرة بالحيوانات ، والمزارع مملوءة بالحبوب والفواكه ، وكان يصاد منها سنويا ما لا يقل عن ٥٠,٠٠٠ فيل ، وأن جيش الإمبراطورية كان يصل فى وقت الحرب إلى ١٠٠,٠٠٠ مقاتل مسلحين بالسيوف والأقواس والسهام ، وذكروا أن جزء من دخل الإمبراطورية كان مخصصاً للعناية بالفقراء والمعوزين [١] .

وقد ظلت هذه الإمبراطورية قائمة لكن عوامل الضعف زحفت عليها حتى أصبحت تحت رحمة المستعمرين الأوربيين بالاضافة لغارات القبائل الإفريقية الأخرى الطامعة فى ثروة هذه الإمبراطورية الفتية .

٥ — محاولات البرتغاليين مد نفوذهم لهذه البلاد :

افتتح البرتغاليون — كما نعلم — صفحة الإستعمار الأوربى الحديث ى القارة الإفريقية بنزولهم فى ساحل المغرب واحتلالهم قلعة سبته Cetta فى عام ١٤١٥ . وتتابعت رحلاتهم بعــد ذلك حتى قام فاســكودا جاما (Vasco Da Gama) فى عام ١٤٩٧ برحلته الشهــيرة التى عبر فيها رأس الرجاء الصالح إلى الساحل الشرقى للقارة ، ومن ثم تتابعت رحلات البرتغال للساحل الشرقى بقصد تثبيت أقدامهم فى هذه السواحل الإفريقية ومحاولة القضاء على نفوذ العرب الذين كانت لهم السيادة التامة على طريق التجارة ويعملون كوسطاء فى نقل منتجات الهند والشرق الأوسط إلى إفريقيا . واستولى البرتغاليون على الموانى والإمارات الغربية بشرق

---

(١) كان أول أوربى يدخل هذه البلاد وكتب انطباعاته عنها هو أنطونيو فيرناندر البرتغالى فقد أوفدته حكومة البرتغال فى عام ١٥١١ لزيارة أمبراطورية المونوماتابا وبحث أمكانيات التبادل التجارى بينها وبين البرتغال .

— أنظر Tracey H. : Antonio Fernandes (Lourenco Marques 1940) وكذلك قام دوارت بربروسا Durte Barbarosa بعد رحلة فاسكودا جاما الشهيرة برحلته إلى الامارات العربية بساحل إفريقيا الشرق وتوغل بعض الشيء فى الداخل وتحدث عن أمبراطورية المونوماتابا وما شاهده فيها وما سمعه عنها .

— أنظر Keatley, Patrick : The Politics of Partnership (London 1965) P.P. 57—59.

إفريقيا ، وفى سنة ١٥٠٩ عينوا حاكماً عاماً لمستعمراتهم فى شرقى إفريقيا ومن ثم أخذت أنظارهم تتجه إلى إمبراطورية المونوماتابا التى ذاعت شهرتها وأخبار ثرائها [١] .

وقد مهدت رحلة (انطونيو فرناندز) التى أشرنا إليها سابقاً الطريق أمام البرتغال لهذه المملكة الإفريقية فبدأ نشاطهم التجارى والتبشيرى فى هذه المنطقة ، وممن وفد إليها من المبشرين البرتغال القس دى سلفيرا (Don Concalo Da Silviera) الذى وصل إليها فى عام (١٥٦٠) وقابل الإمبراطور الذى سمح له بالتبشير فى بلاده لكن بعض المقربين للإمبراطور أقنعوه بأنه ساحر وجاسوس يمهد الطرق لحملة غزو برتغالية ضده وانتهى الأمر بقتله ، وأثار مقتل (دى سلفيرا) ضجة فى البرتغال وانتهز الملك (سيباستيان) الفرصة فأعد حملة لغزو هذه البلاد وأقلعت الحملة من لشبونة فى عام (١٥٦٩) وكان من ضمن المرافقين للحملة شخصان هما مونـكلارو (Monclaro) ودى فاريا (De Faria) نخصهما بالذكر لأنهما قاما بتسجيل (يوميات) دقيقة عن أحداث هذه الحملة وهى تعطينا فكرة عن أحوال هذه البلاد فى ذلك الوقت[٢] .

وقد اقترف البرتغاليون أعمالا وحشية ضد المواطنين والمسلمين فى المناطق التى مرت بها حملتهم ، واستطاعوا أخيراً أن يجبروا الإمبراطور على التوقيع على معاهدة تترك لهم بموجبها حرية العمل لاستغلال مناجم الذهب فى بلاده على أن يتكفلوا بحماية عرشه — لكن البرتغاليين الذين كانوا يظنون — كما قال أحد الكتاب المرافقين للحملة — إنهم سيغرفون من الذهب بأيديهم كما يشاءون — من مناجم منطقة مانيكا (Manica) أصيبوا بخيبة أمل [٣] .

---

(١) للدراسة التفصيلية لنشاط العرب فى السواحل الشرقية للقارة الافريقية وفى المناطق الواقعة خلف هذه السواحل فى ذلك الوقت .

أنظر : شوقى الجمل : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها (١٩٧٠) ص ٣٥ — ٤٧ .

(٢) قام تيل (Teal) بترجمة مقتطفات من هذه المذكرات ونشرها فى Records of South Eastern Africa وقد تحدث أيضا بالتفصيل عن أخبار هذه الحملة البرتغالية :

Welch, S.R. : South Africa under King Sbastian (Cape Town 1949).

(٣) من أقوال دى فاريا De Feria — مؤرخ الحملة البرتغالية .

ويمثل منتصف القرن السابع عشر قمة النفوذ البرتغالى فى بلاد (المونوماتابا) ، ومنذ النصف الثانى من هذا القرن بدأ النفوذ البرتغالى يضعف حتى انتهى الأمر بانسحاب البرتغال من هذا الميدان تاركين إياه لغيرهم من الدول الاستعمارية الأخرى

ولعل وصول فان ريبيك (Van Reibeek) الذى أرسلته شركة الهند الشرقية الهولندية على رأس بعثة من ثلاث سفن إلى نقطة خليج تيبل (Teble Bay) فى أبريل ١٩٥٢ ووضعه نواة محطة لتموين السفن حيث تقوم مدينة كيبتون (Cape Town) الحالية تعتبر النقطة الحاسمة فى هـــذا التحول فقد بدأت أعداد من الهولنديين تتدفق على هذه البلاد وتستقر فى المناطق الصالحة للزراعة والاستغلال فكان هذا بداية لنفوذ البوير ونشاطهم فى جنوب إفريقيا .

٦ — مملكة الميتابلى (Matabele) :

تعرضت أمبراطورية (الموتوماتابا) لغارات قبائل إفريقية أخرى هى قبائل الروزوى (Rozwi) المحاربة ، واستطاعت هذه القبائل فى أواخر القرن السابع عشر أن تسقط هذه الإمبراطورية وأن تفرض سلطانها على هذه البلاد واتخذ زعماء هذه القبائل الغازية من مدينة زمبابوى العظيمة (Great Zimbabwe) [1]مقراً لحكمهم.

(١) ترتبط المدينة فى ذهن الروديسيين الوطنيين بمجدهم التالد وتاريخهم القوى ، فهى ترمز إلى ماضيهم المجيد وبالتالى للمستقبل المرتقب ، ولعل هذا هو السبب فى أنه حتى الاحزاب الوطنية الحديثة حرصت على أن تنسب لهذا الاسم العريق فقام اتحاد شعوب زمبابوى الافريقية (Zimbabwe African Peoples' Union) ويرمز له بالحروف الأولى زابو Zaupu ، واتحاد زمبابوى الافريقى القومى (Zimbabwe African Nationalist Union) زانو Zanu . وقد كشف صياد يدعى آدم ريندرز (Adam Renders) صدفة فى عام ١٨٦٨ عن بعض آثار زمبابوى فى المنطقة الواقعة على بعد ١٧ ميلا جنوب شرق حصن فكتوريا ، إذ عثر على (برج) مقام على أحد التلال وارتفاعه يبلغ ٢٤ قدما ، كما عثر على مرأى من هذا المكان فى وادى المنخفض على بقايا منازل تدل على قيام مدينة قديمة وصفها ريدر هجرد (Rider Haggard) فى قصته الشهيرة كنوز الملك سليمان (King Solomons Mines) — وعثر فى أرض منبسطة ليس بعيداً عن هذه الآثار على مبنى بيضى الشكل من حجر الجرانيت له حوائط سميكة ، وقباب مخروطة الشكل وقد نحتت له ممرات وسلالم وجزء من البناء مسقوف بينما باقى البناء عبارة عن فناء واسع ، كما عثر على أوانى يعتقد أنها كانت معدة لصهر الذهب ، وقد نقلت بعض الآثار والأحجار التى عثر عليها إلى متاحف الغرب وبعضها حفظت فى متحف بولاوايو. وقد كثرت التكهنات حول هذه الآثار فقد ذهب البعض إلى أنها ترجع إلى شعوب غربية وفدت على هذه المنطقة بينما يشير البعض الآخر إلى أنها قد تكون لشعوب أفريقية لكنها تأثرت بحضارات أخرى وفدت من مصر أو من بابل أو من شبه الجزيرة العربية—على كل لا تزال =

على أن مجموعة من القبائل الزولو (Zulu) التى اشتهرت بالمهارة فى فنون الحرب والقتال بقيادة مزيلكازى (Mzilikazi) لم تلبث أن زحفت على هذه البلاد واستقرت بها ، ويقال أن زحف هذه القبائل كان تحت ضغط قوات البوير الذين كانوا قد زحفوا من (مستعمرة الكيب) بعد أن ضيق عليهم الإنجليز الخناق ، واستقر (مزيلكازى) وأتباعه فى عام (١٨٣٧) بالقرب من مدينة بولاوايو (Bulawayo) ولم يجدوا مقاومة تذكر فى بسط نفوذهم على هذه المنطقة التى تشمل معظم حدود روديسيا الجنوبية حالياً ، وقد أطلقت عليهم القبائل المعادية لفظ المتابلى (Matabele) لكنه أصبح بعد ذلك علماً عليهم [1] .

وكان (مزيلكازى) الذى حكم هذه البلاد حتى عام ١٨٦٨ حريصاً فى البداية على ألا تطأ قدم أوربى بلاده ، لكن استطاع فريق من المبشرين ، ومن المغامرين الأوربيين أن يحطم هذا السياج الذى أحاط الملك به بلاده .

وكان المبشر د . روبرت موفات (Dr. Robert Moffat) فى مقدمة الذين استطاعوا أن يتقربوا للملك وأن ينالوا ثقته ، وكان ممن فتحوا الطريق أمام الأطماع الأوربية فى هذه البلاد ، كذلك هنرى هرتلى Henry Hartley ممن سمح لهم الملك بصيد الفيلة وقد كان أول من اكتشف وجود الذهب فى صخور المنطقة التى يصطاد فيها وأكدت أبحاث الجيولوجى كارل ماوخ (Karl Mauch) بعد ذلك هذه الحقيقة .

واستطاع المستكشف الجغرافى دكتور دافيد ليفنجستون (Dr. David Levingston) زوج إبنة الدكتور (روبرت موفات) أن يزور هذه البلاد معتمداً على المكانة التى

= المنطقة تحتاج لدراسات أخرى ولعمل حفريات فى هذه المناطق الأثرية .

– أنظر : Hensman Howard : A History of Rhodesia complied from officialssources. (Edinbur 1900) P. 9

– كذلك Mtshali, Vulindela : Rhodesia Background to conflict (London 1968) PP. 19 & 20

– كذلك Waugh, Evely : Tourist in Africa (N.Y. 1960) P. 149.

(١) لفظ (Matable) يعنى المتخفين وراء تروسهم الطويلة ، وبعض الكتاب ذكر أنه تحريف لاسمهم القبلى (Amandabele) .

أنظر : Frank, Thomas : The Struggle for Power in Rhodesia & Nyasaland. (London 1960) P. 10

كانت لصهره لدى الملك الإفريقى ، ونجح (لفنجستون) فى عام ١٨٥١ فى تتبع نهر زمبيزى لمصبه مكتشفاً ما أسماه اللورد كرزون (Lord Curzon) أكبر عجائب الأنهار فى العالم ، ولما اكتشف المساقط المائية التى تعترض مجرى النهر سماها (شلالات فكتوريا) على إسم ملكة إنجلترا فى ذلك الوقت وقد انتهت حياة لفنجستون بموته فى شمال غرب روديسيا قرب قرية تشيتامبو (Chitambo) وكانت رحلاته بداية تدفق البعثات التبشيرية على هذه البلاد (١) .

وقد ظهر خطر هذه البعثات التبشيرية والمغامرين الأوربيين الذين وفدوا للبلاد يطلبون التصريح لهم بالبحث عن الذهب وغيره من المعادن واستخراجها — فى عهد ابن مزلكازى بالذى استتب له الأمر فى مملكة والده فى عام (١٨٧٠) ولقب باسم لوبنجيولا (Lubengula) وقد اتخـــذ هذا الملك الشاب صديق والده المبشر (الدكتور روبرت موفات) مستشاراً له وعن طريقه وقع الملك عدة معاهدات تجارية ومنح عدة تصريحات للبحث عن المعادن لأجانب مختلفى الجنسية ، ولعل من سوء حظ (لوبنجولا) أن الأمر لم يقتصر على أطماع فردية لكن كان عليه أن يواجه الأطماع السياسية المتضاربة لثلاثة من دهاة الساسية فى ذلك الوقت هم بسمارك (Bismark) الزعيم الألمانى ، وكروجر (Kruger) زعيم البوير ، رودس (Rhodes) الإستعمارى البريطانى . وكانت المأساه التى أنهت حيـــاة الرجل بمثابة كارثة أصابت شعباً بأسره ولذا ارتبطت صورة الملك (لوبنجيولا) فى أذهان شعبه بصورة أبطال القصص الشعبى من أمثال أوديب (Odepius) وأخيل (Achilles) مع فارق أن بطل (الميتابلى) ليس خرافياً لكنه بطل حقيقى ويوجد حتى اليوم الآلاف الشيوخ الروديسيين الذين سمعـــوا فى طفولتهم قصصـــاً بطولية عن ملكهم الراحل والطريقة التى رحل بها من هذا العالم الملىء بالغدر لأنه لم يتحمل مشاهدة مآسى شعبه على أيدى الأوربيين الذين خانوا عهددهم للملك ، وذلك من أفواه أناس شاهدوا هذه الأحداث شهود العيان(٢) .

---

(١) Ransford, Oliver : The Rulers of Rhodesia from Earliest times to the Referendum (London 1968) P. 116

— ملاحظة : نشرت مذكرات لفنجستون عن رحلاته فى هذه الجهات :

(*a*) Livingstone, David : Narrative of an expedition, Zambese & its tributaries (1865).
(*b*) Livingstone, David: Missionary Travels & researches in South Africa(London 1867).

(٢) Keatly, Patrich : Op. Cit. P. 73.

٧ - بسط النفوذ البريطاني على روديسيا :

يرجع نفوذ بريطانيا فى البلاد إلى الإستعمارى البريطانى سيسل جون رودس (Cecil John Rhodes) ، وقصـــة مجيء رودس إلى هذه البلاد وهو فى سن السادسة عشرة للإستشفاء وإنضمامه لجماعة المغامرين الساعين للثراء عن طريق العمل فى حقل التعدين والذى ذكر هو أنهم يعانون من حمى الأحجار الكريمة (Diamond Fever) تشبه القصص المسرحية - ويعتبر رودس فى الحقيقة مثلا قوياً للنزعة الإستعمارية التى يتمـــيز بها (العصر الفكتورى) فى انجلترا فقد ظل لآخر حياته لا يمل من ترديد قوله المأثور وهو يشير بيده لخريطة إفريقيا « أريد أن أرى كل هذه ملونة باللون الأحمر «All Red—From Cape to Cairo» .

وتتبعنا للمراحل التى مرت بها علاقة انجلترا بروديسيا توضح الجذور التى منها نشأت قضية روديسيا .

مرت علاقة انجلترا بروديسيا فى أربع مراحل هامة نجملها فيما يلى :

أولا - فترة إدارة شركة جنوب افريقيا البريطانية (١٨٩٠ - ١٩٢٣) :

تبدأ هذه الفترة بنجاح رودس فى بسط نفوذه على مملكة الميتابلى ، وبقضائه على نفوذ الملك (لوبنجيولا) الذى أضطر للهرب من البلاد .

وقد بدأ اهتمام رودس بمملكة الميتابلى باقناعه حاكم مستعمرة الرأس ليرسل جون موفات (John Moffat) وهو ابن المبشر روبرت موفات (Robert Moffat) وكان مقربا للملك الإفريقى - ليعقد معه معاهدة صداقة تمهد لنفوذ بريطانى فى هذه البلاد وتضع حداً لنفوذ (البوير) وغيرهم من الذين بدأت أنظارهم تتجه لهذه المناطق .

ونجح موفات فى مهمته فعقد معاهدة عرفت باسمه (Moffat Treaty) أقر فيها الملك بروابط الصداقة التى تربط بين شعبه والشعب البريطانى وتعهد بألا يعقد أية معاهدة تمنح أى فرد أو دولة أجنبية أخرى أية حقوق فى بلاده دون إخطـــار سابق لممثل جلالة ملكة بريطانيا فى جنوب إفريقيا (١) .

---

(١) أنظر الاتفاقية فى Samkange, Stanlake : Origins of Rhodesia (London 1968) PP. 57 & 58.

على أن رودس وقد نجح فى تحقيق الخطوة الأولى نحو هدفه — وهو بسط النفوذ البريطانى على المنطقة التى يحكمها (لوبنجيولا) —أسرع باتخاذ الخطوة التالية فبعث فى عام ١٨٨٨ إلى (بولاوايو) بعثة على رأسها شارل دنيل رود (Charles Dunnel Rudd) لمحاولة الحصول على توقيع الملك على امتياز يكفل لشركة يكونها رود ورفاقه حق إستخراج واستغلال المعادن الموجوده فى حدود مماكته مع سلطة كاملة لعمل كل ما يلزم للحصول على هذه المعادن ، على ألا يمنح الملك إتفاقات مماثلة لمنافسين آخرين . وقد نجح رود بوسائله المختلفة وعن طريق الهدايا للملك وللمقربين إليه من الحصول على توقيع الملك على ما عرف بامتياز رود (Rudd Concession)[١].

واتجهت جهود رودس بعد ذلك إلى لندن فأرسل لوزارة المستعمرات البريطانية مطالباً بسرعة منحه التصريح بتأسيس شركة لإستغلال المناطق التى تمنحه الإتفاقية حق البحث عن المعادن فيها — وسافر رودس إلى لندن فى أبريل ١٨٨٩ وبذل جهوداً جبارة لدى أعضاء مجلس العموم والصحافة البريطانية ولاسكات أصوات المعارضين لمشروعاته من الجماعات الإنسانية (Humanitanans) وأعضاء الغرفة التجارية البريطانية والصحفيين وأقطاب المال والسياسة وغيرهم ، مستخدماً كل الأسلحة الممكنة من سلاح الرشوة إلى سلاح الترغيب أو التهديد ؛ وقد فضح أمر هذه الرشاوى وكان ذلك مثار ضجة فى البرلمان وخارجه باعتباره أسلوبا خطيراً للعمل فى المجلس النيابى ، وكان رودس يردد أنه يستطيع أن يكسب أى رجل إلى صفه وأن لكل رجل عنده ثمنه[٢] .

وكان الملك (لوبنجيولا) قد أخذ يرتاب فى النتائج المترتبة على الاتفاقية التى وقع عليها لأنصار رودس فأرسل بعثة إلى الملكة فكتوريا يستفسر عن أهداف

---

(١) للاطلاع على نصوص الاتفاقية المذكورة أنظر Ibid, P.P. 78 & 79

— كذلك نشرت نصوص الإتفاقية مع تعليقات عليها فى جريدة التيمس فى الكيب فى عدد ٢٤ نوفبر ١٨٨٨ (The Cape Times)

(٢) أنظر Robinson, R. & Gallagher, J. : Africa & The Victorians (London 1961) P. 228.

— وكذلك Cross, Felix : Op. Cit. P. 165.

ملاحظة : كانت مجالس إدارة الشركات الاستعمارية فى ذلك الوقت تعتبر المجال لمن يستطيع أن يؤدى للشركة خدمة عن طريق نفوذ انصاره فى البرلمان أو ما شابه ذلك .

البعثة البريطانية التى جاءت لبلاده وعن نتائج الاتفاقية التى منحها لأعضاء هذه البعثة . وكان رد ملكة انجلترا على رسالة الملك « إنها تخبره أن البريطانيين الذين جاءوا لبلاده لطلب امتيازات خاصة بالتعدين لم يكلفوا من المملكة بهذا الأمر ، وذكرت له الملكة أن الحكمة تقتضى ألا تمنح كل هذه الحقوق والسلطات لأى فرد أو مجموعة أفراد غرباء فالملك قد يهب ثوراً من قطيعه لكنه لا يهب كل القطيع الذى يملكه [1] .

وأرسل رودس أحد رفاقه المدعو الدكتور جمسون (Dr. Jameson) ليسافر فوراً إلى (بولاوايو) ليكون بجوار الملك وليهدىء من روعه واستطاع الدكتور جيمسون فعلا أن يتقرب للملك عن طريق تخفيف آلامه التى كان يشكو منها باستخدام (المورفين) .

وفى ٣ أبريل ١٨٨٩ وافق البرلمان البريطانى على المرسوم المطلوب بتأسيس شركة جنوب إفريقيا البريطانية (The British South Africa Company) وأعطى المرسوم الشركة حقوقاً وامتيازات عجيبة — منها حق تكوين قــوة بوليسية مسلحة ، ومد الخطوط الحديدية ، والتلغرافية وتشجيع هجرة الأوربيين لمناطق نفوذ الشركة [2].

ولسنا ندرى ما هو الحق الذى يخول للحكومة البريطانية أن تعطى للشركة كل هذه الإمتيازات فى أراضى مملكة أخرى ؟

واستنادا على هذا المرسوم الملكى البريطانى أعد رودس قوة لغزو بلاد (الماشونا) و (الميتابلى) بحجة إقامة المحطات والنقط الحصينة لحماية عمال وموظفى ومهمات الشركة ، وتقدمت الحملة شمالا وأسست عدة حصون دفاعية مثل (حصن فــكتوريا Victoria Fort) و (حصن ســولزبرى Salisbery Fort) — وذهبت احتجاجات الملك (لوبنجيولا) وصرخاته للملكة فكتوريا هباء . ولما وجد رودس — الذى أصبح فى عام ١٨٩٠ — رئيساً لوزارة مستعمرة الرأس — الوقت مناسباً لتحقيق أطماعه أمر فى أكتوبر ١٨٩٣ الحملة التى كانت قد أعدت

---

(١) للاطلاع على نص خطاب الملك أنظر Gertrud, Sarrah : Rhodes (London 1933) P. 110.
— ورد الملكة وارد فى Gross, Felix : Rhodes of Africa (London 1956) P. 168.

(٢) للاطلاع على نص المرسوم الصادر للشركة أنظر
Hertslet, E. : The Map of Africa by Treaty Vol. I (London 1909) P. 271.

لغزو بلاد الميتابلى بالتحرك ، فبدأت مدافعة تطبق على (بولا يوايو) وتحصد الإفريقيين – ولم يجد الملك أمامه إلا أن يحرق مساكنه ومخازنه ويفر مع بعض حرسه واختفى الملك نهائياً فى الغابات والاحراش و هكذا زالت امبراطورية الميتابلى [1] .

ولم يكتف رودس بالاستيلاء على أغلب أراضى (الميتابلى) لكنه أيضاً نهب ماشيتهم وكانت حجته فى ذلك « إن غير المتحضرين يجب أن يتركوا المجال للمدنية والحضارة ، وأن الحرب لم يكن منها مفر لضمان استقرار واطمئنان المستوطنين الأوربيين[2] » .

وهكذا باسم المدنية والحضارة – سلب رودس سكان البلاد الأفريقيين حقهم فى أراضيهم وماشيتهم – وكم من جريمة إقترفت باسم المدنية والحضارة .

وكان الإسم الرسمى للمناطق الممتدة من الترنسفال إلى الطرف الجنوبى لبحيرة تنجانيقا والمتداول فى أوراق الشركة البريطانية (زامبيزا) لكن منذ عام ١٨٩٥ غير الإسم فأطلق على هذه الجهات اسم (روديسيا) على اسم الرجل الذى ربط هذه البلاد بعجلة الإمبراطورية البريطانية .

واتجهت أنظار رودس بعد ذلك إلى جمهوريتى البوير فى (الترنسفال) و (الأورنج) ولتحقيق هدفه هذا دبرت المؤامرة المعروفة باسم غارة جيمسون (Jameson Raid) ولـكنها فشلت ، لكن تجددت الحروب بين البوير والإنجليز وانتهت بتوقيع معاهدة بريتوريا فى ٣١ مايو ١٩٠٢ وبموجبها فقدت جمهوريتا البوير استقلالهما وقام إتحاد جنوب أفريقيا من (الكيب ، وناتال، والترنسفال ، والاورانج)[3] .

على أن قبائل الميتابلى والماشونا لم تستسلم للأمر الواقع فقد ثارت هذه القبائل واعتصمت بالجبال وشنت على الإنجليز حرب العصابات واستخدم القوات التى

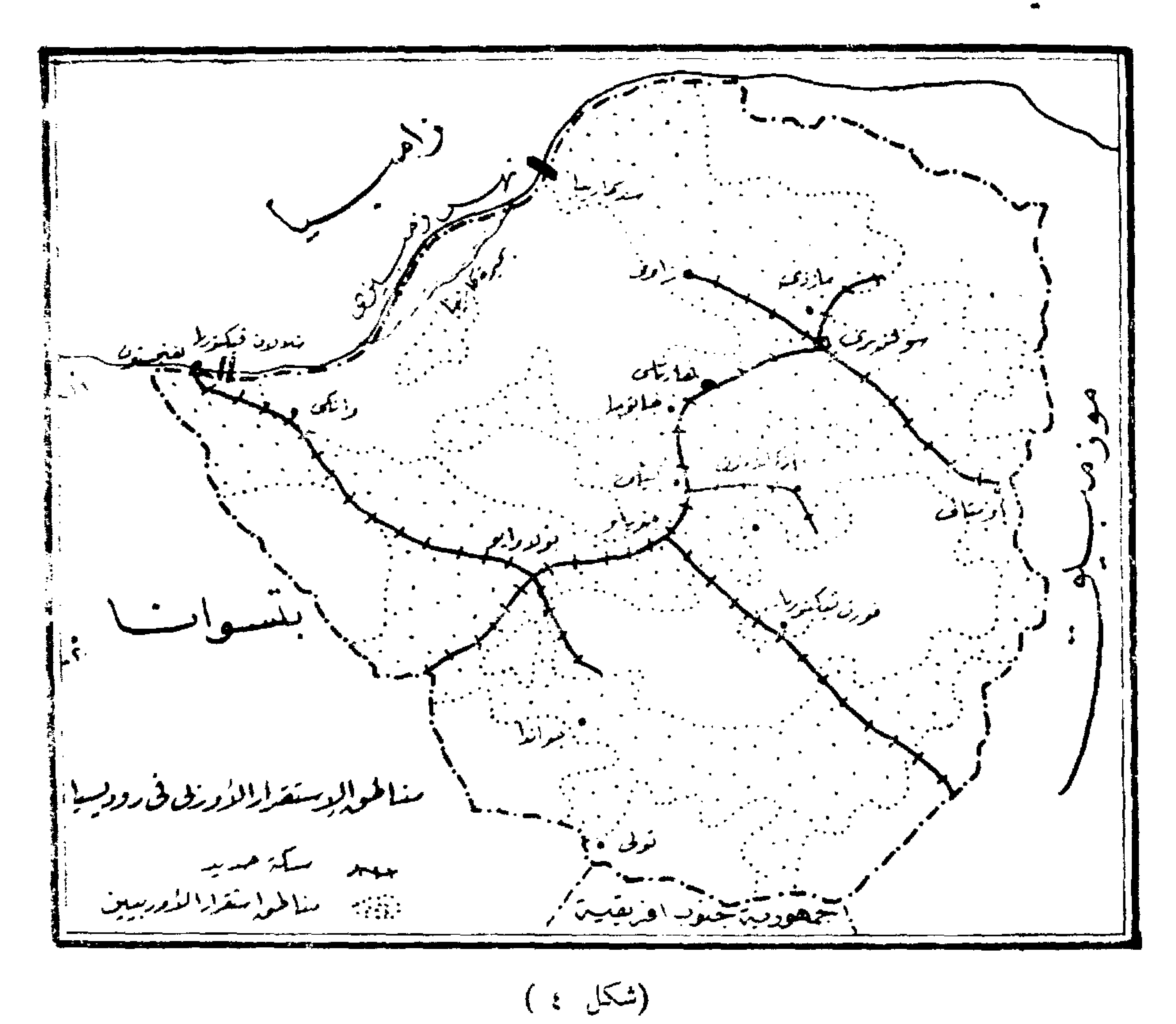
---

(١) Black, Colin : The Lord & Peoples of Rhodesia & Nyasaland (1961) P. 11

(٢) Lockhart & Woodhouse : Op. Cit. P. 265

(٣) للدراسة التفصيلية لحروب البوير أنظر
Pemberton, Baring : Battles of the Boer War (London 1964)
– وكذلك Marais : The Fall of Kruger's Republic (Oxford 1961).

أرسلتها حكومة جنوب إفريقيا بمنتهى الشدة ضد الأهالى الثائرين فى وجه مستعمرتهم فقد كانت تعليمات رودس تقضى باطلاق الرصاص فوراً ودون رحمة على كل إفريقى يشتبه فى إنضمامه للثوار « لأن الإفريقيين — كما قال — كالكلاب يجب أن يطلق عليها الرصاص إذا خرجت عن المألوف وأصبحت خطرة »[1] .



(شكل ٤)

لكن هذه الكلاب الإفريقية علمت رودس درساً قاسياً وألزمته أن ينزل عن كبريائه وغطرسته وأن يسعى للصلح وانتهى الأمر باتفاق عقد فى ١٣ أكتوبر ١٨٩٦ بعد أن كان الحصار الطويل والجوع قد أضنى الثائرين .

على أن جهود رودس اتجهت منذ اللحظة الأولى إلى استغلال موارد البلاد : فأقامت الشركة (حكومة) من المستوطنين لإدارة المستعمرة حسب تعليمات مجلس إدارة الشركة .

---

(١) Lockhard & Woodhouse : Op. Cit. P. 352

وكانت مدة الإمتياز الممنوح للشركة خمسة وعشرين عاماً تنتهى فى عام ١٩١٤ لكن بعد أن انتهت مدة الترخيص المذكور مدت الحكومة البريطانية مدة الترخيص المذكور عشر سنوات أخرى . وهكذا استمرت مدة إدارة الشركة لهذه البلاد قرابة خمسة وثلاثين عاماً استطاعت الشركة خلالها أن تثبت أقدام المستوطنين البيض أطلق عليهم اسم (الرواد الأول) على كل مرافق البلاد ، وكرس رودس المدة الباقية من حياته (توفى عام ١٩٠٢) لتحقيق حلمه هـذا فقد مدت الخطوط التلغرافية الحديدية لربط مناطق الإستغلال الهامة بهذه البلاد فقد كان رودس يردد دائما التعبير الذى أصبح مشهوراً به وهو « إن الخطوط الحديدية هى العربة التى ستحمل نفوذ بريطانيا عبر القارة الإفريقية » .

وبتدفق المستوطنين البيض على أرض روديسيا بدأت عمليات النهب والإغتصاب الأرضى وممتلكات وحقوق الوطنيين[١] .

ويقول اللورد هيلى (Hailey) إن السلطات الحاكمة فى روديسيا قد بسطت سلطانها على الأرض وامتلكتها بوسائل متعددة ، بقوة السلاح أحياناً ، وعن طريق عقد اتفاقات مع رؤساء القبائل أحياناً أخرى ، أو عن طريق الإستيلاء على الأرض بحكم النصوص واللوائح وتفسيرها من وجهة النظر الأوربية دون النظر لحقوق الإفريقيين أو لأهمية الأرض بالنسبة للقبيلة والفرد[٢] .

وأقامت الشركة (مجلساً تشريعياً) من ١٨ عضواً من المستوطنين البريطانيين تعرض عليه القوانين لمناقشتها .

ثانيا ـ فترة الحكم الذاتى مع التبعية للتاج البريطانى (١٩٢٣ ـ ١٩٥٢) :

شكلت الحكومة البريطانية لجنة برياسة اللورد بكستون (Boxton Commission) لاجراء استفتاء فى روديسيا لاختيار أحد أمرين :

(١) إما الإنضمام لإتحاد جنوب إفريقيا الذى تكون فى عام ١٩١٠ .

(١) أنظر احصاءات توزيع الأراضى ، ونصيب كل من الوطنيين والمستوطنين الأوربيين والتاج من أراضى روديسيا فى . Brelsford, W.V. : Hand Book of the Federation of Rhodesia & Nyasaland (1960) P. 783

(٢) Hailey : An African Survey (London 1957) PP. 685—686.

(٢) أو أن تتكون فى روديسيا حكومة مستقلة استقلالا داخلياً مع تبعيتها للتاج البريطانى ، وتمت عملية التصويت فى ٢٧ أكتوبر ١٩٢٢ وأسفرت النتيجة عن موافقة ٨٨٧٤ ضد ٥٩٨٩ صوتاً فى صالح الإقتراح الثانى ، وبناء على ذلك صدر قـرار بأن تكون روديسيا مستعمرة مستقلة ذاتيـا (Self Governing Colony) تابعة للتاج البريطانى — وعلى هذا الأساس وضع أساس الحكم الجديد فى روديسيا الذى ظل معمولا به حتى عام ١٩٥٢[١] .

وهكذا منحت بريطانيا روديسيا الجنوبية فى عام ١٩٢٣ صورة من الإستقلال وأصبغت على نظام الحكم الجديد فيها صبغة ديمقراطية فأصبح هناك مجلس تشريعى ، لكن فى الحقيقة كانت هذه كلها مظاهر شكلية ، بل إن الوضع ازداد سوءاً يوماً بعد يوم إذ أن السلطة تركزت فى أيدى الأقلية البيضاء التى استغلت قبضتها فى الجمعية التشريعية فسنت القوانين التى مكنت المستوطنين البيض من وضع أيديهم على كل مراكز النشاط فى البلاد وزاد عددهم بشكل ملحوظ وانتزعوا ما بقى من الأرض الصالحة أو التى يمكن استصلاحها من الإفريقيين ومارسوا سياسة التفرقة العنصرية بأبشع صورها فأصبح الأفريقيون غرباء فى بلادهم ، وبحكم القانون أصبحوا يعيشون إما فى المعـازل (Native reserves) أو فى الاماكن المخصصة للخـدم (Servant Quarters) خلف منازل الأوربيين التى يخدمون فيها وأصبح دخول المدن الأوربية جريمة يعاقب عليها بأشد العقوبات [٢] .

وامتدت مظاهر التفرقة لكل جوانب الحياة فقد اتجهت التشريعات إلى أن تلزم الإفريقيين على العمل فى المناجم أو فى الأعمال الحرة التى تحتاج لجهود يدوية ويترفع الأوربيون عن القيام بها وكانت أجور الأفريقيين لا تتناسب بحال من الأحوال مع الجهد المبذول أو مع الأجور التى تدفع للأوربيين ، وكان العمال الأفريقيون يلتزمون بالسير على الأقدام لعدة أميال بينما تلتزم الشركات بنقل الأوربيين فى سيارات خاصة وعلل الأمر بحجج تحمل كل معانى الاستخفاف بالقول وبالقيم

---

(١) كان عدد البيض فى روديسيا فى ذلك الوقت حوالى ٣٤,٠٠٠ نسمة بينما كان عدد الافريقيين أكثر من مليون نسمة ولم يؤخذ برأى إلا نفر قليل جداً منهم .

(٢) Frank, Thomas: Race & Nationalism (Loudon 1960) P. 87

والمبادىء الإنسانية فقد برر المسئولون الأمر بأن الأبيض لايتحمل المشى على قدميه بعكس الإفريقى ، وامتدت مظاهر هذه التفرقة إلى المؤسسات الإجتماعية فالإفريقيون ممنوعون من ارتياد النوادى والمسارح والمطاعم ودور السينما والفنادق التى خصصت للأوربيين ، بل امتدت للمدارس والمستشفيات وأصبحت تمارس بحماية القانون وفى ظل التشريعات التى صدرت تباعاً لتحقيق رفاهية الأوربيين وتسخير الافريقيين لهذا الهدف والعجيب أن الأوربيين وصل بهم الأمر إلى أنهم لم يجدوا ما يدعوهم لإخفاء هذا الاتجاه فقد ذكر جودفرى هاجنز (Godfrey Huggens) فى كلمة ألقاها فى ١٢ يوليه ١٩٣٤ « لقد حان الوقت ليدرك الناس فى أوربا أن الرجل الأبيض فى أفريقية ليس مستعداً ولن يكون مستعداً أبداً لقبول الإفريقى على أنه مساو له من الناحيتين السياسة والإجتماعية » ، وقد أكد دفرى هذا المفهوم ثانية فى حديث له آخر بعد ١٩ عاما من هذا الحديث الأول ، أى فى عام (١٩٥٣) [1] .

إن دراسة التشريعات التى صدرت فى هذه الفترة من تاريخ روديسيا تؤكد كلها حقيقة صارخة وهى أن النهاية التى وصلت إليها مشكلة روديسيا هى فى الحقيقة وليدة السياسة التى اتبعت فى هذه البلاد طوال سنوات طويلة وتمتد جذورها حتى بداية الاستعمار البريطانى لها — هذا مع العلم بأن دستور ١٩٢٣ منح بريطانيا الحق فى الإعتراض على أى قانون تصدره الجمعية التشريعية يكون فيه اضرار بمصالح الوطنيين الأفريقيين [2] .

ثالثا — روديسيا ضمن اتحاد وسط افريقيا (١٩٥٣ — ١٩٦٣) :

كانت الحلقة الثالثة فى سلسة هذه الأحداث التى أدت للقضية التى نحن بصددها هى محاولة البيض فى روديسيا الجنوبية — على وجه الخصوص — لتثبيت امتيازات الأقلية العنصرية البيضاء وكان هذا هو الدافع وراء تحمس هؤلاء البيض فى روديسيا لفكرة تكوين اتحاد من روديسيا الشمالية وروديسيا الجنوبية ونياسالاند .

وحين وجدت الأقلية البيضاء المسيطرة على الحكم فى روديسيا معارضة عنيفة من الإفريقيين فى تكوين مثل هذا الاتحاد هددت بأنها ستلجأ إلى إعلان انضمام

(١) راشد البراوى : الاستعمار البريطانى ومشكلة روديسيا—مجلة العلوم السياسية العدد ٣ ص ١٢.

(٢) Franck, Thomas : Op. Cit. P. 20

روديسيا الجنوبية إلى جنوب إفريقيا – وهى كما نعلم – قلعة الرجل الأبيض – وكانت الحجج التى قيلت لتبرير قيام مثل هذا الاتحاد « إنه يتيح فرصة للتكامل الإقتصادى بين الأقاليم الثلاثة » وقد عبر المؤيدون لفكرة الاتحاد عن ذلك مستخدمين المثل الإفريقى « إن الإناء الذى يقف على ثلاثة أرجل لا يستطيع أن يقف على اثنين» (A three legged pot cannot stand on two legs) [١] .

وقد ظلت فكرة الاتحاد تتأرجح فترة طويلة بين التأييد والمعارضة حتى خرجت إلى حيز التنفيذ أخيراً فى عام ١٩٥٣ بعد سلسلة طويلة من الاجتماعات واللجان والمؤتمرات ففى أبريل ١٩٥٢ عقد حكام الأقاليم الثلاثة مؤتمراً عرف باسم مؤتمر لانكستر هاوس Lancaster House Conference حضره وزير المستعمرات البريطانى وأتفق فيه على أسس قيام الاتحاد ولم يحضر هذا المؤتمر أحـــد من الإفريقيين لكن بذلت المحاولات لإقناع الإفريقيين بأن مصالحهم وضعت فى الاعتبار وأن فجر عهد جديد من التعاون والمشاركة يوشك أن يبدأ وأن الجميع مدعوون للمشاركة فى البناء الجديد [٢] .

على أن مفهوم المشاركة للأسف عند الاقلية البيضاء – كما عبر عنه رئيس الاتحاد – هو أنها تشبه (العلاقة بين الحصان وراكبه) أو كما عبر عنه روى ولينسكى (Roy Wolensky) الذى خلف جود فرى فى رئاسة الاتحاد عام ١٩٥٦ « بأن الأوربيين عليهم مهمة قيادة الإفريقيين فى الاتجاه السليم [٣] » . – فهى علاقة بين تابع ومتبوع وليست بين أفراد متساويين .

وظهرت منذ اللحظة الأولى لقيام الاتحاد سيطرة الرجل الأبيض وتحقق ما كان يخشاه المعارضون لقيام الإتحاد ، فقد اتجهت معظم التشريعات التى صدرت إلى تحقيق سيطرة البيض وتمكينهم من استغلال موارد البلاد إلى أقصى حد ممكن ، واتبعت أقسى أساليب القمع والعنف مع المعارضين لهذه السياسة العنصرية حتى

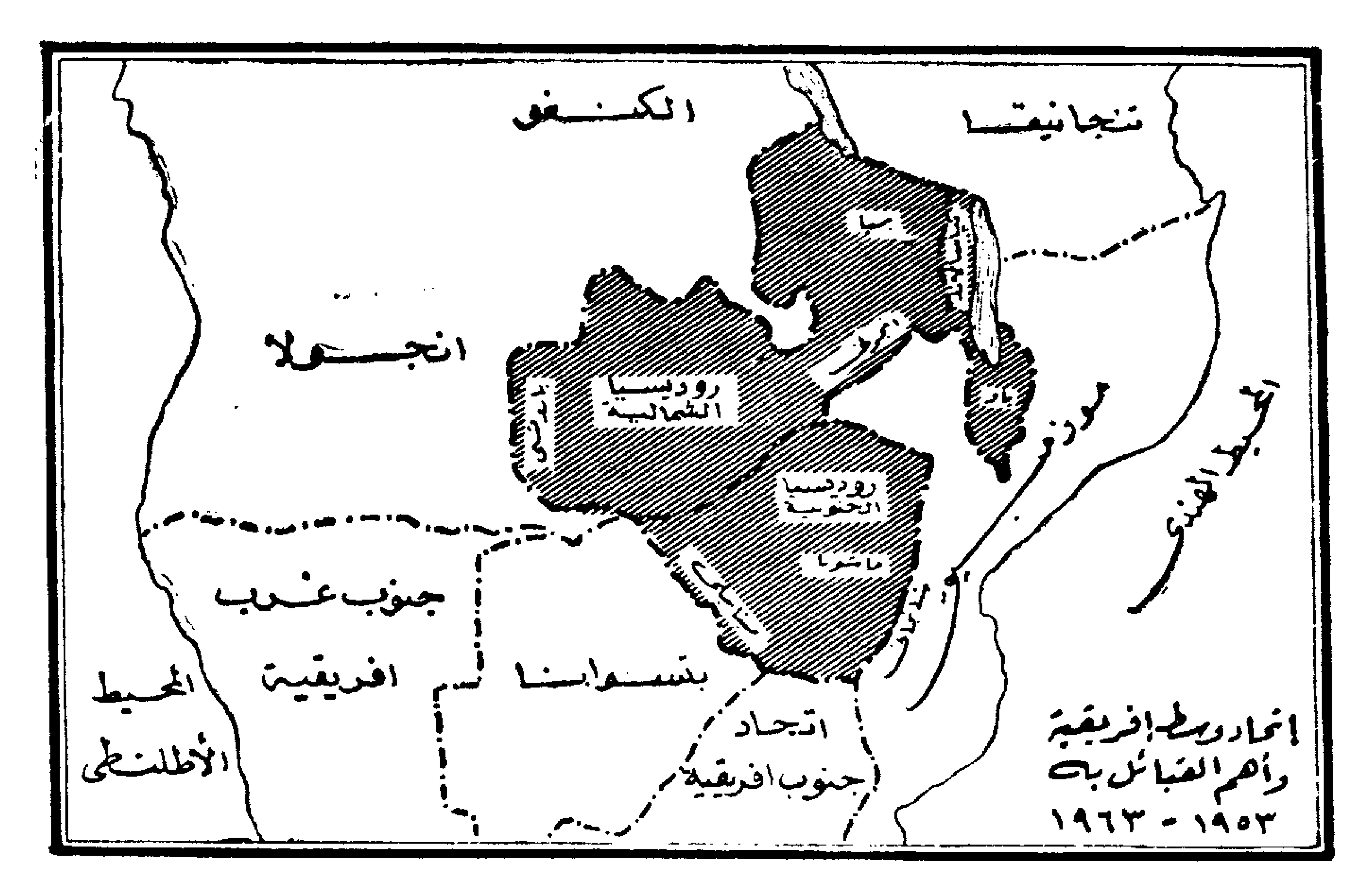
---

(١) Brelsford, W.V. : Handbook to the Federation of Rhodesia & Nyasaland (London 1960) P. 591.

(١) Mshali, Vulindela : Rhodesia Back ground to conflict (London 1964) P.P. 96—98

(٢) Mshali, Vulindela : Op. Cit. P.P. 96 & 100

من البيض–فحين طالب جرفيلد (Garifield Todd) الذى كان رئيساً لوزراء روديسيا الجنوبية فى الفترة من ١٩٥٣ إلى ١٩٥٨ بالعمل على رفع مستوى الإفريقيين ونادى بأن التآخى بين الجميع وخلق مجتمع يشارك فيه الكل ، وينعم فيه الكل بالخير وبثمرة جهودهم هو الوسيلة الوحيدة للتقدم – تكتل المتطرفون ضد هذه السياسة المعتدلة وانتهى الأمر بابعاده عن الحياة السياسية واعتقاله(١).



(شكل ٥)

على أن هذا الصراع بين الآراء والاتجاهات المختلفة كان له الفضل فى دفع الإفريقيين إلى تنظيم أنفسهم فى هيئة جماعات وهيئات يتزعمها بعض القادة الذين نالوا حظا من الثقافة والتعليم وذلك للوقوف فى وجه القوانين الجائرة والأطماع الجامحة للبيض فظهر المؤتمر الإفريقى الوطنى (African National Congress—ANC) وظهرت الهيئة الوطنية الديمقراطية (National Democratic Party—NDP) وغيرهما من الهيئات ، وقابلت السلطات الحاكمة الأمر باصدار مزيد من قوانين القمع وكبت الحريات ، لكن تطور الأحداث بهذا الشكل جعل الكثيرين من البريطانيين أنفسهم – ومنهم أعضاء فى البرلمان البريطانى من أمثال جون ستونهوس (John Stonehouse) الذى أتهم أثناء زيارته لروديسيا ولقائه بزعماء الإفريقيين بأنه

(١) Todd, Judith : Rhodesia (London 1966 P. 29.

حرضهم على الخروج على السلطات بقوله لهم « إنكم يجب أن تتصرفوا كأنكم أصحاب البلاد ولستم غرباء فيها – يشيرون إلى أن الأوضاع فى روديسيا الجنوبية لا تختلف عن الأوضاع التى تشكو منها فى الكنغو .

وقد عقدت الحكومة البريطانية عدة إجتماعات و مؤتمرات لمحاولة وضع علاج لهذه الأوضاع المتدهورة فى الإتحاد عن طريق وضع دستور جديد يعمل به فى روديسيا الجنوبية بدلا من دستور ١٩٢٣ لكان الوضع فى روديسيا تدهور بشكل ملحوظ وأصبح ينذر بالخطر إثر فوز حزب إيان سميث (Ian Smith) الذى يمثل فى الحقيقة كبار الملاك والرأسماليين البيض الذين أثروا ثراء فاحشاً من استغلال أموالهم فى روديسيا الجنوبية – فى انتخابات عام (١٩٦٢) – وألف ستون فيلد (Field) وزارة كان سميث وزيراً للخزانة فيها بينما كانت كل من روديسيا الشمالية ، ونياسالاند تسعى للحصول على الاستقلال .

وفى ٣١ ديسمبر ١٩٦٣ عقد بتلر (Buttler) الوزير البريطانى مؤتمراً أعلن فيه حل اتحاد وسط أفريقيا وأعقب ذلك استقلال روديسيا الشمالية فى يوليه ١٩٦٤ تحت اسم (جمهورية زامبيا) كما استقلت نياسالاند فى أكتوبر ١٩٦٤ تحت اسم (جمهورية مالاوى) وبقيت روديسيا الجنوبية مستعمرة تحت حكم الأقلية العنصرية البيضاء باسم روديسيا .

رابعاً – حكم الأقلية العنصرية البيضاء فى روديسيا :

هكذا كانت عجلة الأحداث فى هذه المنطقة الهامة من إفريقيا تسير بسرعة عجيبة فبينما الأقلية البيضاء تستحث الخطى لتضرب ضربتها الأخيرة فتعلن الإنفصال التام عن النفوذ البريطانى و تنفرد بتيسير دقة الأمور فى روديسيا دون منازع – نجد الزعماء الوطنين يتخاصمون ويتنازعون على أشياء ليست جوهرية فى هذه الآونة الحاسمة من النضال – فقد حدث خلاف بين (انكوتو) ، وسيرول (Si hole) وانتهى الخلاف بخروج سيرول وبعض رفاقه وأعلنوا تكوين حزب جديد باسم اتحاد زمبابوى الإفريقى القومى – زانو .

وفى أبريل ١٩٦٤ استقالت وزارة ونستون فيلد لتفسح المجال لوزارة يرأسها (إيان سميث) ، وأعلن سميث بمجرد توليه الوزارة الجديدة « أن هدف حكومته

الأساسى هو إعلان استقلال روديسيا ووضع دستور جديد لها يكفل السيادة الكاملة للبيض ويضع فى أيديهم كل السلطات والإمكانيات [1] .

وبدأ سميث على الفور سياسة عنيفة لتصفية الحركات القومية فاعتقل الأعضاء البارزين من حزبى (زانو) ، (زابو) وزج بهم فى معتقلات أنشأها فى الأماكن النائية بعيداً عن المدن الرئيسية — ثم بدأ يفاوض بريطانيا الإتفاق على ما أسماه (الاستقلال) ملوحا باستعداده لإعلان الاستقلال من جانب واحد إذا لم تصل الحكومة البريطانية إلى اتفاق معه تمنح روديسيا بموجبه الاستقلال .

واتضحت نوايا سميث حين زار (جنوب إفريقيا) قلعة العنصرية فى إفريقيا للإجتماع مع رئيس وزرائها د . فيرورد (Dr. Verwoerd) ، كما زار وهو فى طريقه إلى لنـــدن — دكتاتور البرتغال دون سالازار (Don Salazar) — ونستطيع أن نتكهن بسهولة بما دار فى هذه الإجتماعات بين الأطراف الثلاثة التى تمثل بلا شك تحالفاً غير مقدس أو غير شريف بتعبير آخر .

وتعددت الإجتماعات بين ممثلى بريطانيا وبين سميث وأعوانه للوصول إلى الإتفاق على شروط يرتضيها الطرفان دون طائل وكان سميث قد أجرى انتخابات برلمانية عامه أسفرت عن أغلبية ساحقة لحزبه فى البرلمان ، وفى أكتوبر ١٩٦٥ طار واسون (Wilson) إلى روديسيا فى محاولة يائسة ليسنى سميث عن عزمه ، لكن هـــذا الأخير لم يلبث أن أعلن حالة الطوارىء فى البلاد فى ٥ نوفمبر ١٩٦٥ ، وفى وفى ١١ نوفمبر أعلن فى بيان قصير قراره الخطير . وقد جاء فى هذا البيان « إن القرار الذى اتخذناه اليوم هو قرار برفض الروديسيين أن يتنازلوا عن طريق البيع عن حقهم الوراثى ... لقد اتخذنا هذا القرار لحماية العدل . والحضارة والمسيحية فمن وحى هذه الأهداف فاننا فى هذا اليوم قررنا أن نمارس حقنا فى الإستقلال ليبارككم الله جميعاً [2].

---

(١) ولد سميث فى روديسيا فى عام ١٩١٩ من أبوين من المستوطنين الإنجليز ، وتعلم فى (جامعة رودس) فى جنوب إفريقيا ، وبدأ نجمه يلمع منذ عام ١٩٦١ حين استقال من حزب الجبهة الروديسية (Rhodesian Front Party) احتجاجا على دستور ١٩٦١ ، وشكل جماعة أخرى متطرفة تعارض منح أية حقوق سياسية للإفريقيين .

(٢) ترجمة حرفية لإعلان الاستقلال الذى أذيع فى ذلك التاريخ .

وقد أحدث هذا الإعلان دوياً عنيفاً فى بريطانيا ، وفى الدول الإفريقية وفى الأمم المتحدة فتحركت لإتخاذ الإجراءات لمواجهة الموقف الجديد الذى يعتبر فى الحقيقة تحدياً صارخاً للضمير العالمى وللمبادىء العالمية كلها .

ثالثاً – موقف منظمة الوحدة الإفريقية من قضية روديسيا

منذ أن بدأت المؤتمرات الإفريقية بهدف توحيد جهود الإفريقيين فى مواجهة قضاياهم المشتركة – احتلت قضية روديسيا مكانة هامة من اهتمام الدول والحكومات الإفريقية .

وحين نجح مؤتمر القمة الإفريقى الأول فى أديس أبابا الذى عقد فى الفترة من ٢٢ إلى ٢٥ مايو ١٩٦٣ فى إصدار ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية (Organization of African Unity—OAU) تركزت الأنظار على هذه المنظمة لتبنى (قضية روديسيا) باعتبارها فى مقدمة قضايا النضال الإفريقى من أجل حق الشعوب الأفريقية فى الحياة الحرة الكريمة[١] .

وقد اتخذ مؤتمر القمة الإفريقى الأول قرارات خاصة بقضية روديسيا فأعلن تأييده الكامل للوطنين الإفريقيين بها ، ودعا المملكة المتحدة بألا تنقل سلطات ومقومات السيادة لحكومة تمثل الأقليات المستوطنة فيها وأشار إلى أن هذا العمل إذا تم يعتبر إخلالا بقرار الأمم المتحدة ١٥١٤ الذى اتخذته الجمعية العامة للأمم المتحدة فى الدورة (١٥) بتاريخ ١٤–١٢–١٩٦٠ ، وقد شكل المؤتمر لجنة خاصة أطلق عليها اسم (لجنة التحرير) من تسعة أعضاء لبحث –قضية الاستعمار من جميع نواحيه وعهد إليها ببحث هذه المشكلة الروديسية ، وقد قررت هذه اللجنة بدورها تأليف لجنة ثلاثية من ممثلى (تنجانيقا ، وأغنده ، ونيجيريا) للسعى للتوفيق بين الحزبين الرئيسين فى روديسيا حزب (زابو) وحزب (زانو) لتكاتف الجهود كلها

---

(١) حفلت الفترة التى تلت الحرب العالمية الثانية بسلسلة هامة من المؤتمرات الآسيوية والأفريقية.
– للدراسة المستفيضة لهذه المؤتمرات وقراراتها أنظر :
شوقى الجمل : الوحدة الأفريقية ومراحل تطورها (القاهرة ١٩٦٦) .
– أما عن ميثاق منظمة الوحدة الأفريقية فهو من ٣٣ ماده :
أنظر .Organization of African Unity; Basic Documents & Resolutions-Charter of OAU
وكذلك بطرس بطرس غالى : منظمة الوحدة الأفريقية (د . ت) ص ٧٩ وما بعدها .

لمواجهة الإستعمار خاصة بعد أن فاز — فى الانتخابات — حزب (جبهة روديسيا) الذى يمثل المتطرفين من الأقلية البيضاء .

وقد وجه مجلس وزراء منظمة الوحدة الإفريقية الذى عقد فى لاجوس — بنيجيريا فى الفترة من ٢٤ إلى ٢٩ فبراير ١٩٦٤ الأنظار إلى التطورات الخطيرة التى تتطور إليها مشكلة روديسيا ، وطالب الحكومة البريطانية باتخاذ إجراءات فعالة لمواجهة الموقف الذى ينذر بالإنفجار فى روديسيا ، كما طالب الأعضاء فى منظمة الوحدة الإفريقية باعادة النظر فى علاقاتهم مع بريطانيا إذا تجاهلت توصيات المؤتمر كما دعاهم لتقديم المزيد من التأييد للوطنيين الإفريقيين فى كفاحهم فى سبيل حقهم ، وطالب المجموعة الإفريقية فى الأمم المتحدة باتخاذ اجراءات أخرى فعالة بالتعاون مع المجموعة الآسيوية لإلزام الحكومة البريطانية بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن روديسيا .

وكان على مؤتمر القمة الإفريقى الثانى الذى عقد فى القاهرة فى الفترة من ١٧ إلى ٢١ يوليو ١٩٦٤ أن يواجه الموقف فى روديسيا بما يستلزمه من إجراءات حازمة خاصة بعد أن تولى (إيان سميث) فى أبريل ١٩٦٤ عقب إستقالة وزاو فيلد .

وقد أشار رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة فى الخطاب الذى ألقاه فى جلسة الإفتتاح إلى خطورة الوضع فى روديسيا ، كما أشار رئيس وفد زامبيا — وهى الدولة الإفريقية التى لم تكن حتى انعقاد المؤتمر قد استقلت بعد[1] — إلى وضع زامبيا الحرج بالنسبة لموقعها بين قوى استعمارية وعنصرية (أنجولا ، وموزمبيق ، جنوب أفريقيا ، روديسيا الجنوبية) ، كما أن الاستعمار ربط بين اقتصاديات هذه البلاد بطريقة تضمن تحكمه فى شرايين الحياة الاقتصادية بها[2] .

وقد اتخذ هذا المؤتمر الإفريقى (مؤتمر القمة الثانى) قرارات هامة خاصة

---

(١) استقلت زامبيا فى ٢٤ أكتوبر ١٩٦٤ وهى روديسيا الشمالية لكنها اتخذت بعد الاستقلال أسم جمهورية زامبيا .

(٢) أشارت اللجنة الخاصة التابعة للأمم المتحدة التى شكلت فيما بعد لبحث أثر المصالح الاقتصادية الاستعمارية وتأثيرها على قضية روديسيا — إلى ذلك كما سنوضح فيما بعد .

بروديسيا تقضى بأنه فى حالة إعلان حكومة الأقلية فى روديسيا الاستقلال من جانبها فان الدول الإفريقية ستؤيد قيام حكومة وطنية إفريقية فى المنفى ، كما ناشد المؤتمر بريطانيا الإسراع باتخاذ الخطوات الكفيلة باعلان دستور ديمقراطى جديد يضمن حكم الأغلبية وطالب بالإفراج فوراً عن الزعماء الوطنيين المعتقلين فى سجون روديسيا ، وانتدب المؤتمر لجنة من ممثلى (مالاوى) و (تنجانيقا) و (زنجبار) لبذل مساعيها للتوفيق بين الأحزاب الروديسية .

وحين عقد مؤتمر القمة الإفريقى الثالث بأكرا فى الفترة من ٢١ إلى ٢٥ أكتوبر ١٩٦٥ كانت منظمة الوحدة الإفريقية قد أتمت ٢٩ شهراً من عمرها ، وكانت فى هذه الفترة الوجيزة قد قامت بنشاط كبير فى حل العديد من المشاكل الإفريقية المترسبة من عصر الاستعمار الطويل كالنزاع الصومالى الاثيوبى الكينى ، والحركات الاستعمارية التى صاحبت استقلال الكونغو — ومع ذلك فقد كانت المشكلة الروديسية تفرض نفسها على رؤساء الدول الإفريقية وكانت هذه المشكلة فى الحقيقة تعتبر اختباراً صعباً لمدى قوة منظمة الوحدة الأفريقية ومبادئها — ورغم اختلاف وجهات النظر بين المنادين باستخدام القوة المسلحة لردع المتمردين البيض فى روديسيا وقطع علاقات الدول الإفريقية مع بريطانيا وانسحاب الدول الأعضاء فى (الكومنولث) وبين من كان يرى ضرورة التروى قبل إتخاذ هذه الخطوات الحاسمة — فقد اتخذ المؤتمر قرارات توفق بين وجهات النظر المختلفة وتقضى [1] :

١ — باعادة النظر فى علاقات الدول الإفريقية مع بريطانيا إذا تهاونت مع المستوطنين وتركتهم يصلون إلى هدفهم من الإستيلاء على السلطة فى البلاد .

٢ — تقديم كل مساعدة لشعب زمبابوى لتحرير نفسه وبلاده ودعوة الدول المحبة للسلام لمعاونة هذا الشعب فى محنته .

٣ — دعوة مجلس الأمن لاستعمال العقوبات المنصوص عليها فى الباب السابع من ميثاق الأمم المتحدة باعتبار الموقف فى روديسيا مهدد للسلم والأمن العالميين .

---

(١) أنظر **Resolutions of African Heads of State & Governments held in Akra from 21 to 25 October 1965.**

٤ ـ مقاطعة الحكومة القائمة فى روديسيا الجنوبية مقاطعة سياسية واقتصادية تامة وتشكلت لجنة من خمس دول إفريقية لمتابعة تنفيذ قرارات (أكرا) بشأن روديسيا .

على أن إعلان (إيان سميث) فى ١١ نوفمبر ١٩٦٥ ـ الاستقلال المزيف وضع جميع الدول الإفريقية ومنظمة الوحدة الإفريقية أمام اختبار قاس ـ فحكومة الأقلية البيضاء فى روديسيا فضلا عما تمارسه من أعمال القمع والاضطهاد ضد شعب زمبابوى ـ تمثل فى الحقيقة قاعدة استعمارية تمارس الدول الإستعمارية عن طريقها نشاطها مثلها فى ذلك مثل إسرائيل فى منطقة الشرق الاوسط .

تحليل موقف منظمة الوحدة الإفريقية بعد إعلان سميث الاستقلال :

فى ضوء قرارات مؤتمر اكرا والمؤتمرات السابقة له كان أمام الدول الإفريقية عدة إجراءات تتطلبها التزاماتها تجاه الموقف فى روديسيا منها :

١ ـ اتخاذ إجراءات اقتصادية وسياسية ضد حكومة الأقليات ـ ويتطلب هذا تعاون الدول الأخرى التى تتعامل مع روديسيا لتكون المقاطعة فعالة كما يتطلب الأمر فرض الحصار على (الثغور التجارية) التى تعتبر منافذ لروديسيا .

٢ ـ الضغط على بريطانيا بكل الوسائل لإلزامها للقيام بواجبها باعتبارها المسئولة عن الوضع فى روديسيا ، ومن بين وسائل الضغط على بريطانيا ـ إعادة النظر فى علاقات الدول الإفريقية السياسية والإقتصادية مع حكومة لندن تنفيذاً لما اتخذته الدول الإفريقية فى مؤتمر أكرا فى هذا الشأن ـ على أنه كان يخشى من تردد بعض الدول الإفريقية فى اتخاذ هذه الخطوات مما يحول دون نجاحها . وهذا ما حدث بالفعل .

٣ ـ التزمت الدول الإفريقية فى مؤتمر أكرا باستخدام القوة لمنع استقلال الأقلية البيضاء ـ وتنفيذ هذا القرار يتطلب إسهام الدول الإفريقية فى تكوين قوة عسكرية مسلحة لتموين المعركة ضد حكومة الأقلية فى روديسيا ولتقديم التأييد الكافى (لزامبيا) باعتبارها المنفذ الوحيد لوصول المساعدات للشعب الإفريقى فى روديسيا . كما يستلزم تنفيذ هذا أيضاً أن ينبذ شعب زمبابوى خلافاته ويجتمع كله حول هدف واحد هو استخلاص حقه من مغتصبيه .

٤ — إقامة حكومة وطنية لروديسيا فى المنفى تعترف بها وتساندها الدول الإفريقية — لكن تنفيذ هذا يستلزم حسم الخلاف بين حزبى (زابو) و (زانو) وتكوين جبهة واحدة تواجه الموقف وتتولى الكفاح المسلح ضد العدو المشترك — لكن كان يحول دون ذلك إصرار كل حزب على أنه الحزب الوحيد الذى يمثل جماهير الشعب الروديسى .

وفى ٣ ديسمبر ١٩٦٥ عقد مجلس وزراء خارجية الدول الأعضاء فى منظمة الوحدة الإفريقية إجتماعاً طارئاً فى أديس أبابا لبحث الموقف الجديد فى روديسيا واتخذ المجلس فى هذا الاجتماع قرارات تقضى بفرض حصار إقتصادى كامل على روديسيا وعدم تقديم أية تسهيلات للحكومة العنصرية بها للحصول على البترول أو الوقود . كما قرر إعطاء بريطانيا مهلة أخرى حتى ١٥ ديسمبر لتمارس مسئولياتها باستخدام القوة لاسقاط (إيان سميث) وحكومته غير الشرعية وإلا نفذت الدول الإفريقية التزامها بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا .

ولما لم تتخذ بريطانيا حتى ١٥ ديسمبر موقفاً حاسماً إزاء المؤامرة الإستعمارية فى روديسيا بدأت الدول الإفريقية المتحررة بقطع علاقاتها معها الواحدة تلو الأخرى وكانت فى مقدمة الدول التى اتخذت هذا الاجراء الجمهورية العربية المتحدة ، وغينيا وتنزانيا ، وغانا ومالى ، وموريتانيا والكونغو (برازافيل) ، والجزائر — كما أخذت الدول الإفريقية الأعضاء فى الكومنولث البريطانى تبحث ما يمكن اتخاذه من اجراءات .

على أن الدول الأعضاء فى منظمة الوحدة الأفريقية لم تستطيع أن توحد موقفها من هذة المشكلة الخطيرة ، وقد عبر عن ذلك السيد (ديالوتيلى) الأمين العام لمنظمة الوحدة الإفريقية قبل إجتماع مؤتمر القمة الإفريقى الرابع بأديس أبابا فى عام ١٩٦٦ بقوله « إن حكومة المملكة المتحدة كما تبدو قد نجحت فى شل حركة الدول الأفريقية ، والدول الصديقة سواء فى أفريقيا أو فى الأمم المتحدة للإطاحة بحكومة المتمردين البيض التى اغتصبت السلطة فى روديسيا » .

وقد ناقش المؤتمر الذى عقد فى أديس أبابا فى الفترة بين ٥ إلى ٩ نوفمبر ١٩٦٦ مشكلة روديسيا فى أكثر من جلسة من جلساته ، كما ناقش وضع (زامبيا) بالذات

وما تتعرض له من ضغوط إقتصادية وسياسية نتيجة موقفها من القضية واتخاذ المؤتمر قرارات تقضى بدعم حركة تحرير روديسيا وتقديم المساعدات الفنية والإقتصادية لمساندة زامبيا ليمكنها أن تصمد وأن تقدم مساعدات أكثر للمحاربين فى زمبابوى وكذلك تقضى باتخاذ اجراءات مشددة ضد الأفراد والشركات التى لا تزال نشاطها مع روديسيا الجنوبية .

هكذا أصبحت قضية روديسيا تحتل مكاناً بارزاً من مناقشات واجتماعات اللجان المختلفة والمؤتمرات لمنظمة الوحدة الإفريقية ، وقد تألفت لجنة خماسية خاصةمتفرعة من لجنة تحرير إفريقيا لمتابعة الجهود المبذولة المتصلة بهذه القضية وهى من ممثلى (الجمهورية العربية المتحدة ، وزامبيا ، وكينا ، وتانزانيا ، ونيجيريا) وبذلت هذه اللجنة جهوداً مضنية لبحث الوسائل الفعالة لمساندة المتاضلين الوطنيين فى روديسيا — كما تكونت لجنة ثلاثية أخرى من مندوبى الجزائر ، والسنغال . وزامبيا لمتابعة الموقف المتعلق بالقضية فى الأمم المتحدة وقد أطلق على هذه اللجنة اسم (لجنة روديسيا التابعة لمجلس الأمن) .

ورغم كل هذه الجهود فقد أثبتت تقارير هذه اللجان التى قدمت لمؤتمر القمة الإفريقى الذى عقد فى كنشاسا (زائرى) فى الفترة من ١١ إلى ١٤ سبتمبر ١٩٦٧ إن الأمر يحتاج إلى إجراءات أخرى أكثر فاعلية خاصة وأن العقوبات الاقتصادية التى فرضت على حكومة الأقلية العنصرية فى روديسيا كانت قليلة الجدوى بسبب المساعدات المستمرة التى تقدمها (البرتغال) و (جنوب إفريقيا) للنظام الثائر فى روديسيا ، كما أن الإفريقيين هم الذين يتحملون العبء الأكبر لهذه المقاطعة الإقتصادية — كما ذكر الكاتب (كولين ليجوم) المتخصص فى الشئون الإفريقية — فالعمال الزراعيون أصبحوا يعيشون على لقمة العيش التى يقدمها لهم مخدوموهم . ولما كان الإفريقيون لا يجدون أى بدل لهذا الوضع الذى يعيشون فيه فانهم لا حول لهم ولا قوة »[1].

ورغم أن قضية روديسيا كانت مثار بحث ونقاش فى مؤتمرات القمة الإفريقية

---

(١) تحقيق نشره الأهرام فى ١٥ فبراير ١٩٦٧ الكاتب هو صاحب كتاب الجامعة الأفريقية وقد ترجمه إلى العربية أحمد محمود سليمان (القاهرة ١٩٦٤) .

التى عقدت بعد ذلك لكن لم تستطيع الدول الإفريقية أن تركز على هذه القضية بالذات لبروز مشكلات أخرى حيوية كمشكلة بيافرا ومشكلة الشرق الأوسط فلم تعد المشكلة الروديسية هى المشكلة الرئيسية التى يتركز عليها اهتمام الدول الإفريقية .

ولا شك فى أن (أيان سميث) قد استفاد من هذه الظروف فعمد إلى دعم مركزه فى البلاد ، كما أن بريطانيا لجأت إلى مفاوضة نظام الأقلية غير الشرعية فى سولزبرى لإيجاد حل للأزمة من وجهة نظرها — فى الفترة من ١٠ إلى ١٢ أكتوبر ١٩٦٨ دارت المباحثات بين (ويلسن) رئيس وزراء بريطانيا وبين أيان سميث على ظهر الباخرة البريطانية (فيرلس) وكانت الحكومة البريطانية قد وضعت بعض المبادىء لتسير المباحثات بين الجانبين على أساسها — ورغم أن هذه المبادىء قد رفضت من جانب الحكومة العنصرية فى روديسيا فان الدول الإفريقية أعربت أيضاً عن إعتراضها على ما تضمنته هذه المقترحات من مبادىء بل إنها احتجت على مبدأ المفاوضة نفسه مع هذه الحكومة دون اتخاذ موقف أكثر حزماً منها .

وتتمة للخطوة التى بدأها سميث يوم أعلن فى (١١ نوفمبر ١٩٦٥) استقلال روديسيا فى ظل نظام الأقلية العنصرية — قامت حكومة سميث فى عام ١٩٧٠ بوضع دستور جديد لروديسيا يزيد من قبضة الأقليات العنصرية فى حكم البلاد — كما أعلنت فى آخر فبراير ١٩٧٠ قيام الجمهورية فى روديسيا — فكان هذا بمثابة تحد جديد لمنظمة الوحدة الإفريقية وللأمم المتحدة والعالم المتحضر كله .

وقد ناقش مجلس وزراء منظمة الوحدة الإفريقية فى دورته الرابعة عشرة (فبراير — مارس ١٩٧٠) الوضع فى روديسيا ، كما ناقش مؤتمر القمة الإفريقى الثامن فى اجتماعه فى أديس أبابا (سبتمبر ١٩٧٠) القضية فى ضوء هذه التطورات الجديدة ، وقد أعرب المؤتمر عن سخطه إزاء هذا التحدى السافر من حكومة سولزبرى وإزاء تهاون بريطانيا فى إتخاذ إجراء يحسم الأمر وطالب بضرورة تطبيق الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة الخاص باستخدام القوة لحسم الموقف فى روديسيا باعتبار أنه يعرض السلام والأمن الدولى الخطر .

على أن مشكلة روديسيا برزت من جديد على مسرح الأحداث منذ عودة

حكومة المحافظين فى انجلترا إلى الحكم فى ١٨ يونيه ١٩٧٠ فقد صرح رئيس الوزراء إدوار هيث (Edward Heath) بأنه سيعمل للوصول إلى حل سلمى لهذه المشكلة ومرت المفاوضات بين الطرفين فى هذه المدة فى عدة مراحل واستغرقت شطراً كبيراً من عام ١٩٧١ وانتهى الامر باعلان صدر فى لندن فى ٢٥-١١-١٩٧١ بأن الوفد البريطانى الذى كان على رأسه السير (اليك دوجلاس) قد وصل إلى (مشروع) إتفاق بشأن الأزمة الدستورية بين بريطانيا وروديسيا سوف يعرض على شعب روديسيا لابداء رأيه فيه عن طريق ما أطلق عليه لفظ (اختبار القبول The test of acceptability) ؛ وقد كونت لجنة برئاسة اللورد بيرس (Lord Pearce) للقيام بهذه المهمة[1] ؛ ولا يتسع المجال هنا لمناقشة كل بنود هذه الإتفاقية لكن نشير لبعض ملاحظات بخصوصها :

١ - لم يوضح المعيار الذى ستتخذه اللجنة لتصل إلى الحكم الصحيح بالنسبة لرأى الإفريقيين فى الإتفاق ، ولعله كان من الأفضل معرفة رأى الإفريقيين فى الإتفاق عن طريق الإقتراع العام بدلا من لجنة لم يحدد الإتفاق عدد أعضائها أو نوعيتهم .

٢ - يتعلق بدستور روديسيا نص الإتفاق على أن الأساس سيكون دستور (١٩٦٩) مع تعديلاته تتح الفرص للإفريقيين للإدلاء بأصواتهم فى الانتخابات وبالتالى بالترشيح للبرلمان حسب الدخل ومستوى الثقافة بحيث يصبح الإفريقيين على قدم المساواة مع البيض فى الحكم إذا ما وصل تقدمهم فى الميدانين التعلمى والاقتصادى إلى المستوى الذى وصل إليه البيض .

وهذا الفرض وإن كان للمساواه لكن حقيقته غير ذلك ، وقد أشار اللورد (البورت) الذى كان وزيراً مسئولا عن الشئون الإفريقية فى حكومة (هارولد ماكميلان) تعليقاً على هذا التعديل فى الدستور « إنه لا يتوقع أن تكون هناك فرصة أمام قيام حكم للأغلبية فى ظل هذا الاتفاق » .

٣ - كذلك لم يضع الإتفاق حداً جذرياً لمشكلة التفرقة العنصرية ، وإن كان

---

(١) نلاحظ أن البيان لم يستخدم كلمة استفتاء .

قد أشار إلى أن (سميث) قد سجل « رغبة حكومته فى الحد من التفرقة العنصرية إلا إذا وحدت اعتبارات خاصة تنظر إليها أية حكومة على أنها بالغة الخطورة » .

وقد قوبلت هذه العبارة فى مجلس العموم البريطانى باستهجان وكان تعليق أحد أعضاء المجلس(مستر فولدز Faulds) بأن « أقل ما توصف به هذه العبارة أنها أمر مشين وخيانة كاملة واضحة[1] » .

٤ — ومن جهة الخدمات قررت بريطانيا تزويد روديسيا بمساعدة قدرها ٥٠ مليون جنيه استرلينى سنويا ولمدة عشر سنوات لمساعدة الحكومة على تنفيذ برامج للتنمية والتعليم خاصة فى المناطق الإفريقية — وكانت هذه المساهمة البريطانية هى الورقة التى حاولت بريطانيا أن تكسب عن طريقها موافقة الإفريقيين على هذه الإتفاقية .

وقد قوبلت الإتفاقية بموجة من السخط والهجوم فى الدول الإفريقية — — وكذلك فى أوساط الأمم المتحدة بل وفى بريطانيا من حزب المحافظين ومن الإفريقيين فى روديسيا .

وصلت لجنة (تقصى الرأى) إلى روديسيا فى ١١ يناير ١٩٧٢ للقيام بمهمتها ، وفى مايو ١٩٧٢ قدمت للبرلمان البريطانى نتائج عملها الذى شرحته فيه بايضاح الطريقة التى اتبعتها لمعرفة رأى الإفريقيين والمصاعب التى قابلتها مع جداول تفصيلية بعدد الأفراد الذين قابلتهم اللجنة من كل من الأوربيين والإفريقيين واتجاه آراء كل مجموعة فيما يتعلق بالاتفاقية وما قدمت للجنة من شكاوى واتهامات عن تدخل رجال الادارة أو غيرهم فى الإنتخابات أو عن اعتقال الحكومة الروديسية لبعض الزعماء الإفريقيين فى فترة عمل اللجنة .

ومن تحليلنا لنتائج الاستفتاء حسب تقرير اللجنة نلاحظ :

١ — أن عدد الذين أدلوا بأصواتهم من الإفريقين كان   ١١٦,٣٦٤

---

(٢) أنظر Times Friday-November 26, 1971 (House of Commons)

أنظر Report of the Commission on Rhodesian Opinion under the Chairmanship of the Right honourable Lord Pearce presented to Parliament(May 1972) .

بينما عدد البالغين فوق ١٨ سنة حسب إحصاء ١٩٦٩ هو ٢,٠٠٧,٤٢ وتقدير الزيادة فى عدد السكان خلال هذه الفترة بحوالى ٧٪ .

٢ ـ عدد الذين أدلوا بأصواتهم من الأوربيين كان ٦,٠٢٤ بينما عدد البالغين (فوق ١٨ سنة) حسب إحصاء ١٩٦٩ هو ١٤٤,٩٧٠ وتقدر الزيادة فى العدد فى هذه الفترة تقدر بـ ٥٪ .

٣ ـ بلغ عدد الذين رفضوا المقترحات من الإفريقيين الذين أدلوا بأصواتهم ١٠٧,٣٠٩ بينما عدد الذين وافقوا عليها لم يتعدد ٢,٩٣٤ ـ وهكذا تكون الأغلبية الساحقة من الإفريقيين قد رفضت المقترحات ، وكما ذكر التقرير أن أكثر المتفائلين من رجال الأحزاب الإفريقية لم يكونوا يتوقعون أن تصل نسبة الرفض إلى هذا الحد الكبير .

٤ ـ وصل عدد الذين قبلوا هذه الإتفاقية من الأوربيين إلى ٥,٦٣٤ وعدد الرافضين لم يتعد ٣٩٠ ـ وهكذا تكون غالبية الأوربيين قد قبلت المقترحات .

ومن الأسباب الرئيسية التى ذكرتها الأغلبية الأوربية لقبولها المقترحات أن هذه المقترحات ، هى الفرصة الوحيدة لإيجاد جو من التفاهم والتقارب بين الإفريقيين والمستوطنين الأوربيين ، وأنها ستفتح المجال لتحسين الحالة الاقتصادية ولإيجاد فرص عمل جديدة ، للإفريقيين وبذا يستتب الأمن لأنه كما قال أحدهم « الإنسان الجائع إنسان خطر » .

أما الإفريقيين فعللوا رفضهم للمقترحات بأنها لا يحق لهم العدالة والمساواة ، كما أنهم ذكروا أن الإتفاقية تضفى الصبغة القانونية على تصرفات الحكومة الروديسية دون أن تكفل أية ضمانات على احترامها لالتزاماتها .

وهكذا انهارت هذه الاتفاقية الحديدة من بريطانيا وحكومة روديسيا العنصرية .

رابعاً ـ موقف الأمم المتحدة من قضية روديسيا

كان ميلاد الأمم المتحدة الذى وقع ميثاقها فى ٢٦ يونيه ١٩٤٥ وأصبح نافذاً فى أكتوبر عام ١٩٤٥ ـ أملا جديداً للشعوب الواقعة تحت نير الاستعمار ـ فقد أعلن

ميثاق الامم المتحدة (إيمان البشرية بحقوق الإنسان الأساسية وبكرامته وقيمته ويتساوى حقوق الأمم كبيرها وصغيرها ، كما أعلن حق جميع الشعوب فى ممارسة الحقوق الإنسانية والحريات الأساسية دون تمييز بسبب الفرق أو الجنس أو اللغة أو العقيدة)[1].

وفى عام ١٩٤٨ تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة (الإعلان العالمى لحقوق الإنسان) كما أصدرت عدة قرارات خاصة بحق الشعوب المستعمرة فى التمتع بحريتها ومن أهمها قرارها رقم ١٥١٤ الذى صدر فى الدورة ١٥ (فى ١٤–١٢ ١٩٦٠) .

وفى ١٩٦١ أنشأت الجمعية العامة اللجنة الخاصة (The Special Commitee) لنظر الموقف فيما يتعلق بتطبيق إعلان منح الإستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة .

وفى هذا العام (١٩٦١) تقدمت ١١ دولة أفريقية وآسيوية بقرار للجمعية العامة لتعهد اللجنة الخاصة ببحث الوضع فى روديسيا – وقد اعترضت بريطانيا بأن روديسيا الجنوبية لاتدخل ضمن الأقاليم التى تعهدت بتقديم بيانات عنها للأمم المتحدة – لكن الدول الإفريقية أشارت إلى أن الوضع فى روديسيا خطر وأنها تتحول إلى جنوب افريقيا أخرى – فأصدرت الجمعية العامة قرارها رقم ١٧٤٥ (١٦) فى ٢٣ فبراير ١٩٦٢ مذكرة بقراراتها السابقة المتصلة بالأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتى – وطلبت من (اللجنة الخاصة) بحث الوضع فى روديسيا ومنذ ذلك الوقت أخذت اللجنة الخاصة تدرس مسألة روديسيا وتوليها إهتماماً خاصاً وقدمت هذه اللجنة عدة قرارات للجمعية العامة أوضحت فيها أن الوضع فى روديسيا خطير واستناداً لهذا أصدرت الجمعية العامة عدة قرارات منها قرارها ١٧٤٧ (١٦) فى ٢٨–٦–١٩٦٢ ، وقرارها ١٧٥٥ فى ١٢–١٠–١٩٦٢ ؛ والقرار ١٧٦٠ فى ٣١–١٠–١٩٦٢ ، ١٨٨٣ (١٨) فى ١٤–١٠–١٩٦٣ ؛ ١٨٨٩ (١٨) فى ٦–١١–١٩٦٣ – وفى جميع هذه القرارات دعت الجمعية العامة حكومة المملكة المتحدة إلى إتخاذ الإجراءات الكفيلة بعدم نقل أية سلطة من سلطات السياده إلى

---

(١) أنظر ديباجة ميثاق الأمم المتحدة .

روديسيا الجنوبية بنظام حكمها العنصرى الحاضر ، وأن تنظر فى أمر قيام حكومة تامة التمثيل لجميع سكان المستعمرة ، وأن تعمل للإفراج عن المعتقلين السياسيين .

وقامت اللجنة الخاصة (لجنة الأربعة والعشرين عضواً) بنشاط واضح فى القضية خلال عام ١٩٦٤ ، وقد قامت هذه اللجنة بدراسة شاملة لنفوذ المصالح الإقتصادية الأجنبية فى الإقليم وأثره على القضية – فقد أوضح التقرير أن الرأسماليين الإنجليز هم أصحاب الأنصبة الكبيرة فى رؤس الأموال المستثمرة فى روديسيا – كما أوضح أن الشركات التى تمارس نشاطها هناك معظمها لها فروع فى جنوب إفريقيا وفى المستعمرات الإفريقية ولذا فمن مصلحتها وفى وسعها تحطيم القيود المفروضة على الإقتصاد الروديسى[1] .

ولما كان إتجاه الحكومة الروديسية إلى إعلان الاستقلال من جانب واحد قد وضح فقد أصدر مجلس الأمن فى ٦ مايو ١٩٦٥ قراراً يطالب فيه من المملكة المتحدة وجميع الدول الأعضاء عدم قبول إعلان الاستقلال من جانب واحد ويطلب من المملكة المتحدة القيام بكل مايلزم لمنع ذلك .

وقد أصدرت الأمم المتحدة عدة تحذيرات للسلطات الحاكمة فى روديسيا والمملكة المتحدة بصفتها السلطة الإدارية المسئولة عن إعلان استقلال غير قائم على أساس حق الإنتخاب العام للبالغين .

وكان لإعلان حكومة سميث الاستقلال فى ١١ نوفمبر ١٩٦٥ رد فعل سريع فى الأمم المتحدة فدعيت الجمعية العامة فور صدور الإعلان لاجتماع طارىء عقد فى

---

(١) يعتبر تقرير اللجنة فى هذه الناحية والذى صدر فى ٧ أكتوبر ١٩٦٦ تحت رقم /A / 6300 (Add. I) من أهم الدراسات التى تلقى الأضواء على العلاقة بين النواحى الإقتصادية والنواحى السياسية فى القضية الروديسية ، وأورد جداول احصائية للصادرات وقيمة كل النقدية ، وقدم دراسة لتشريعات الأرض المختلفة ، وبيانات عن شركات الأراضى وملكية كل ، بالإضافة إلى دراسة تفصيلية للمعادن الهامة وإنتاجها فى روديسيا – كما درس العمل والعمالة وموقف العمال الأفريقيين وقارن بين أجورهم وأجور الأوربيين .

Studies of the Activities of Foreign Economic & Other Interests in Southern Rhodesia & Thier mode of Operation.

نفس اليوم وصدر قرار بادانة الإستقلال من جانب واحد الذى أعلنته حكومة روديسيا الجنوبية ، وطلبت الجمعية العامة من المملكة المتحدة تنفيذ قراراتها السابقة من أجل وضع نهاية لتمرد السلطات غير الشرعية فى روديسيا ، وأوصت الجمعية العامة مجلس الأمن ببحث الموقف فى روديسيا على وجه السرعة .

واجتمع مجلس الأمن فى اليوم التالى لإعلان الاستقلال من جانب واحد ودعت الدول الإفريقية والآسيوية إلى استخدام القوة لسحق التمرد بموجب الفصل السابع من الميثاق (المادة ٤٢) وأشارت هذه الدول إلى أن التدابير التى تتخذها المملكة المتحدة قاصرة عن حل الموقف — لكن تحت ضغط بريطانيا وحلفائها اقتصر قرار المجلس رقم ٢١٧ : الذى صدر فى ٢٠—١١—١٩٦٥ على دعوة جميع الدول إلى فرض الحظر على منتجات النفط والبترول ، وقطع جميع العلاقات التجارية ، والإمتناع عن تزويد روديسيا الجنوبية بالأسلحة والمهمات والمواد الحربية ، وناشد القرار جميع الدول عدم الإعتراف بالسلطة غير الشرعية وعدم مساعدتها وعدم الاحتفاظ بعلاقات دبلوماسية معها .

وهكذا لم تخرج الإجراءات التى اتخذتها انجلترا والأمم المتحدة لانقاذ الإفريقيين فى روديسيا الجنوبية وتمكينهم من الحصول على حقهم فى بلادهم — عن هذه الاجراءات الاقتصادية التى ثبت أنها قليلة الجدوى وأنها — كما أشارت الصحيفة البريطانية المعروفة د . لوسى مير (Dr. Lucy Mair) لا تعفى بريطانيا من مسئوليتها الأخلاقية قبل الشعب الإفريقى فى روديسيا[1] .

ورغم أن عدداً كبيراً من الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة — أبلغت السكرتير العام أنها قررت قطع علاقاتها الإقتصادية كلية مع حكومة روديسيا وفرضت حظراً على تصدير النفط إليها — فان حكومة سميث لم تعبأ بهذه التدابير الإقتصادية التى

---

(١) أنظر مجلة (الايكونومست البريطانية) العدد الصادر فى ١٨ نوفبر ١٩٦٥ .

— ود . لوسى مير حجة فى المشاكل الاستعمارية ، وقد أصدرت عدة كتب عن أفريقيا كما ألقت عدة محاضرات قيمة عن بعض القضايا الافريقية الهامة — فى المعهد الأفريقى الدولى (International African Institute) — وقد ذكر اللورد هيلى أنها عاونته معاونة صادقة فى مراجعة وإعادة كتابة بعض فصول كتابه الضخم عن إفريقيا — أنظر مقدمة كتابة :

Hailey, Lord : An African Survery P. VI (Londion 1957).

اتخذتها المملكة المتحدة والأمم المتحدة وثبت أن هذه التدابير — كما أشارت اللجنة الخاصة للأمم المتحدة فى تقريرها فى ٦ أبريل ١٩٦٦ — غير كافية — وأن روديسيا الجنوبية تحصل على حاجتها من النفط عن طريق السكك الحديدية وسيارات النقل عبر جنوب أفريقيا وموزمبيق وأن الأمر يجب أن يتجاوز العقوبات الاقتصادية إلى التدخل العسكرى ، وقد لجأت بريطانيا إلى ذر الرماد فى العيون (Smoke Screen) كما عبر عن ذلك ممثل زامبيا فى الأمم المتحدة وإسكات الرأى العام العالمى بايهامه أنها جاده فى اتخاذ كل الوسائل الممكنة لحل المشكلة فحاولت أن تجرى مفاوضات مع الحكومة العنصرية فى روديسيا دون جدوى[1] .

وقد أصدر مجلس الأمن فى ١٦—١٢—١٩٦٦ قراراً بفرض عقوبات إقتصادية إضافية ملزمة على روديسيا طبقا للمادة ٤١ من ميثاق الأمم المتحدة فقد قرر أن تمتنع جميع الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة عن استيراد المنتجات الآتية من الاسبستوس . الحديد ، الكروم . النحاس ، السكر ، التبغ . منتجات اللحوم . جلود الحيوانات — كما طالب القرار أن تمتنع الدول عن تصدير النفط ومنتجاته والأسلحة ، والمعدات الحربية والطائرات . والمركبات الآليه — إلى روديسيا الجنوبية واعتبر المجلس عدم تطبيق أيه دولة لهذا القرار انتهاكا للمادة (٢٥) من ميثاق الأمم المتحدة التى تلزم الدول الأعضاء فى الامم المتحدة بقبول قرارات مجلس الأمن وتنفيذها[2] .

وقد أصدرت الجمعية العامة ولجان الأمم المتحدة الأخرى عدة قرارات أخرى أكدت فيها شرعية كفاح شعب زمبابوى لإسترداد حقه فى الحرية والاستقلال وطالب جميع الدول بتقديم كل معونة لهذا الشعب فى كفاحه ونددت بسياسات البرتغال وجنوب إفريقيا والدول الأخرى التى تساند نظام الحكم غير الشرعى — ودعت المملكة المتحدة لإتخاذ تدابير فعالة لاسقاط نظام الحكم المتمرد فى روديسيا .

لكن إزدادت الحالة فى روديسيا سوءاً وتمادت الحكومة العنصرية فى إرهابها وتنفيذ أحكام الاعدام على المعتقلين السياسيين — كما أن مجلس الأمن اعترف بأن

---

(١) U. N. Year Book 1966, P. 101.

(٢) جلسة المجلس رقم ١٣٤٠ — قرار رقم ٢١٢ .

الإجراءات التي اتخذت كلها فشلت فى إنهاء حركة التمرد فى روديسيا وأن بعض الدول من أعضاء الأمم المتحدة لا تزال تتحدى قرارات المجلس والجمعية العامة فهى لا تزال تزاول نشاطها الاقتصادى والسياسى مع نظام الحكم غير الشرعى فى روديسيا(١) .

وقد طال الأمد على القضية الروديسية وهى تتسكع فى المحافل الدولية وغير الدولية – ولعل ذلك هو الذى شجع بريطانيا على أن تخطو خطواتها الأخيرة بمحاولة الإتفاق مع حكومة الأقلية العنصرية البيضاء لتضفى على تصرفات هذه الحكومة الناحية الشرعية ولتجد بريطانيا وسيلة للتحلل من القيود الإقتصادية التى التزمت بها أمام الهيئة الدولية تجاه روديسيا .

وإن كانت اللجنة التى شكلتها بريطانيا لمعرفة رأى الشعب الروديسى فى الإتفاق قد أعلنت فى تقريرها الذى أشرنا إليه من قبل والذى قدم للبرلمان الإنجليزى فى مايو ١٩٧٢ – إلى أن غالبية الشعب الروديسى لم تقبل هذا الاتفاق الذى تم بين بريطانيا والحكومة العنصرية . وأنها لا تعتبره وسيلة ناجحة لحل المشكلة – فقد حان الوقت للشعوب الإفريقية لتتعلم الدرس الاساسى من هذه القضية وأمثالها وهو « أننا فى عالم لا تزال من مبادئه أن الحق يؤخذ ولا يعطى » .

(٣) قرار المجلس رقم ٢٧٧ فى ١٨-١٢-١٩٧٠ (الجلسة رقم ١٥٣٥) .

CONCLUSIONS

We believe that taking into account the explanation given by the Rhodesian authorities, the activities of those opposing or promoting the Proposals, the distribution of our simplified version of the Proposals and the explanations given by the Commission at meetings and over the radio, the great majority of those who gave us their opinions had a sufficient understanding of the content and implications of the Proposals to enable them to pass judgment on them. We are satisfied that the Proposals have been fully and properly explained to the population of Rhodesia.

We are satisfied on our evidence that the Proposals are acceptable to the great majority of Europeans. We are equally satisfied, after considering all our evidence including that on intimidation, that the majority of Africans rejected the Proposals. In our opinion the people of Rhodesia as a whole do not regard the Proposals as acceptable as a basis for independence.

PEARCE
(Chairman)

HARLECH
(Deputy Chairman)

MAURICE H DORMAN
(Deputy Chairman)

H SMEDLEY
(Secretary-General)

GLYN JONES
(Deputy Chairman)

صورة طبق الأصل من الصفحة الأخيرة التى ختم بها
(بيرس) تقرير لجنته المرفوع للبرلمان الانجليزى والتى
ضمنها النتائج النهائيه التى وصلت اليها اللجنة

أهم مراجع البحث

نورد هنا أهم المراجع التى استعنا بها فى هذا البحث والتى أشرنا إليها فى حواشى البحث .

أولا — المراجع الأصلية (النشرات والتقارير الرسمية) ومحاضر جلسات منظمة الوحدة الإفريقية وهيئة الأمم ولجانها وكذلك الاحصاءات الرسمية الصادرة من حكومة سولزبرى :

1. Organization of African Unity (Information Department) ID/Rhodesia (The OAU & Rhodesia : Published by the General Secretariat of the Organization of African Unity (Addis Ababa 1961).
2. Organization of African Unity (Basic Documents & Resolutions) : published by the provisional Secretariat of the Organization of African Unity (N.D.)
3. United Nations Documents Index (Southern Rhodesia Situation)
4. United Nations Reports (A/7601/Add.1).
5. United Nations Resolutions
6. United Nations draft Resolutions (A/C. 3L. & A/C 4L.)
7. United Nations Meeting Records.
8. United Nations Demographic Year Book (1960).
9. United Nations Year Book (1965).
10. United Nations Year Book (1966).
11. United Nations Year Book (1967).
12. Report of The Special Committee on the Situation with regard to the Impleimintation of The Declaration on the Granting of Independence to Colonial Countries & Peoples (Study of the Activities of Foreign Economic & Other Intersts in Southern Rhodesian & Other Mode of Operation (7 October 1966).
13. Report of the Commission on Rhodesian Opinion under the chairmanship of the Right honourable the Lord Pearce (Presented to Parliament — May 1972).

ثانياً — بعض نشرات ومطبوعات صادرة من هيئات تحرير زمبابوى :

1. The Zimbabwe Review (Published by the Publicity & Information Bureau of the Zimbabwe African Peoples Union (Post Box 1657 — Lusaka, Zambia).
June 1965 — March 1966 — April 1966 — January 1967 — Febru ry 1967 — October 1969, Dec. 1969 & January 1970.

2. Zimbabwe Today (Published by The Zimbabwe African National nio of Southern Rhodesia (5 Ahmed Hishmat Street Zamalek, Cairo U.A.R. (November 1965, April 1967, Dec. 1969 & January 1970).

3. Nkomo, Joshia «One Man & One Vote» — The Only Solution in Southern Rhodesia (Published by Zimbabwe African National Union of S.R.).

ثالثا — مراجع عربية :

١ — بدير ، صلاح الدين : التفرقة العنصرية فى إفريقيه (القاهرة ١٩٦٦) .

٢ — البراوى ، راشد : الاستعمارى البريطانى ومشكلة روديسيا (١٩٦٦) .

٣ — البطريق ، عبد الحميد وآخرون : إفريقيا حلم الاستعمار البريطانى (١٩٦٢) .

٤ — تشيرس ، ر . ج . هاريسون : الاستعمار الحديث (ترجمة دولت صادق — مراجعة محمد السيد غلاب) .

٥ — الجمل ، شوقى : التضامن الآسيوى الإفريقى وأثره فى القضايا العربية (١٩٦٦) .

٦ — الجمل ، شوقى : الوحدة الإفريقية ومراحل تطورها (١٩٦٧) .

٧ — الجمل ، شوقى : تاريخ القارة الإفريقية واستعمارها (١٩٧١) .

٨ — حمدان ، جمال : استراتيجية الاستعمار والتحرر (١٩٦٨) .

٩ — الخشاب ، شوقى : اتحاد روديسيا — ونياسالاند (القاهرة ١٩٦٤) .

١٠ — رياض ، زاهر : إستعمار إفريقية (١٩٦٥) .

١١ — الصقار ، فؤاد : التفرقة العنصرية فى إفريقية (١٩٦٥) .

١٢ — صفى الدين ، محمد : إفريقيا بين الدول الأوربية (القاهرة ١٩٥٩) .

١٣ — غالى ، بطرس بطرس : منظمة الوحدة الافريقية (القاهرة د . ت . الناشر الأنجلو) .

١٤ — ليجوم ، كولين : الجامعة الإفريقية (ترجمة أحمد محمود سليمان — مراجعة عبد الملك عوده — ١٩٦٤) .

١٥ — نكروما ، كوامى : الاستعمار الجديد (ترجمة خيرى حماد) .

رابعاً — مراجع أجنبية :

1. Abraham, O.P. : The Early Political History of the Kingdom Mwnee Mutapa (Salisbury 1962).
2. Barber, James : Rhodesia, The Road to Rebellion (London 1967).
3. Barber, William : The Economy of British Central Africa (London 1960).
4. Bartlett, V. : Struggle for Africa (1953).
5. Black, Colin : The Lands and People of Rhodesia & Nysaland (London 1961).
6. Boggs, S. : International Boundaries (New York 1940).
7. Brelsford, W.V. : Hand book to the Federation of Rhodesia & Nysaland (London 1950).
8. Carter. Margret : Rhodesia & Nysaland (London 1960).
9. Clegg, Edward : Race & Politics (Partnership In the Federation of Rhod esia & Nysaland (London 1960).
10. Cooper, Ayandele Gravin & Afigbo : The Growth of African Civilisation (London 1965).
11. Coupland, : East Africa & Its Invaders (London 1938).
12. Donald, S. Rotschild : Towards Unity in Africa, A Study of Federation in British Africa (Washingtion 1960).
13. Duffy, J. : Protugeuse Africa (London 1959).
14. Franck, Thomas : The Struggle for Power in Rhodesia & Nyasaland (London 1960).
15. Gertrude, Sarah : Rhodes (London 1933).
16. Gross, Felix : Rhodes of Africa (London 1956).
17. Hailey, Lord : An African Survey (London 1957).

18. Hanna, A.J. : The Beginnings of Nyasaland & North-Eastern Rhodesia (1859—95) (London 1965).
19. Hanna, A.J. : The Story of the Rhodesia & Nyasaland (London 1960).
20. Hensman, Howard : A History of Rhodesia, Complied from Official Sources (Edinburg 1900).
21. Hertslet, E. : The Map of Africa by Treaty. Vol. I (London 1909).
22. Johnston, H. : A History of the Colonization of Africa by Alien Races (1913).
23. Keatley, Patrick : The Policies of Partnership (Londion 1963).
24. Kelltie, Scott : The Partition of Africa (London 1985).
25. Kruger, Paul : The memoires of Paul Kruger Vol. I (London 1954).
26. Kuper, H. : The Shona & Ndebele of Southern Rhodesia (London 1954).
27. Leo Marquard : The Story of South Africa (London 1954).
28. Leys, Colin · European Polities In Southern Rhodesia (London 1959).
29. Leys, Colin & Prate, Granford · Rhodesia & Nyasaland (N.Y. 1961).
30. Livingstone, David · Missionary Travels & Researches in South Africa (1857).
31. Lockhart & Woodhouse : Cecil Rhodes (N.Y. 1963).
32. Marais : The Fall of Kruger's Republic (Oxford 1961).
33. Masan, Philip : The Birth of a Dilemma (London 1958).
34 Maurette, Fernand : Geographic Universelle Tome XII (Paris 1883).
35 Mtashali, Vulidlela : Rhodesia, Background to Conflict (London 1968).
36 Pemberton, Baring : Battles of the Bore War (London 1964).
37 Ransford, Oliver : The Rulers of Rhodesia from Earliest times to Referendum (London 1968).
38 Rayner, William : The Tribe & Its Successor (London 1962).
39. Robinson, R & Callagher, J. : Africa & The Victorians (London 1961).
40. Samkange, Stanlake : Origins of Rhodesia (London 1968).
41. Seligman G.G. : Races of Africa (London 1959).
42. Stamp, Dudley : Africa, A Study of Tropical Development (N.Y. 1959).
43. Todd, Judith : Rhodesia (London 1966).
44. Tracey, H. : Antonio Fernandes (Lourenco Marques 1940).
45. Waugh Evelyn : Tourist in Africa (New York 1960).
46. Welch, S.R. : South Africa Under king Sebastian (Cape Town 1949).
47. Woolf, Leonard : Empire & Commerce In Africa (London 1920).

مجلة الدراسات الافريقية (١٩٧٣)
Cairo Univ. Afr. Stud. Rev. 2: 121—155 (1973)

موارد الأسماك البحرية حول أفريقيا

للدكتور سمير ابراهيم غبـور
مدرس علم الحيوان — قسم الموارد الطبيعية
معهد البحوث والدراسـات الافريقية — جامعة القاهرة

Marine Fisheries Resources Around Africa

By

Dr. Samir I. Ghabbour
Dept. of Natural Resources
Inst. of African Research & Studies
Cairo Unievrsity, Giza, Egypt

Summary

What man gets from the sea is supposed to be the surplus of marine biological production. Man is still unable to manage the marine living resources and he may become so too late when marine life may be either depleted by overfishing or poisoned by pollution. Enormous quantities of fish are taken by non-African fleets[1] from African waters (especially in the Atlantic) and processed into fish-meal and oil. The Africans who are in great need of this fish to supplement their diet which is poor in proteins, are deprived of their legitimate fish stocks for the sake of some marketing circumstances . The meal is utilized by some countries of temperate latiitudes to produce poultry and livestock because there is no other better use and the Africans are too poor to buy it.

The solution is for African coastal states to prevent this excessive over fishing which threatens to deplete fisheries resources and to extend their esxclusive

fishing zones to the 600 M isobath, to the continental shelf or to where exploitable fish stocks are known to occur. African States must also cooperate in managing their marine resources and develop the poultry industry to absorb the fish-meal produced from waters adjacent to them. They can also engage non-African fleets to fish for their own markets and help local fishermen who are the sector of the population most ready to benefit-with scientific advice, motorised boats, small and modern gear, etc. There are still unexplored possibilities for the culture of oysters, clams, sea -turtles, algae, etc. in coastal waters.

Measures must be taken to protect and conserve marine wildlife for the benefit of future generations.

ما زالت الإنسانية وهى تقترب من نهاية القرن العشرين تستغل المحيطات استغلالا هامشيا وما زالت عملية إدارة وتنظيم الحياة البحرية محاولة مستحيلة .

ولم يجد الإنسان حتى الآن وسيلة لتحسين الأنواع البحرية ولانتخابها كما فعل على البر وهو عاجز عن زيادة انتاجيتها أو حمايتها من مخاطر الأمراض ومن العوامل المهلكة .

وكل ما استطاع عمله هو نقل أنواع من مكان إلى آخر حيث لم تكن موجودة من قبل . وبذلك فان استغلال الموارد الحيوانية البحرية يتم فى مجال واسع مجهول. وما يحصل عليه الإنسان من البحر هو فى الحقيقية فائض إنتاج ناشىء عن سلسلة من عدة تفاعلات توثر عليه ايجابيا وفى بعض الأحيان سلبياً. ولا يستطيع الإنسان أن يزيد الإنتاج الطبيعى فى البحار ولكنه قادر على انقاصه بالتلويث بالددت والفلزات الثقيلة والزيت المعدنى (كوستو ١٩٧١) .

ويخشى بعض بيولوجيو البحار أن الوضع الحالى للاستغلال البحرى من حيث النمط والدرجة يمكن أن يؤدى حقيقة إلى انقاص واختفاء بعض أنواع الحيوانات البحرية ومثال ذلك الحوت (وهو ما يوشك أن يحدث فعلا) والدرفيل والسردين أو إلى اختفاء كل أنواع الأسماك التجارية (ريذر ١٩٦٩) .

وسائل الاستغلال :

١ — الجمع والبحث سيرا على الأقدام : ما زالت هذه الوسيلة البدائية تنتج كميات لا بأس بها فى المنطقة المدية الجزرية أو على السواحل المرجانية وتصلح لجمع بعض الأسماك والسيبيا والقشريات والأصداف والطحالب .

ولا تحتاج هذه الوسيلة لأكثر من معرفة جيدة بالأماكن المناسبة ونظرة فاحصة للأنواع المختلفة من الحياة الشاطئية . ويمكن للصيادين القيام برحلات قصيرة بالقوارب الصغيرة لصيد الحيوانات التى تزور الشاطىء مثل السردين .

ويمكن كذلك للصيادين الوقوف عند البواغيز لصيد الأسماك التى تقوم برحلات هجرة منتظمة مثل البورى وثعابين السمك عند دخولها من البحر إلى الماء العذب أو العكس . وفى هذه الحالة تصاد كميات من هذه الأسماك التى تقوم بهذه الهجرة للتكاثر ولذا تكون كبيرة وسمينة .

٢ — الصيد فى أعالى البحار : حينما يفكر الصائد فى البحث عن الموارد المائية فى عرض البحر فان عليه أن يعتمد على وسيلة النقل الملائمة وهى دائما سفينة تحدد إمكانيتها المدى الذى يستطيع أن يبتعد إليه الصائد وكمية الصيد التى يستحوذ عليها.

وتحدد إمكانيات السفينة بعدد البحارة وقوة آلاتها وحجم مستودعها .

وقد تطورت صناعة سفن الصيد بحيث جعلت من السفينة الشراعية القديمة التى كان يعمل فيها الصياد بالتعاون مع أسرته — جعلت منها أداة متحفية ، وأحلت بدلا منها صناعة الصيد الكبيرة والمتقدمة . وأصبحت صناعة الصيد تعتمد أكثر وأكثر على السفن الكبيرة التى يسيرها طاقم مدرب تدريباً فنياً عالياً وتصب فيها استثمارات مالية ضخمة . ولكن مع هذا ما زالت السفن التى تسير بالمجاديف أو بالشراع أو بآلات قوتها أقل من ٥٠ حصان — وهى السفن الصالحة لعمل أسرة هى أكثر سفن الصيد عددا ويعمل عليها نصف صيادى العالم .

وتنقسم سفن الصيد الكبيرة المصنوعة من الصلب إلى ثلاثة أقسام :

— من ٢٥ إلى ٣٥ متر طولا ، ومن ١٠٠ إلى ٣٠٠ طن حمولة ، ومن ٣٠٠

إلى ٨٠٠حصان : وهى سفن الصيد الصغرى من بين السفن التجارية ويستخدم أغلبها لصيد التونة بشباك الجر . وتعتبر مرحلة انتقال ، فهى أكبر من أن تستخدمها أسرة وأصغر من أن تستخدمها الشركات لأنها قد تأتى بخسائر اقتصادية .

– من ٣٥ إلى ٤٥ متر طولا ، ومن ٣٠٠ إلى ٨٠٠ طن ومن ٨٠٠ إلى ١٢٥٠ حصان : وهى سفن الصيد التجارية الشائعة التى يمكن أن تزود بثلاجات وتصلح لصيد التونة والقشريات وتستخدم شباك البحر .

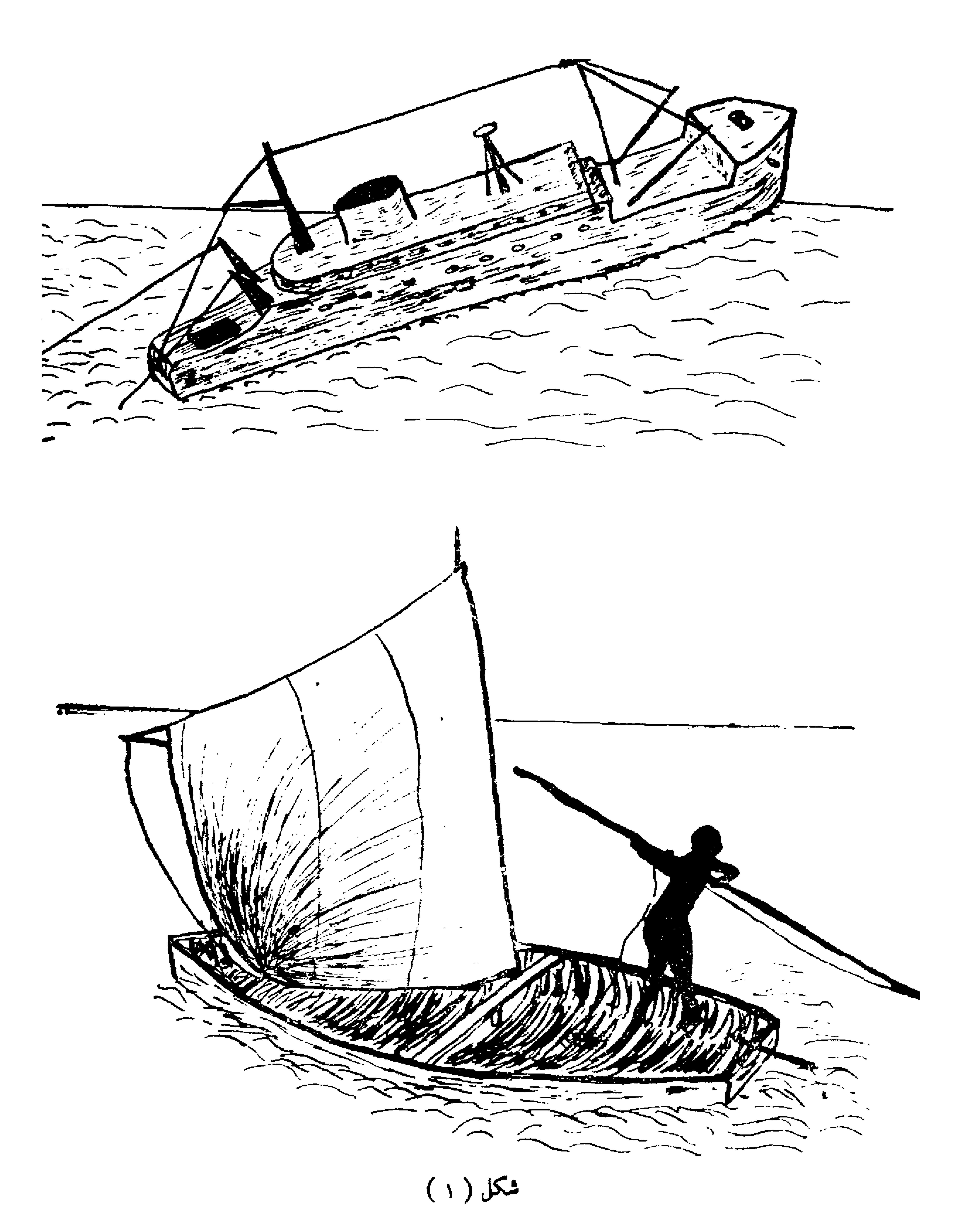
– أكثر من ٤٥ متر طولا وبالأخص من ٦٠ – ٨٠ ويمكن أن تصل إلى ١٠٠ متر وحمولتها من ٨٠٠ إلى ٣٠٠٠ طن وقوتها من ١٢٥٠ إلى ٢٥٠٠ حصان : وهى سفن الصيد التجارية الكبرى التى تجوب المحيطات وبها مجمدات ومصانع لتجهيز الصيد مباشرة لتحويله إلى دقيق واستخراج زيته . وقد اتضح أن أنجح طراز هو ذو المؤخرة المنزلقة التى تسمح بتشغيل شباك الجر من الخلف بدلا من الجانب مما يسهل عملية الصيد كثيراً .

وتستطيع الواحدة من هذه السفن صيد ٦٠ طن من السردين بجرة واحدة لا تستغرق أكثر من نصف ساعة . ولا يقل طول السفن ذات المؤخرة المنزلقة عن ٣٠ متر (شكل ١ ، دومانج ١٩٦٥) .

وقد توصل السوفييت واليابانيون إلى الوسيلة المثلى للجمع بين مميزات السفن الصغيرة والكبيرة فهم يقومون بالصيد بواسطة أسطول يتكون من عدد من السفن الصغيرة المعتمدة على سفينة كبيرة كمخزن للماء العذب والطعام والوقود والعمرة الميكانيكية والثلج . . الخ . وهى تجمد أيضا الصيد أو تعالجه نهائيا وبالكامل فتعلبه أو تدخنه أو تحوله إلى دقيق أو تستخرج منه الزيت .

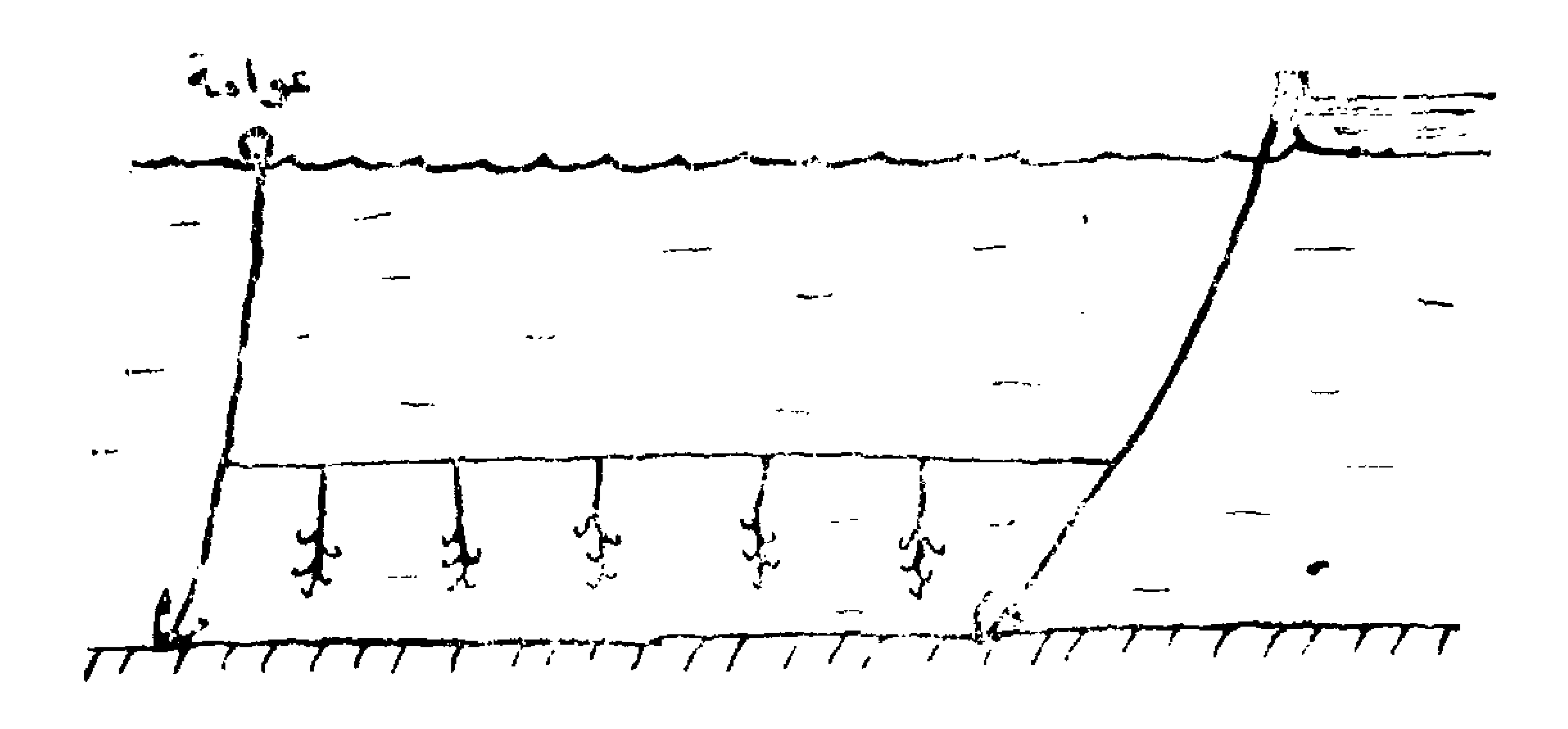
٣ – استخدام الآلات والمعدات : يتوقف استخدام نوع آلة الصيد على نوع الحيوان المراد صيده بحيث أن كمية المصاد تتوقف هى أيضا على الوسيلة المستخدمة فى الصيد .

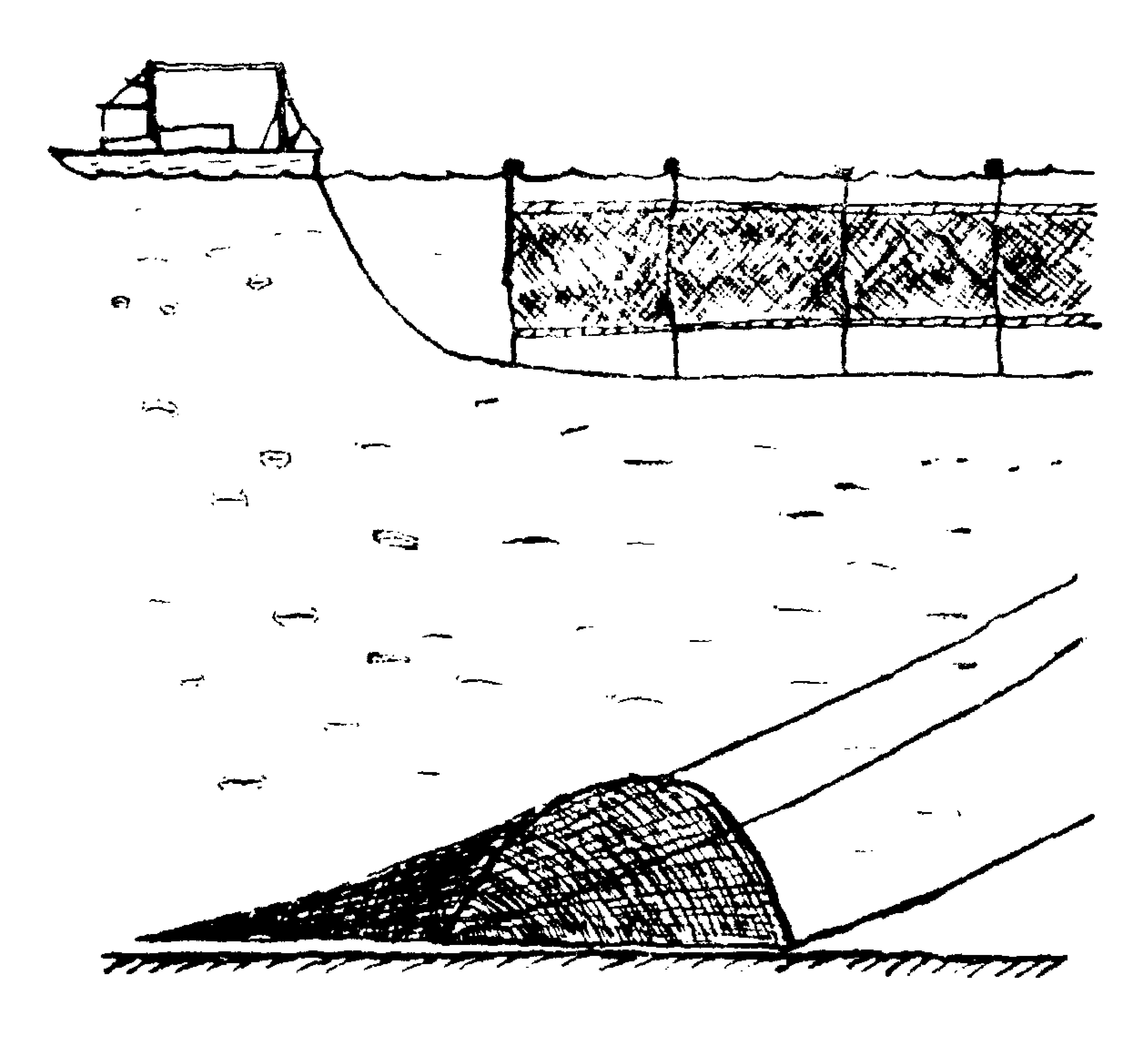
– الخيط والسنارة : يصلحان لصيد الأنواع الكبيرة الحجم ولكن بأعداد قليلة ولذلك يقتصر استخدامها على الأنواع غالية الثمن (شكل ٢ ، ليفاستو ١٩٦٥) .



شكل (١)

معدات الصيد الآلية واليدوية : سفينة شباك جرذات المؤخرة المنزلقة وبها مصنع عائم لمعالجة السمك وقارب فردى يستخدم صاحبه الحربون فى مياه جوال السنغال (عن دومانج ١٩٦٥) .





شكل (٢)

سنارة مركبة (الكنس) لصيد التونة وشباك خيشومية وشباك الجر . (عن ليفاستو ١٩٦٥)

ويمكن للسفن الكبيرة استخدام السنارة فى جهاز خاص يسمى الكنس لصيد التونة ويصل طول الخيط إلى ١٠٠ كيلو متر وتربط عليه وحدات كل ٢٠٠ إلى ٤٠٠ متر وتحتوى الوحدة على ٥ أو ٦ سنانير . ويدلى الخيط عند الغروب ويسحب بعد ظهر اليوم التالى ، ويستخدم السردين كطعم . ويحصل الفرنسيون واليابانيون الذين يستخدمون هذه الوسيلة فى خليج غينيا على ٤ - ١٢ سمكة كبيرة من كل ١٠٠ سنارة .

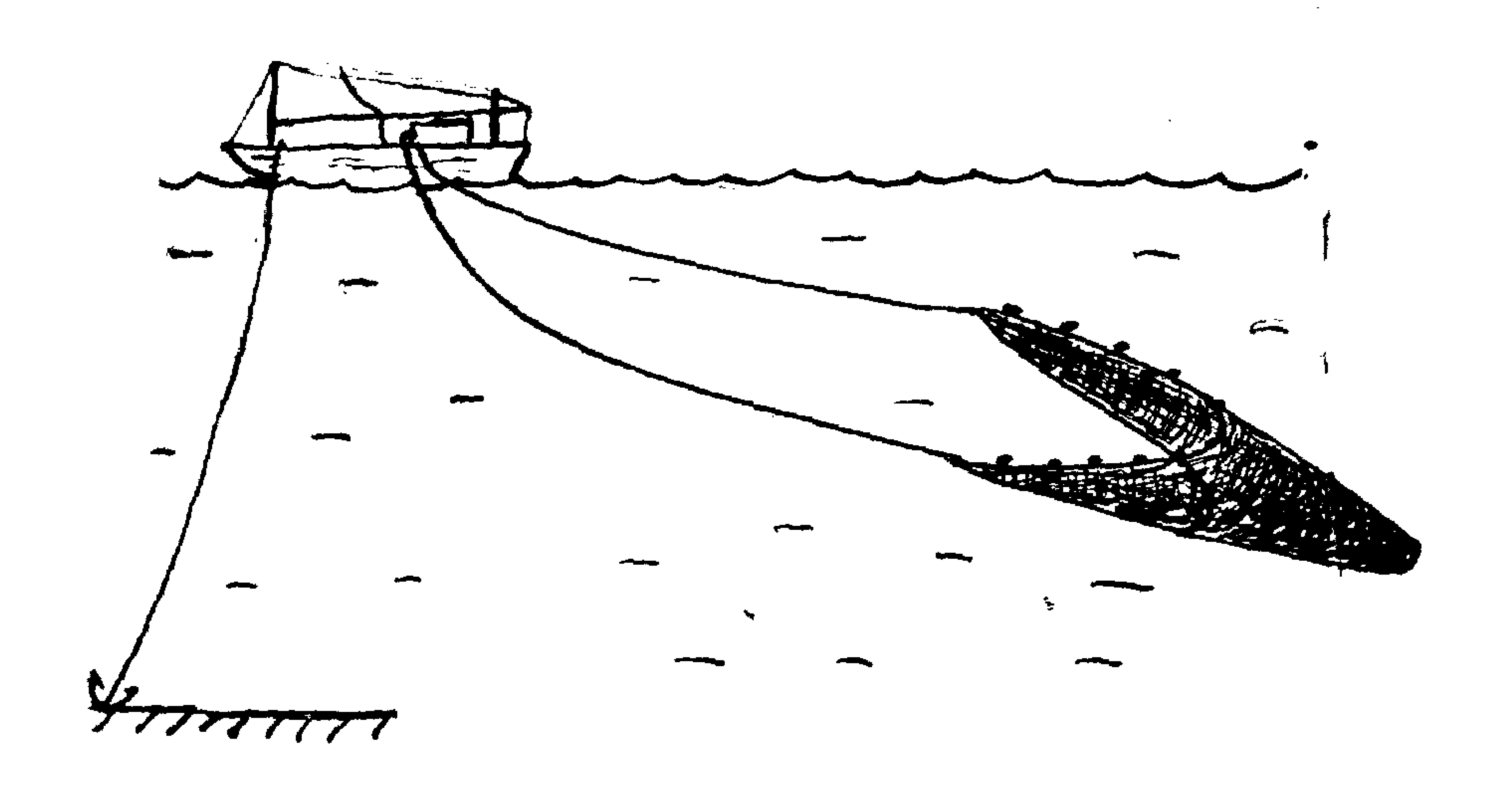
- الشباك وهى خاصة بالصيد الجزافى للأسماك والرخويات والقشريات من أى حجم . وهى لا تحتاج لطعوم خاصة وانتاجها أعلى ولكن استثماراتها أيضا أعلى وتحتاج صيانتها إلى مجهود كبير قلل منه اختراع خيط النايلون إلى حد كبير وتنقسم أنواع الشباك (شكل ٣) إلى :

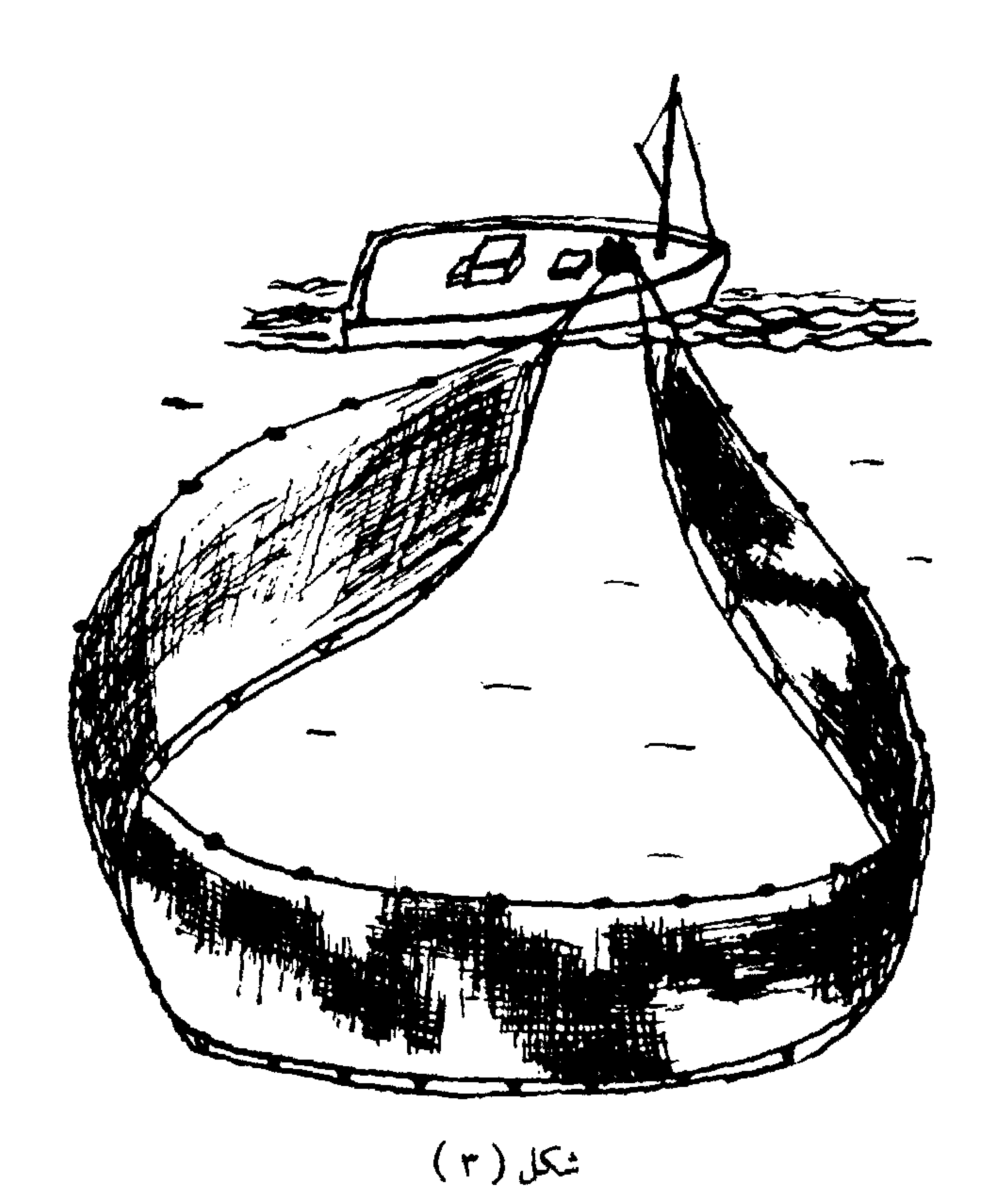
شباك خيشومية أو غزل وهى تصنع على هيئة صفيحة واحدة تعوم رأسيا ويتعثر السمك فى فتحاتها ولذلك تعدل الفتحات حسب نوع السمك وتصلح أساسا للأسماك الزرقاء ، مثل السردين والرنجة والأنشوجة والماكريل والتونة والسالمون وتعطى محصولا متجانسا من الأسماك .

شباك الطرح التى يمكن أن تقفل من أسفل وتكون فى الأصل مستقيمة ولكنها تطرح فى دائرة وإذا أقفلت بسرعة فانها تحجز كميات هائلة من الأسماك ويكون قطرها ٥٠٠ متر وعمقها ٨٠ متر وتستخدم أساسا لصيد الأسماك المخصصة لصنع الدقيق أو استخراج الزيت وتستخدم بكثرة فى مياه جنوب غرب أفريقيا .

شباك الجر وقد بدأت على هيئة جيوب لها امتدادان جانبيان وتطورت إلى شباك الجر على القاع ويسمى الشكل الأصلى الشبيه بالجيب جرافة وتقوم بتشغيلها سفينة واحدة أو سفينتان .

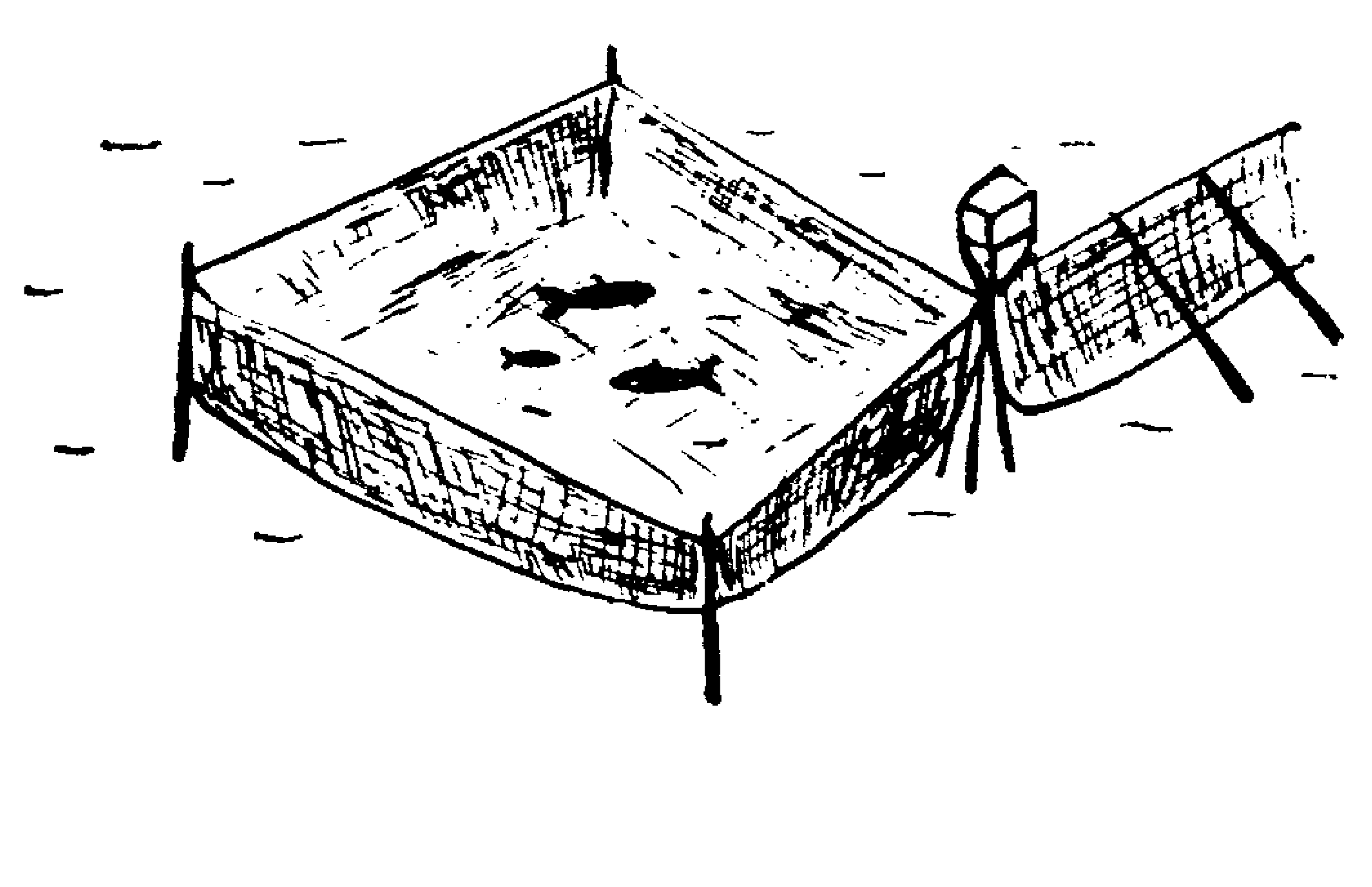
المصيدة : (شكل ٤) تستخدم عادة بالقرب من الشواطىء ويمكنها أن تغطى عدة كيلو مترات مربعة وتستخدم لصيد التونة على شواطىء ليبيا . ولكنها تستخدم أيضا فى المياه العميقة لصيد الاستاكوزا فى موريتانيا وفى مياه جنوب غرب أفريقيا.

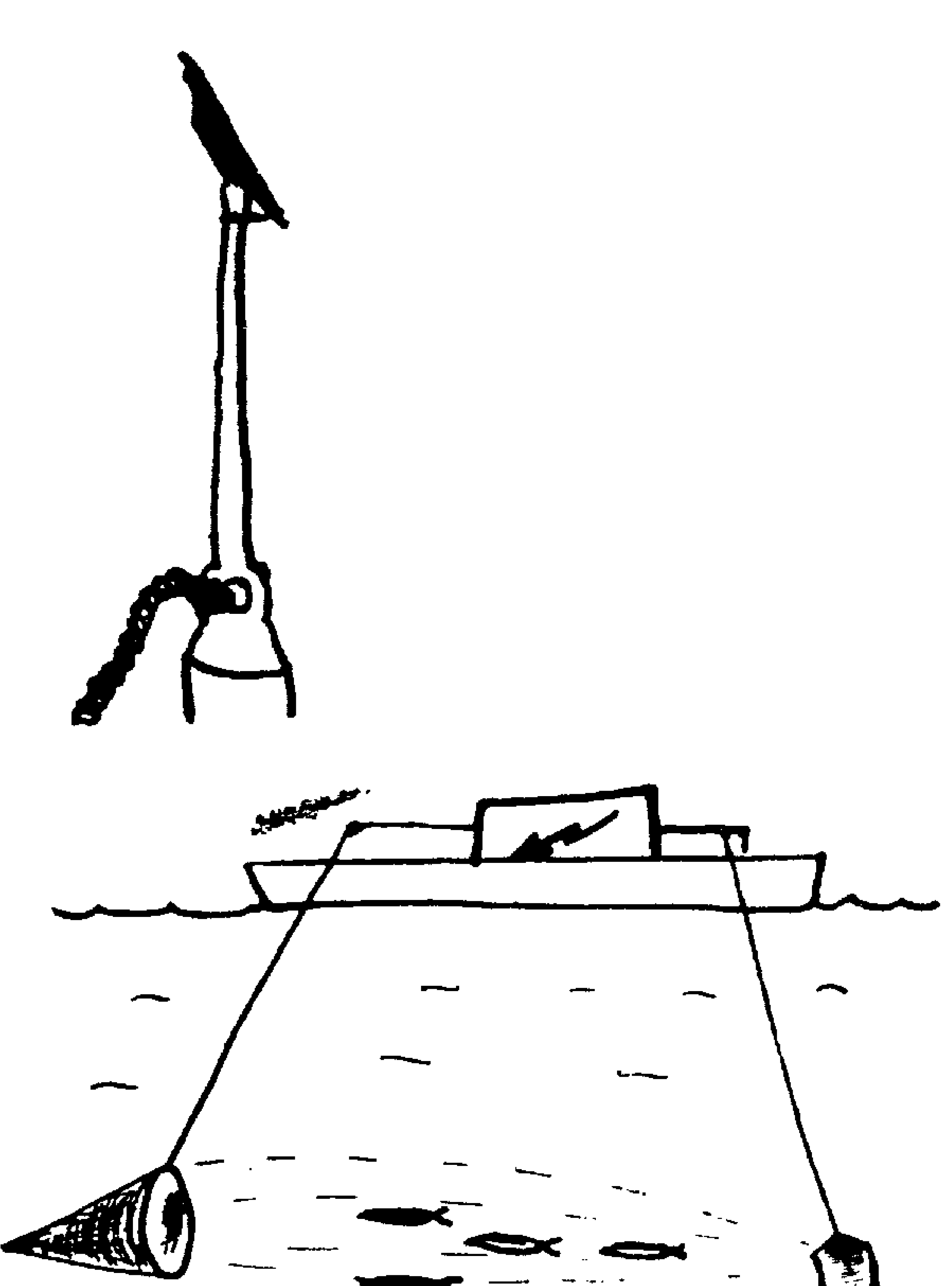




شكل (٣)

الجرافة وشبكة الطرح . (عن ليفاستو ١٩٦٥) .





شكل (٤)

مصيدة الصندوق والحريون المدفعي واستخدام الكهرباء للصيد (عن ليفاستو ١٩٦٥) .

الحربون : بدأ استخدامه فى العصر الحجرى الحديث وتستخدمه الدول الكبرى لصيد الحيتان وللأسماك الكبيرة . ويستخدم الآن الحربون المدفعى الذى ينطلق بواسطة قذيفة من فوهة مدفع خاص .

الكهرباء : تستخدم اما للقتل المباشر أو كمصدر للضوء لجذب الكائنات البحرية ونظراً لكثرة الحوادث الناتجة عنها والصعوبات المرتبطة بها يقل استخدامها ، ولكن تقوم السفن السوفييتية باستخدام الكهرباء لغرض ثالث وهو جذب الأسماك من تحت الماء إلى أحد قطبى الدائرة ثم شفطها بمضخة . ولا تستجيب الأسماك بنفس الطريقة للتيار الكهربائى بل يتوقف ذلك على نوع السمك وعلى مرحلة حياته .

التهيؤ للصيد البحرى :

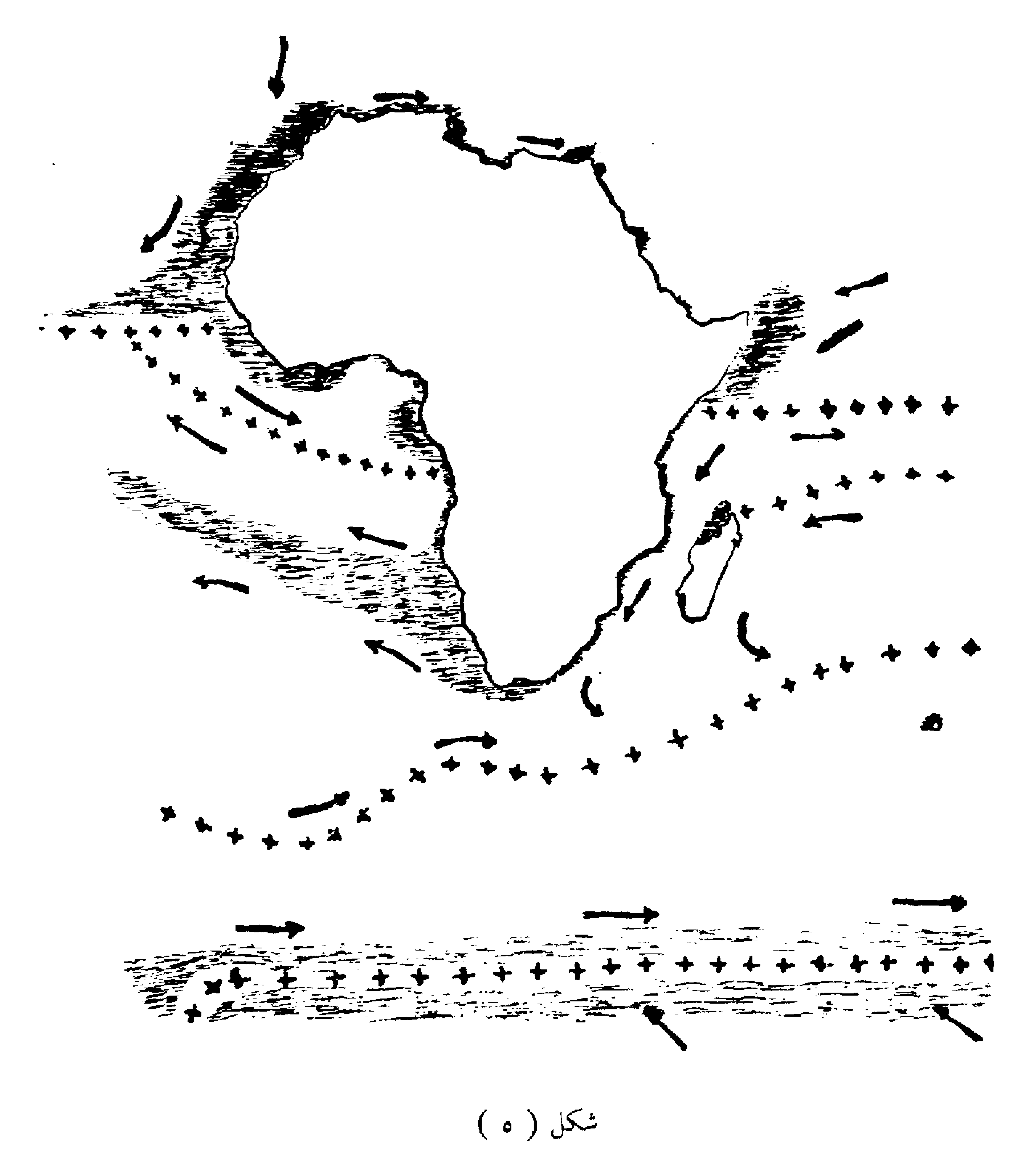
دلت التجارب والخبرات المستقاة من عدة دول على أن الحصول على أحدث وسائل الصيد ومعداته وسفنه والمعلومات العلمية المتاحة لا يضمن الحصول على صيد كبير إذ أن استغلال البحر فن لا يمكن تعلمه إلا فى مناخ اجتماعى ونفسانى يهىء له .

وإذا اعتمدت الدول الافريقية على من عندها من أفراد تربوا ونشأوا فى مجتمعات صيادين مهما قلوا واستفادوا من تراث ثقافة بأكملها تلخص خبرة الأجيال وزودت هؤلاء الأفراد بالخبرة الحديثة والتدريب المتقدم فانهم يمكنهم أن يخدموا مصايد الأسماك بأكثر من الأفراد المأخوذين من بيئات لا علاقة لها بالبحر مهما زودوا بكل الحقائق النظرية عن البحر . وقليلة هى المجتمعات والحضارات التى أظهرت استعدادات للعيش على خبرات البحر وهى تلك التى توجد على الشواطىء بالقرب من البحيرات الساحلية أو الأنهار . أما حيث يكون الشاطىء صخرياً أو رملياً وجافاً فان أنظار الناس تتجه إلى البر . ولذلك نجد الصيد متركزاً على ساحل الدلتا ونجد أن سكان الساحل الصحراوى غير مهتمين بالبحر . ولذلك أيضا نجد أن صيادى أفريقيا هم سكان الجزر التونسية وقبائل الفانتى والأيوى على الساحل فيما بين السنغال وزائيرى الذين يعيشون على الشريط الساحلى الممتد لعدة آلاف من الكيلو مترات فى توازن مستقر مع بيئتهم . أما على الساحل الشرقى فقد استقر عرب عمان واتخذوا الصيد البحرى مهنة لهم . ونجد قبائل الصيادين البحرين فى

مدغشقر هم الفيزو والكافرى . ومع ذلك فان السواحل الإفريقية على البحر المتوسط يتجول فيها الصيادون اليونانيون والإيطاليون والأسبان بحرية بينما يتجول الكثيرون من غير الإفريقيين على سواحل المحيطين الهندى والأطلنطى .

مناطق الصيد :

تزدهر الحياة البحرية فى مناطق معينة بحيث أن هذه المناطق فقط هى التى يمكن اعتبارها مناطق صيد دائمة أو موسمية (شكل ٥ . دومانج ١٩٦٥) .



شكل (٥)

المناطق الغنية بالثروة السمكية حول أفريقيا (الخطوط) والمناطق الجبهوية (+) والتيارات البحرية (الإسهم) (عن دومانج ١٩٦٥) .

١ ـ الشريط الساحلى والرصيف القارى : هو المكان الأمىز لأنه يستفيد من مميزات بيئة غنية تجمع بين المواد الغذائية الموجودة أصلا فى الماء وتلك القادمة من البر ويمكن استخدام جميع أنواع المعدات فيها .

٢ ـ مناطق تلاقى التيارات الحارة والباردة ويحدث فيها موت جماعى لكثير من الكائنات مما يجذب الأسماك الكبيرة . وتوجد هذه المناطق عند سطح الماء وكذلك عند أعماق مختلفة .

٣ ـ مناطق التصاعد : وتتميز بازدهار انفجارى للحياة عند السطح وأوضح مثال لها فى مياه جنوب غرب أفريقيا ولكن شباك الجر وغيرها من المعدات الحديثة تستطيع أن تحصد عند المنحدر القارى على عمق ٦٠٠ ـ ٨٠٠ متر حيث اكتشفت تجمعات ضخمة من الأسماك الكبيرة والقشريات .

٤ ـ مياه المحيط المتجمد تزدهر فيها الدياتومات موسميا يتبعها البلانكتون الحيوانى الذى تغتذى به الحيتان والأسماك والرأسقدميات .

٥ ـ المياه المدارية وهى فقيرة عند السطح ولكنها أظهرت امكانيات جيدة عند عمق التبدل الحرارى كلما استقبلت المنطقة الضوئية مياها باردة خصبة أو تلاقت عندها التيارات المتحركة .

٦ ـ المناطق الباردة التى تتلقى مياها مدارية حارة تصبح خصبة (رأس الرجاء الصالح)

٧ ـ المناطق تحت المدارية لا تزدهر فيها الحياة إلا فى قطاعات التصاعد والمناطق الجبهوية وينجذب السردين والأنشوجة والبلشارد والماكريل والتونة إلى هذه القطاعات آتيا من الرصيف القارى وهى تجذب أيضا البورى وثعابين السمك من السواحل .

٨ ـ المناطق بين المدارية فقيرة عموماً ولا يوجد بها إلا قليل من السردين وتوجد أخصب مناطقها داخل الحواجز المرجانية فى البحر الأحمر مثلا . ويرجع فقر هذه المناطق إلى ثبوت البيئة مما لا يسمح بتجدد العناصر الغذائية .

ويبين الجدول رقم (١) تطور كميات الصيد البحرى فى العالم وزيادته التى ترجع أساسا إلى دخول سفن نصف الكرة الشمالى إلى مياه نصف الكرة الجنوبى :

جدول رقم (١)

تطور الصيد البحرى فى العالم

(عن مطبوعات منظمة الأغذية والزراعة)

السنة	الانتاج (مليون طن)	الاستهلاك					
		طازجاً أو مثلجاً	مجمداً	مجففاً أو مملحاً أو مدخناً	معلباً	دقيق أو زيت	أغراض أخرى
١٩٥٤	٢٣	٤٣٪	٧٪	٢٥٪	٩٪	١٣٪	٣٪
١٩٦٠	٣٢	٤٠	٩	١٩	٩	٢٠	٣
١٩٦٣	٤٦	٣٠	١٢	١٠	٩	٣٥	٤
١٩٦٨	٦٤	٣٣	١٥	٧	٨	٤٤	٤

وقد إتجه نمو صناعة الصيد البحرى إلى إنتاج المزيد من الاسماك المعدة لاختزالها إلى دقيق أو زيت ليس لأن هناك طلبا متزايداً عليهما بل على العكس فهما أرخص من السمك نفسه ولكن لأن هناك صيداً زائداً وجائراً على مستوى الإقتصاد العالمى بحيث أن السمك المصاد لا يجد سوقاً رائجة فيحول إلى دقيق أو زيت . إن سعر نفس السمكة ينخفض بعد تحويلها إلى دقيق أو زيت إلى ٥ أو ١٠ مرات عن قدر سعرها مما لو كانت معلبة وإلى ١٠ — ٢٠ مرة مما لو كانت طازجة وأن سفن الصيد تحول السمك إلى دقيق وزيت لأن المؤسسات الموجهة لها لا تجد استخداما أفضل لحجم الصيد الهائل الذى تحصل عليه .

أما صيد الحيتان فقد إنهار أو أوشك نتيجة للصيد الجائر وقد أغلقت المحطات الأرضية فى أفريقيا وهى الدولة الوحيدة القائمة على أرض أفريقية والتى مارست صيد الحيتان فى المياه الافريقية ومياه المحيط المتجمد الجنوبى . أما المحطات الآخرى فقد كانت تابعة لدول غير إفريقية .

ويبين الجدول رقم (٢) خط سير صيد الحيتان فى أفريقيا .

جدول رقم (٢)

(أ) صيد الحيتان فى أفريقيا (عدد الحيتان المصادة)

(عن منظمة الأغذية والزراعة)

السنة	فى المياه الإفريقية	فى مياه المحيط المتجمد الجنوبى	صيد جنوب إفريقيا
١٩٥٣—١٩٥٤	١٠٨٨	٣٤٨٦٩	٣٢٤٩
١٩٦٢—١٩٦٣	٤٠٥٤	٣٠١٥٩	٤٠٥٥
١٩٦٣—١٩٦٤	٤٢١٠	٢٩٩٤٢	٤٢١٠
١٩٦٤—١٩٦٥	٥٣٩٨	٣٢٥٦٣	٥٣٩٨
١٩٦٥—١٩٦٦	٤١٤٨	٢٤٦٨٠	٤١٤٨
١٩٦٦—١٩٦٧	٢٦٩٢	٢٠٢٢٥	٢٦٩٢
١٩٦٧—١٩٦٨	١٣٠١	١٥٠٨٠	١٣٠١
١٩٦٨—١٩٦٩	٢٠٧٨	١١٤٧٨	٢٠٧٨
١٩٦٩—١٩٧٠	....	١١٩٤٩	....

جدول رقم (٣)

(ب) معدات صيد الحيتان

(عن منظمة الأغذية والزراعة)

السنة	١٩٥٣—١٩٥٤		١٩٦٦—١٩٦٧		١٩٦٧—١٩٦٨		١٩٦٨—١٩٦٩	
المعدات	فى العالم	فى جنوب إفريقيا	فى العالم	فى جنوب إفريقيا	فى العالم	فى جنوب إفريقيا	فى العالم	فى جنوب إفريقيا
محطات شاطئية	٤٧	١	٢٦	٢	٢٣	١	٢٠	١
مصانع عائمة	٢١	١	١٦	—	١٤	—	١٢	—
سفن صيد	٣٦٤	٢٥	٢٥٠	١٥	٢١٠	٧	١٩٠	٧

اليابان – ظهرت السفن اليابانية لأول مرة عندما دخل أسطول يتبعها ويتكون من ٥٠ سفينة إلى المحيط الاطلنطى وصاد ٣١٠٠٠ طن بالسنارة المركبة عام ١٩٥٩ . ثم وصل عدد السفن إلى ٨٨ صادت ٨٢٢٥٠ طن عام ١٩٦١ . وفى عام ١٩٦٢ – ١٩٦٣ صادت ١٠٠ سفينة ١٠٠٠٠٠ طن . وقد نقل هذا الانتاج إلى جزر الكنارى وسيراليون وغانا والسنغال وساحل العاج حيث أقيمت سلسلة من القواعد لاستقبال المحصول وتصنيعه ونقله ثانياً إلى سفن يابانية تذهب به إلى اليابان . أى استخدمت هذه المحطات للترانزيت فحسب . وقد ارتفع عدد السفن فيما بعد إلى ١٢٧ بينما إنخفض المحصول إلى ٩٥٣٠٠ طن . وقد أقيمت قواعد أخرى فى جزر الرأس الاخضر وناتال وموريشوس . وقد ازداد أيضاً عدد سفن شباك الجر فى قطاع موريتانيا وجزر الكنارى كما يتبين من الجدول رقم (٣) .

الجدول رقم (٣)

سفن شباك الجر اليابانية فى

قطاع موريتانيا – جزر الكناريا

السنة	عدد السفن	المحصول
		طن
١٩٥٩	٢	٨٠٢
١٩٦٠	٨	٦٣٨٠
١٩٦١	١٥	٢٨٠٠٠
١٩٦٢	٢٦	٤٩٠٠٠
١٩٦٣	٣٤	٩٢٠٠٠
١٩٦٤	٤٧	١٣٥٠٠٠

وتستند سفن شباك الجر هذه إلى قواعد فى لاس بالماس بجزر الكنارى ، بينما يعمل أسطول آخر فى مياه جنوب غرب إفريقيا مستنداً إلى مدينة الكاب .

فرنسا – يعمل الصيادون الفرنسيون منذ زمن طويل فى مياه غرب إفريقيا وهم يتمركزون فى السنغال وغنيا وزائيرى ويصيدون التونة والسردين والاستاكوزا والأصداف ويعودون بصيدهم إلى الموانى الفرنسية على الاطلنطى ويتلقى الميناء الفرنسى الواحد فى المتوسط ٤٠٠٠ طن تونة من غرب إفريقيا و ١٣٠٠ طن سردين من مياه المغرب . ويباع حوالى ١١٠٠٠ طن من التونة سنوياً إلى دول غرب إفريقيا دون نقله إلى فرنسا .

ويستخدم الصيادون الفرنسيون المنتمون إلى الموانى الفرنسية على البحر المتوسط مياه الجزائر أيضاً فى نشاطهم وقد بلغ محصولهم منها ١٦٠٠٠ طن عام ١٩٦٢ .

إسبانيا – عمل الصياديون الإسبان أيضا منذ زمن طويل فى مياه المغرب ونهر الذهب (الصحراء الإسبانية) بشباك الجر . وقد صادت سفنهم الحديثة ٢٠٠٠٠٠ طن من هذه المياه عام ١٩٥٨ . وفى الأعوام ١٩٦١ – ١٩٦٣ كان الصيد الإسبانى من المياه الإفريقية حتى أنجولا جنوبا يمثل خمس مجموع الصيد الإسبانى الكلى . وهو يتمثل أساساً فى السردين والأنشوجة .

وهم يزورون مياه خليج غينيا لصيد التونة من نوفمبر إلى مايو عندما تعصف الانواء بسفنهم فى مياههم الأصلية – ويشاركهم فى ذلك الفرنسيون . وفى ١٩٦٣ أنزلت ٥٦ سفينة صيد تونة (بالسنارة) يعمل عليها ١٠٢٠ رجلا ٦٠٠٠ طن من التونة المجمدة فى مينائى فريتاون وأبيدجان بساحل العاج حيث أعيد تجميدها وأرسلت للولايات المتحدة الإمريكية وعلب بعضها لأوربا . أما فى عام ١٩٦٤ فقد دخلت ١٢ سفينة إسبانية ذات المؤخرة المنزلقة ومزودة بالمجمدات إلى المياه الإفريقية وعملت عند رأس الرجاء الصالح لأول مرة وصادت ١٢٣٠٠ طن من الحيك الجنوبى تركت منها ٧٠٠٠ طن فى مدينة الكاب . وتحتفظ أسبانيا بمينائى صيد فى المغرب هما سيوطة (٤٣٠٠ طن) ومليلا (٧١٠٠ طن) ولكن سفن هذين المينائين تنزل صيدها على الشاطىء الاندلسى .

أما الصيد المستند إلى سواحل الصحراء الإسبانية فليس مطوراً ، فالصيد فى فيلاسنيروس ١٢٥ طن وفى العيون ٤٢٠ طن وفى لاجويرا ١٤٦٠ طن . ويقوم

بمعظم الصيد إسبان يعودون بمحصولهم إلى إسبانيا وللإسبان قاعدة صيد أخرى فى فرناندوبو مجموع أنتاجها ٧٨٣ طن فى السنة .

أما جزر الكنارى فلها شأن آخر فى الإقتصاد السمكى الإسبانى فقد استقر الصيادون الاسبان فى هذه الجزر ومارسوا مهنتهم حتى مياه موريتانيا حيث يحققون صيدهم على سواحلها . ويعيش أكثر من ٢٠٠٠٠ صياد فى جزر الكنارى . وقد لاحظ اليابانيون مزايا هذه الجزر وكانوا أول من أقاموا عليها قاعدة لأسطولهم من سفن التونة وشباك الجر فى لاس بالماس فى جزيرة الكنارى الكبرى (جران كنارى) وقد استطاعوا أن يبنوا بالتعاون مع بعض الشركات الأجنبية الامريكية وحدة تجميد معقدة . ثم جاء الاسبان أنفسهم وجعلوا منها قاعدة لسفنهم ذات شباك الجر .

وقد أرتفع ما أنزل إلى جزر الكنارى من ٨٥٠٠٠ طن عام ١٩٥٩ إلى ١٢٦٥٠٠ طن عام ١٩٦٣ (١١٩٥٠٠ طن طازج و ٧٠٠٠ طن مملح) أما إنتاج سكان الجزر فقد بلغ ١٤٥٠٠ طن من الأسماك الطازجة و ٥٠٠٠ طن مملحا فى ١٩٦٣ ، وذلك فى جزيرة لانزاروت – أما فى جزيرة تنريف فقد بلغ ١٠٠٠٠ طن فى نفس العام . ولكن جزيرة الكنارى الكبرى هى التى أصبحت مركزاً عالمياً ويعمل عليها ١٠٦٠٠ صياداً ويعتمد عليها الأسطول الإسبانى البالغ عدده ٢٧٢ سفينة من سفن شباك الجر بلغ محصو لها ١٠٠٠٠٠ طن عام ١٩٦٣ .

البرتغال – حدث لها نمو مواز إذ عمل أسطولها المكون من ١٠٨ سفينة ذات شباك جر فى مياه موريتانيا وصاد ٤٣٠٠٠ طن عام ١٩٦٢ ، ولكن البرتغاليين غير قادرون على استغلال المياه المتاحة لهم فى الرأس الاخضر (١٦٠٠ طن) وساوتومى وأنجولا وموزمبيق استغلالا مكثفا مثل غيرهم من الدول الأوربية لأسباب مختلفة .

بولندا – إن بولندا هى موطن اختراع سفن شباك الجر ذات المؤخرة المنزلقة . وقد تعاقد البولنديون مع غينيا على تنمية صناعتها السمكية على أساس تعاونى وقد بلغ مجموع صيدهم فى غرب أفريقيا ١٠٠٠٠٠ طن عام ١٩٦٥ سلم بأكمله إلى غانا ونيجيريا .

الاتحاد السوفييتى — يقوم الاتحاد السوفييتى بصيد السردين بشباك الجر فى خليج غينيا منذ سنة ١٩٦٢ من قواعد فى غانا ثم أمتد نشاطهم إلى مياه إفريقيا الجنوبية وامتد ثانياً عام ١٩٦٤ إلى بحر العرب والمحيط الهندى . وقد بلغ مجموع المحصول السوفييتى ١٠٠٠٠٠ طن من السردين والتونة فى عام ١٩٦٤ وقد سلم أيضا إلى الدول النامية .

جنوب إفريقيا — من الطبيعى اعتبار جنوب إفريقيا وما تقوم به من أعمال فى نطاق الأعمال غير الإفريقية على الرغم من استنادها إلى أرض إفريقيا لأسباب عديدة أهمها أن الحكم فى أيدى غرباء عن إفريقيا وأن الصيد السمكى يجرى لحساب السوق العالمية وليس لحساب الأهالى الإفريقيين ، وأنه إذا دخل السوق المحلية فانه يخدم المدن التى يقطنها البيض ولا يصل السكان الأصليين منه شىء يذكر .

وقد بدأ الصيد البحرى فى جنوب إفريقيا مع بداية القرن العشرين وزاد فى عام ١٩٢٥ مع إكتشاف تجمعات التونة والقشريات . وبدأت صناعة الدقيق والزيت عام ١٩٥١ . وتمتاز سواحل جنوب إفريقيا بمنطقة تصاعد ضخمة على الساحل الغربى ورصيف قارى عريض عند رأس الرجاء الصالح وشجع وجود الحيتان بين الرأس والقارة القطبية الجنوبية على قيام صناعة صيد الحيتان .

وتوجد قواعد سفن الصيد الرئيسية فى مدينة الكاب وبورت اليزابيث ويبين الجدول رقم (٤) تطور إنتاج جنوب إفريقيا من الحيتان ، ويتضح تدهور هذه الصناعة على المستويين العالمى والإفريقى نتيجة للصيد الجائر بلا تخطيط أو اعتبار لأصول علم صيانة هذا المورد الطبيعى الهام . (فريد ريش ١٩٦٩) .

ويتكون أسطول الصيد فى جنوب إفريقيا من ٩٦٦ مركب مزود بالموتورات وشباك الجر بالإضافة إلى ٢٥٢٢ مركباً أصغر (فى عام ١٩٥٩) وقد أصبحت جنوب إفريقيا ثامن دولة فى العالم من حيث حجم الصيد وأول دولة فى إفريقيا (تليها المغرب) . ويتكون معظم الصيد من البلشارد (٦٥٪) والماكريل (٦٪) والهيك الجنوبى (٥٪) . ويصاد حوالى ٣٠٠٠٠ طن من سمك القرش يصدر كله تقريباً إلى الشرق الأقصى ولكن الولايات المتحدة هى المستورد الرئيسى لأسماك جنوب إفريقيا .

جدول رقم (٤)

انتاج جنوب إفريقيا من الحيتان
(ويشمل الدقيق والسوائل وزيت الكبد والدهون)
(عن منظمة الأغذية والزراعة)

السنة	العالم (بالألف طن)		جنوب أفريقيا	
	دقيق وسوائل	زيت كبد ودهون	دقيق وسوائل	زيت كبد ودهون
١٩٥٣	٣٧	٤٨٥,٦	٦.٤	٣٣,٣
١٩٥٥	٦٨	٤٧٠,٠	٥,٦	٢٤,٧
١٩٥٦	٨٣	٤٩٤,٩	٧,٢	٢٧,٣
١٩٥٧	٨٢	٤٩٧,٩	١٠,١	٢٨,٩
١٩٥٨	٩٣	٥١٨,٣	٧,١	١٥,٢
١٩٥٩	٨٣	٤٩٥,٥	٩,٧	١٦,٠
١٩٦٠	٩٢	٤٨٩,٩	١٢,٠	١٧,٥
١٩٦١	٩٥	٤٩٧,٤	١١,٢	١٥,٠
١٩٦٢	٨٨	٤٧٥,٦	١١,٦	١٦,٤
١٩٦٣	٩٢	٤١١,٥	١١,٨	١٦,٢
١٩٦٤	٧٨	٣٧٨,٨	١٢,٤	١٥,٢
١٩٦٥	٨٣	٣٣٩,٣	١٣,٧	١٨,٠
١٩٦٦	٦٢	٢٦٣,٠	١٢,٨	١٦,٠
١٩٦٧	٥٦	٢٥١,١	٧,٩	١٠,٨
١٩٦٨	٥١	٢١٢,٧	٥,٠	٦,٧
١٩٦٩	٥٦	٢٠٦,١	٦,٢	٨,٦

وقد نظم صيد الاستاكوزا على الساحل الغربي عام ١٩٣٠ وبلـغ أقصى صيد ٢٦٠٠ طن عام ١٩٥٧ حيث كادت الحيوانات أن تنقرض فانخفض الصيد إلى ٨٥٠٠ طن عند الكاب و ٥٠٠٠ طن عند ميناء لودرتز عام ١٩٦٤ . ولذلك تحولت مصانع القشريات إلى معالجة السردين والماكريل وسمك السيف التي علبت أولا ثم حولت إلى دقيق وزيت عندما زاد الصيد عن حاجة الاستهلاك .

ويبين الجدول رقم (٥) تحول الصيد الزائد إلى دقيق وزيت .

جدول رقم (٥)

تحول الصيد الزائد إلى دقيق وزيت فى
جنوب غرب أفريقيا (الأرقام بالألف طن)

(عن منظمة الأغذية والزراعة)

السنة	الصيدالكلى	المعلب	دقيق	زيت
١٩٦١	٣٧٨	٧٠	٦٧	١٦
١٩٦٣	٥٤٠	٦٠	١٢٥	١٦
١٩٦٤	٦٥٠	٧٠	١٣٠	٢٠
١٩٦٩	٩٥٦	٤٩	٢٠٤	٢٩

فى الساحل الغربى للكاب

السنة	الصيدالكلى	المعلب	دقيق	زيت
١٩٥٩	٤٦٥	٩	٦٤	١٤
١٩٦٠	٥٧٨	١٢٩	٨١	٢٤
١٩٦١	٦٥٧	١٨٠	١٠٨	٣٩
١٩٦٢	٦٥٦	١٧٧	١١٢	٣٣
١٩٦٣	٥٩٠	١٤١	٩٨	٢٧
١٩٦٩	١٣٤٩	٧٠	٢٢٢	٥٥

وبالرغم من أن معظم الصيد (حوالى ٩٠٪) يصدر إلا أنه لا يمثل دخلا كبيراً بالنسبة إلى الثروة المعدنية التى تعتمد عليها جنوب إفريقيا بالدرجة الأولى. وبالمثل لايعمل الكثير فى الصيد فعدد الصيادين ٤٠٠٠ فقط ولذلك تجتذب مياه جنوب إفريقيا الغنية أساطيل الكثيرين من غير الافريقين .

أنجولا ــ حيث أن أنجولا أيضاً مازالت ترزح تحت نير الاستعمار فان مصايد أسماكها البحرية فى أيد غير إفريقية ــ وتحتوى مياه أنجولا على كميات ضخمة من السردينلا وسمك السيف والتونة . وقد زرعت الحكومة البرتغالية صفوفا من قرى

الصيد على الساحل ونقلت إليها الصيادين البرتغاليين مع أساطيلهم منذ عام ١٩٤٨ حيث يصل عدد سفنهم الآن إلى ٨٠٠ ، وتتميز صناعة الصيد البرتغالية بتأخرها وبداءتها وقلة كفاءتها ، فالسفن كثيرة وتصيد كميات كبيرة ولكن المصانع الشاطئة لاتحسن تعليبه أو حتى تحويله إلى دقيق وزيت إذ يوجد ١١٥ مصنعا استهلكت عام ١٩٥٧ (٢٤٠٠٠٠ طن) من الاسماك وانتجت منها ٨٥٠٠٠ طن دقيق و ٧٠٠٠ طن زيت فقط ثم إنخفض أنتاج الدقيق باطراد إلى ٢٥٠٠٠ طن عام ١٩٦٣ معزيادة كمية الصيد كما فى الجدول رقم (٦) .

الجدول رقم (٦)

الصيد فى أنجولا (بالألف طن)

(عن منظمة الأغذية والزراعة)

السنة	إجمالى الصيد	دقيق	زيت
١٩٥٣	٢٩٠	٩,٣	٢
١٩٥٦	٤٢٠,٥	٥٧,٧	١٨
١٩٥٧	٣٩٥,٥	٨٥	٧
١٩٥٨	٢٧٨,٥	٤٧,٧	١٧
١٩٥٩	٢٦٧,٤	٤٦,٢	١٥
١٩٦٠	٢٥٢,٠	٤٤,٨	١٢
١٩٦١	٢٤١,٥	٤٥,٣	١٠
١٩٦٢	٢٦٩,٥	٣٢,٠	١
١٩٦٣	٢٣٩,٧	٢٥,٠	٦,٨
١٩٦٩	٤١٧,٥	٨٢,٤	١٦,٥

ونتيجة للصيد غير المنظم اختفت التونة من مياه أنجولا عام ١٩٦٣ فتسببت هذه الازمة البيولوجية فى أزمة اقتصادية حادة ولكن ظهرت قطعان التونة ثانياً عام ١٩٦٤ وصيد منها ٦٠٠٠٠ طن من مجموع الصيد الذى يلغ ٣٥٥٠٠٠ طن. ولا يزال المحصول الانجولى يتذبذب بين ٢٩٣٠٠٠طن عام ١٩٦٨ إلى ٤١٧٠٠٠طن عام ١٩٦٩ . ويبلغ الصيد فى موزمبيق ٧,٥٠٠ طن .

دول غير أفريقية أخرى — هناك بعض الصيد الذى يمارسه الايطاليون والبلغار على ساحل ارتريا والسوفيت واليابانيون فى خليج عدن واليونانيون فى شمال وشمال غرب إفريقيا . وقد بدأ الايطاليون نشاطهم فى موريتانيا عام ١٩٦٥ بأسطول من ٦٤ سفينة تجميد صادت ٣٥٠٠٠ طن وهم يخططون لأسطول من ١٠٠ سفينة للعمل فى خليج غينيا وجنوب أفريقيا .

الصيد الافريقى فى المياه الافريقية

مصر :

تمتلك مصر موارد سمكية بحرية هامة على شواطىء الدلتا تزودها بما يبلغ ٥٠٠٠٠ طن بورى وثعابين سمك ، ٧٠٠٠ طن سردين . ١٥٠٠٠طن من الأنواع الأخرى وإن كان معظم هذا الصيد فى الواقع من البحيرات الساحلية وليس من البحر نفسه (عبد العليم ١٩٦١ ، ومطبوعات منظمة الأغذية والزراعة) .

والمنتظر أن يمتد صيد السردين إلى مخابئه فى المياه العميقة من البحر المتوسط حيث أنه يلجأ شتاءا إلى عمق ٢٠٠ متر فى عرض البحر حيث تكون المياه أكثر ملوحة مما عند السطح . وعندما يأتى الصيف يرتفع إلى عمق ٥ — ١٠ متر ويقترب من الشواطىء (تورتونيزى — ١٩٦٠) .

وقد بدأت مصر فى الاستفادة من مصايد الاسماك فى أعالى البحار عام ١٩٦٨ بثلاث سفن ذات شباك جر ونزلت أول حمولة إلى الاسكندرية فى ٢٥ أغسطس ١٩٦٨ وكان مقدارها ٦١٤ طن من سواحل غرب إفريقيا ، وكان منها ٨٠ طن من سمك المرجان و ٦٠ طن سردين و ٧٤ طن سكومبرى ، ٤٠٠ طن استافرينا . وقد استغرقت أول رحلة ٧٢ يوما قطعت السفينة « برنيس » خلالها ١٩٥٨ ميلا . وتتبع هـــذه السفن طريقة الصيد الحديثة التى تتدرج فى عدة مراحل تبدأ بعملية البحث الالكترونى عن مناطق تجمع الاسماك ثم إلقاء الشباك فى المنطقة والتى تبلغ فى المتوسط ٤ مرات فى اليوم الواحد . ثم تجمع حصيلة الصيد ويتم فرزها حسب أنواعها المختلفة ثم يعقب ذلك عملية تعبئة الاسماك كل نوع على حدة فى ثلاجات

التبريد السريع ويضم كل عنبر من العنابر الأربعة بالباخرة ٨ ثلاجات للتبريدالسريع الذى يستغرق حوالى ٥ ساعات ، وبعد ذلك تعبأ الاسماك فى علب من الكرتون المقوى سعة العلبة ٢٠ كليو من السمك وتحفظ فى ثلاجات درجة حرارتها ٢٠درجة تحت الصفر ، وتبقى بها حتى ميناء الوصول . ويجمع من السواحل الغربية حوالى ٢٠ طن إسفنج على الأقل سنويا .

ليبيا :

تصاد التونة فى ليبيا بواسطة المصيدة الصندوقية ويجمع منها حوالى ٤٠٠٠ طن ويبلغ مجموع الصيد ١٠,٠٠٠ طن ويجمع من الإسفنج ١٠٠ طن سنويا .

تونس :

تستفيد تونس من عدة عوامل حسنة عند مستنقعات خليج قابس وصفاقس والرصيف الشرقى ومع ذلك فلا يصاد أكثر من ٢٥٠٠٠ طن سمك و ٩٠ طن اسفنج سنويا لاستخدام الوسائل اليدوية فقط وقد بدأت أخيراً فى استخدام سفن شباك الحر .

الجزائر :

ويتذبذب المحصول من ١٨٢٠٠ طن عام ١٩٦٨ إلى ٢٣٢٠٠طن عام ١٩٥٩ وهو يتكون من السردين والبلشارد والأنشوجه والجمبرى والكابوريا . ويصاد من القشريات حوالى ١١٠٠ طن سنويا .

المغرب :

وصل الصيد المغربى إلى رقم قياسى هو ٣٠٣٤٠٠ طن عام ١٩٦٦ وهى لذلك تعتبر أكثر الدول الإفريقية إنتاجا للمصايد السمكية البحرية . ويكثر السردين عند الطرف الجنوبى الغربى (محصوله ٢٠٨٠٠٠ طن عام ١٩٦٧) وإنتاج الماكريل ١٥,٠٠٠ طن ، والتونة ١٠,٠٠٠ طن مما ساعد على قيام صناعة التعليب فى صافى (٧٦٠٠٠ طن) ، وأغادير (٦٦٠٠٠ طن) والجديدة .

ويبين الجدول رقم (٧) تطور الإنتاج المغربى الذى زاد زيادة كبيرة باستخدام سفن شباك الحر .

جدول رقم (٧)

إنتاج المغرب من الأسماك

(عن منظمة الأغذية والزراعة)

(الألف طن)

السنة	إجمالي الصيد	المعلب: سردين وأنشوقة	المعلب: تونة وماكريل	المملح: سردين وأنشوقة	دقيق و زيت *
١٩٤٨	٦٨,٦	٢٦,٩	٠,٨	٦,١	—
١٩٥٥	٩٤,٣	٢٦,١	١,٥	٠,٩	٨,٠
١٩٥٦	١٢٨,٢	٢٥,٢	١,٨	١,٣	٥,٩
١٩٥٧	١٤٥,١	٢٥,٩	٥,٥	٠,١	١٢,٦
١٩٥٨	١٦١,٧	٢٦,٥	٤,٧	٠,٢	١٦,٦
١٩٥٩	١٣٨,٤	٢٨,٤	٦,٣	٠,٤	١٤,٥
١٩٦٠	١٥٤,١	٣٢,٧	٧,٧	٠,٣	١٣,٩
١٩٦١	١٧٨,٩	٣٢,٣	٨,٨	٠,٤	١٩,٠
١٩٦٢	١٧١,٩	٣٦,٢	٩,٨	٠,٣	١٦,٠
١٩٦٣	١٨٤,١	٣٠,٦	٨,٥	٠,٥	١٩,٩
١٩٦٤	١٩٩,٦	٤١,٩	٨,٨	—	٢١,٨
١٩٦٥	٢١٤,٩	٤٣,٩	١٠,٠	١,٠	٢٧,٠
١٩٦٦	٣٠٣,٤	٤٢,٠	١٢,٠	٠,٥	٣٧,١
١٩٦٧	٢٥٨,٠	٤٣,٧	١١,٣	٠,٦	٢٥,٤
١٩٦٨	٢١٩,٠	٤٢,٠	—	—	٣٨,٣
١٩٦٩	٢٢٦,٠	٣٩,٠	—	٠,٤	٢٧,٥

* الكميات التي تم تصديرها .

دول ساحل غرب أفريقيا :

أقيم الكثير من مراكز الصيد الساحلية في غرب إفريقيا . ويستخدم رجال الايوى الشباك الجرافة الكبيرة على مراكبهم الخاصة في غانا وتوجو. أما الفانتي

فى غانا أيضاً فهم يستخدمون الشباك الرأسية لصيد الساردينلا ويتجولون حول سيراليون شمالا وغربا وحتى أنجولا جنوبا وهم بذلك يفيدون سكان سواحل البلاد الإفريقية الواقعة على امتداد نشاطهم والذين لا يملكون الاستعداد للاشغال بالصيد — إذ أن الفانتى يبيعون صيدهم أولا بأول . ويفسر هذا لماذا وجدت سفن الصيد غير الإفريقية المجال مفتوحا مع نهاية الحرب العالمية الثانية . وقد بدأت المسألة بسفن شباك الجر الصغيرة الواردة من أسبانيا وفرنسا وإيطاليا منذ عام ١٩٤٨ و ١٩٥٠ التى حصلت سريعاً على نتائج باهرة فى صيد السردين وكانت تبيع مباشرة إلى مراكز التحضر التى كانت فى دور النمو السريع فى غرب أفريقيا . ثم بدأ صيد التونة عام ١٩٥٥ بسنانير السفن الفرنسية ثم الاسبانية ، ولما نجحت هذه المحاولات أيضا أقام الفرنسيون مصنعا للتعليب فى داكار وأثبتوا أن موارد التونة فى الاطلنطى المدارى قابلة للصيد الصناعى المكثف وخاصة بعد أن قامت دراسة علمية دولية باعطاء معلومات دقيقة عن تجمعات الاسماك وعاداتها والمعدات اللازمة لصيدها فى خليج غينيا . ثم كانت الخطوة الثالثة بدخول اليابان إلى الميدان للاستكشاف عام ١٩٥٧ وللاستغلال عام ١٩٥٩ . ومنذ هذا التاريخ أقيمت قواعد تجميد التونة فى داكار وفريتاون وتيما وابيدجان وبوانت نوار فى جابون . وتتحول التونة المجمدة بعد ذلك إلى الولايات المتحدة (٤٠٠٠٠ طن) ، وإيطاليا (٣٠٠٠٠ طن) ، وفرنسا (١٠٠٠٠ طن) ، وبقية أوربا (١٠٠٠٠ طن) .

جدول رقم (٨)

الصيد البحرى فى دول غرب أفريقيا عام ٦٩

(بالطن — عن منظمة الأغذية)

ومصادر أخرى

الدولة	الإنتاج
موريتانيا	بالرغم من الصيد الضخم الذى يتم قرب مياه موريتانيا والذى يبلغ ٣٠٠,٠٠٠ طن فان ١٨,٠٠٠ طن فقط تنزل إلى موانيها منها ٣,٠٠٠ طن يصيدها الموريتانيون أنفسهم والباقى من صيد أهل جزر الكنارى . وقد تم شراء ١٤ سفينة شباك جر ثقيلة وسفينتين بمجمدات لرفع الانتاج إلى ٢٤,٠٠٠ طن .

(تابع) جدول رقم (٨)

الدولة	الانتاج
السنغال	١٠٠,٠٠٠ طن بالقوارب الفردية ، ١٢٠,٠٠٠ طن صيد تجارى منها ١٠,٠٠٠ تونة .
جامبيا	وضعت فى الخطة صيد الجمبرى وتصديره مجمداً إلى أوربا .
ليبريا	يعتمد الصيد على قبائل الكرو والفانتى وقد زودت قواربهم بالموتورات وتستأجر سفن شباك الجر الايطالية والاسبانية واليابانية لتزويد السوق المحلية . ومع ذلك فلا يزيد الصيد عن ٥,٠٠٠ طن .
سيراليون	٢٠,٠٠٠ طن .
ساحل العاج	تمتلك أسطولا من ٣١ سفينة شباك جر و ٣٩ سفينة ثلاجة للسخدين وبجمد فى أبيدجان ٢٠,٠٠٠ طن من التونة التى تصيدها السفن الأجنبية ويبلغ الصيد المحلى ١٦.٠٠٠ طن وقد وضع صيد الجمبرى فى الخطة .
غانا	٢٦,٠٠٠ طن من الماكريل والرنجه والباراكودا والتونة .
توجو	١٠,٠٠٠ طن
داهومى	٥,٠٠٠ طن
نيجيريا	٣,٥٠٠ طن
الكاميرون	١٠,٠٠٠ طن مجهودات فردية . ١١,٤٠٠ طن صيد تجارى .
جابون	٢,٠٠٠ طن .
الكنغو	١٢,٠٠٠ طن صيد تجارى يصدر بأجمعه .

كمية الصيد الافريقى وغير الافريقى فى المياه الافريقية المحيطية

المنطقة	الصيد الافريقى	الصيد غير الافريقى (بالتقريب)
المغرب حتى زائيرى	٥٦٠,٠٠٠ طن	٢,٥٠٠,٠٠٠ طن
أنجولا	—	٨٠٠,٠٠٠ طن
جنوب إفريقيا وناميبيا	—	٢,٦٠٠,٠٠٠ طن
المحيط الهندى	٢٩,٠٠٠ طن	١,٨٥٠,٠٠٠ طن

ولكن سواءاً جمدت التونة أو علبت فان القليل جداً منها يدخل إلى السوق المحلية لعدم اعتياد الاهالى عليها — ولكنها تساعد على تزويد دول المنطقة بالعملة الصعبة (أنظر جدول رقم ٨) .

دول ساحل شرق أفريقيا :

هذه الدول لاتمارس الصيد البحرى كثيراً ولكنها بذلك تهمل مورداً هاماً حيث ثبت أن البحر الأحمر والمحيط الهندى غنيان بالاسماك بعكس ما كان يشاع عنهما من قبل . ويقوم بالصيد السكان العرب فى السودان (١٣٠٠ طن سمك ، ٢٠ طن إسفنج ، وبعض المحاريات) وفى جزر كومورو وزنجبار وساحل الصومال (١٢,٠٠٠ طن) . أما فى مدغشقر (٤٠٠٠ طن سمك . ١٠٠٠٠ طن جمبرى) فان قبائل القبزو والكافرى تمتهن الصيد البحرى وتوجد بعض المشروعات فى الصومال ومدغشقر لاستغلال المصايد البحرية . ويمكن صيد الحيتان والتونة والجمبرى والكابوريا بوفرة فى المحيط الهندى . ويبلغ الصيد فى جزر موريشيوس ١٢٥٠ طن .

الجهود الافريقية لحماية المصايد البحرية

أظهرت إجتماعات اللجنة العلمية لمنظمة الوحدة الافريقية بالقاهرة عام ١٩٧١ استياء الدول الافريقية من ترك المياه البحرية الافريقية نهباً مباحاً للسفن غير الافريقية . كما طالبت اللجنة الدول الأعضاء فى المنظمة بكسر هذا الاحتكار . وأظهرت المناقشات أن العقبات التى تحول دون ذلك هى مسألة التنظيم (عمليات الصيد — التسويق — التعليب) ورأس المال اللازم للحصول على المعدات الضرورية . أما تدريب الأخصائيين لهذه الأنشطة فليس صعباً . وفى كل الأحوال يجب تطبيق قواعد التحكم والتطوير المناسبة — مثل العناية الصحية بالأسماك — وإلا صيدت الأنواع المحبوبة من الاسماك إلى درجة الانقراض . وأوصت اللجنة الدول الأعضاء بأن تتبنى سياسة علمية وتجارية بهدف صيانة الموارد السمكية فى المياه الاقليمية والدولية وأن تسهم إسهاماً فعالا فى مناشط الصيد المختلفة بما فى ذلك إجراءات الصيانة بالتفاوض مع الدول غير الافريقية العاملة فى المياه الافريقية . وقداشتركت

فعلا السنغال وزائيرى وجنوب إفريقيا فى مؤتمر ريودى جانيرو فى مايو ١٩٦٦ لوضع اتفاق دولى لصيانة تونة الاطلنطى واشتركت فى هذا المؤتمر من الدول غير الافريقية الارجنتين والبرازيل وكندا وكوبا وفرنسا واليابان والبرتغال وكوريا الجنوبية وإسبانيا والاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة وأورجواى وفنزويلا . وكان هذا المؤتمر مهتما بصفة خاصة باتخاذ الإجراءات الكفيلة بمنع اساءة إستغلال تونة الإطلنطى وخاصة فى خليج غينيا .

وقد أوصت منظمة الوحدة الإفريقية الدول الأعضاء بحماية مياهها من الاستغلال الأجنبى لمصايد الاسماك فقامت عدة دول إفريقية بمد حدود مياهها الإقليمية إلى ٧٠ ميلا من الشاطىء ومنعت المغرب السفن الإسبانية من الصيد منها بعد أن كانت تفعل ذلك بأذن خاص حتى ٣١-١٢-١٩٧٢ .

مسألة المياه الإقليمية :

من الحقوق المسلم بها أن للدول الشاطئية أن تقتطع جزءاً من مياه البحر أو المحيط وأن تخضعه لسلطانها ويسمى هذا الجزء بالمياه الاقليمية للدولة . وقد صاغت الأمم المتحدة قانونا للبحر حاول وضع قواعد لحدود هذه المياه . وطبقاً لهذه القواعد فان كل دولة لها الحق فى مد مياهها الاقليمية إلى بعد ١٢ ميلا بحرياً من الشاطىء بالاضافة إلى ١٢ ميلا أخرى تسمى المجاورة مع اعتبار بقية مياه هذه البحار والمحيطات مياها دولية . وقد حثت منظمة الوحدة الإفريقية دولها الأعضاء على الاستفادة من ذلك ونفذت معظم الدول الافريقية الاجراءات القانونية لإعلان المياه الداخلة فى نطاق الاثنى عشر ميلا مياها إقليمية .

وللدولة كل الحقوق فى هذا النطاق بما فى ذلك ما قد يوجد بها أو ما تحتها من أراضى ، من معادن وبترول وأسماك ومياه للأعذاب وللطاقة . ويبين الجدول رقم (٩) أوضاع الدول الإفريقية فى هذا الخصوص .

جدول رقم (٩)

أوضاع المياه الاقليمية للدول الافريقية

(عن منظمة الأغذية والزراعة ومصادر أخرى)

٦ أميال بحرية	١٢ ميل بحرى	حدود أخرى
ساحل العاج تونس	الجزائر – داهومى – أثيوبيا – جابون غانا – كينيا – ليبريا – مدغشقر – نيجيريا – سيراليون – جنوب إفريقيا ج . م . ع – الكنغو – توجو – ليبيا السنغال – السودان .	الكاميرون ١٨ موريتانيا ٥٠ المغرب ٧٠ (عدا ٦ عند جبل طارق) . غينيا ١٣٠ زائيرى (لم تعلن حدودها) .

وحيث أن العديد من هذه الدول قد تحول إنتاج الصيد فيها من مستوى الكفاف إلى الصيد التجارى ، فقد أهتمت بمد حدود مياهها الاقليمية خاصة بعد نشر الدراسة التى سبقت الاشارة إليها عن الثروة السمكية فى خليج غينيا التى انتهت منها لجنة التعاون الفنى الافريقى عام ١٩٦٤ (ضمت هذه اللجنة إلى منظمة الوحدة الافريقية عام ١٩٦٥) ونوقشت فى مؤتمر لاجوس عام ١٩٦٨ . وقد أظهرت هذه الدراسة وجود قطعان ضخمة من السبيا والقشريات (الجمبرى) ، والعديد من الاسماك (الانشوجة والسردين والسرديلا الخ) ، والتى يمكن للدول الافريقية صيدها تجارياً بدءا من الرصيف القارى إلى عرض المحيط . وتضمن التقرير أيضاً التوصية بنوع السفن الواجب استخدامها .

وقد نص اتفاق منظمة الوحدة الإفريقية لصيانة وتنمية واستغلال الطبيعة والموارد الطبيعية – الذى وقعه بالجزائر فى سبتمبر ١٩٦٨ رؤساء حكومات ٣٨ من دول المنظمة – على حماية التجمعات الاحيائية النباتية والحيوانية ذات الصفة الخاصة والموجودة بالمياه الاقليمية . وقد نفذت كينيا ذلك بانشاء حديقة بحرية على الشاطىء حيث تصان النباتات والحيوانات النادرة ويساعد الدخل الذى يدفعه الزوار على رفع عائد العملة الصعبة من السياحة .

ثم انتدبت منظمة الوحدة الافريقية لجنة من العلماء البيولوجيين لبحث الحالة فى اجتماع عقد فى أكتوبر ١٩٧١ فى لاجوس وسجلت اللجنة أن المستوى الحالى لقطعان السمك حول إفريقيا فى حاجة إلى حماية وصيانة على وجه الاستعجال نظراً للاستغلال المكثف الجائر (الذى سبق أن بينا صورته) من جانب الدول غير الافريقية . وقد لاحظت اللجنة بما يشبه الجزع أن جزءا كبيراً من الصيد يتحول إلى دقيق يستخدم لطعام الحيوانات فى الدول غير الافريقية بينما كان يمكن استخدامه لغذاء الادميين فى إفريقيا وهم الذين يعانون من نقص البروتين . وقد رد على ذلك أحد الكتاب (فى كراج ١٩٧٢) قائلا أنه من الأفضل تحويل السمك الصغير الزائد فى البحر إلى دقيق وإطعامه للحيوان فى شمال أمريكا وغرب أوربا لانتاج دجاج رخيص بدلا من تركه نهبا للمفترسات البحرية من الأسماك الكبيرة حيث أنشعوب الدول الفقيرة لاتستطيع شراء هذا الدقيق لتقوم هى باطعام الدجاج فى بلادها . ويتجاهل مثل هذا الكاتب أن السمك حول إلى دقيق لأنه فائض عن حاجة الاستهلاك الآدمى فى الدول الشمالية ويعطى للدجاج بدلا من إعادته إلى البحر . كما يتجاهل تحذير رايذر (١٩٦٩) بأن تزايد الصيد التجارى المكثف سيقضى قريبا على الثروة السمكية فى المحيطات . ومن أجل ذلك يجب على الدول الافريقية أن تحمى مواردها السمكية بكل السبل وأن تقوم هى باستغلاله سواء لتغذية الأهالى مباشرة أو لاطعام صناعة الدجاج التى يجب أن تنشأ فيها فى أقرب وقت على أساس الاكتفاء الذاتى . وقد أوصت لجنة العلماء البيولوجيين أيضاً بأن على الدول الافريقية أن تمد مياهها الاقليمية إلى حيث توجد قطعان السمك القابلة للاستغلال حيث أن الوسائل الحالية للحماية غير كافية وغير منسقة . وحيث أن معظم الاسماك القابلة للاستغلال تتواجد على الرصيف القارى . فان اللجنة ترى أنه يتعين على الدول الافريقية أن تمد مياهها الخاصة بالصيد إلى الخط العمودى على خط العمق المتساوى ٦٠٠ متر وأن يحرم الصيد فى هذه المنطقة على غير سفن الدول الافريقية . ورأت اللجنة أيضا أن احتياجات الدول الافريقية فى تطوير وتنسيق تعاونها فى هذا المجال يقع خارج أمكانيات منظمة الاغذية والزراعة ولذلك اقترحت اللجنة انشاء مكتب تابع لمنظمة الوحدة الافريقية يختص بالاوقيانوغرافيا ومصايد الاسماك وتنسيق التعاون بين الدول

الافريقية فى هذا المجال ومساعدتها على إتخاذ مواقف موحدة وفى هذه الحالة فقط يمكن للدول الافريقية أن تحصل على نتائج واضحة لصالحها جميعاً . وقد قدمت اللجنة هذه التوصيات استناداً إلى اعلان مونتفديو لقانون البحر فى مايو ١٩٧٠ الذى يحث دول العالم الثالث على مد حدود سلطانها وسيادتها إلى ٢٠٠ ميل بحرى من الشاطىء وإلى قرار وزراء خارجية دول منظمة الوحدة الافريقية فى الدورة العادية ١٧ من يونيو ١٩٧١ بأديس أبابا بخصوص حق الدول الافريقية فى السيادة على الموارد الطبيعية فى البحار المجاورة لها إلى حدود الرصيف القارى . وقد يخلق هذا المد مشاكل للدول المحصورة فى الرصيف القارى مثل مالطة وتحتاج مثل هذه الحالات لدراسات قانونية خاصة .

وكجزء من سياسة تطوير إمكانيات الدول الافريقية لاستغلال مواردهاالبحرية حصلت غانا والسنغال وغينيا وليبريا ومدغشقر والصومال على معونات لبناء أساطيل قومية بسفن شباك جر كبيرة تحتاج إلى إدارة صارمة وأطقم خبيرة ولذلك لم يفت هذه الدول فى نفس الوقت أن تقوم بخطوة حكيمة وهامة وهى تشجيع الصيادين المحليين بتزويد مراكبهم بالموتورات وبالشباك الحديثة ولكن بمقاييس صغيرة وخيوط النايلون ، الخ . وقد أتت هذه السياسة بنجاح كبير وأثمرت تحسينات ملموسة حيثما طبقت لأنها أكثر ملاءمة للتقاليد الافريقية والظروف الاجتماعية السائدة فيما يختص بالخبرة البحرية .

وفيما يقابل هذه المجهودات الأفريقية تتم جهود غير أفريقية لتطوير استغلال مصايد المحيط الهندى . فقد دعت جنوب إفريقيا إلى مؤتمر لهذا الغرض عقد فى مدينة الكاب فى سبتمبر ١٩٦٠ حضرته إيطاليا والبرتغال ومدغشقر ثم انضمت له فيما بعد استراليا والدانمرك وألمانيا الغربية وبريطانيا والهند واليابان والاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة . وقد خصصت له ميزانية قدرها ١٤ مليون دولار للبحوث .

تربية الكائنات البحرية :

تعتبر تربية الكائنات عموماً أفضل وسائل صيانتها بدلا من حصدها كيفما اتفق كما تعتبر بيئة المياه الشاطئية أكثر البيئات البحرية ملاءمة لتربية أو لزراعة الكائنات البحرية لموقعها واستفادتها من بيئتين عظيمتين تتلاقيان عندها وهى

فى نفس الوقت لحسن الحظ أقرب البيئات إلى الانسان من الناحية المكانية ، ومع ذلك فان هذه الزراعة مازالت فى مهدها لعدة صعوبات تكتنفها . وأهم هذه الصعوبات تعرض الزارعة للتيارات الهوائية أو البحرية القوية التى قد تدمرها أو للمفترسات والطفليليات التى قد تغتالها . فلا زال الانسان إذن أبعد ما يكون عن السيطرة على البيئة البحرية وإلى أن تتجمع المعلومات العلمية والخبرة العملية الكافية فلن تحتل الزارعة البحرية مكانها الذى تستحقه فى اقتصاديات الحياة الانسانية . ولم تستطع سوى المجتمعات الكثيفة المعتمدة على البحر فى اليابان وغرب أوربا أن تتوصل لوسائل عملية فى الزراعة البحرية جاء العلم متأخراً ليقننها وهذا علامة على الحداثة المرحلية لهذا المنشط الانسانى .

والمأمول أن يؤدى التعاون الافريقى إلى تحسين هذا الموقف فى المستقبل ، وقبل أن يؤدى التلوث العالمى لمياه المحيطات إلى استحالة هذه الزراعة كما حدث فى خليج طوكيو منذ سنة ١٩٦٢ نتيجة لمياه المصانع الملوثة .

ومع هذا فقد أقيمت تربية المحار فى غرب أفريقيا ونجحت نجاحاً لا بأس به . ويربى نوع جرايفيا جازار عند داكار ويباع فى مالى وموريتانيا وساحل العاج . وأهم خطوة هى جمع اليرقات من البحر وتشجيعها على الاستقرار على الصخور والأصداف وقطع من الحديد أوالخشب أو الاسمنت وعندما تنمو إلى عدة سنتيمترات تقلع وتنقل إلى مرعى مناسب حيث تزداد العناية بها وتحمى من المفترسات (قنافذ البحر — نجوم البحر — المحاريات الثاقبة الخ ...) ومن الاندفاع الفجائى للمياه العذبة . ويتشابه التركيب الكيميائى للمحار مع اللبن إلى حد كبير كما يتبين من الجدول رقم (١٠) .

جدول رقم (١٠)
التركيب الكيميائى للمحار واللبن بالنسبة المئوية
(عن مارش — مارشا ١٩٦٩)

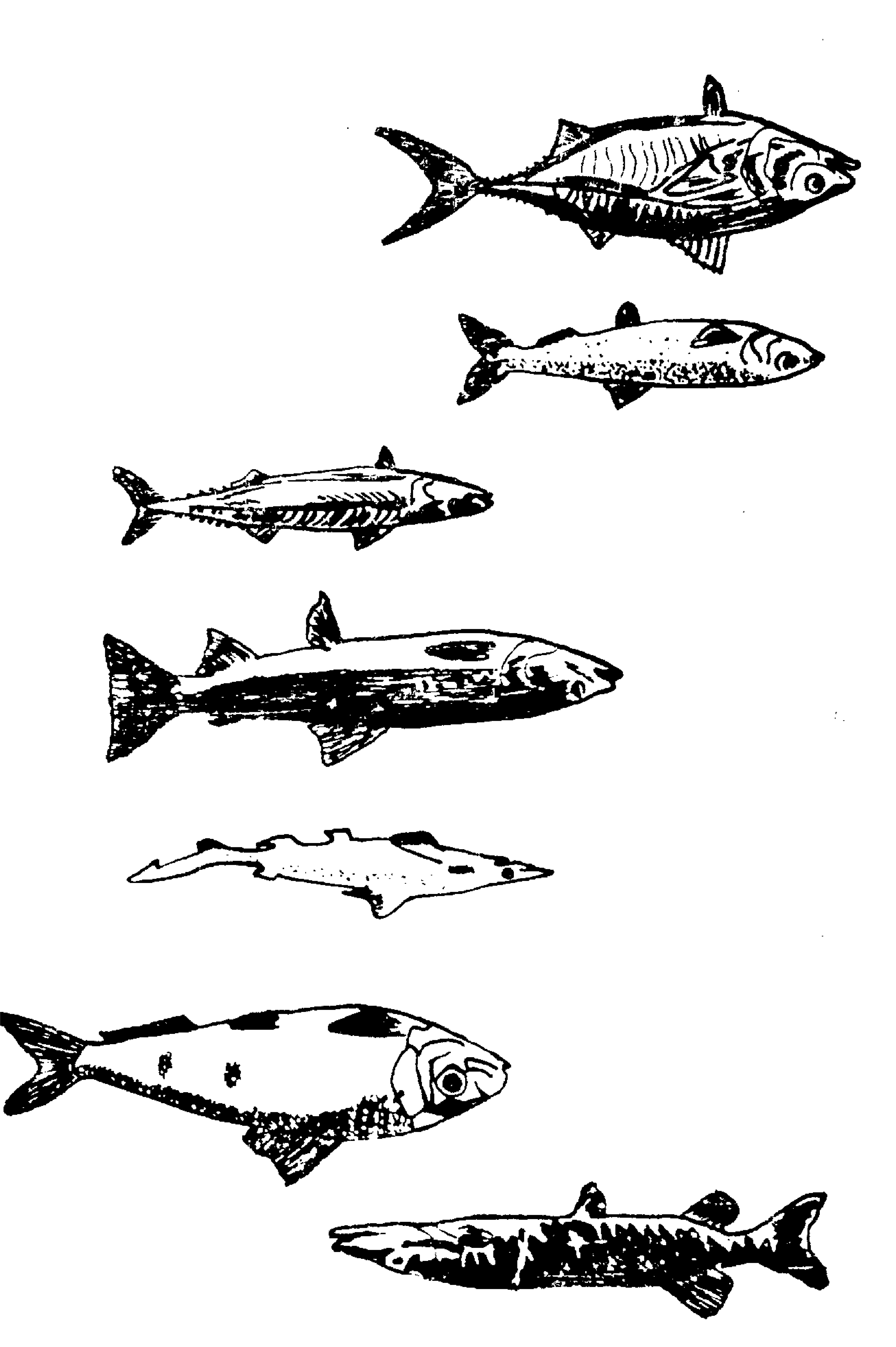
النوع	البروتين	الدهون	السكريات والنشويات	الأملاح	الماء
اللبن	٧	٢	٤	٢	٧٥
المحار	٣	٤	٥	١	٨٧

ويتركب بروتين المحار من الليسين والتربتوفان بصفة رئيسية وبه أيضا جليسم و فوسفات ويود (٢٠٠ مرة قدر اللبن) وستيرولات وفيتامينات ا و ب ٢ و ج و د و ف و ب ٧ . ومن مميزاته أنه من بين القليل من الحيوانات التي يمكن أن تؤكل حية ولحمه سهل الهضم وفاتح للشهية ولذلك يؤكل قبل الوجبات ، أما إذا مات فانه يتحلل بسرعة ولذلك لا يحفظ بالثلاجات إذ أنه يمكنه أن يبقى حيا عدة أيام داخل صدفته عند درجة الحرارة المعتادة ومن الخطر أن يجمع أو أن يربى قرب مرمى أنابيب التخلص من المجارى فى المدن الساحلية .

وقد ثبت أن المحار كان يجمع وكان يؤكل فى إفريقيا منذ العصر الحجرى الحديث فهو بذلك ليس غريبا فيها — وتستغرق تربيته سنتين ويباع الطن بعشرة جنيهات استرلينية . ويوجد فى البحر المتوسط نوع آخر يسمى جرايفيا أنجيولاتا يربى فى الدول الأوربية شمال المتوسط ويمكن للدول الافريقية جنوب المتوسط أن تجرب تربيته . كما يوجد نوعان آخران هما : مايتيلوس اديوليس وفارمايتيلوس جاللويروفنسيا ليس يربيان شمال المتوسط بسهولة عن السابقين ولكنهما أقل ربحا .

أما فى البحر الاحمر فقد جربت زراعة الاسفنج وزراعة محار اللؤلؤ فى الغردقة وبور سودان ويوجد هذا المحار جنوبا حتى ساحل تنزانيا . وأقيمت مرابى السلاحف البحرية (الترسة) فى موريشيوس وسيشيل لحمايتها من الانقراض . وينتظر المربون وصول الاناث إلى الشاطىء لوضع البيض ثم يأخذون بيضها ويضعونه فى الرمل حتى يفقس ثم ينقلون الفقس إلى أحواض خاصة ويطعمونه الحشائش البحرية حتى يكبر .

ويبين الشكل (٦) بعض انواع الأسماك الهامة التى توجد فى المياه البحرية حول إفريقيا .



شكل (٦)

بعض الأسماك الهامة فى المياه البحرية حول إفريقيا من أعلى إلى أسفل : البراكودا (٨٠ سم) السردين – (١٨ سم) القرش (١٢٠ سم) – السالمون (١٥٠ سم – الماكريل) ٥٠ سم (– الزبجة) ٣٠ سم (– التونة) ١٢٠ سم .

References

Aleem, A.A. (1961) Resources from water in Egypt and methods of their development . Dar Al-Maaref. Cairo: 436 pp. (In Arabic) .

Cousteau , J . - Y . (1971) Statement on global marine degradation . Biol-Conserv. 4 (1) : 61 - 65 .

Cragg , J . B. (Editor (1972) Advances in ecological research. Vol. 7 , Acad. emic Press, New York & London : 254 pp.

Doumenge . F . (1965) Geogrophie des mers . P . U . F ., Paris : 279 pp.

FAO (1969) Limits and status of the territorial sea , exclusive fishing zones-fishery conservation zones and the continental shelf (with particular reference to fisheries) Rome : 32 pp .

FAO (1970) Production Yearbook andFishery Statistics . Rome.

Friedrich , H. (1969) Marine biology. Sidgwick & Jackson , London : 474 pp,

Laevastu , T. (1965) Manual of methods in fisheries biology. FAO, Rome, Fasc. 10 - 14 pp.

March - Marchad , J . (1969) Le monde animal en Afriqne intertropicale. Ed. de L'Ecole, Paris : 607 pp.

Rytheer , J . H. (1969) Photosynthesis and fish production in the sea. Scienc 166 : 72 - 76.

Tortonese , G. (1960) General remarks on the Maditerranean deep-sea fishes Bull . Inst. Oceanogr. 1167 : 14 pp.

بعض مـــلامح إفريقيـــة*

فى مَطْهر دانتى

SOME AFRICAN ASPECTS

in Dante's Purgatory

As Dante appealed to Africa's culture and tradition in the composition of his Inferno-as we have already treated in the first issue of this Journal, so he did the same in the composition of this Purgatory. For example he put here in one frame himself in company of Virgil, with Belaqua the musical instrument-maker of Florence, the river Ganges and Morocco. He put in one scene himself with virgil, statius, Guido Guinizelli the poet of the «dolce stile» and the inhabitants of India and Ethiopia. He again presented in one situation the Christ's symblo, the churche's symbol, Augustus Caesar, Scipio Africanus, pheton and Jupiter. All the African aspects that Dante chose were intrinsically woven within the elaborate and harmonious construction, in which he tried to express his ideas and create his art.

كانت المناطق المعروفة من إفريقيا جزءاً هاماً من العالم القديم ، وأثرت وتأثرت بما حولها ، وأسهمت فى ثمرات البشرية ومصائرها ، ووضحت آثار ذلك فى هجرة الإنسان ، وانتقال الأساطير ، وانتشار العقائد والأديان ، وإندلاع الحروب ، وسير التجارة ، وثمرات العلم والفن والأدب ، وذكر كتّاب اليونان والرمان مثل هيرودوت وبليني وفرجيليو بعض صور أفريقيا وأخبارها . وفى العصور الوسطى اضطردت العلاقة بين إفريقيا والعالم الخارجي فى عهد الدولة البيزنطية ، وفى عهد الدولة العربية التى امتدت من شمال إفريقيا حتى الأندلس وصقلية ، واستمرت العلاقة بين الأوروبيين والشرق الأدنى بشقيه فى الشام ومصر ، وعرف الأوروبيون أجزاء من إفريقيا عن طريق الرحلات والتجارة وفى أثناء الحروب الصليبية . وكان من

الطبيعى خلال ذلك كله ، أن تنتقل عناصر من التراث الافريقى فى ثنايا التراث القديم والوسيط إلى عالم الغرب فى أثناء العصور الوسطى ، التى كانت آخذة فى التطور والتهيؤ لبلوغ عصر النهضة فى العصر الحديث .

ودخلت عناصر من الثقافة الافريقية فى ثنايا الأدب الإيطالى الوليد [1] منذ أواخر القرن الثانى عشر الميلادى ، وظهرت آثار ذلك فى ثقافة المدرسة الصقلية بزعامة الامبراطور فردريك الثانى [2] ، واستمرت تتابع نشأة الأدب الإيطالى [3] حتى ظهور دانتى أليجييرى ، الشاعر السياسى الجندى الفنان ، الذى عاش فى وطنه فى فلورنسا وفى سنوات المنفى الطويل فى أنحاء متفرقة من شمالى إيطاليا ، فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الميلادى [4] ، وظهرت بعض آثار من ثقافة إفريقيا فى مؤلفات دانتى وعلى الأخص فى « الكوميديا الإلهية » [5] .

وفى « المطهر » كما فى « الجحيم » اتخذ دانتى من ذكريات أفريقيا وصورها وتاريخها وبيئتها مصدراً لفنه العريق . وكما جعل من بعض تراث أفريقيا عنصراً فى بناء « الكوميديا » عندما هبط حلقات الجحيم وسط العواصف والنيران والأفاعى والجليد ، وأمام مشاهد الأسى والعذاب والدماء والدموع [6] كذلك فعل دانتى فى بناء « الكوميديا » حينما صعد جبل المطهر ، وتغلب على صعاب المرتقى ، وشهد تطهر النادمين وغفران خطاياهم . ولنعرض لبعض ما أورده دانتى فى المطهر عن أفريقيا .

فى الأنشودة الرابعة كان دانتى برفقة أستاذه فرجيليو يصعدان الجبل فى مقدمة المطهر ، ويبلغان منطقة المهملين الكسالى الذين تأخروا فى التوبة والتكفير عن آثامهم حتى آخر لحظـة من حيـاتهم ، وعقابهم أن يبقوا فى موضعهم قبل دخول المطهر الحقيقى زمناً طويلا [7] . ورأى دانتى بلاكوا صـانع الآلات الموسيقية الفلورنسى وقد جلس مخفضاً رأسه بين ركبتيه ، وبدا أكمل مما لو كان الكسل شقيقاً له . قال بلاكوا إن عليه أن يبقى فى موضعه بقدر الزمن الذى تأخرت فيه توبته وتكفيره ، إلا إذا عاونته صلاة صادرة عن قلب ينعم بالرحمـة الإلهية ، إذ لا يسمع سواها فى السماء ، وهذا هو عذاب هذه المنطقة . وعندئذ تقدم فرجيليو صاعداً فوق الجبل ودعا دانتى إلى الصعود ، لأن الظهر قد حلّ فى الوقت الذى حلّ فيه الليل فى نصف

الكرة الشمالى من نهر الكنج إلى مراكش ، التى كانت الحد الغربى للعالم المسكون عند الجغرافيين فى عصر دانتى [٨] .

وفى الأنشودة السادسة والعشرين فى الإفريز السابع ، حيث يتطهر مرتكبو خطايا الجسد وسط نيران المطهر ، تقدم ستاتزيوس وفرجيليو ودانتى واحداً بعد الآخر ، بسبب ضيق المسافة الخالية من النار فى هذا الإفريز . وفى المسير ظهر ظل دانتى بجسمه الحى على النار المشتعلة فزاد توهجها ، فالتفتت أشباح المتطهرين إلى هذه الظاهرة الغريبة واتجهوا إلى دانتى وهم حريصون على ألا يتجاوزوا نطاق النار، لأن بقاءهم فيها هو سبيل التعجيل بهم إلى الفردوس[٩] . ومن بين هؤلاء قال جويدو جوينتزلى الشاعر البولونى إنه وجماعته متعطشون إلى معرفة كيف يظهر ظل دانتى على النار ، وأنهم فى ذلك أشد تعطشاً من الهندى أو الإثيوبى إلى الماء البارد ، وكانت إثيوبيا عند جغرافيي العصر واقعة فى المنطقة الإستوائية فى أقصى جنوبى أفريقيا[١٠] .

وفى الأنشودة التاسعة والعشرين فى أعلى جبل المطهر فى الفردوس الأرضى وعلى مقربة من نهر ليتى ، رأى دانتى أربعة حيوانات — رمز الأناجيل الأربعة — ولكل منها ستة أجنحة وريشها ملىء بالأعين[١١] ، وسارت بينها عربة نصر — رمز الكنيسة الظافرة — يسحبها عنق جويفون — الحيوان الخرافى رمز المسيح ذى الطبيعة الإلهية والطبيعة الإنسانية — عند المسيحيين — ومد الجريفون جناحيه — رمز المحبة والعدل الإلهى — فى المسافة بين المجموعتين الثلاثيتين من سُرج اللهب على الجانبين ، بحيث لم تؤثر فيهما حركة الجناحين . ورفع الجريفون جناحيه إلى السماء حتى لم ير دانتى نهايتهما . ويقول دانتى إن روما لم تمجد شيبون الافريقى الذى انتصر على هانيبال فى زاما فى شمال أفريقيا سنة ١٨٥ ، ولم تمجد أغسطس قيصر بعربة نصر جميلة كهذه التى رآها الآن ، بل إن هذه العربة فاقت فى جمالها عربة فيتون التى حاول الارتفاع بها إلى الشمس فقتله جوبيتر بصاعقة كما ورد فى الميتولوجيا الرومانية [١٢] .

وفى الأنشودة الثلاثين فى الفردوس الأرضى حينما اختفى فرجيليو بعد صحبته الطويلة لدانتى ، وحينما ظهرت بياتريتشى أمامه بكى دانتى ، فأخذت بياتريتشى تلومه على بكائه ، فأثقل جبينه خجل شديد [١٣] ، وبدت له كأم متعالية . وعندما صمتت رتّل الملائكة بصوت عذب « عليك يارب توكلت » . وكما يتجمد الثلج على

الأشجار فى جبال الأپنين حينما تهب عليه رياح سلافونيا البـاردة ، ثم يذوب الثلج حينما تهب الرياح من الأرض التى تفقد الظل ، أى من أرض أفريقيا التى فيها الظل وقت تعامد الشمس على المنطقة الاستوائية ، وبذلك تصبح رياح إفريقيا كالنار التى تذيب الشمع – هكذا أصبح دانتى دون دمع وتنهد حينما عنفته بياتريتشى . ولكن عندما سمع ترتيل الملائكة العذب وأحس حنوّهم عليه ذاب الثلج الذى أطبق على قلبه ، وخرج مع الأسى من صدره : التنهد من الفم والدمع من العينين (١٤) .

وفى الأنشودة الحـادية والثلاثين فى الفردوس الأرضى كانت بياتريتشى تتابع لومها لدانتى الباكى على سلوكه فى الحياة بعد موتها ، وكيف جرى وراء أباطيل الحياة التى أثقلت ريشاته ، وعندئذ أحس دانتى بالخجل فخفض بصره إلى الأرض كالطفل حينما يعترف بخطئه ويندم (١٥) . قالت له بياتريتشى إنه ما دام يتألم بالسماع فعليه أن يرفع ذقنه إلى أعلى وسينال بالنظر ألماً أشد مما ناله بالسماع. وعندئذ رفع دانتى وجهه إليها بصعوبة تفوق صعوبة خلع الرياح أشجار اللبخ الضخمة، سواء فى ذلك أكانت رياح أوروپا الباردة أم رياح ياربا الدافئة ، أى رياح إفريقيا ، نسبة إلى ياربا ملك نوميديا كما ورد فى الأساطير الرومانية . وحينما دعت وجهه باللحية أدرك دانتى سخرية بياتريتشى منه ، عندما قصدت أن تقول له إنه لم يعد طفلا (١٦) .

وفى الأنشودة الثانية والثلاثين فى الفردوس الأرضى كذلك، يشهد دانتى موكب بياتريتشى ورآها تهبط من العربة التى كانت تعتليها، وسمع ترتيلا صادراً عن الملائكة ، فأخذه النوم على أنغام اللحن العذب الصافى (١٧) . وحينما عاد إلى وعيه رأى ماتيلدا واقفة أمامه فتساءل أين بياتريتشى ، فلفتت ماتيلدا نظره إليها إذ تجلس عند أسفل الشجرة الجديدة ، وتحيط بها الحوريات، بينما صعد موكب الشيوخ – رمز إصحاحات العهد القديم – إلى السماء (١٨) . لم يعرف دانتى هل تكلمت ماتيلدا أكثر من ذلك لأنه كان مستغرقاً فى التفكير فى بياتريتشى حتى تعذر عليه إدراك أى شىء آخر . وجلست ماتيلدا على الأرض ، وظلت هناك كحارسة للعربة التى ربطها الوحش المزدوج (١٩). وشهد دانتى الحوريات السبع يدرن حولها وفى أيديهن السرج المشتعلة، وهن آمنات من ريح الشمال الباردة ومن ريح الجنوب الدافئة التى تعصف فى ليبيا وتهب على أوروپا (٢٠) .

وعلى ذلك نجد دانتى قد وضع نفسه وفرجيليو فى مقدمة المطهر فى إطار واحد — مع التفاوت فى تفصيلات الموقف — مع بلاكوا الفلورنسى ، حين صلاة القلوب الرحيمة ، وربط بين حلول الظهر فى نصف الكرة الجنوبى وحلول الليل فى نصف الكرة الشمالى بين نهر الكنج ومراكش ومزج بين ستاتزيوس وفرجيليو ونفسه ، ونار المطهر ، وجويدو جوينتزلى البولونى ، وسكان المناطق الحارة فى الهند وإثيوبيا. وفى الفردوس الأرضى وصل بين رمز المسيح ، ورمز الكنيسة الظافرة وشيپيون الأفريقى ، وأغسطس قيصر ، وفيتون وجوپيتر . ومزج بين بياتريتشى ونفسة ، وترتيل الملائكة ، والثلج المتجمد على أشجار الأپينين ، ورياح سلافوينا الباردة ، ورياح أفريقيا الحارة ، عند تنهده وبكائه وربط بين لوم بياتريتشى إياه ، وإحساسه بالخجل ، ورفع وجهه إليها ، وعصف رياح أوروپا الباردة ورياح أفريقيا الحارة . ووصل بين موكب بياتريتشى وترتيل الملائكة ، وماتيلدا ، والحوريات من حولها ، ورياح أوروپا الباردة ورياح أفريقيا الساخنة .

هذه هى الصورة التى استمدها دانتى فى المطهر من أساطير إفريقيا وتاريخها وبيئتها . وفى المطهر — كما فى الجحيم — لم تبد واحدة من الصور الافريقية قلقة فى موضعها ، أو متنافرة مع ما يحيط بها ، أو منفصلة عن السياق العام ، بل جاءت متسقة مع سائر العناصر والجزئيات ، متآلفه مع الأفكار والمعانى والأخيلة التى أشاد دانتى عليها مطهره ، وبذلك تكون إفريقيا قد أسهمت فى بناء هذا التراث العظيم .

٤ : ١٣٠ – ١٣٩

١٣٠ ينبغى أولاً (٢١) أن تدور السماء من حولى
وأنا بالخارج (٢٢)، بقدر ما فعلت فى أثناء حياتى،
لأنى أخرت إلى النهاية تنهداتى الطيبة (٢٣) —

١٣٣ وذلك إن لم تعاوننى قبلاً صلاةٌ تصدر
من قلب يحيا ممتعاً بنعمة الله (٢٤)
وماذا يجدى غيرها مما لا يستمع إليه فى رحاب السماء (٢٥)؟».

١٣٦ وكان الشاعر قد أخذ يصعد
أمامى وهو يقول: «تعال الآن، وانظر الجنوب
قد لمسته الشمس (٢٦)، وعند الشاطىء

١٣٩ يغطى الليل بقدميه مراكش (٢٧)».

٢٦ : ١٦ – ٢٩

١٦ «أنت يا من تذهب فى إثر الآخرين (٢٨)،
لا لتكون أبطأهم، بل ربما على سبيل الاحترام،
هلا تجيبنى أنا الذى أحترق بالعطش (٢٩) والنار.

١٩ ولست وحدى فى حاجة إلى إجابتك (٣٠)،
إذ أن هؤلاء جميعاً أشد تعطشاً إليها
من الهندى أو الإثيوبى إلى الماء البارد (٣١).

٢٢ ولتخبرنا كيف تصنع من نفسك جداراً
قبالة الشمس (٣٢)، كأنك لم تخط بعد
إلى داخل شباك الموت».

IV. : 130...139.

130 «Prima convien che tanto il ciel m'aggiri
di fuor da essa, quanto fece in vita,
perch'io indugiai al fin i buon sospiri,

133 se orazione in prima non m'aita
che surga su di cuor che in grazia viva :
l'altra che val, che'n eiel non è udita?»

136 E già il poeta innanzi mi saliva,
e dicea : «Vienne omai : vedi ch'è tocco
meridian dal sole ed alla riva

139 cuopre la notte già col piè Marrocco».

XXVI. : 16...25.

16 «O tu che vai, non per esser più tardo,
ma forse reverente, alli altri dopo,
rispondi a me che'n sete e'n foco ardo.

19 Nè solo a me la tua risposta è uopo,
chè tutti questi n' hanno maggior sete
che d' acqua fredda Indo o Etiopo.

22 Dinne com' è che fai di te parete
al sol, pur come tu non fossi ancora
di morte intrato dentro dalla rete».

٢٥ هكذا خاطبنى أحدهم .

٢٩ : ١٠٦ – ١٢٠

١٠٦ واحتوت المسافة بينهم الأربعة
عربة نصر [٣٣] ذات عجلتين [٣٤] ،
جاءت يسحبها الجريفون بعنقه [٣٥] .

١٠٩ وإلى أعلى مدَّ كلا الجناحين [٣٦] ، بين المجموعة الوسطى
وبين كل من المجموعتين الثلاثيتين من أشرطة النار ،
حتى إنه لم يُزعج بحركته إحداها [٣٧]

١١٢ وعلا ارتفاع جناحيه حتى لم يُرَ لهما آخر
وبقدر ما كان طيراً كانت أعضاؤه من ذهب [٣٩] ،
وكان سائره أبيض اللون مشرباً بالحمرة [٤٠] .

١١٥ ولا يقتصر الأمر على أن روما لم تمجِّد
الأفريقي [٤١] أو أغسطس [٤٢] بعربة جد جميلة ،
بل إن عربة الشمس تبدو فقيرة بجانبها [٤٣]

١١٨ ولما حادت عربة الشمس عن طريقها ؛
احترقت بصلاة الأرض المبتهلة ،
حينما كان جوبيتر عادلاً في حكمه المبهم [٤٤] .

٣٠ : ٧٩ – ٩٩

٧٩ وكما تبدو أمٌ لابنها قاسية
هكذا بدت لى ، إذ أن الاشفاق المشوب بالقسوة
ذو غصة مريرة الطعم [٤٥] .

25 Sì mi parlava un d'essi.

XXIX. : 106...120.

106 Lo spazio dentro a lor quattro contenne
un carro, in su due rote, triunlale,
ch'al collo d'un grifon tirato venne.

109 Esso tendeva in su l'una e l'altra ale
tra la mezzana e le tre e tre liste,
sì ch'a nulli, fendendo, facea male.

112 Tanto salivan che non eran viste;
le membra d'oro avea quant' era uccello,
e bianche l'altra, di vermiglio miste.

115 Non che Roma di carro così bello
rallegrasse Affricano, o vero Augusto,
ma quel del Sol sarìa pover con ello;

118 quel del Sol che, sviando, fu combusto
per l'orazion della Terra devota,
quando fu giove arcanamente giusto.

XXX. : 79—99.

79 Così la madre al figlio par superba,
com'ella parve a me; perchè d'amaro
sent'ɐodella pietsıɹade dacerba.

٨٢ وصمتت(٤٦) ، ورتّل الملائكة
بغتةً « عليك يارب توكّلت » ،
ولكنهم لم يتجاوزوا قولهم « قدمى »(٤٧)

٨٥ وكما يتجمّد الثلج بين الأشجار
المخضرّة (٤٨)فوق ظهر إيطاليا (٤٩)
وقد هبّت عليه وأرهقته رياح سلافونيا (٥٠) ،

٨٨ ثم بذوبانه يقطر خلال نفسه (٥١) ،
إذا تنفّست الأرض التى تفقد الظل(٥٢) ،
حتى ليبدو شمعاً تذيبه النار(٥٣)،

٩١ هكذا أصبحت دون دمعٍ وتنهّدٍ (٥٤) ،
قبل ترتيل أولئك مَنْ يضبطون ألحانهم أبداً
على ألحان الحلقات الأبدية (٥٥)،

٩٤ ولكن حينما سمعت فى ألحانهم العذبة
حنوّهم علىّ ، أكثر مما لو قالوا :
« أيتها السيّدة ، لمَ تُرهقينه هكذا (٥٦) ؟ » —

٩٧ عندئذ صار الثلج الذى أطبق على قلبي
نَفَساً وماءً(٥٧) وخرج مع الأسى
من صدرى ، من الفم ومن العينين (٥٨) .

٣١ : ٦٤ — ٧٥

٦٤ وكما يقف الأطفال خجلين صامتين
بأعين خفيضة إلى الأرض وهم ينصتون ،
ويأخذون فى الإعتراف والندم (٥٩) .

82 Ella si tacque; e li angeli cantaro
di subito “In te Domine speravi”:
ma oltre “pedes meos” non passaro.

85 Sì come neve tra le vivi travi
per lo dosso d'Italia si congela,
soffiata e stretta dalli venti schiavi,

88 poi, liquefatta, in sè stessa trapela,
pur che la terra che perde ombra spiri
sì che par foco fonder la candela;

91 così fuii sanza lacrime e sospiri
anzi 'l cantor di quei che notan sempre
dietro alle note delli etterni giri;

94 ma poi ch' i' 'ntesi nelle dolci tempre
lor compatire a me, più che se detto
avesser : «Donna, perchè sì lo stempre? »,

97 lo gel che m'era intorno al cor ristretto,
spirito e acqua fessi, e con angoscia
della bocca e delli occhi uscì del petto.

XXXI. : 64...75.

64 Quali i fanciulli, vergognendo, muti
con li occhi a terra stannosi, ascoltando
e sè riconoscendo e ripentuti,

٦٧ هكذا وقفتُ ، فقالت :
« ما دامت تتألّم بما تسمع ، فارفع لحيتك ،
وستنال بالنظر إليّ ألماً أشدّ[٦٠] » .

٧٠ وإن اللّبخ الضخم ليُخلع إما بريح
بلادنا[٦١] أو بتلك الريح من بلاد يارْبا[٦٢] .
بمقاومةٍ أقلّ مما بذلتُه

٧٣ عندما رفعت بأمرها ذقني[٦٣] ،
وحينما دعتْ وجهي باللحية ،
تبينت جلياً فى حديثها مرارة اللوم[٦٤] .

٣٢ : ٩١ – ٩٩

٩١ ولا أعرف إذا كانت قد استرسلت
فى كلامها ، إذ كان فى عينَىّ الآن تلك التى
عاقتنى عن الانتباه إلى شىء سواها[٦٥] .

٩٤ وجلستْ وحيدةً على الأرض الحقّة[٦٦] ،
وهناك تُركتْ كحارسةٍ للعربة
التى رأيت يربطها الوحش ذو الطبيعة المزدوجة .

٩٧ وصنعت الحوريات السبع من أنفسهنّ
حولها سوراً بما فى أيديهن من الانوار
الآمنة[٦٧] من ريح الشمال والجنوب[٦٨] .

67 Tal mi stav' io: ed ella disse «Quando
per udir se' dolente, alza la barba,
e prenderai più doglia riguardando».

70 Con men di resistenza si dibarba
robusto cerro, o vero al nostral vento
o vero a quel della terra di Jarba,

73 ch' io non levai al suo comando mento,
e quando per la barba il viso chiese,
ben conobbi il velen dell' argomento.

XXXII. : 91—99.

91 E se più fu lo suo parlar diffuso,
non so, pero che già nelli occhi m'era
quella ch'ad altro intender m'avea chiuso.

94 Sola sedeasi in su la terra vera,
come guardia lasciata lì del plaustro
che legar vidi alla biforme fera.

97 In cerchio le facean di sè claustro
le sette ninfe, con quei lumi in mano
che son sicuri d'Aquilone e d'Austro.

الحواشي

* سبق أن نشر مضمون هذا المقال بعنوان « إفريقيا فى مطهر دانتى » فى « مجلة كلية الآداب » بجامعة الاسكندرية ، مجلد ١٤ سنة ١٩٦٠ ، حينما لم يكن لهذا المعهد مجلة علمية . والآن يعاد نشره مع إجراء تعديل وتنقيح وإضافة نتيجة للمزيد من البحث والتذوق ، وبناء على ما استجد من الدراسات ، وذلك تعميما للفائدة وإيضاحا لإسهام التراث الافريقى فى تقدم الحضارة الإنسانية .

(١) كتب الإيطاليون شعرهم فى القرن الحادى عشر باللغة الفرنسية ثم بلغة البروفنس التى تأثرت بأدب التروبادور بما فيه من بعض عناصر التراث العربى الشرقى . وفى أواخر القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر بدأت تظهر فى إيطاليا اللهجات العامية . وظهرت أشعار دينية مثل شعر يواكيمودا فلورا وفرنتشكو داسيسى ، وتلا ذلك ظهور شعر المدرسة الصقلية التى وجد بها عنصر من الشعر التقليدى وعنصر من الشعر الإنسانى . ولذلك كان الأدب الإيطالى فى ذلك العصر أدبا وليدا . ويرجع تأخر ظهور الأدب الإيطالى إلى تأثير إيطالى بالتراث اللاتينى وعدم استطاعتها التخلص منه بسهولة ، وإلى الظروف المضطربة التى سادت إيطاليا عقب غارات البرابرة الجرمان على الأمبراطورية الرومانية .

(٢) الأمبراطور فردريك الثانى (١١٩٤ – ١٢٥٠ .Federico ii) من أسرة هوهنشتاوفن الألمانية إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة . كان رجلا واسع الأفق عملا عارفا بتراث القدماء وتراث العرب وحارب البابوية وعقد معاهدة مع الملك الكامل فى ١٢٢٩ .

(٣) كانت نشأة الأدب الإيطالى بعد المدرسة الصقلية كما يلى : مدرسة بولونيا التى ظهرت فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر وتمتاز بشعرها التقليدى والإنسانى على السواء ، واتخذت لهجة تسكانا أداة لها ويرجع ذلك إلى نقاء اللهجة التسكانية وقلة تأثرها بلهجات الغزاة الأجانب ، فأتيحت لها الفرصة لكى تنمو وتتطور فى بيئتها المحلية تطورا تدريجيا ، وكذلك لتفوق تسكانا فى المجتمع السياسى والاقتصادى ومن شعراء هذه المدرسة جويدو جوينتزلى . ثم جاءت المدرسة الفلورنسية الحديثة أو مدرسة تسكانا . واجتمع فيها كذلك الشعر التقليدى والشعر الإنسانى العاطفى . وكان من شعرائها جويدو كافالكانتى ودانتى أليجيرى .

(٤) دانتى أليجيرى (١٢٦٥ – ١٣٢١ Dante Alighieri) ولد فى فلورنسا ومات منفيا فى رافنا . وهو مع هو ميروس وشكسبير واحد من أعظم شعراء العالم الثلاثة . وكان متعدد النواحى فاشترك فى الحرب واشتغل بالسياسة وأولع بالرسم والموسيقى والشعر وعاش فى المنفى سنوات طويلة ، وكانت الآلام والمحن التى انصبت عليه بوتقة عبقريته . ومن آثاره « الحياة الجديدة والوليمة والملكية والكوميديا الإلهية » .

(٥) الكوميديا الإلهية (La Divina Commedia) من أعظم الآثار الأدبية في العالم، وضعها دانتي في حياة المنفى ، واستمد أصولها من تراث القدماء وتراث العصور الوسطى بما اشتمل عليه من تراث الإسلام والشرق، واستمدها من بلاده وحياته وتجربته وإحساسه ، وتتألف من مجموعات ثلاثية وتقع في ١٤٢٣٣ بيتا من الشعر . والكوميديا رحلة خيالية إلى العالم الآخر استغرقت سبعة أيام . وتنقسم ثلاثة أقسام : الجحيم ويمثل الشباب الحر الطليق المتكبر الثائر ويصور الفطرة والغرائز والخطيئة والمأساة والخيبة الدنيا ؛ والمطهر يمثل التجربة والنضج والتأمل والتفكير والتطهر والغفران ؛ والفردوس يصور الكهولة والطهارة والحب والصفاء والحرية والنور الإلهي . والكوميديا مرآة الحياة وقصيدة الإنسانية الكبرى ، وهدف دانتي بوضعها إلى تغيير الإنسان وإصلاح المجتمع ، وكأنه أراد بذلك أن يضع كتابا مقدسا جديدا يهدى البشر عن طريق الفن الرفيع إلى سواء السبيل . والكوميديا كتدرائية ضخمة وعمارة شاهقة محكمة البناء جعل دانتي فيها الإنسان والعالم والله والدنيا والآخرة في بؤرة واحدة ، ووضع في إطارها العام كل المعارف والجزئيات الدقيقة المادية والمعنوية . وألغى فيه فوارق الزمن والمكان ومزج بين الأسطورة والتاريخ وبين الواقع والخيال . وقدم بريشة الفنان صورا مأخوذة من الحياة الواقعة ، ورسم الطبيعة ، وشهوات النفس ، والتوبة والإيمان والأمل . ولا زخرف ولا صناعة في شعر دانتي ، ولغته دقيقة محددة ، وأسلوبه موجز مركز ، وليس مثله من يحس بالحقيقة ويعبر عنها بأمانة وسهولة . وهو يكتب أقوى الشعر وأفخمه كما يكتب أجمل الشعر وأرقه . ودانتي موضوع دراسة عظيمة في أنحاء العالم المتحضر والمكتبة الدانتية زاخرة بالمؤلفات وشتى اللغات . وترجمت الكوميديا إلى الانجليزية مثلا أكثر من ٤٧ ترجمة كاملة عدا الترجمات الجزئية ، وترجمت إلى الفرنسية أكثر من ٢٢ ترجمة كاملة عدا الترجمات الجزئية . وطبعت ترجمة عربية لها في طرابلس الغرب . كما نشرت ترجمة عربية للجحيم وحدها في القدس ؛ وهذا فضلا عن ترجمتي للكوميديا في ثلاثة أجزاء نشرت مرة أو أكثر منذ ١٩٥٩ حتى ١٩٧٠ .

(٦) حسن عثمان : إفريقيا في جحيم دانتي . مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية مجلد ١٠ ديسمبر ١٩٥٦ . الإسكندرية ١٩٥٦

(٧) Purg. IV. 130 — 133.

(٨) Purg. IV. 130. — 139.

(٩) Purg. XXVI. 1 — 15.

(١٠) Puag. XXVI. 61 —25.

(١١) Purg. XXIX. 91 — 105.

(١٢) Purg. XXIX. 106. — 120.

(١٣) Purg. XXX. 55 — 78.

(١٤) Purg. XXX. 79 — 99.

(١٥) Purg. XXXI. 58 — 63.

(١٦) Purg. XXXI. 64 — 75.

(١٧) Purg. XXXII. 16 —68.

(١٨) Purg. XXXII. 70 —90.

(١٩) Purg. XXXII. 94 —96.

(٢٠) Purg. XXXII. 97 — 99.

(٢١) يعنى قبل أن يدخل باب المطهر .

(٢٢) أى خارج باب المطهر يعنى فى مقدمة المطهر .

(٢٣) يعنى أنه تأخر فى التوبة والغفران إلى آخر لحظة من حياته بسبب الإهمال والكسل .

(٢٤) هذا لأن صلاة الأحياء ودعاءهم تقصر مدة التطهر . ويشبه هذا المعنى ما ورد فى الكتاب المقدس .

Giov. IX. 31; Giob. XXVII. 9; XXXV. 13.

(٢٥) لا ينفع هنا شىء سوى الصلاة لتقصير مدة تطهر بلاكوا ولذلك فهو لا يحرك ساكنا وينتظر الزمن المقرر له . ويتناسب هذا مع الكسل الذى لازمه فى حياته . وفى هذا النوع من الأسى والرضا بحكم القدر .

ويشبه هذا المعنى بعض ما ورد فى تراث الإسلام من حيث أن الصلاة هدية وثواب من أهل الأرض إلى أهل المقابر : السيوطى ، عبد الرحمن : كتاب شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور . القاهرة ، ١٣١٧ هـ . ص ١٢١ .

(٢٦) يشبه هذا ما أورده أوفيديوس : Ov.Met. II. 142.

(٢٧) يعنى أن الوقت أصبح ظهرا فى المطهر بينما حل الليل فى نصف الكرة الشمالى من نهر الكنج إلى مراكش – المغرب – آخر جزء من العالم المسكون كما كان معروف فى عصر دانتى .

(٢٨) المتكلم هو جديدو جوينتزلى (١٢٣٠–٢٧٦) (Guido. Guinizelli) الشاعر البولونى الذى يمثل مدرسة الشعر فى بولونيا التى تعتبر إحدى المراحل ظهور الأدب الإيطالى .

(٢٩) المقصود بالعطش هنا الرغبة فى معرفة شخص دانتى وكيف جاء إلى هذا المكان وهو على قيد الحياة .

(٣٠) يتكلم هذا الروح نيابة عن جميع رفاقه المتعطشين إلى معرفة شخص دانتى .

(٣١) يقارن هذا الروح العطش إلى المعرفة هنا بعطش الهندى أو الإثيوبى الذى يعيش فى البلاد الحارة إلى الماء البارد المنعش ، واعتبر جغرافيو العصر ودانتى أن إثيوبيا تقع فى أقصى جنوبى أفريقيا فى المنطقة الاستوائية .

(٣٢) يعنى كيف ينعكس ظل دانتى على النار المشتعلة بجسمه الذى لا تنفذ خلاله أشعة الشمس .

(٣٣) العربة رمز للكنيسة الظافرة والفكرة مأخوذة من حزقيال Ezech. I. 15-21.

(٣٤) العجلتان رمز للتوراة والإنجيل اللذين تعتمد عليهما الكنيسة .

(٣٥) الجريفون Griphon حيوان خرافى له رأس نسر وجناحاه وله جسم أسد . ويرى النقاد انه رمز للمسيح مؤسس الكنيسة وله طبيعتان : طبيعة إلهية تتمثل فى الطير وطبيعة إنسانية تتمثل فى الأسد.

(٣٦) يرمز الجناحان للمحبة والعدل الإلهى .

(٣٧) رفع الجريفون جناحيه فى المسافة الخالية بين شريط اللهب الذى فى الوسط – السراج الأوسط – وبين المجموعتين الثلاثيتين من اللهب على الجانبين وبذلك لا تؤثر حركة جناحيه على نار السرج .

(٣٨) ارتفع الجناحان إلى السماء حتى لم ير دانتى نهايتهما ، وذلك لأن الجريفون رمز للمسيح الإنسان الإله عند المسيحيين ، وهو فى الأرض والسماء فى وقت واحد . ولذلك لا تصل عين الإنسان إلى رؤيته فى السماء .

(٣٩) يعنى كان الرأس والجناحان من الذهب رمز الطبيعة الإلهية فى الجريفون .

(٤٠) كانت سائر الأعضاء ذات لون أبيض ممتزج بالحمرة رمز الطبيعة الإنسانية والتلوين مقتبس من الكتاب المقدس :

Cant. Cant. V. 10 - 11.

(٤١) شبيون الافريقى (Scipione Africano) القائد الرومانى الذى هزم هانيبال فى زاما سنة ١٨٥ وتكررت الإشارة إليه فى الكوميديا :

Inf. XXXI. 116; Par. VI. 53; XXVII. 61 - 62.

وقد ألف جورج فردريك هيندل (١٦٨٥ – ١٧٥٩) ألحان أوبرا عن شبيونى :

Haemdel, G. F. : Scipione, opera. London, 1726.

(٤٢) أغسطس قيصر (Augustus) الامبراطور الرومانى وتكرر ذكره والإشارة إليه فى الكوميديا :

Inf. I. 71; Purg. VII. 6; Par. VI. 73 - 81.

(٤٣) أى أن هذه العربة كانت أجمل من عربة شبيون وعربة أغسطس وعربة فيتون .

(٤٤) خرجت عربة فيتون (Phetone) عن طريقها وهى ترتفع إلى الشمس وأمام ضراعة الأرض قتله جوبيتر بصاعقة وتكرر ذكره فى الكوميديا وأورد أوفيديوس أسطورته :

Inf. XVII. 107; Purg. IV. 72; Par. XXXI. 125.

Ov Met. II. 278 - 300.

وقد رسم سانتى دى تيتو (١٥٣٦ – ١٦٠٣) صورة تمثل حزن أخوات فيتون على موته وهى فى القصر القديم فى فلورنسا .

وألف جان باتيست لولى (١٦٣٢ – ١٦٨٧) ألحان أوبرا فيتون :

Lully, J.B. : Phaêton, opêra. Paris, 1683. (ex. Anthologie sonore).

(٤٥) بدت بياتريتشى لدانتى كأنها أم متعالية حينما تلوم أبنها ، ولا يدرك الابن أن خشونة الأم مبعثها الحب وهدفها المصلحة ولا يشعر سوى بمرارة اللوم . وهذا تصوير دقيق مأخوذ من الحياة الواقعة .

(٤٦) بعد هذا اللوم من جانب والخجل من جانب آخر سادت فترة صمت ، فسكتت بياتريتشى وصمت دانتى .

(٤٧) قطع الصمت فجأة ترتيل الملائكة الذين أخذهم الإشفاق على دانتى فدافعوا عنه بالترتيل وبأبيات مز الكتاب المقدس :

Salm. XXXI. 1 - 9.

(٤٨) أى الأشجار الخضراء ويشبه هذا ما أورده فرجيليو وأوفيديوس :

Virg. Aen. VI. 181.

Ov. Met. VIII. 329 ; X. 372...

(٤٩) يعنى جبل الأبنين .

(٥٠) هذه هى الريح الباردة التى تأتى من سلافونيا (Siavonia) وفى القرن ١٤ كان يطلق هذا الاسم على المنطقة الواقعة بين دلماشيا ونهر الدراف .

(٥١) تذوب الطبقة العليا من الثلج بحرارة الجو ثم تنساب إلى أسفل .

(٥٢) الأرض التى تفقد الظل هى أرض أفريقيا لأن الشمس فى منطقتها الاستوائية تصبح عمودية على خط الاستواء مرتين فى السنة وعندئذ لا تدع للأشياء ظلا بوضعها العمودى والمقصود أن الثلج يذوب إذا بعثت أرض أفريقيا برياحها الساخنة .

(٥٣) تشبه رياح أفريقيا الحارة النار التى تذيب الشمع .

(٥٤) يعنى أن كلام بياتريتشى القاسى كان كالريح الباردة فتجمد دانتى وتحجر أمامها . وأصبح ترتيل الملائكة كرياح أفريقيا الحارة التى تذيب الثلج .

(٥٥) هذا تعبير موسيقى يعنى أن الملائكة يتابعون فى ترتيلهم ألحان السماء .

(٥٦) أحس دانتى فى ترتيل الملائكة بالعطف والإشفاق عليه وكان ذلك أفعل فى نفسه مما لو لاموا بياتريتشى على معاملتها إياه .

(٥٧) حينما أحس دانتى باشفاق الملائكة عليه ذاب الثلج الذى أحاط بقلبه وتحول إلى تنهد ودموع . وهذا هو دانتى الرقيق المرهف الحس الذى يتألم حتى ينهمر دمعه .

(٥٨) تعبير دانتى فى هذا الموقف من أصدق ما ورد على ألسنة الشعراء وهو وصف صادق أله لبعض ما يخالج النفس البشرية .

(٥٩) هذه صورة دقيقة للطفل الصامت الخجول وأورد دانتى هذا المعنى فى الوليمة :

Conv. IV. XIX. 10.

(٦٠) أى مادام دانتى يتألم بسماع اللوم وهو خفيض العينين سيزيد ألمه إذا رفع وجهه ونظر إلى بياتريتشى .

(٦١) يعنى ريح الشمال الباردة .

(٦٢) ياربا (Tarba) يعنى ريح إفريقيا نسبة إلى ملك نوميديا الذى كان من عشاق ديدون ملكة قرطاجنة وأورد فرجيليو هذه الأسطورة :

Virg. Aen. IV. 196 - 197.

(٦٣) هذا دليل على العناء والجهد الذى بذله دانتى فى رفع وجهه الخفيض .

(٦٤) حينما ذكرت بياتريتشى لفظ اللحية أدرك دانتى أنها تريد أن تقول له إنه ليس طفلا به إنه رجل ناضج ولا عذر له فى ارتكاب الإثم .

(٦٥) لم يدر دانتى هل تكلمت ماتيلدا أكثر أو لا لأنه استغرق فى التفكير فى بياتريتشى .

(٦٦) يفسر بعض الشراح لفظ (vera) هنا بمعنى العارى ويشير هذا إلى أن رجال الكنيسة القدامى كانوا فقراء متواضعين . ويرى آخرون أن معنى اللفظ هو الأرض الحقيقية ، أرض الفردوس المطيع لله .

(٦٧) كانت السرج تتحرك وحدها من قبل أما الآن فقد أمسكت بها الحوريات السبع .

(٦٨) ريح الشمال (Aquilone) التى تهب من شمال أوروبا وريح الجنوب (Austro) الحارة التى تعصف فى ليبيا وتهب على جنوب أوروبا .

مكتبة البحث

(أولا) مؤلفات دانتي :

(أ) في نصوصها :

Dante Alighieri : La Divina Commedia

— col commento di P. Fraticelli. Firezne, 1902.

— nel testo critico della Società Dantesea Italiana, esposta e commentata da E. Mestica. Firenze, 1921.

— con il commento di T. Casini rinnovata e accresciuta per cura di M. Barbi. Firenze, 1932.

— commentata da L. Pietrobono. Torino, 1932.

— testo critico a cura di M. Casella. Bologna, 1949.

— col commteno di G. A. Scartazzini rifatto da G. Vandelli. Milano 1949.

— commentata da A. Momiglino. Firenze, 1950.

— Le opera di Dante Alighieri, a ura di E. Moore, nouvamente rivedute nel testo da P. Toynbee. Oxord, 1924.

— La Divina Commedia. Prentazico di M. Apollonio. 6 voll. (ed. Fabbri) Milano, 1965.

— Dante, Opere, a cura di M. Porena e M. Pazzaglia. Bologna, 1966.

— Opere Minori. Firenze, 1935.

(ب) بعض ترجمات انجليزية (وأمريكية) :

— The Divine Comedy, Trans. by H. F. Cary Florence ?

— The Divine Comedy, trans. by M. Andersen. U.S.A. ?

— The Divine Comedy, trans. by L. G. White. New York, 1948.

— The Comedy of Dante Alighieri, Cantica II. Purgatory, trans. by D. L. Sayers. Edinburgh, 1955.

— La Divina Commedia with an English trans. by H. M. Ayres. New York, 1949—1953.

— The Divine Comedy, trans. by G. L. Bichersteth. Aberdeen, 1955.

— The Divine Comedy of Dante Alighieri, English Translation by L. Biancolli, 2 vols. New York, 1966.

(ج) بعض ترجمات فرنسية :

— La Divine Comédie, trad. par A. Pératé. Paris, 1921.

— La Divine Comédie, trad. par H. Longnon. Paris, 1938.

— La Divine Comédie, trad. par A. Brizeux. Paris, 1943.

— La Divine Comédie, trad. par A. Masseron, Paris, 1947—1950.

— Dante, oEuvres Complètes, traduction et commentaires par A. Pêzard (La Pléiade). Paris, 1965.

(د) ترجمات عربية :

– المرحلة الدانتية فى الممالك الإلهية : الجحيم – المطهر – النعيم . ترجمة عبود أبى راشد . طرابلس الغرب ، ١٩٣٠ – ١٩٣٣

– كوميديا دانتى أليجيرى « الفلورنسى مولدا لا خلقا » : النشيد الثانى : المطهر . ترجمة حسن عثمان . الطبعة الثانية المزيدة المنقحة . القاهرة ، ١٩٧٠ .

(ثانيا) بعض المراجع :

Bosco, U. Dante vicine. Palermo, 1966.

De Sancitis, F : Saggi Critici. Milano, 1921.

De Sanctis, F. : Storia della Letteratura Italiana. vol. I., Milona, 1934.

Gustarelli, A. : Dizionario Dantesco. Milano, 1946.

Hauvette, H. : Histoire de la littérature Italienne. Paris, 1932.

Palhories, F. : Dante et la Divine Comédie. Paris, 1936.

Papini, G. : Dante Vivo. Firenze, 1943.

Papini, : Storia della letteratura Italiana. vol. I. Milano, 1935.

Petrocchi, G. : Dante e il suo Tempo. Torino, 1964.

Toynbee, P. : Dante Dictionary. Oxford, 1898.

Toynbee, P. : Dante Studies and Researches. London, 1902.

Tozer, H. E. : An English Commentary on Dante's Divina Commedia. Oxford, 1901.

Vittorini, D. : The age of Dante. New York, 1964.

Wilkins, E. H.: A History of Literature Cambridge, U.S.A., 1954 .

Zingarelli, N. : La vita, I Tempi e le Opere di Dante. 2 voll. Milano, 1948.

روجرز ، ج . بول : فلورنسا فى عصر دانتى ، ترجمة محمود إبراهيم . بيروت ، ١٩٦٨ .

حسن عثمان

Hassan Osman

الحفاظ على الموارد الوراثية للقارة الإفريقية

دكتور نجيب نصار
قسم المواد الطبيعية

CONSERVATION OF GENETIC RESOURCES OF AFRICA

By

Dr. N. M. NASSAR,

Department of Natural Resources

SUMMARY

The success of agricultural development measured in terms of rapid adoption of high yielding varieties threatens the existence of hardy native species that could prove crucial to the maintenance of the high yielding plants. In Africa, for example, native varieties of rice species (Oryza glaberryma) are rapidly disappearing from West Africa due to the introduction of Asian varieties (O. sativa). Also, native hardy wheat species are going to disappear from Ethiopia.

The significance of the diasppearance of these types is an important question as it means the loss of genetic resources which provide breeders with useful characters.

These threatened genetic resources can be salvaged by maintaining plant collections and by proper storing of seeds. An additional method is to maintain areas of native vegetations uncontaminated by new and exotic varieties.

ACKNOWLEDGEMENT

Thanks are due to Dr. M. Imam, Head of Department, for revising the manuscript.

نشأت المحاصيل المزروعة كالقمح والقطن نتيجة لاستئناس أصول برية كانت تنمو طبيعيا فى مواطنها الأصلية ، وتضافرت عوامل كثيرة كالذوق الإنسانى والمطالب الاجتماعية والظروف الزراعة والبيئية عبر العصور الطويلة للوصول بالسلالات البرية إلى شكلها الحالى .

إن أصناف المحاصيل الحالية لم تصل بعد إلى ذروة الكمال من حيث كمية الانتاج ولا من حيث نوعيته وما زال بينها وبين هذا الهدف شوط طويل بل أنها ربما لا تصل إليه أبدا فتغير المدنية السريع ينشىء حاجات جديدة للانسان ويخلق مطالب لم تكن موجودة من قبل . وينعكس هذا الأمر على المحاصيل المختلفة فتحتاج لمواصفات جديدة لمسايرة هذا التغير .

إن الانجازات الضخمة التى يحرزها مربوا النباتات تدلنا على مدى ما يمكن ان يفعله الانسان فى مجال التحسين والمقارنة بين انتاجية الأصناف الجديدة كأصناف القمح المكسيكية ترينا إلى أى مدى يمكن لعملية التحسين أن تخدم الجنس البشرى . بفضلها خرجت أمة كالهند من موقف تواجه فيه خطر المجاعة والجوع إلى وضع تكتفى فيه ذاتيا بانتاجها بل وربما تجد فائضا كافيا للتصدير . فالسلالات البدائية والطرز البرية لهذا المحصول وغيره من المحاصيل قد تكون فى جملتها منخفضة الانتاجية ذات مستوى نوعى ردىء لكن قد يوجد بها إحدى الصفات الفريدة الممتازة كمقاومة مرض ما . هذه الصفة لو نقلت إلى الصنف التجارى الذى يفتقر لها باحدى وسائل التربية لحسنت من هذا الصنف ولربما أظهرت للوجود من خلال هذه التوليفة الجديدة نمطا جديدا غاية فى الجودة والامتياز .

إن مشكلتنا أن هذه السلالات البرية والأصناف البدائية مهددة بالانقراض والاندثار دونما محافظة أو صيانة وأننا نقتصر فى تقييمنا لها على النظر إلى تخلفها حاليا عن أقرانها من الأصناف الحديثة غافلين عن محتواها من الامكانيات والتباينات الوراثية والتى قد يأتى وقت تصبح فيه مصدر نفع عظيم .

إن هذه السلالات البدائية هى التى عملت من خلال ضغوط البيئة المختلفة

ومن خلال الإنتخاب الإنسانى على بناء سلالاتنا الحديثة . وهى فى الواقع الوعاء الذى توجد به ثروة العالم من الجينات وتوليفاتها combinations المختلفة .

وأبرز مثل على تعرض هذه السلالات البدائية للاندثار حالة الأرز الافريقى Oryza glaberrima الذى استؤنس فى جنوب إفريقيا مستقلا عن الأرز الأسيوى . فعندما حصرت مساحات هذا الأرز فى سهول بانفورا بفولتا العليا عام ١٩٣٦ وجد أن ٩٠٪ من هذه المساحات كان منزرعا بهذا الأرز الأفريقى . أما فى عام ١٩٦٧ فلم يشغل هذا الصنف سوى ١٠٪ من مساحة الأرز المنزرع أما باقى المساحات فكانت منزرعة بأصناف الأرز الحديثة المشتقة من الأرز الأسيوى Oryza sativa ولو استمر هذا المعـدل فى التناقص بنفس الدرجة فسيأتى وقت يندثر فيه تماما . لا اعتراض لدينا على ظاهرة انتشار زراعة الأصناف الأخرى من الأرز فهى بلا شك أكثر انتاجية وأفضل نوعية . لكن الخطر يأتى من احتمال انقراض السلالة الافريقية نفسها دون احتفاظ بعينة منها للمستقبل . صحيح أنها حاليا متخلفة انتاجيا ونوعياً . لكننا نعلم من العرض السابق أن مثل هذه السلالات غنية بالتباينات والتوليفات الوراثية التى قد تقدم للمربين فى الزمن المقبل مصدراً لا ينفد من الصفات الوراثية لتحسين سلالاتهم . وأن التغير السريع فى المدنية الحديثة يجعلنا بالتأكيد عاجزين عن تصور متطلبات الزراعة فى الأزمنة المقبلة ويجعلنا حريصين كل الحرص على عدم فقد وإندثار هذه السلالات البدائية دون الاحتفاظ بعينات منها .

إن التغير السريع فى هذا العصر يظهر أن الحاجة مستمره ودائمة ابدا إلى مخزون من المجمعات الجينية تفى بمتطلباته . وخذ مثلا على ذلك تلك الأهمية التى خلقها التقدم العلمى والتكنولوجى لبعض الصفات . هذه الصفات ما كان يهتم بها أبدا فى الماضى ولعل أقربها للذهن صفة وجود حمض الليسين بنسبة عالية فى الحبوب إن الحاجة لهذه الصفة إنما هى وليدة التقدم العلمى بدون شك . أيضا صفة جينات استعادة الخصوبة التى أضحت بتقدم علمى تربية المحاصيل وانتاج الهجين ضرورية لانتاج الهجين بأقل التكاليف . هذا إلى صفات أخرى تضطرد أهميتها بتقدم الأبحاث مثل صفات مقاومة الأمراض الفطرية .

وتكشف الدراسات التطورية الحديثة على أن السلالات البدائية سوف يمكنها فى المستقبل أن تلعب دوراً أكثر أهمية من مجرد نقل صفة منها إلى الأصناف التجارية الحديثة وذلك لأننا نعلم من دراستنا أن هذه السلالات قد أسهمت بشكل بارز فى تحديد مجرى التطور من خلال زراعتها على مدى السنين . وأنها لتتلاءم مع مدى واسع من البيئات . وعليه فهى مصدر عظيم القيمة لمركبات الجينات ذات القيمة التواؤمية العالية عند تغير البيئة وعند تغير الأحوال .

إن ما يضاعف من خطر تعرض سلالاتنا البدائية بأوعيتها الوراثية الغنية للانقراض هو ادخال الوسائل الزراعية الحديثة التى مكنت من التحكم فى الظروف البيئية وتقليل التباين البيئى على اتساع مناطق واسعة وهو ما نلاحظه مثلا فى مناطق الزراعة البستانية المكثفة حيث يبلغ التحكم فى البيئة فيها أقصاه باستعمال المخصبات والرى المضبوط والحرارة والضوء المتحكم فيهما . كل هذا حقق ظروفا من شأنها أن أصنافا معينة فقط من المحاصيل هى التى تستطيع أن تنمو فى مساحات كبيرة من الأرض . وأمكن لأصناف محاصيل منتخبة على هذا الأساس أى مواءمة مدى ضيق جداً من الظروف البيئية أن تنجح وتعطى إنتاجاً كبيراً كما هو حادث فى فرنسا وهولندا والسويد وشمال شرق أوربا . لكن عيب هذه السلالات موحدة الأنماط قليلة التباين أن انتشارها يكون على حساب القاعدة العريضة من التباينات الوراثية الموجودة فى السلالات البدائية . وهذا الوضع يضعنا فى مأزق شديد عندما يتهدد هذه السلالات مرض ما فاما أن تندثر وإما تسعفنا السلالات البدائية بجينات المقاومة . لكن كيف يكون الحال لو كنا قد قصرنا فى الحفاظ على هذه السلالات ؟

لقد أدى ظهور هذه السلالات الممتازة من المحاصيل إلى تحويل نظرنا عن الاهتمام بحفظ عينات من السلالات البدائية وبذلك عملت بطريقة فعالة على تدمير مخزون الجينات الوارثية الكامنة فى السلالات البدائية . فمثلا أدى استنباط الأصناف الممتازة من القمح والأرز إلى احلالها فى جميع المناطق بما فى ذلك مراكز التباين الجينية لها . فأصبحت هذه المراكز مهددة لأن يدمر ما بها من مخزون الجينات

المتواجد بالسلالات البدائية بحدوث تهجينات بها . والواقع أن هذا التهديد ليس قاصراً على الأرز والقمح فقط بل أنه يشمل محاصيل أخرى كثيرة وإن برز بشكل واضح في المحصولين الأولين نظرا للتطور الخيالى فى إنتاجها .

ولعلنا توصلنا فى السابق إلى ضرورة المحافظة على المادة الوراثية للسلالات المهددة بالانقراض والاندثار — لكن يلزمنا الآن أن نبحث الوسائل العملية لذلك . وهنا يلزمنا أن نفرق بين شكلين من هذه السلالات :

فأولها السلالات البرية التى تنمو طبيعياً فى مراكز التباين الوراثية . وثانيها السلالات البدائية التى هى عبارة عن أصناف زراعية بدائية الصفات ظهرت للوجود فى عهـــود الزراعـة الأولى ، تحول الزارعون عنها إلى الأصناف الحديثة .

فبالنسبة للسلالات البرية التى يعتقد بأنها منشأ محاصيلنا الزراعية ، فليس من شك فى أنه للمحافظة عليها يجب أن نحرص بأن تظل بمستوى كمالها الوراثى الموجودة به فى حالتها البرية والوسيلة إلى ذلك هى تركها تنمو فى مجتمعها الطبيعى مع عمل الاحتياطات لتوفير مجتمع متوازن لها مع البيئة التى تعيش عليها . والواقع أن هذا الشكل من أشكال المحافظة على المادة الوراثية هو ما يتعين علينا اتباعه بالنسبة السلالات البرية للمحاصيل الزراعية الموجودة فى الحبشة . فكما نعلم أن هذه المنطقة من إفريقيا تعتبر إحدى المراكز المعدودة فى العالم لتركز السلالات البرية لعدد من المحاصيل المنزرعة (شكل ١) ويقرر هارلين (١٩٧٠) أن هذه المنطقة تزخر بثروة لا حد لها من السلالات البرية للأنواع التالية :

Triticum durum
Triticum Turgidum
Triticum dicocum
Hordeum vulgare
Cicer arierinum
Lens esculenta

Eragrostis abyssinica

Eleusine coracana

Pisum sativum

Linum usitatissinum

Sesanum indicum

Ricinus communis

Coffea arabica

وأجدر بنا أن لا نقل حرصا فى هذا المجال عما يفعله الاسرائيليون فى فلسطين المحتلة إذ يجعلون من بعض مناطق تلال الجليل بفلسطين معازل لسلالات القمح والشوفان البرية التى تنمو بين الصخور القديمة . كذلك يفعل الأتراك ببعض مناطق الأناضول محافظين على السلالات البرية للكمثرى والتفاح والبرقوق وأبو فروة التى تنمو على المنحدرات الصخرية هناك وما زالت محتفظة بحالتها البرية منذ مئات السنين . وفى استراليا تجرى المحافظة بنفس الطريقة على سلالات الكافور البرية . والواقع أن هذه السلالات البرية تتعرض بشدة للابادة من جزاء عوامل التقدم والضغط التكنولوجى الذى يسود العالم كله بما فيه المناطق الموجودة بها السلالات . وقد يكون الخطر على شكل تعرض هذه المناطق لعمليات بذر التقاوى أو التسميد أو الرش بالمحاليل الكيماوية التى تجرى بالطائرات أو أنها تتعرض كلية نتيجة احلال نباتات مراعى أو محاصيل ذات انتاجية عالية . وفى بعض المناطق خاصة المدارية منها تقلع غابات بأكلها بما تحويه من ثروة وراثية كامنة فى سلالات النباتات البرية وذلك بغرض استخدام الأرض فى الزراعة . والمحافظة على السلالات البرية بانشاء معازل حولها فى مناطق نشوئها الأصلية تكون أهم ما يمكن بالنسبة لبعض المحاصيل كالفول السودانى Arachis spp. التى تسببت عوامل عديدة فى تركز زراعتها بعيدا عن مناطق نشوئها فالفول السودانى مثلا تتركز زراعته فى غرب أفريقيا والصين بينما منطقة نشوئه جنوب أمريكا وما من شك فى أن عدم زراعة هذا المحصول فى منطقة نشوئه ذو تأثير كبير فى تحويل النظر عن المحافظة على سلالاته البدائية وتعرضها من ثم للانقراض .

وفى مجال المحافظة على السلالات البرية للمحاصيل المنزرعة تتلخص العملية فى فكرة بسيطة هى المحافظة على الطبيعة مع فرق واحد وهو أن المحافظة على الطبيعة تستهدف المحافظة على مناطق بيئية بذاتها بينما نحن هنا لا نحافظ على الطبيعة وحسب بل ونحافظ على الاختلافات الوراثية التى نعتقد بوجودها وإن كنا لا نتعرف عليها . ولما كانت الاختلافات الوراثية مرتبطة بوجود اختلافات بيئية لهذا يلزمنا أن نحافظ على مدى واسع من التباينات البيئية .

وأهم ما يسترعى النظر هو ضرورة عمل حصر للمناطق التى تستحق الحماية السريعة والتى تحتاج لعمل معازل للمحافظة على السلالات الممثلة لجماعاتها البرية ويعتمد فى مثل هذا الحصر على بيانات من العلماء فى شتى المجالات كتقسيم النبات والتطور والجغرافيا النباتية والبيئية والمحاصيل . وهذه البيانات يمكن الاستفادة منها على كلا من المستوى القومى والعالمى فى تحديد المناطق والأنواع التى تحتاج إلى حماية سريعة .

وتعتبر وسيلة انشاء معازل طبيعية هى الطريقة الأساسية فى مجال المحافظة على السلالات البرية . ويوجد حاليا لدى كثير من الدول تشريعات قانونية يمكن تطبيقها بحيث تسهل انشاء هذه المعازل .

أما الأصناف البدائية من السلالات المنزرعة فان طريقة المحافظة عليها تختلف بعض الشيء . ذلك لأن هذه الأصناف بخضوعها للتداول الانسانى أصبحت لا تنمو بريا فى كثير من الأحيان فيتعذر المحافظة عليها عن طريق التسويق وانشاء المعازل . وكونها تستعمل بواسطة الإنسان فى مناطق مختلفة يجعل من الصعب إخضاع هؤلاء الزراع لتنظيمات ولوائح محددة إذ أن لهم أسلوبهم فى الحياة . لذلك فقد وضعت عدة اقتراحات فى هذا المجال منها تحديد مساحات صغيرة ما بين فدان أو فدانين تستخدم للمحافظة على السلالات والأصناف المحلية وتوضع تحت اشراف موظفين حكوميين محليين . وهذه الطريقة تتميز بأن هذه المساحات ستتعرض لكل التغيرات البيئية الناتجة عن تطوير الزراعة فى المنطقة من تسميد ورى كما ستتعرض إلى تغيرات وراثية عن طريق التهجين والطفرات والانتخاب الطبيعى

وبذلك ستشكل مخزنا كبيرا لاحتمالات متعددة للتأقلم على البيئة المتغيرة وحدوث تجديد وراثى ذاتى من خلال الطفرات والتطور . لكن تحمل هذه الطريقة من ناحية أخرى مخاطر وعيوب عديدة منها أنه لا يمكن الاعتماد كلية على هؤلاء المشرفين الزراعيين إذ أنهم عادة ما يكونون مشغولين بمهام أخرى وعلى ذلك تزداد احتمالات دخول أفراد غرباء لهذه المساحات كما يزداد احتمال التلوث البيولوجى أو الكيميائى لكننا نعتقد أنه يمكن تطوير هذا النظام عن طريق تخصيص الاشراف على هذه المساحات لموظفين متخصصين تشرف عليهم هيئة ذات طابع دولى . ومن مخاطر هذه الطريقة أيضا أن فكرة التغير المستمر للتركيبات الوراثية لهذه السلالات نتيجة لخضوعها للتغيرات البيئية أثناء عملية الزراعة تجعلنا نتساءل إلى أى مدى تعتبر هذه التغيرات مفيدة . فنحن نعلم أن التنوعات الداخلية الموجودة أصلا فى هذه السلالات البدائية تكون ذات قيمة عظيمة لو حوفظ عليها بحالتها الراهنة حتى أنها عندما تصادف ظروفا بيئية مستحدثة وتتقابل مع نباتات مدخلة لربما تشكل توفيقات جديدة ولربما يؤدى ذلك إلى تغيرات تطورية مهمة . فبافتراض توفيقه من ظروف بيئية معينة قد يمكن حدوث تهجينات بين سلالات معينة من هذه السلالات البدائية أو بينها وبين سلالات أخرى ولربما يؤدى مثل هذا التهجين يوما ما لظهور سلالة جديدة تعتبر اضافة ضخمة مثلما حدث بظهور الذرة من التيوزين .

والواقع أن هناك صعوبة كبيرة فى الحكم على التغير الذى يحدث من جراء زراعة هذه الأصناف البدائية وهل هذه التغير يؤدى إلى التأقلم مع الظروف المتغيرة أو أنه يؤدى إلى التدهور الوراثى . وترى Bennitt أنه لا يجب أن نخشى من حدوث التغير الناتج من الزراعة أثناء عملية المحافظة ففى مفهومها أننا لا نحافظ على ما هو قائم لمجرد المحافظة عليه ولكن الهدف هو المحافظة على مادة تساعد على استمرار التطور . وترى Bennitt أن أى تغير مرغوب فيه ما دام لا يؤدى إلى تدهور . لكن تظل فكرة التدهور غامضة خاصة الاستدلال عليه واحتمالات حدوثه .

على كل حال نستطيع أن نخرج من المناقشة السابقة بأننا إذا كنا نريد المحافظة

على مصادر وراثية لمصلحة الانسانية ككل فالأفضل أن نحافظ عليها فى مكان آمن يضمن وقايتها من التغيرات المختلفة التى تؤدى إلى تخريب النظام الوراثى الذى تزمع المحافظة عليه . وهذا يقودنا إلى فكرة المحافظة على المادة الوراثية لهذه السلالات عن طريق تخزين البذور إلى أقصى حد ممكن وأن تقتصر الزراعة على عملية التجديد كلما زاد احتمال فقد البذور لحيويتها . وبهذه الطريقة نقلل من التغيرات ما أمكن . إلا أنه يؤخذ على الطريقة المذكورة قصور عملية تخزين البذور على تحقيق المحافظة تماما . أى قصورها فى تلافى تغيرات المادة الوراثية لكن الواقع أن هذا القصور طفيف جدا بالمقارنة إلى غيرها من الطرق فقد أظهرت الدراسات المختلفة أن التخزين للبذور لا يغير كثيراً من التركيب الوراثى باستثناء حدوث طفرات وهذا احتمال ضئيل بالمقارنة إلى التغيرات التى تحدث من جراء المحافظة عن طريق الزراعة السنوية. إلا أننا لا ننسى هنا أن عملية التجديد التى تجرى كل عدد من السنوات خشية فقد البذور لحيويتها فقد تكون فرصة للانتخاب الطبيعى لكى يحدث تأثيرا ولو أنه لا توجد فرصة لفقد جينات فقداً تاماً وإنما لا يتعدى الأمر تغيراً بسيطا فى التكرار الجينى لبعض الصفات . وأخيرا فان مسئوليتنا أن نوجه الانتباه إلى أن عملية المحافظة على الموارد الوراثية للقارة الإفريقية لا تحظى بالاهتمام الواجب .

ولعلنا لا ننسى فى هـــذا المجال ما أوصى به المؤتمر المشترك منظمة FAO وبرنامج IBP عام ١٩٦٧ من أجل المحافظة على الموارد الوراثية . فكانت أبرز توصياته ما يلى :

١ ــ أنه يجب عمل مسح للموارد الوراثية لكل محصول ما أمكن ذلك . وفى هذا المجال قرر قسم الموارد الوراثية بمنظمة FAO أنه أجرى تجميعا لمعلومات وافية ومصنفة لعدد كبير من المحاصيل وأنها تحت طلب الباحثين .

٢ ــ تضم المجموعات المختلفة لدى البحاث ولدى المؤسسات سلالات فريدة ونادرة فى ميزاتها ــ هذه السلالات يجب عمل مسح لها من خلال الاتصالات . والواقع أن عدد المجاميع القيمة قليلة العدد وهى لا تمثل كل الأنواع ولا مراكز

التباين الوراثية المختلفة إلا أن بعضها يحوى مادة وراثية فريدة ونادرة . ولعل أبرزها مجموعة القمح الايرانى التى جمعت بواسطة البروفيسور هـ . كوشوك ومجموعة الأنواع البرية لوسط آسيا لدى البروفيسور كيهارا ومجموعة الأصناف الأولية للقمح الأفغانستانية لدى منظمة FAO .

٣ — إنه من اللازم عمل تصنيف وتقيم للسلالات المجموعة فهذه عملية أساسية من أجل حسن استغلالها .

٤ — هناك حاجة ملحة لتحسين وسائل حفظ البذور — ومن المؤسف آن معامل تخزين البذور قليلة جدا فى العالم وأغلب المجموعات الهامة يجرى تخزين البذور فيها بدون استعدادات خاصة وتعتمد على تجديد البذور بزراعتها كل عدة أعوام .

٥ — يلزم انشاء بنك عالمى للمادة الوراثية تشرف عليه إحدى مؤسسات الأمم المتحدة وهذا البنك يكون تحت تصرف كل الأمم ويغذى بنوك اقليمية بالمادة الوراثية ويلزم تسهيل اقامة هذه البنوك الاقليمية بموجب اتفاقيات دولية .

٦ — إن من الضرورى توثيق كل النواحى الخاصة بحفظ المادة الوراثية ابتداء من وصف الموطن الأصلى ووصف الصفات المورفولوجية والفسيولوجية والتقييم من أجل الاستغلال فى الأبحاث والتربية .



مراكز التباين الوراثيه للنباتات المنزرعه فى العالم (عن فافيلوف ١٩٥١)

REFERENCES المراجع

BENNETT, E. (1965)

Plant introduction and genetic conservation : genecological aspects of an urgent world problem. Scottish Pl. Breed. St. Rc., 27—113.

.... (ed.) 1968)

Record of the FAO/IBP technical conference on the exploration, utilization and conservation of Plant Genetic Resources, 1967, FAO, Rome.

FRENKEL, O.H. and E. BENNETT (ed.) 1970

Genetic Resources in Plants. IBP Handbook No. 11, Blackwell Scientific Publications, Oxford & Edinburgh.

HARLAN, J.R. (1961)

Geographic origin of plants useful to Agriculture.
Germ. plasm Resources Publs. Am. Ass. Advmt. Sci. 66, 3—19.

VAVILOV, N.I. (1951)

Phytogeographic basis of plant breeding. The origin variation, immunity and breeding of cultivated plants.
Chronica Bot. 13, 1—366.



العبدلاب وسقوط مملكة علوة

الدكتور محمد محمد أمين

The role of the Abdullàb in the fall of Alwà kindom

Dr. M. M. AMIN

The aim of this paper is to show that the fall of the Alwà kingdom caused by Qawasma Arabs, section of the Rufà alone. Then abd Allàh Jammà founded a dynasty called «Abdllàb» which ruled from Qerri. After a period probably in A.D. 1504 the Funj defeated Abdullàb in a battle near Arbaji and forced them to capitulation, by which the Abdullàb kept up their authority over the Arab tribes north of Arbaji, to the third catract, and the direct rule of the Funj was in the Jesira itself over all the tribes, including the Arabe.

العبدلاب قبيلة عربية عرفت بهذا الاسم ، فى تاريخ سودان وادى النيل ، بعد أن قامت بتأسيس مشيختها فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى ، أو فى بداية القرن السادس عشر الميلادى ، واتخذت من مدينة « قرى[١] » عاصمة لها ، فعرفت باسم « مشيخة قرى » ، ثم نقلت عاصمتها إلى الحلفاية[٢] ، فى أوائل القرن الثامن عشر الميلادى ، فعرفت باسم « مشيخة الحلفاية » ، وامتدت سيادتها

---

(١) تقع قرى على خانق سبلوقة ، أو ما يعرف بالشلال السادس فى طرفه الجنوبى ، وهى تبعد نحو ربع ميل من الضفة الشرقية للنيل الأعظم عند نقطة عبور النيل إلى صحراء بيوضة والطريق المؤدى إلى دنقلة ومصر — محمد صالح محى الدين : مشيخة العبدلاب ص ١٣٩ وما بعدها ،
Crawford, (O. G. S.), The Funj kingdom of Sennar, pp. 65-67

(٢) تقع الحلفاية شمال الخرطوم بحرى بنحو سبعة أميال على الشاطىء الشرقى للنيل — نعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودان جـ ١ ص ٦٤ ، ١١١ ، وأنظر ما كتبه كروفورد عن الحلفاية .
Crafword, op. cit. pp. 68-69

لتشمل المنطقة الممتدة من الشلال الثالث شمالا إلى مدينة أربجى[1] جنوبا ، واستمرت هذه المشيخة أكثر من ثلاثة قرون ، حتى تم فتح السودان فى عهد محمد على سنة ١٨٢١م[2] .

والعبدلاب من عرب القواسمة الذين ينتمون إلى قبيلة رفاعة العربية ، إحدى المجموعات الجهينية ، كما تؤكد غالبية المصادر[3] ، أما انتساب العبدلاب إلى الإشراف[4] ، فكما يقول الدكتور يوسف فضل[5] ؛ يعيد إلى الأذهان ظاهرة ادعاء النسب الشريف بين أغلب الأسر الدينية السودانية[6] ، ويبدو أن أحد المهاجرين العرب ممن يدعون النسب الشريف تزوج فى مجموعة قبائل جهينة ، أو رفاعة ، التى كانت تسكن السودان . واستطاع أحد أبنائه أو حفدته أن يصبح زعيما لتلك القبيلة[7] ، وهو عبد الله جماع ، الذى اشتقت هذه القبيلة أسمها من انتسابها إليه ، فكلمة « العبدلاب » تعنى القبيلة أو الجماعة التى أبوها عبد الله ، لأن مقطع « آب » الذى تنتهى به أسماء كثير من القبائل العربية فى السودان يعنى فى مدلوله « عائلة

---

(١) تقع بالقرب من المسلمية على الشاطىء الغربى للنيل الأزرق – نعوم شقير : المرجع السابق جـ ١ ص ١١٢ ، ٤٠٠ ، أنظر أيضاً : ملخص تاريخ أربجى – الملحق الثالث لكتاب معالم تاريخ سودان وادى النيل الشاطر بصيلى عبد الجليل ص ٢٥٦ وما بعدها ، وأنظر ما يلى ص ٢٠١ .

(٢) شقير : المرجع السابق جـ ٢ ص ٤١٧ .

(٣) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب جـ ٢ ص ٤٤٤ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب جـ ٢ ص ٤٣٩ ، محمد عوض : السودان الشمالى ص ٢١٨ ، ٢٥٢ ، يوسف فضل : مقدمة فى تاريخ الممالك الاسلامية فى السودان الشرقى ص ٣٨ ، ٣٩ ،
Yusuf Fadl, The Arabs and the Sudan, pp. 154-7, MacMichael, (H.A.), A History of the Arabs in the Sudan, vol, 1, pp. 138, 141, 238, 245, vol, II, p. 80.

(٤) يذكر ثلاثة من الرواة أن عبد الله جماع ، مؤسس مشيخة العبدلاب ، شريف حسينى من نسل الإمام على – شرائط رقم ٢٠ ، ٨٠ ، ١٣٠ ، أنظر تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية ، نشر أحمد عبد الرحيم نصر ص ١٤ وما بعدها .

(٥) من أبناء السودان ، ويتولى حاليا عدة مناصب علمية منها أنه محاضر أول فى التاريخ بجامعة الخرطوم ومدير شعبة أبحاث السودان ، ورئيس تحرير مجلة السودان فى رسائل ومدونات ، وله العديد من المؤلفات فى تاريخ السودان بالعربية والإنجليزية ، أنظر مراجع البحث .

(٦) يوسف فضل : مقدمة ص ٣٩ .

(٧) المرجع السابق ص ٣٨ .

أو قبيلة »[1] ، ويبدو أن أصله « أب » ، ثم استبدلت الهمزة بالمد تسهيلا للنطق ، وعلى ذلك فهى نسبة عربية دارجة جرت على ألسنة العامة من السودانيين لسهولتها ، ودلت على معنى القبيلة التى أبوها فلان[2] .

وهذه القبيلة التى عرفت ـ فيما بعد ـ باسم العبدلاب ، هى أحدى المجموعات العربية التى عاشت فى أراضى مملكة علوة ، وقامت بدور رئيسى فى القضاء على هذه المملكة المسيحية وحلت محلها ، وأقامت مشيخة عربية اسلامية .

أما مملكة علوة[3] فهى أحدى ثلاث ممالك[4] قامت فى السودان الشمالى فى العصور الوسطى ، وإذا كانت كتابات المؤلفين العرب اتفقت على أن الحد الشمالى لمملكة علوة عند « الأبواب »[5] ، فان أحدا منهم ، أو غيرهم ، لم يعط صورة واضحة عن اتساع هذه المملكة ، أو يعين لبقية جهاتها حدودا جغرافية واضحة ، فيذكر ابن حوقل أن طولها نحو شهر ، وعرضها ما بين النيل وحدودها الشرقية

---

(١) شقير : المرجع السابق جـ ١ ص ٦٤ ، محمد عوض : المرجع السابق ص ٢٣٤ .

(٢) الريح العيد روسى : تقويم السودان لسنة ١٩٤٩ ص ١٠٣ ، ويرى بعض الباحثين أن استخدام المقطع « آب » يرجع إلى مؤثرات لغوية حامية (نوبية أو بجاوية) أنظر محمد عوض : المرجع السابق ص ١٥٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، شقير : المرجع السابق جـ ١ ص ٦٤ ، محمد مهدى كركورى : رحلة مصر والسودان ص ٣٩٠ ، محمد صالح : مشيخة العبدلاب ص ١٢٣ وما بعدها .

(٣) عرفت عند مؤرخى الاسلام باسم مملكة علوة ، وفى السودان باسم مملكة العنج ـ شقير : المرجع السابق جـ ٢ ص ٣٦٢ .

(٤) عندما سقطت مملكة مروى فى القرن ٤ م على يد عيزانا ملك أكسوم الحبشى ، قامت فى السودان الشمالى ثلاث ممالك : مملكة نوباديا أو المريس فيما بين الشلالين الأول والثالث وعاصمتها فرس ، ومملكة المقرة فيما بين الشلالين الثالث والسادس وعاصمتها دنقلا العجوز ، واتحدت هاتان المملكتان فى فترة سابقة على حملة عبد الله بن أبى السرح على بلاد النوبة سنة ٦٤٠ م ، أما المملكة الثالثة فهى مملكة علوة التى تلى مملكة المقرة جنوبا وعاصمتها سوبا ـ المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ١٩٢ ، ٢٠٠ ، مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ٧٣ ـ ٧٥ ، شوقى الجمل ، تاريخ سودان وادى النيل جـ ١ ص ٢٠٢ حاشية ١ ، ٢ ، ٣ ،

Trimingham, (J. S.), Islam, in the Sudan, p. 49, Arkell, (A.J.), A History of the Sudan to A. D. 1821, P. 186.

(٥) هى كبوشية الحالية ـ مصطفى مسعد : المرجع السابق ص ٧٧ ، وشوقى الجمل : المرجع السابق جـ ١ ص ٢٠٢ ،

Crawford, op. cit. pp. 24-25

ثمانى مراحل ، ثم يذكر فى موضع آخر أن حدودها الشرقية تمتد حتى بلادالحبشة[1] ويؤكد المقريزى هذا القول ، فعندما تكلم عن بعض سكان علوة الذين يقيمون فى جهاتها الشرقية ، قال : « وبعد هؤلاء أول بلاد الحبشة »[2] ، أما ياقوت فيذكر أن المسافة من عاصمة مقرة إلى حدود علوة ثلاثة أشهر[3] ، كذلك جاء فى الكتاب المنسوب إلى ابن عبد الظاهر ذكر بعض الأقاليم التابعة لمملكة علوة وهى : بارة — التاكة — كدروا — دنفوا — آوى — بفال — الأنج — كرسة ، وباستثناء بارة ، التى قد تكون لها علاقة بالمدينة المعروفة بهذا الاسم فى مديرية كردفان ، والتاكة التى هى جزء كبير من مديرية السودان الشرقية (كسلا) ، فانه لايعرف شىء عن هذه الأقاليم[4] .

ورغم ذلك فانه من الراجح أن مملكة علوة — التى أصبحت فيما بعد مشيخة العبدلاب — سيطرت على منطقة واسعة من سودان وادى النيل امتدت من الأبواب (كبوشية) شمالا إلى « القطينة » على النيل الابيض جنوبا ، وشملت جهات العطبرة (الأتبرا) والنيل الازرق حتى حدود الحبشة شرقا ، وبعض جهات دارفور وكردفان غربا[5].

ومهما يكن من أمر العوامل والظروف التى أدت إلى انتشار المسيحية فى ممالك السودان الشمالى الثلاث ، فانه لم ينته القرن السادس الميلادى حتى أصبحت المسيحية هى الديانة السائدة[6] ، وكان من نتائج تنافس الكنيسة المصرية مع الكنيسة البيزنطية فى نشر المسيحية فى بلاد النوبة أن أصبحت كنيسة علوة تابعة للكنيسة المصرية منذ نشأتها[7] ، كما قامت علاقات تجارية بين البلدين مما جعل الدولة المملوكية تتمسك

---

(١) صورة الأرض ص ٦١ ، ٦٣ .

(٢) المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ١٩٣ .

(٣) معجم البلدان .

(٤) تشريف الأيام والعصور جـ ٢ ص ٢٩٣ أ ، ب ، أنظر أيضاً محمد صالح : مشيخة العبدلاب ص ٩٠
MacMichael, op. cit. vol. I.p. 183.

(٥) Grawford, op. cit. P. 25. Arkell, op. cit. P. 196., Trimingham,op. cit p. 72.

(٦) أنظر تفصيل دخول المسيحية إلى بلاد النوبة — مصطفى مسعد : الإسلام والنوبة — الفصل الثالث ص ٤٣ — ٧٠ ، حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى إفريقية جـ ١ ص ٢٨٠ .

(٧) شقير : المرجع السابق جـ ٢ ص ٣٦٤ .

بمدينة سواكن للاشراف منها على حقوق مصر التجارية فى حوض النيل الأوسط ، وكان من نتائج حملة السلطان بيبرس إلى النوبة أثرها فى إثارة الفزع فى مملكة علوة ؛ فعندما هزم الملك داود وهرب إلى الأبواب ؛ سارع ملك الأبواب بالقبض عليه وإرساله إلى القاهرة ، حتى يأمن شر المماليك ، ويكسب ودهم ، وكرر ملك الأبواب هذا الصنيع نحو كل الأمراء النوبيين الهاربين من بطش المماليك[1]، ولم يكتف ملوك علوة بذلك ؛ بل تقربوا إلى السلطنة المملوكية بالهدايا ، وبعثوا إلى السلطان قلاوون سفراءهم ليعلنوا له ولاءهم ، وليحكموه فيما ينشب بينهم وبين ملك دنقلة من نزاع ، من ذلك شكوى أدور ملك الأبواب للسلطان قلاوون من تعرض ملك المقرة لرسله المسافرين إلى مصر[2].

ومما يؤكد العلاقة بين مصر ومملكة علوة ماذكره الادريسى « وأهل علوة يسافرون إلى بلاد مصر »[3] ، كذلك ما يذكره الدمشقى من أنه جمع معلوماته عن مملكة علوة من تجار أسوان الذين يترددون عليها[4] .

وبالرغم من أن مملكة علوة استمرت نحو ألف سنة ، وحاولت الاحتفاظ بعلاقات ودية مع دولة المماليك فى مصر ، فقد وجد من العوامل ما أدى إلى اتفككها وإنحلالها ، وبالتالى زوال الأسس التى قامت عليها الملكية المسيحية فيها ، مما مهد السبيل لصبغ هذه المملكة بصبغة عربية إسلامية .

ومن هذه العوامل النزاع المستمر بين مملكة علوة وجيرانها فى المقرة ، والحبشة ، والزغاوة[5] ، ويبدو هذا النزاع فى شكوى ملك الأبواب أدور للسلطان قلاوون

---

(١) ابن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٤٠٠ ، القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢٧٧ ، مصطفى مسعد : المرجع السابق ص ١٥١ ، ١٥٢ ، يوسف فضل : مقدمة فى تاريخ ص ١٩ .

(٢) ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور جـ ٢ ص ٢٩٠ ، ٣١٠ ، الشاطر بصيلى : معالم تاريخ سودان وادى النيل ص ٤٥ ، ٤٦ ، مصطفى مسعد : المرجع السابق ص ١٥٣ ، ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٣) الادريسى : صفة المغرب وارض السودان ومصر والأندلس ص ٢٠ .

(٤) الدمشقى : كتاب نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ص ٢٦٨ .

(٥) إبراهيم صالح بن يونس : تاريخ الاسلام وحياة العرب فى امبراطورية كانم – برنو ص ٢٨ .

من تعرض بلاد الانج – إحدى ولايات مملكة علوة – لغزو أمير أجنبي ، قد يكون أمير الزغاوة[1] ، ويبدو أن السبب في استمرار هذا النزاع هو محاولة جيران علوة الحصول على الرقيق منها ، ذلك أن الرقيق كان أحدى وسائل التعامل التجارى بين ممالك النوبة المسيحية وغيرها ، ومن أجل ذلك شن ملوك المقرة وعرب جذام الغارات على جيرانهم للحصول على الرقيق ، سواء لدفع البقط بالنسبة للمقرة ، أو للاتجار فيه ، ويؤيد هذا القول شكوى سلطان برنو إلى السلطان برقوق سنة ٧٩٤ هـ – ١٣٩٢ م ضد عرب جذام[2] « .. هؤلاء الأعراب قد أفسدوا أرضنا كلها في بلد برنو كافة حتى الآن وسبوا أحرارنا وقرابتنا من المسلمين ويبيعونهم لجلاب مصر والشام وغيرهم ويختدمون ببعضهم .. »[3] .

ثم كان للحروب القبلية التي وقعت في مملكة المقرة أثر كبير في قطع العلاقات الدينية بين الكنيسة المصرية وكنائس علوة ، فتوقف إرسال الأساقفة المصريين منذ وفاة أسقف النوبة « سيريل » سنة ١٢٣٥ م ، فقد صعب أرسال أساقفة يخلفونه منذ ذلك الحين ، ثم تضاعفت هذه الصعوبات نتيجة لسقوط مملكة المقرة ، فهجر سكان علوة كنائسهم ، وتخرب معظمها ، يدل على ذلك ما ذكرة قسيس برتغالي يدعى « الفارز »[4] نقلا عن حنا السورى الذى زار مملكة علوة في القرن الخامس عشر الميلادى ، فيقول « أنه كان بها ١٥٠ كنيسة قديمة »[5] ، وهو عدد قليل

---

(١) امتدت مملكة الزغاوة من بحيرة تشاد في الغرب إلى أطراف النوبة في الشرق ، ويرى آركل أنها شملت الكانم ودارفور في القرن ١٤ م ، أنظر مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ١٨٤ ، وهامش ٣ بنفس الصفحة ،

Arkell, op. cit. p. 199.

(٢) اجتاح عرب جذام وغيرهم من المهاجرين من مصر جنوبا ، اجتاحوا مملكة الزغاوة حتى سيطروا على منطقة دارفور ، وإتخذوا منها قاعدة لشن غاراتهم على الأقاليم المجاورة – مصطفى مسعد : المرجع السابق ص ١٨٥ ،

Arkell, op. cit. pp. 199-200.

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٨ ص ١١٦ .

(٤) قسيس برتغالى زار الحبشة في بداية القرن ١٦ م – مصطفى مسعد : المرجع السابق ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، مكى شبيكة : مملكة الفونج الاسلامية ص ١٨ .

(٥) مصطفى مسعد : المرجع السابق ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، مكى شبيكه : المرجع السابق ص ١٨

Father Francisco Alvarez, Narrative of the Portuguese Embassy to Abyssinia, p. 352, Trimingham, op. cit. p. 77.

بالنسبة لما ذكره أبو صالح الأرمني عن كنائس علوة حوالى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى ، إذ ذكر أنه بلغ عددها حوالى ٤٠٠ كنيسة[١] ، ونتج عن ذلك أن تعرض سكان مملكة علوة إلى نوع من الانفصام الروحى ، فأصبحوا كما يقول الفارز « لاهم بالمسيحيين ولاهم بالمسلمين أو اليهود .. ويقال أنهم كانوا على النصرانية غير أنهم فقدوا دينهم ، ولم تبق لهم عقيدة ، ويأملون أن يكونوا مسيحيين[٢]» .

وزاد من عزلة سكان علوة سقوط مملكة المقرة فى الشمال ، واعتناق أهلها الاسلام .

يضاف إلى هذه العوامل ، التى أدت إلى سقوط مملكة علوة ، العامل الأساسى وهو كثرة الهجرات العربية إلى السودان بصفة عامة وإلى أرض مملكة علوة على وجه الخصوص .

وإذا كان المؤلفون المسلمون ، وتبعهم فى ذلك عدد كبير من الباحثين ، قد أفاضوا فى الاشارة إلى هجرة الجماعات العربية ، سواء من مصر أو من شبه الجزيرة العربية ، إلى بلاد النوبة الشمالية — المقرة وأوطان البجة — ، فان قليلا منهم من أشار إلى الهجرات العربية إلى مملكة علوة ، وحتى هذه الاشارات القليلة مقتضبة لا تكاد تبين ، فيذكر اليعقوبى « مدينة علوة العظمى التى تسمى سوبة (سوبا) ، وبها ينزل ملك علوة ، والمسلمون يختلفون إليها »[٣] ، كما يحدثنا كل من النويرى والمقريزى عن الحملة المملوكية التى سيرها السلطان الملك الناصر محمد سنة ٧١٦ هـ — ١٣١٦ م إلى بلاد النوبة[٤] ، فسارت من عيذاب إلى سواكن ، ثم انتهت إلى منطقة نفوذ علوة فى التاكة (كسلا الحالية) ، ثم مضت فى أرض علوة ، ثم عادت إلى مصر عن طريق دنقلة والنيل ، بعد أن جاست أراضى علوة ، وأستغرقت مسيرتها نحو ستة أشهر[٥] .

(١) تاريخ الشيخ أبى صالح الأرمنى ص ١٢٠ ، مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ١٨٧ ، Trimingham, op. cit. p. 74.

(٢) مصطفى مسعد : المرجع السابق ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، مكى شبيكة : مملكة الفونج الاسلامية ص ١٨ ، Alavarez, op. cit. p. 65.

(٣) البلدان (ليدن) ص ١٢٤ .

(٤) أنظر اخبار هذه الحملة فى : سعيد عاشور : العصر المماليكى ص٩٣ وبعدها ، مصر فى عصر دولة المماليك البحرية ص٨٩ وما بعدها .

(٥) النويرى : نهاية الأرب (مخطوط) جـ ٣٠ ورقة ٩٦ — ٩٨ ، المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ١ ص ١٦١ ، ١٦٢ ، ويذكر المقريزى أن هذه الحملة استغرقت ثمانية أشهر . أنظر المكتبة العربية السودانية — تحقيق مصطفى مسعد ص ٢٣٠ — ٢٣٥ ، ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

ورغم هذه الاشارات المقتضبة فان المصادر السودانية[1]، وتؤيدها فى ذلك بعض الدلائل، تدل على أن أعداد اكبيرة من العرب، وبخاصة من جهينة، التى ينتسب إليها «العبدلاب» قد استقرت فى مملكة علوة المسيحية، مع ملاحظة أن هذا الانتشار الواسع للعرب لم تتم دفعة واحدة بل استغرق عدة قرون، وأن هذه الجماعات العربية استقرت على هيئة مجموعات متفرقة تحت سلطان ملوك علوة، فى بادىء الأمر على الأقل[2].

ويمكن لنا فى هذه الدراسة أن نتتبع شواهد استقرار العرب، وكثرة أعدادهم تدريجيا فى منطقة السودان الأوسط، وبخاصة فى مملكة علوة، سواء كان ذلك عن طريق الصحراء الشرقية والبحر الأحمر، أو من مصر عن طريق نهر النيل[3]. ففى القرنين السابقين للميلاد عبرت هجرات عربية كبيرة من أهل اليمن مضيق باب المندب، واستقر بعضها فى الحبشة، وسار البعض الآخر بحذاء النيل الأزرق ونهر عطبرة، أى فى أرض علوة، منتشراً شمالا فى أرض النوبة[4]، وعلى هذا لا يستبعد بعض الباحثين أن تكون الاسرة المالكة النوبية، وعلوة تسمى النوبة العليا، ترجع فى أصلها إلى جنوبى الجزيرة العربية، إذ عبر الحميريون البحر الأحمر، واستقروا فى السودان، ونقلوا إليه أسماء أجدادهم مثل كوة، دارو، سبأ، كما أنهم لا يستبعدون أن يكون اسم «سوبا» — عاصمة مملكة علوة — تحريف لكلمة سبأ[5].

---

(١) معظم هذه المصادر السودانية عبارة عن أوراق النسبة التى تحتفظ بها كثير من الأسرالسودانية، وقد جمع ماكايكل معظمها ونشرها فى كتابه:

A History of the Arabs in the Sudan.

ويقلل من أهمية هذه الوثائق أن معظم عرب السودان يميلون إلى الانتساب إلى بيت الرسول عليه الصلاة والسلام أو الصحابة، مما أدى إلى اصطناع هذه النسبة فى بعض الأحيان، أنظر مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة ص ١٨٧، ١٨٨، حاشية ١٨ ص ١١٨، يوسف فضل: مقدمة فى تاريخ الممالك الاسلامية الاسلامية فى السودان الشرقى ص ٣٩ وأنظر ماسبق ص ١٩٢

(٢) مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة ص ٢٠٢.

(٣) إبراهيم صالح بن يونس: تاريخ الاسلام وحياة العرب فى أمبراطورية كانم — برنو ص ٢٧.

(٤) المقريزى: المواعظ والاعتبار ج ١ ص ١٩١، ١٩٢.

(٥) ياقوت: معجم البلدان، مصطفى مسعد: المرجع السابق ص ٧٢، عبد المجيد عابدين: ميلاد سوبا — مجلة الجمعية التاريخية السودانية — المجلد الأول — الجزء الثانى، عبد القادر محمود: الفكر الصوفى ص ٣٦، شوقى الجمل: تاريخ سودان وادى النيل ج ١ ص ٢٣٠.

ومن الشواهد التى تؤكد اجتياز العرب لمملكة المقرة فى طريقهم إلى مملكة علوة ، ذلك النص الذى ورد فى معاهدة البقط التى عقدت بين عبد الله بن أبى السرح وبين مملكة المقرة فقد جاء بها « وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه[1] » ، أى أن للمسلمين أن يجتازوا مملكة المقرة . وليس هناك ما يجتازون مملكة المقرة اليه ، سوى مملكة علوة التى تقع إلى الجنوب مباشرة من مملكة المقرة ، أى أن هذا النص يؤكد حرص عبد الله بن أبى السرح — فى منتصف القرن السابع الميلادى — على أن يظل الطريق مفتوحا — خلال مملكة المقرة — إلى الجنوب حيث توجد مملكة علوة ، ويبدو أن ذلك لضمان استمرار الصلات بين العرب فى مصر وبين العرب فى مملكة علوة ، فضلا عن الأغراض التجارية .

ومن ذلك ما ذكره ابن خلدون عن انتشار أحياء العرب من جهينة فى بلاد النوبة ، فانه لا يقف عند حد مملكة المقرة ، بل يتعدى ذلك ليشمل أيضاً مملكة علوة ، ذلك أن « النوبة » عند المؤرخين العرب تعنى المقرة وعلوة ، أو النوبة السفلى والنوبة العليا[2] ، ويؤكد هذا المعنى مقارنة نص ابن خلدون بما جاء فى ابن حوقل عن مملكة علوة . فيقول ابن خلدون بصدد هجرة عرب جهينة من مصر إلى بلاد النوبة « ثم انتشرت أحياء العرب من جهينة فى بلادهم ، واستوطنوها وملكوها ، وملئوها عيثا وفسادا ، وذهب ملوك النوبة إلى مدافعتهم ، فعجزوا ، ثم ساروا إلى مصانعتهم بالمصاهرة ، فافترق ملكهم ، وصار لبعض أبناء جهينة من أمهاتهم ، على عادة الأعاجم فى تمليك الأخت وابن الأخت ، فتمزق ملكهم ، واستولى أعراب جهينة على بلادهم »[3] .

أما ابن حوقل فقد ذكر عند حديثه عن مملـكة علوة المسيحية « ومن سنة جميع السودان إذا هلك الملك أن يقعد ابن أخته دون كل قريب وحميم من ولد وأهل »[4] .

---

(١) أنظر نص المعاهدة — المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ٢٠٠ ، مكى شبيكة : تاريخ شعوب وادى النيل ص ٣١٦ ، السودان عبر القرون ص ٤٢ .

(٢) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ٧٥ .

(٣) ابن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٤٢٩ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٦١ ، وفى هذا المعنى يذكر أبو صالح الأرمنى فى تاريخه « ملك النوبة له النوبه وأعمالها ، وأرض علوة والمقرة ، والأجناس المضافة إليها ، وذكر أن عادتهم جارية بأنه إذا مات ملك وخلف ولد و كان له ابن أخت فيملك بعد خاله دون ولد الملك » ، ص ١٣٥ .

ويبدو أن ابن خلدون اقتبس من كلام ابن حوقل ما ذكره عن نظام وراثة الحكم ، مما يؤكد أن المقصود من نصه هو مملكة علوة المسيحية ، وهذا يعني أن عرب جهينة وغيرهم نزلوا بأعداد كبيرة إلى أقاليم مملكة علوة .

ومن الشواهد التاريخية التي تؤكد هجرات العرب إلى مملكة علوة أنه من المعروف أن من دواعي الهجرة عند العرب البحث عن الخصب والأمان ورغد العيش ، وهذه الأمور قد توفرت في مملكة علوة أكثر منها في مملكة المقرة ، فيذكر ابن سليم الأسواني[1] « ومتملك علوة أكثر مالا من متملك المقرة ، وأعظم جيشا ، وعنده من الخيل ما ليس عند المقرى ، وبلده أخصب وأوسع ، والنخل والكرم عندهم يسير ، وأكثر حبوبهم الذرة البيضاء التي مثل الأرز ، واللحم عندهم كثير لكثرة المواشي ، والمروج الواسعة العظيمة السعة ، حتى أنه لا يوصل إلى الجبل إلا في أيام[2] » . فاذا أضفنا إلى ذلك فقر البيئة في صعيد مصر وبلاد النوبة السفلى ، وكثرة الاضطرابات والنزاعات التي قامت بين العرب أنفسهم في النوبة بسبب السلطة ، وفي أرض البجة تكالبا على الذهب[3] ، فان هجرة العرب إلى مملكة علوة تكون أمرا مؤكدا .

ويؤكد هذا المعنى مكي شبيكة فيذكر أن « اتساع رقعة علوة وهطول الأمطار فيها ، وتوفر المراعي والزراعة المطرية ، يجعلها من الناحية الزراعية والرعوية مجالا حيويا لحشود القبائل العربية المتدفقة من الشمال ، وطبيعة أراضي علوة تناسبهم أكثر من رقعة دنقلة الضيقة »[4] .

---

(١) هو عبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني توفي سنة ٣٨٦ هـ - ٩٩٦م ، ونقل المقريزي في خططه الكثير من كتاب ابن سليم المفقود « أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل » ، أنظر المقريزي : المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ١٩٠ وما بعدها ، مصطفى مسعد : المكتبة السودانية العربية ص ٩١ وما بعدها .

(٢) المقريزي : المرجع السابق جـ ١ ص ١٩٢ .

(٣) المقريزي : السلوك جـ ١ ق ٣ ص ٧٠٠ ، مكي شبيكة : السودان عبر القرون ص ٤٢ ، مصطفى مسعد : البجة والعرب في العصور الوسطى ص ٤٧ .

(٤) مكي شبيكة : السودان عبر القرون ص ٤٢ ، مملكة الفونج الاسلامية ص ١٥ .

ومن الشواهد الدالة على هجرة العرب إلى مملكة علوة ما نقله المقريزى عن ابن سليم الأسوانى : «ولها (أى سوبا عاصمة علوة) رباط فيه جماعة من المسلمين[1]» وفى موضع آخر يقول «وعندهم خيل عتاق ، وجمال صهب عراب »[2] ، فاذا كانت الجمال العراب لاتؤكد وجود العرب فى سوبا ، فان وجود رباط المسلمين يؤكد وجود العرب المسلمين فى علوة منذ وقت مبكر ، ويؤكد هذا القول سير توماس أرنولد فيقول : « وزاد عدد العرب القاطنين على ضفاف النيل الأزرق ، (منطقة مملكة علوة) كما زادت ثروتهم زيادة كبيرة فى القرن العاشر ، حتى أنهم استطاعوا أن يلتمسوا الاذن ببناء مسجد فى سوبة عاصمة المملكة المسيحية»[3] .

وكان لزوال مملكة المقرة المسيحية أثره فى اتساع المجال أمام القبائل العربية لتنتشر جنوبا فى كثير من أجزاء السودان ، وفى ذلك يقول نعوم شقير : « فلما فتحت النوبة السفلى (على أيدى العرب المسلمين) زاد عدد المهاجرين منهم (العرب) إلى بلاد النوبة العليا حتى ملاوها وكان أكثرهم من جهينة وبنى العباس »[4] ، ومن ثم تسنى لهم انشاء حكومات القبائل على النيل .

ومما يؤكد استقرار العرب فى مملكة علوة تأسيسهم لمدينة تجارية هامة هى « أربجى » سنة ٨٨٠ هـ — ١٤٧٤ م ، على الشاطىء الغربى للنيل الأزرق ، قرب الحدود الجنوبية لمملكة علوة[5] ، ومما يقطع بأن العرب هم الذين أنشأوا هذه المدينة دلالة الحروف التى يتكون منها اسم « أربجى » ، فهذه الكلمة تعنى فى اللغة النوبية « بلد العرب » [6]، ولتأسيس العرب لمدينة أربجى أهمية خاصة ، إذ أن موقعها قرب الحدود الجنوبية لمملكة علوة ، يدل على أن العرب عرفوا معظم أراضى

---

(١) المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ١٩٣ .

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ١٩٣ .

(٣) الدعوة إلى الاسلام — ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخر ص ٩٨ .

(٤) شقير : جغرافية وتاريخ السودان جـ ٢ ص ٣٦٢ .

(٥) أنظر ماسبق هى ١٩٢ هامش (١) ، مكى شبيكة : السودان عبر القرون ص ٤٢ ، ود ضيف الله : الطبقات ص ٥ ، أحمد أبو على : مخطوطة كاتب الشونة — تحقيق الشاطر بصيلى ص ٤ ، ٥ ، إبراهيم صالح : المرجع السابق ص٢٨.

(٦) مكى شبيكة : مملكة الفونج ص ٢٢ ، محمد متولى بدر : اللغة النوبية ص ٣٣ .

مملكة علوة ، فهم اما آتون من الشرق عبر البحر الأحمر ، فأرض البجة ، أو من الشمال من مصر عبر أراضى مملكة المقرة ، أو من كلا الطريقين ، ومن الاحتمال المرجح أن يكون بعضهم قد استقر فى الأجزاء الشمالية من مملكة علوة ، قبل أن يصلوا إلى موقع مدينة أربجى ، كذلك يدل انشاء هذه المدينة على كثرة العناصر العربية ، التى بدأت فى منافسة السكان الوطنين ، وتضييق الحصار على منطقة ملتقى النيلين[1] .

يضاف إلى هذه الشواهد الدالة على استقرار العرب فى أراض مملكة علوه ، قبل سقوطها ، أن العرب الذين كانوا قد استقروا فى أوطان البجة . وبلاد العلاقى واقتتلوا عليها ، زهدوا فيها وتركوها إلى أرض علوة ، إذ كان من نتيجة توقف التعدين ، وانتقال طريق قوافل الحج ، وتدهور عيذاب ، واضطراب قوافل التجارة الشرقية ، كان من نتيجة ذلك أن توقف النشاط الاقتصادى الذى اعتمد عليه كثير من العرب ، فاضطرت أغلبيتهم إلى الهجرة إلى داخل السودان ، حتى بلغوا أرض البطانة ، ثم الجزيرة ؛ وعبر بعضهم النيل إلى كردفان[2] .

وبعد هذه الشواهد المتعددة على استقرار العرب فى أراضى مملكة علوة ، يصبح سقوط هذه المملكة فى حد ذاته ، سواء تم على يد عرب القواسمة وحدهم أم بمعاونة الفونج ، دلالة قاطعة على أنه مسبوق بوصول جماعات عربية كبيرة بحيث تسنى لها طبع هذه البلاد بطابع عربى اسلامى يمثل العامل الحاسم فى إنهاء مملكة علوة المسيحية وقيام مشيخة العبدلاب .

ونستخلص من هذه الشواهد المتعددة أن القبائل العربية انتقلت تدريجيا إلى أراضى مملكة علوة ، وزاد تدفقها بصفة خاصة بعد سقوط مملكة المقرة فى الشمال فى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى ، وكانت أكبر تلك الهجرات قبائل جهينة وقبائل عربية أخرى ، انسابت إلى مملكة علوة من عدة طرق أهمها الطريق الشرقى

---

(١) يوسف فضل : مقدمة فى تاريخ ص ٢٠ .

(٢) يوسف فضل : المعالم الرئيسية فى الهجرة ص ١٢٠ ، ١٢٨ .

عبر أوطان البجة ، والطريق الشمالى عن طريق النيل ، أما صمت المصادر عن حدوث معارك أو احتكاك بين هذه القبائل وسكان مملكة علوة ، فيمكن تفسيره بأن انتقال هذه الهجرات كان سلميا .

وتوضح لنا المصادر السودانية كثرة القبائل العربية فى مملكة علوة ، فتذكر أن قبائل جهينة وحدها حول سوبا — عاصمة مملكة علوة — بلغت اثنتين وخمسين قبيلة[1] عاشت على هيئة مجموعات متفرقة ، محافظة على نظامها القبلى ، وكان عليها أن تدفع اتاوات ، أو ضرائب ، لملوك علوة[2] ، فجاء فى إحدى المصادر السودانية « وكان الشيخ عبد الله جماع مقدما على العرب يدفع خراجهم للنوبة المسيحية » ، كما جاء أيضا فى نفس المصدر « فتجمعوا (أى العرب) تحت أمرة رجل منهم يدعى عبد الله محمد الباقر ، وكان صاحب الرأى فى العرب والمشورة ، والوسيط بين النوبة والعرب فى كل الشئون »[3] .

ومع توالى الهجرات العربية إلى مملكة علوة على مر السنين ، مع عجز ملوك علوة عن مدافعتهم أو صدهم ، كما يقول ابن خلدون ، بسبب ضعف ملوك علوة نتيجة للأخطار الخارجية ، لم يكن هناك بد أمام ملوك علوة إلا استمالة هؤلاء العرب بالمصاهرة ، فانتقل الملك « إلى أبناء جهينة من أمهاتهم على عادة الأعاجم فى تمليك الأخت وابن الأخت ، فتمزق ملكهم ، واستولى أعراب جهينة على بلادهم »[4] .

ويبدو أن استيلاء العرب على مملكة علوة المسيحية جاء تدريجيا ، ذلك أن مملكة علوة تألفت من عدة ممالك صغيرة خاضعة للملك الكبير فى سوبا ،وهذه

---

(١) أوراق نسب جمعها محمد بن الحاج على بن دفع الله ، نسخة إبراهيم حاج محمد عن أنساب العرب (دار الوثائق المركزية بالخرطوم — متنوعات ١ — ١٦ — ١٨٤) ص ١٩ ، مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ٢٠٢ ،

Macmicael, op. cit. vol. I. p. 238.

(٢) إبراهيم صالح : المرجع السابق ص ٢٨ ، مصطفى مسعد : المرجع السابق ص ٢٠٢ ، حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية جـ ١ ص ٢٩٨ ، محمد صالح : مشيخة العبدلاب ص ٧٨ .

(٣) الشيخ عثمان أونسة : تاريخ مشيخة العبدلاب (مخطوط) ص ٦ ، ١٢ ، أنظر محمد صالح : مشيخة العبدلاب ص ٧٨ .

(٤) ابن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٤٢٩ ، وانظر ماسبق ص ١٩٩ .

الممالك الصغيرة هي التي انتقل سلطانها إلى أبناء جهينة ، وغيرهم من أبناء القبائل العربية الأخرى التي استقرت فى جهات متعددة من مملكة علوة ، ويبدو أنه أمام ضغط هذه القبائل العربية اضطر ملك علوة أن ينقل مقر حكمه ، فى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى ، من مدينة سوبا إلى مدينة أخرى تسمى « كوسه » أو « كوشه » ، واتخذها عاصمة له(1) .

وأرجح أن هذا هو السبب فى عدم ذكر « سوبا » فى المكاتبات الدائرة بين المماليك وعلوة ، فمعظم اتصالات المماليك بمملكة علوة كانت مع ملك الأبواب ، وهى المقاطعة الشمالية لمملكة علوة ، فضلا عن أن المصادر المعاصرة أشارت إلى سبع مقاطعات ليس من بينها سوبا(2) .

وعلى ذلك تكون سوبا قد فقدت مركزها القديم — كعاصمة لمملكة علوة — منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادى ، وبدأت تضمحل تدريجيا ، ولم يأت القرن السادس عشر الميلادى إلا وكانت سوبا خرابا ، ذلك أن الرحالة داود روبينى الذى مر بمدينة سوبا سنة ١٥٢٣ م وجدها مخربة وليس بها إلا عدة مساكن من القش والخشب (3) .

وفى هذا المجال لايستبعد أن يكون من مظاهر ضغط العناصر العربية إنشاء مدينة اربجى بغرض اتخاذها مركزا لهم ، قبل سقوط مملكة علوة تماماً ، ويبدو أن هذا دعا بروس إلى القول بأن أربجى كانت عاصمة العبدلاب قبل قيام قرى (4) ،

---

(١) الدمشقى : كتاب نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ص ٢٦٨ ، مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ٢٠٢ ، الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، وموضع مدينة كوسة غير معروف أنظر الادريسى : المغرب وأرض السودان ص ١٩ ، Crowflord, op. cit. p. 27. Note 29.

(٢) أنظر ما سبق ص١٩٤ ، ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور ورقة ٢٩٣ أ ، مصطفى مسعد : المكتبة السودانية العربية ص ١٩٦ — ١٩٨ وما جاء بحواش هذه الصفحات ، يوسف فضل : مقدمة فى تاريخ ص ١٩ .

(٣) داود روبينى رحالة يهودى يمنى الأصل زار مملكة سنار سنة ١٥٢٢ م ومر بمدينة سوبا — مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ٢٠٣ ، الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات ص ٣١٢ ، Hillelon,s. Reubini, SNR., XVI. part. I., 1933. p. 60

(٤) Bruce, I. : Travels to discover the Source of the Nile in the years 1768-1773, vol. VI, p. 371.

وبذلك تكون القبائل العربية قد نجحت ، فى وقت لم تحدده المصادر ، ولكنه لا يتأخر عن القرن الخامس عشر الميلادى ، فى تأسيس عدة ممالك ومشيخات اسلامية فى حوض النيل الأوسط ، من الشلال الثالث إلى مدينة أربجى ، وما بعدها بقليل فى الجنوب[1] .

وهذه كانت بداية النهاية بالنسبة لمملكة علوة المسيحية ، فقد كان لقيام هذه الممالك والمشيخات الاسلامية آثار بعيدة المدى فى تطور الحياة الاجتماعيةوالسياسية والدينية أيضا ، مما أدى إلى زوال بعض الأسس التى قامت عليها الملكية المسيحية فى علوة ، ومن هذه التطورات أن أصبحت الأرض ملكاً للجماعة القبلية ، بعد أن كانت ملكا خاصا للملك ، كما أن الحكم أصبح وراثيا فى بيت شيخ القبيلة أو الدار ، إذ تكونت من مجموعات القبائل ، فى الاقليم الذى اتخذته دارا لها ، زعامات اقليمية تولاها شيخ المشايخ ، وهو عادة شيخ أقوى قبيلة فى المجموعة ، وعرف باسم الملك أو المانجل[2] ، وبذلك اختفى نظام الوراثة القديم القائم على الأمومة ، هذا فضلا عن انتشار الاسلام بين أهل البلاد ، الذين وجدوا فى الاسلام ما يشبع حاجاتهم الروحية بعد أن انقطعت علاقاتهم الدينية بكنيستهم الكبرى فى الاسكندرية .

ورغم هذه التطورات العميقة الأثر فى مملكة علوة المسيحية ، فان الأحوال الاقتصادية تدهورت نتيجة لاختلال الأمن ، والنزاع بين القبائل العربية حول مواطن الرعى ، ويبدو أن تدهور الأحوال الاقتصادية كان من العوامل الملحة التى جعلت القبائل العربية تشعر بضرورة إيجاد حكومة مركزية تخضع لها شتى الجماعات والقبائل المتنازعة وذلك لاقرار الأمن وحماية طرق التجارة القديمة ، وفى هذا المجال قام الشيخ عبد الله جماع ، شيخ عرب القواسمة ، بدور كبير أدى فى النهاية إلى سقوط مملكة علوة نهائياً وقيام مشيخة العبدلاب .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٨ ص ٥ ، ٦ ، شقير : المرجع السابق جـ ٢ ص ١٠٣ ، ١٠٧ ، الشاطر بصيلى : معالم تاريخ سودان وادى النيل ص ٤٩ ، مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ٢٠٤ ، محمد صالح : مشيخة العبدلاب ص ٩٣ .

(٢) أصل هذه الكلمة غير معروف وربما أخذ عن اللغة الاثيوبية ، ومعناها عظيم ، وكان هذا اللقب من أرفع الالقاب فى مملكة الفونج الاسلامية فيما بعد — أنظر مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ٢٠٥ ، Budge (E.A.) : The Egytian Sudan, vol. II. p. 212.

وحول الدور الذى قام به عرب القواسمة ، ومنهم شعبة العبدلاب ، اختلفت آراء الباحثين ، ويمكن تجميعها وتلخيصها فى ثلاثة آراء رئيسية :

يرى الفريق الأول[1] أنه نتيجة للضغط الاقتصادى الذى تعرض له العرب فى مملكة علوة ، فضلا عن الضغط السياسى لاضطرارهم إلى طاعة قوانين مملكة علوة المسيحية ، كان سببا فى دعوة عبد الله جماع للعناصر العربية لتوحيد جهودها ، فاتحد عرب القواسمة تحت زعامته ، ومن هنا أطلق عليه « جماع » لجمعه كلمة القبائل العربية تحت زعامته[2] ، وبعد أن تم له توحيد هذه القبائل رأى أن يستعين بقوة عسكرية اسلامية ، هى قوة الفونج بزعامة عمارة دونقس ، والذين كانوا قد أسسوا مملكة لهم فى « لولو » ، ثم انتقلوا إلى « جبل موية » غربى سنار[3] ، ومن هنا قام ما عرف فى تاريخ السودان الوسيط باسم « الحلف السنارى » بين الفونج والعبدلاب بهدف إسقاط مملكة علوة المسيحية ، وأن المبادأة بعقد هذا الحلف كانت من عرب القواسمة بزعامة عبد الله جماع ، أما حكومات القبائل التى خضعت فيما بعد للعبدلاب فلم تكن طرفا فى هذا الحلف .

أما الفريق الثانى[4] فيرى قيام حلف بين الممالك والمشيخات الاسلامية بزعامة عبد الله جماع من جهة ، وبين الفونج من جهة أخرى ، وأن سقوط سوبا كان ثمرة هذا الحلف .

أما الفريق الثالث فيرى أن سقوط سوبا (مملكة علوة) كان نتيجة لجهد العبدلاب ومن جاور دارهم من العرب فقط ، وأنه ليس للفونج أو حكومات

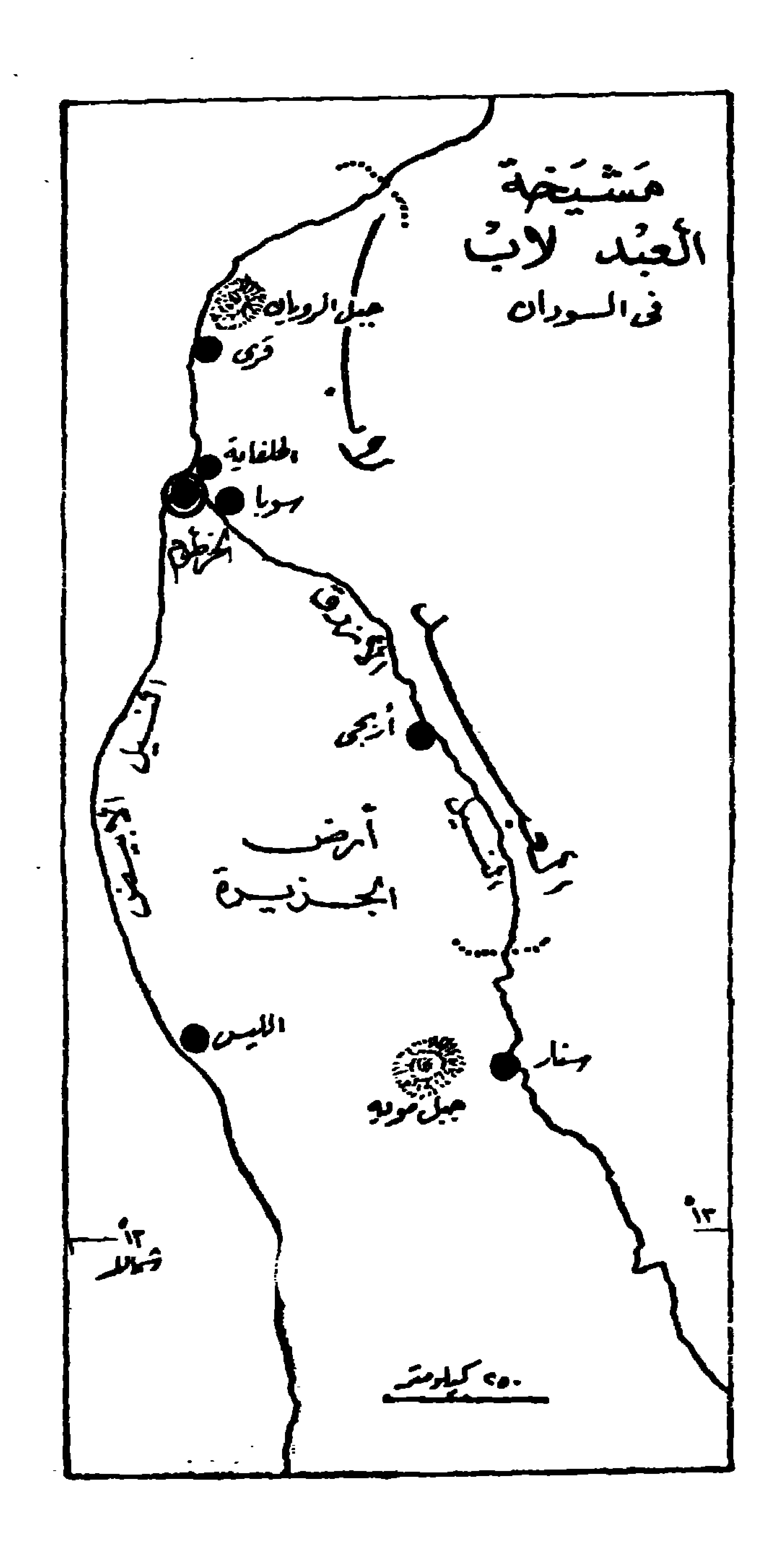
---

(١) أنظر محمد عوض : السودان الشمال ص ٢٥٢ ، عبد العزيز عبد المجيد : التربية فى السودان جـ ١ ص ٣٥ ، مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ٢٠٦ ، حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية جـ ١ ص ٣١٦ ، ١٧ ٣ ، منلور المهدى : السودان من أقدم العصور ص ٦٢ — ٦٤ ،
Mac Michael, op. cit. vol. I. p. 245.

(٢) أنظر تفصيل سبب تسميته « جماع » واختلاف الاراء حول القبائل التى دخلت تحت زعامته وهل هى القبائل التى أتت معه فقط ، أم قبائل رفاعة وحدها ، أم قبائل رافع وحدها ، أم جميع هذه الفروع ؟ أنظر تفصيل ذلك فى الروايات رقم ٢٠ V ، ١٠ X ، ٢٠ 2د ، ٣٠ 2د ، ٥٠ ، ٣٠ ج هـ ، ٦ ، ٦٠ — تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية ص ١٥ وما بعدها .

(٣) عن أصل الفونج أنظر : spaulding (J.) . TheFunj : Areconsideraticn, J. Afr, Hist. XIll, 1 (1972), pp. 39 - 53 .

(٤) يتزعم هذا الفريق كل من : الشاطر بصيلى : معالم تاريخ سودان وادى النيل ص ٤٧ ، ٧٠ ، عبد القادر محمود : الفكر الصوفى فى السودان ص ٣٦ ، ٣٧ .


مشيخة
العبدلاب
في السودان
جبل الرويان
قري
الحلفاية
سوبا
الخرطوم
النيل الأزرق
أربجي
النيل الأبيض
أرض
الجزيرة
أليس
سنار
جبل موية
١٣°
١٣°
شمالا
٥٠ كيلومتر

القبائل فى الشمال أى نصيب فى احداثه[1] ، وأنه مع نهاية القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى أصبح العرب هم حكام مملكة علوة[2] ، وأن سلطان العبدلاب امتد سريعا حتى سنار فى وقت سابق على قدوم الفونج ، وأنه عندما دخل الفونج السودان وأتوا إلى منطقة سنار وجدوها تحت حكم الملك عجيب ، فنزلوا فى لولو مزارعين ، ثم أصهروا إلى البيت المالك ، إلى أن تدهور العبدلاب فى عهد ملك الفونج « عمارة دونقس » ، فبدأت متاعب العبدلاب مع بداية القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى ، وفى هذا الصدد يقول بروس « أنه فى سنة ١٥٠٤ م توجهت أمة من السود ، لم تكن معروفة من قبل ، وكانت تسكن على الشواطىء الغربية للنيل الابيض على خط عرض ١٣ ، فى مجموعة كبيرة من الزوارق أو المراكب فى غارة على الاقليم المأهول بالعرب فى منطقة الجزيرة . وبالقرب من أربجى حدثت بينهم وبين ود عجيب[3] واقعة انتهت بنصرة السود الذين أملوا على أثرها شروطا احتفظ بمقتضاها ود عجيب بسيادته السابقة على ما يملك لقاء التعهد باستخدام القوة متى ما كان لك ضروريا لحمل العرب المقيمين بعيداً على دفع الضرائب ، وقد انتقص هذا الاتفاق من مكانة العبدلاب ، فأنزلهم إلى مقام النيابة بعد أن كانوا ملوكا ، ولم يسع ود عجيب إلا الموافقة على هذه الشروط »[4] .

وإذا دققنا النظر فى آراء كل من الفريق الاول والثانى التى تأخذ بمبدأ اشتراك الفونج فى أسقاط مملكة علوة ، وأخذنا فى الاعتبار ما تلا ذلك من أحداث كان أبرزها تأسيس مدينة سنار وإتخاذها عاصمة للفونج [5] ، لخرجنا من ذلك بأن الفونج كانوا فى مرحلة تأسيس قوة ذاتية لهم ، ويكون من الصعب عليهم — فى ذلك الوقت — أن

---

(١) أنظر الروايات رقم ش ٦٠ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٠ × ب ، س ٣٠ أ ، ١٣٠ × أ ، ٤٠

(٢) K (VI) 2, ... الخ تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية ص ١٦ — ١٩ .

Yusuf Fadl, op. cit. pp. 133-134.

(٣) يبدوا « أن بروس استعمل هذا الاسم الشائع فى أيامه للدلالة على أجداد ود عجيب ، ولعله يقصد عبد الله جماع أول ملوك العبدلاب ، إذ زار بروس سنار سنة ١٧٧٢ م — يوسف فضل : مقدمة فى تاريخ ص ٢٤ حاشية ١ ، عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية فى السودان ص ٤٨ ، شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل جـ ١ ص ٢٧١ .

(٤) Bruce, op. cit. vol. IV, p. 548.

(٥) ود ضيف الله : الطبقات (تحقيق يوسف فضل) ص ٣٩ .

عملوا عبد الله جماع بما يحتاج إليه من العون العسكرى فى سبيل القضاء على مملكة علوة ، ثم يتركون له البلاد ليحكمها ، ويتوجهون بعد ذلك لتأسيس مدينة سنار وإتخاذها عاصمة لهم ، ويصبح من المرجح القول بأنه مع تزايد قوة الفونج العسكرية وتوسعهم اصطدموا بالعبدلاب – الذين أقاموا ملكهم قبل مجىء الفونج على أنقاض مملكة علوة – وأنتهى هذا الصدام الذى وقع عند مدينة أربجى بصلح تنازل فيه العبدلاب عن منطقة الجزيرة ، واحتفظوا بباقى البلاد مع نوع من الاستقلال الذاتى ، وليس أدل على ذلك من الأموال التى كان على العبدلاب أن يقدموها إلى الفونج ، وما توحى به الأخبار القائلة باستقلال العبدلاب عن الفونج قبل الحكم التركى بحوالى خمسين سنة [1] . وقد سبق أن تشكك آركل فى أسطورة الغزو المشترك هذه ، وانتقد ما جاء فى « تاريخ ملوك سنار » من أن العرب والفونج تجمعوا عند جبل موية ، وأضاف أن قلة المياه فى ذلك الموضع ، وبعده عن سوبا ، ووجوب عبور النيل الأزرق للوصول إليها ، يجعل هذه الرواية غير مناسبة[2] .

وترجح الدراسات السودانية الحديثة هذا الرأى الذى يقول أن سقوط مملكة علوة تم على أيدى قبائل عربية بزعامة عبد الله جماع[3] ، فيرى هولت أن ثمة خطأ نشأ من تشابه معنى كلمتى جبل الرويان وجبل موية ، ويرجح أن جبل الرويان هو مكان التجمع الذى انقض منه العرب على ما تبقى من مملكة علوة ، فجبل الرويان مثل قرى ، موقعا استراتيجيا مانعا تسهل منه السيطرة على تحركات البدو عبر أرض البطانة إلى حوض النيل ، أو عبره إلى صحراء البيوضة[4] .

---

(١) محمد عوض : السودان الشمالى ص ٢١٨ ، الشاطر بصيلى : معالم تاريخ سودان وادى النيل ص ٧١ ، حسن إبراهيم : انتشار الاسلام والعروبة ص ١١١ ، حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية ج ١ ص ٣٠٧ ، ٣٤٦

MacMichael, op. cit. vol. I. pp. 247-248.

(٢) يوسف فضل : مقدمة فى تاريخ ص ٣٦ ،

Arkell, Fung Origins, SNR, XV, 1932, pp. 211-212, Trimingham op. cit. p. 74.

(٣) Holt, (P.M.) : A Sudanese Historical Legend, The Funj Conquest Suba, B.S.O. A.S. vol. XX 111, part. I, 1960. p. 10.

(٤) يوسف فضل : مقدمة فى تاريخ ص ٣٦ ، ٣٧ ،

Holt, op. cit. p. 10. Trimingham, op. cit. p. 15.

ومما يرجح جانب هذه الدراسات الحديثة كتابات بروس الذى زار سنار — عاصمة مملكة الفونج — سنة ١٧٧٢ م ، واستقى معلوماته من كبار شخصيات البلاط الفنجاوى ، إذ أن قدم هذه الكتابات ورواجها فى بلاط الفونج يجعل لها اعتبارا خاصا ، هذا فضلا عن أن كتابات بروس تعتبر أقدم تاريخيا من كافة المصادر التى ترجع سقوط مملكة علوة إلى الحلف السنارى بين الفونج وعرب القواسمة ، التى عرفت باسم « تاريخ ملوك سنار » أو مخطوطة كاتب الشونة[1] ، وتبرز كتابات بروس نقطتين هامتين : أولها أن العرب كانوا يسيطرون بزعامة ود عجيب على بلاد النوبة ومملكة علوة يساعدهم فى ذلك طائفة مشايخ القبائل ، وثانيها أنه دارت معركة حربية بالقرب من أربجى بين الفونج والعرب سنة ٩١٠ هـ — ١٥٠٤ م ، ولم يكن انتصار الفونج فيها حاسما فعقد صلح بين الطرفين أصبح العبدلاب بمقتضاه فى مرتبة تالية للفونج مع نوع من الاستقلال الذاتى لمشيخة العبدلاب .

ويمكن لنا أن نجد ترجيحا لهاتين النقطتين فيما سبق أن ذكرناه عن تدرج كثرة العرب فى مملكة علوة مع مر الأيام ، وفى رواية ابن خلدون ، فضلا عن رواية الدمشقى التى تؤكد سقوط مدينة سوبا قبل سقوط مملكة علوة واضطرار ملك علوة إلى نقل عاصمته ، مما جعل المصادر المعاصرة تخلو من أى ذكر لمدينة سوبا[2] .

كذلك نجد هذه الدراسات الحديثة تأييدا فى الإخبار التى جمعها كونيق Koenig عن تاريخ كردفان ودارفور فى أوائل القرن التاسع عشر ، والتى يرجع أصل بعضها إلى مخطوطات من القرن الخامس عشر الميلادى ، إذ جاء فى هذه الأخبار « وفى سنة ١٤٧٤ عند موت عجيب الكافوته ، التى مازالت قبته موجودة فى قرى ، قام عمارة دنكيس أبو نايل Amara Dinkis Abou Nail ، أول سلاطين سنار ومن شعب الفونج ، مستغلا الخلاف الذى نشب بين العرب الرحل الذين ينتشرون فى السهول وقاطنى الجبال الذين يكونون معظم سكان كردفان ، فغزا تلك المديرية وأضافها إلى مملكته[3] ، فرغم حداثة تسجيل هذه الرواية ، وما جاء بها من أن

---

(١) أنظر ما يلى ص ٢١١ .

(٢) أنظر ما سبق ص ١٩٩ وما بعدها .

(٣) يوسف فضل : المرجع السابق ص ٢٥ ، ٢٦ ،
Cadalvene iz (E.) et Breuvery, (J.) L' Egypte et la Turquie, vol. I. p. 200.

عجيب الكافوته توفى فى عام ١٤٧٤ م . وهو تاريخ متقدم جداً ، فان تسجيلها فى منطقة كردفان ، وهى منطقة بعيدة عن نفوذ كل من العبدلاب والفونج التقليدى يعطيها بعض الاعتبار ، وخاصة أنها توضح بما لايدع مجالا للشك أن العبدلاب كانوا أسبق فى حكم تلك البلاد من الفونج .

كما نجد أن ود ضيف الله ، مؤلف أقدم كتاب سودانى ، وهو الطبقات، والذى ركز اهتمامه فيه على الجزء الشمالى من الجزيرة ؛ خاصة شواطىء النيل الأزرق ، والمنطقة الممتدة بين دنقلة وملتقى النيلين ، والتى تطابق دائرة نفوذ العبدلاب السياسى[1] ، فضلا عن أنه عاش ومات (١١٣٩ هـ — ١٧٢٧ م — ١٢٢٤ هـ — ١٨٠٩) فى حلفاية الملوك ، عاصمة العبدلاب فى الفترة من ١١٢٧ هـ — ١٢٣٥ هـ ، نجد أن ود ضيف الله لم يذكر شيئا عن الحلف السنارى ، كما أنه من جهة أخرى لم يذكر شيئا عن هزيمة العبدلاب أمام الفونج ، واكتفى بقوله : « أعلم أن الفنج ملكت أرض النوبة وتغلبت عليها فى أول القرن العاشر سنة عشرة بعد التسعمائة ، وخطت مدينة سنار خطاها الملك عمارة دونقس[2] » .

وفى ضوء ما سبق يمكن لنا أن نفسر عبارة ود ضيف الله بتغلب الفونج على أرض النوبة ، بأنها هزيمة العبدلاب أمام الفونج ، وحكم العبدلاب لهذه المنطقة نيابة عن ملوك سنار ، خاصة وأن تواجد العرب فى أراضى مملكة علوة كان أسبق ، بفترة طويلة ، من قدوم الفونج .

أما الروايات التى ترجع سقوط مملكة علوة إلى ما عرف بالحلف السنارى بين الفونج والعبدلاب ، فأنها تنحصر فى ثلاث مجموعات من المصادر المختلفة :

وأول مجموعة من هذه المصادر تتمثل فى مخطوطة « تاريخ ملوك سنار » أو « مخطوطة كاتب الشونة » ، التى ألفها أحمد بن الحاج أبو على (ت بعد ١٨٣٨ م) ، والتى نقحها ثلاثة من بعده هم عبد القادر بن الزين المشهور بالزبيرود

---

(١) ود ضيف الله : الطبقات (تحقيق يوسف فضل) ص ٣٤ .

(٢) ود ضيف الله : المرجع السابق ص ١٧ ، ٣٤ ، أحمد عبد الرحيم نصر : تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية ص ٦١ ، يوسف فضل : المصادر السودانية — مجلة الدراسات السودانية العدد الأول — المجلد الثالث أكتوبر ١٩٧١ ص ٤٥ ، عبد المجيد عابدين : دراسات سودانية ص ٤٥ .

ضوه (ت ١٨٨٢ م) ، والشيخ إبراهيم بن عبد الدافع (ت ١٨٨٢ م) ، فالشيخ الأمين الضرير (ت ١٨٨٥ م)[1] . ونسخ هذه المخطوطة رغم ما بها من اختلافات واضافات أدخلها منقحو مخطوطه كاتب الشونة ، إلا أنها جميعها تتفق على أن الفونج والعبدلاب اتفقا على مقاتلة « العنج » ملوك سوبا ، وإذا حاولنا الأخذ بهذا الرأى نجد أمامنا صعوبة فى تفسير ما جاء بنسخ هذه المخطوطة من أن الفونج والعبدلاب استطاعا هزيمة « ملك المقرى » ، أى المقرة التى سقطت فى أيدى العرب منذ سنة ١٣٢٣ م .

أما المجموعة الثانية فتتمثل فى مخطوطة « تاريخ العبدلاب » ، التى وصلتنا فى نسختين من تأليف عبد الله بن الأرباب الحسن بن شاور بن عجيب بن أونسة بن الشيخ شمام بن عجيب الثالث ، من أسرة العبدلاب ، وهى بعنوان « واضح البيان فى ملوك العرب بالسودان وملوك العبدلاب من الشيخ عجيب إلى تارخه » ، ويرجع تاريخ أقدم النسختين إلى سنة ١٣٣٤ هـ — ١٩١٥ م ، ويذكر المؤلف أنه جمع ما بها « من الكبار المتقدمين... كثل أبى الفقيه أحمد الخضر العباسى وجدى الأرباب الحسن شاور عجيب والفقيه ولد نجيت .... فى سيرة ملوك العبدلاب » . أما النسخة الثانية فترجع إلى سنة ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م ، وهى أكثر تفصيلا وقد سميت « واضح البيان فى ملوك العرب بالسودان » ، وجاء بها أن المؤلف اعتمد على روايات والده البالغ من العمر نحو تسعين سنة ، وكانت له صلة كبيرة بالشيخ إبراهيم عبد الدافع أحد منقحى مخطوطة كاتب الشونة ، وغيره من كبار العبدلاب[2] وما جاء بهذه المخطوطة يشبه إلى حد كبير ما نشره A.E.D. Penn بعنوان :

Traditional Storisə of the Abdallab Tribe ,S. N. R. vol. XVII 1934 pp. 58-82.

---

(١) يوسف فضل : المصادر السودانية ص ٥٨ ، وتوجد من هذه المخطوطة عدة نسخ : نسخة المتحف البريطانى بلندن وقد حققها وعلق عليها ونشرها د . مكى شبيكة ، من منشورات كلية غوردون (جامعة الخرطوم حاليا) التذكارية سنة ١٩٤٧ ، ونسخة دار الكتب المصرية ، وهى أقدم النسخ ، وقد حققها ونشرها الشاطر بصيلى عبد الجليل ، من منشورات الإدارة العامة للثقافة بمصر ، كما توجد نسخة أخرى بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٣٧ تاريخ ، وهى جميعا تؤرخ لدولة الفونج منذ بدايتها فى عهد عمارة دونقس .

(٢) أصل هذه المخطوطة مازال بيد أسرة العبدلاب ، وتوجد نسخة مصورة منها بدار الوثائق المركزية بالخرطوم أنظر مجلة الخرطوم يناير ١٩٦٨ ، يوسف فضل : المصادر السودانية ص ٦٠ ، ٦١ حيث توجد دراسات عن هذه المخطوطة .

وتمثل هذه المجموعة الثانية وجهة نظر العبدلاب ، وتتفق مع ما جاء من صيغ مختلفة بمخطوطة كاتب الشونة من تحالف العبدلاب مع الفونج ضد ملوك علوة .

أما المجموعة الثالثة فتتمثل فى الروايات الشفهية التى جمعتها شعبة أبحاث السودان[1] وهذه الروايات تتأرجح بين التحالف بين الفونج والعبدلاب ، وبين قيام العبدلاب بمفردهم بالقضاء على مملكة علوة[2] .

والخلاصة أن كافة المصادر الخطية والروايات الشفهية ، توضح بما لايدع مجالا للشك تزايد أعداد القبائل العربية فى مملكة علوة المسيحية على مر السنين . وبصفة خاصة من بعد الفتح العربى لمصر فى منتصف القرن السابع الميلادى . وأن الأوضاع السياسية السائدة فى مملكة علوة ، فضلا عن نظام الوراثة السائد فى بلاد النوبة . والمصاهرات التى تمت بين ملوك علوة وقبيلة جهينة ، تحتم انتقال ملك علوة إلى العرب الذين أسسوا مشيخة العبدلاب فى وقت سابق على ظهور الفونج فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى ، ويؤيد ذلك بعض روايات العبدلاب الخطية والشفهية ، أما التناقض الذى جاء فى بعض المصادر السودانية المتأخرة ، والتى تكلمت عن الحلف السنارى بين الفونج والعبدلاب ، فيبدو أنها حاولت تبرير خضوع العبدلاب لسيطرة الفونج فى بداية القرن السادس عشر الميلادى ، فلجأت إلى قصة هذا التحالف ، مع ما ترتب عليه من سيادة الفونج على العبدلاب ، حتى لاتذكر هذه المصادر صراحة الهزيمة التى لحقت بالعبدلاب على أيدى الفونج والصلح الذى عقد بينهما وأعطى الفونج نوع من السيادة على العبدلاب .

---

(١) أنظر تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية – أعدها للنشر أحمد عبد الرحيم نصر – شعبة أبحاث السودان – كلية الآداب جامعة الخرطوم يوليو ١٩٦٩ .

(٢) أنظر الشرائط رقم ٣٠ (K VI) ، ٤٠ K (VI) 2 ، ١٠٠ (1,2,3,7) ، K VI تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية ص ١٤ – ٢٣ .

مراجع البحث

اولا : المصادر والمراجع العربية :

١ – إبراهيم صالح بن يونس : تاريخ الاسلام وحياة العرب فى امبراطورية كانم – برنو شعبة أبحاث السودان – الخرطوم أكتوبر ١٩٧٠ .

٢ – ابن حوقل (أبو القاسم) : كتاب صورة الأرض – بيروت ١٩٦١ .

٣ – ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد) : العبر وديوان المبتدأ والخبر ٧ أجزاء – مصر ١٢٨٤ هـ

٤ – ابن ضيف الله (محمد النور) : كتاب الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان تحقيق د . يوسف فضل حسن – الخرطوم ١٩٧١ .

٥ – ابن عبدالظاهر (محى الدين عبدالله) تشريف الأيام والعصور (مخطوط – مطبوع)

٦ – أبو صالح الأرمنى : تاريخ الشيخ أبى صالح – أكسفورد ١٨٩٣م.

٧ – أحمد بن الحاج أبو على : مخطوطة كاتب الشونة . تحقيق الشاطر بصيلى – القاهرة ١٩٦٣ .

٨ – أحمد عبد الرحيم نصر : تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية شعبة أبحاث السودان – الخرطوم يوليو ١٩٦٩

٩ – الادريسى (أبو عبدالله محمد) : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس (ليدن ١٨٦٦ م)

١٠ – الشاطر بصيلى عبدالجليل : أ – معالم تاريخ سودان وادى النيل مصر ١٩٥٥ .

ب – تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط – القاهرة ١٩٧٢

١١ – توماس أرنولد : الدعوة إلى الاسلام ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين مصر ١٩٤٧م

١٢ ـ حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى أفريقية الجزء الأول ـ القاهرة ١٩٥٨ .
١٣ ـ الدمشقى (شمس الدين أبوعبدالله) كتاب نخبة الدهر فى عائب البر والبحر بطرسبرج ١٨٦٦ م
١٤ ـ الريح العيدروسى : تقويم السودان لسنة ١٩٤٩ .
١٥ ـ سعيد عبد الفتاح عاشور : أ ـ العصر المماليكى فى مصر والشام ـ القاهرة ١٩٦٥ .
ب ـ مصر فى عصر دولة المماليك البحرية ـ القاهرة ١٩٥٩ .
١٦ ـ شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل جزءان ـ القاهرة ١٩٦٩ م
١٧ ـ عبدالله بن الأرباب الحسن بن شاور : سيرة ملوك العبدلاب مخطوط ـ دار الوثائق المركزية الخرطوم
١٨ ـ عبد العزيز عبد المجيد : التربية فى السودان ٣ أجزاء القاهرة ١٩٤٩ .
١٩ ـ عبد القادر محمود : الفكر الصوفى فى السودان ـ القاهرة ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩ م .
٢٠ ـ عبد المجيد عابدين : أ ـ ميلاد سوبا ـ مجلة الجمعية التاريخية السودانية ـ المجلد الأول ـ الجزء الثانى .
ب ـ تاريخ الثقافة العربية فى السودان بيروت ١٩٦٧ م .
جـ ـ دراسات سودانية ـ الخرطوم ١٩٧٢ م
٢١ ـ القلقشندى (أبو العباس أحمد) : صبح الاعشى فى صناعة الانشا ١٤ جزء مصر ١٩١٣ ـ ١٩١٧ م .
٢٢ ـ محمد صالح محى الدين : مشيخة العبدلاب الخرطوم ١٩٧٢ م
٢٣ ـ محمد عوض محمد السودان الشمالى ـ سكانه وقبائله مصر ١٩٥١ م .
٢٤ ـ محمد متولى بدر : اللغة النوبية القاهرة ـ ١٩٥٨ م .
٢٥ ـ مصطفى محمد مسعد : أ ـ الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى القاهرة ١٩٦٠ م .
ب ـ المكتبة السودانية العربية ـ القاهرة ١٩٧٢ م .

جـ ـ البجة والعرب فى العصور الوسطى ـ مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ـ المجلد ٢١ العدد الثانى ديسمبر ١٩٥٩ م .

٢٦ ـ المقريزى (أحمد بن على) : أ ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جزءان ـ بولاق ١٢٧٠ هـ .
ب ـ السلوك لمعرفة دول الملوك
نشر زيادة ، وعاشور ـ القاهرة ١٩٣٤ ـ ١٩٧٣ م .

٢٧ ـ مكى شبيكة : أ ـ مملكة الفونج الاسلامية .
ب ـ السودان عبر القرون .
جـ ـ تاريخ شعوب وادى النيل .

٢٨ ـ نعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودان ٣ أجزاء ـ بيروت ١٩٦٧ م .

٢٩ ـ النويرى (شهاب الدين أحمد) : نهاية الأرب فى فنون الأدب مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة .

٣٠ ـ ياقوت (شهاب أبو عبدالله) : معجم البلدان ١٠ أجزاء ـ القاهرة ١٩٠٧م.

٣١ ـ اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب) : كتاب البلدان ليدن ١٨٩١ م .

٣٢ ـ يوسف فضل حسن : أ ـ مقدمة فى تاريخ الممالك الاسلامية فى السودان الشرقى (١٤٥٠ ـ ١٨٢١ م) ـ الخرطوم ١٩٧٢ .
ب ـ المعالم الرئيسية فى الهجرة .
جـ ـ المصادر السودانية ـ مجلة الدراسات السودانية ـ العدد الأول ـ المجلد الثالث ـ أكتوبر ١٩٧١ م .

ثانيا : المراجع الافرنجية :

33. Alvarez (F.F.) : Narrative of the Partuguses Embassy to Abyssinia, I520-27, transl. by stanley, London, 1881.

34. Arkell (A.J.) - A History of the Sudan to A.D. 1821, London, 1955, Fung Origins,SNR, XV, part. II, 1932 pp. 201-250

35. Bruce, (J.): Travels to discover the source of the Nile in the years 1768-1773, 6 vols. Edinburgh 1790.

36. Budge (E.A.) The Egyptian Sudan its History and Monuments, London, 1907.

37. Cadalvene (E) et Breavery (J.) L'Egypte et la Turquie, vol. I. Paris, 1839.

38. Crawford (O.G.S.) : The Fung kingdom of sennar, Gloucester, 1951.

39. Hillelson, S. : David Reubeni an early visitor of Senna, SNR XVI, 1933, pp. 55-66.

40. Holt, (P.M.) : A Sudanese Historical Legend, The Funj Conquestof Suba, B.S.O.A.S. XXIII, 1960, p. 1-12

41. Mac Michael, (H.A.) A History of the Arabs in the Sudan, 2 vols. Cambridge 1922.

42. Spaulding (J.), : The Funj : A. reconsideration, J. Afr. Hist. XIII, I, (1972).

43. Trimingham (T.S.) : Islam in the Sudan, London, 1949.

44. Yusuf Fadle, The Arabs and the Sudan, Khartoum, 1973.

M.M. Amin
(M. A. & Litt. D.)

أفريقيا الاستوائية

١ – دراسة فى الجغرافيا الطبيعية

د . السعيد البدوى

(Abstract)

Equatorial Africa.

1 . A study in physical geography.

The purpose of these series of papers is to shed some lights on an African area which has not yet thoroughly studied despite of its several possibilities.

This first paper deals with the physical geographical aspects and their reflections upon social and economic life of the population.

The main points of this paper are : structure, relirelf, rain, temperature, vegeta tion & animal life. In addition to a conclusion about the effect of physical geographical aspects on the natural resources of the region.

تعالج هذه المجموعة من المقالات الظروف الجغرافية فى منطقة من مناطق أفريقيا لم تحظ حتى الآن بالدراسة الشاملة ، مع ما فيها من أمكانيات متعددة .

ويعالج هذا المقال الأول الظروف الجغرافية الطبيعية فى المنطقة . على اعتبار ان هذه الظروف تمثل الأساس الأول الذى تقوم عليه أوجه الدراسة الجغرافية الأخرى ، إلاأنها بمثابة المسرح الذى تؤدى عليه العناصر البشرية دورها الاجتماعى والاقتصادى والسياسى .

وقد تناول هذا البحث بالدراسة البيئة والتضاريس والظروف المناخية خصوصا

الحرارة والأمطار ثم عالج الغطاء النباتى والثروة الحيوانية وفى النهاية عالج الباحث أثر الظروف الجغرافية الطبيعية على الموارد الطبيعية فى الاقليم .

سبق أن اطلق الألمان اسم Mittelafrica على منطقة أفريقيا الوسطى وذلك للتشابه بين هضبة وسط أفريقيا وكتلة أوربا الوسطى التى أطلقوا عليها أوربا الوسطى Mittele uropa وعندما عقد مؤتمر برلين سنة ١٨٨٥ أقر مبدأ حرية التجارة فى منطقة أفريقيا الوسطى ، — وحددها بتلك المنطقة التى تمتد من خط عرض ٥ درجة شمالا حتى مصب نهر الزمبيزى جنوبا . وذلك حتى يتقرر مصير ها السياسى . وهذا التحديد الأولى ينطبق إلى حد كبير على هضبة أفريقيا الوسطى .

وبعد ذلك بخمس سنوات أى فى عام ١٨٩٠ انعقد مؤتمر دولى آخر « للدول المتحضرة » وافقت فيه الدول المجتمعة فى بروكسل على منع تجارة الرقيق والاسلحة والمشروبات الروحية فى منطقة أفريقيا الوسطى التى حددت فى ذلك الوقت بأنها تمتد بين خطى عرض ٢٠ درجة شمالا وجنوبا من خط الاستواء ، مع تأكيد حرية المرور والاقامة للبعثات العلمية والدينية والانسانية . وتمتد المنطقة المعينة بين المحيطين الاطلنطى والهندى .

ولا شك أن التحديد الثانى قد وسع إطار هذه المنطقة عن التحديد الأول . إذ أنه وفقا للتحديد الموسع لم يعد الأمر مقصوراً على حوض الكنغو وإنما امتد إلى منطقة أفريقيا الوسطى كلها بين المدارين تقريبا باعتبارها منطقة متجانسة فى السكان وفى طرق المعيشة Genres de vie [1] .

ولكن تحديد هذه المنطقة ليس بهذه البساطة حتى ولو كان تحديداً تقريبيا إذ أنه بجانب التحديدين السابقين يذكر فتزجيرالد أنه يقصد بمنطقة أفريقيا الوسطى تلك المنطقة بين المدارين Interopical zone وتقع إلى الغرب من هضبة شرق أفريقيا وتمتد حتى ساحل المحيط الاطلنطى فى الغرب ومن نهـــر كونينى Cunene فى الجنوب حتى جبل الكرون فى الشمال . وفى داخل هذا الإقليم يمتد حوض نهر

---

(١) Geog. universelle, To-me XII, Afrique Equatariale et orinetale; Publie sous la direction de P.V. de la Bbache et 1. gallois, paris 1938 P. 1,2.

الكونغو الواسع الذى يشغل حوالى ١,٥ مليون ميل مربع والذى يعتبر ذو أهمية خاصه فى أى دراسة لمنطقة أفريقيا الوسطى . هذا بالاضافة إلى المناطق التى تقع على الحافة الغربية لمنخفض أفريقيا الوسطى . وهى على وجه الخصوص : أنجولا ، جابون ، الكمرون ، وتوجيهها جميعا نحو المحيط الاطلنطى . كما يشير إلى ذلك الاستقلال الهيدروجرافى لنظام نهر الكنغو . وعلى الحدود الشمالية والجنوبية القصوى من هذا الاقليم تقف الوحدات السياسية التى رسمت حدودها بطريقة تحكمية تعوق أى دراسة أقليمية أو أى تصنيف أقليمى بالنسبة لها ومن أمثلة ذلك أن أنجولا تمتد نحو الجنوب حتى تشمل جزءا من الصحراء الجنوبية الغربية وكذلك جزءا كبيراً من أقليم أعالى الزمبيزى شبه الجاف بينما يوجد إلى الشمال أفريقيا الاستوائية الفرنسية سابقاً التى تعتبر أعظم المناطق أرباكا most unwiedly وأقلها ملاءمة من وجهة النظر الجغرافية — فى الوحدة السياسية الإفريقية بما فيها تشاد الذى يعتبر الجزء الشمالى منها صحراويا بصفة حقيقية [١] .

وإذا حذفنا الهوامش شبه الجافة فى الشمال والجنوب والجنوب الغربى فأننا نلاحظ تشابها واضحا لا نجده فى أى مكان آخر فى أفريقيا — فيما عدا الصحراء الكبرى — خصوصاً فى ظروف السطح العام general surface Conditions وظروف المناخ حيث يزيد متوسط الامطار عن ٤٠ بوصة سنويا وينعكس هذا على الغطاء النباتى حيث نجد غنى نباتى مفرط متنوع من الغابات الكثيفة إلى السفانا الشجرية Park savanna والسفانا العادية Treeless savanna . وحيث أن توزيع التربة يرتبط بالمظهر أو الملمح الذى يميز حوض الكنغو عن الاقاليم الكبرى الأخـــرى فى أفريقيا فأنها تتكون من الطمى الفيضى Alluvium على نطاق واسع . كما أن نمط التربة الكبرى فى المنطقة التى يحدث لها فيضان سنوى . ووفقا لهذه الظروف الطبيعية فان الموارد الزراعية الكامنة فى هذه المنطقة توجد على نطاق واسع على الرغم من أنه من الناحية الواقعية فان المنطقة من الناحية الاقتصادية تعتبر من أكثر مناطق العالم تخلفا ، إلا أن المناخ الذى انتج الغطاء النباتى المزدهر يؤدى فى نفس الوقت إلى أرهاق حياة الوطنيين Native life ، كما أنه يعتـــبر عائقا أمام الإستيطان الاوربى

---

(١) W. Fitzgerald : Africa. London; 1964. P. 277

باستثناء منطقة أو منطقتين مثل مرتفعات الكمبرون . ولا يعتبر تأثير المناخ المباشر أو غير المباشر هو العائق الوحيد أمام مشروعات استغلال هذه المنطقة إلا أنه يقف بجانب ذلك افتقار المنطقة إلى سهولة النقل والمواصلات بها ، ومما يدل على ذلك أنه على الرغم من أن فتـــح أفريقيا الوسطى Opening-up كان سريعا فور أن بدأ منذ ثلاثة أرباع القرن إلا أن المناطق الداخلية ظلت غير مطروقة ومن الصعب الوصول إليها Inaccessible كما أنه مازالت هناك مساحات كبيرة لم تكتشف حتى الآن [1] .

ولكن هل هذه المنطقة متجانسة فعلا لدرجة يمكن اعتبارها إقليما جغرافيا قائما بذاته ، له صفاته الخاصة وشخصيته المستقلة عن المناطق المجاورة ؟ لقد اشرنا إلى أن نمط التربة متشابه إلى حد كبير ، كما أن الظروف المناخية متماثلة بشكل عام أيضاً حيث يحيط بخط الاستواء (الذى ينصف القارة تقريبا) منطقة استوائية تغزر فيها الأمطار طول العام وكذلك ترتفع الحرارة ، ولكن نلاحظ هنا أن للامطار قمتان فى فصلى الربيع والخريف وتقل نوعا فى فصلى الصيف والشتاء (الشماليين) . ومن ناحية أخرى فاننا نلاحظ على جانبى خط الاستواء سمترية واضحة une Symetrie فى الظروف المناخية حيث يقع إلى الشمال والجنوب من النطاق الاستوائى نطاق مدارى تسقط عليه الامطار بصفة فصلية (من مايو إلى أكتوبر فى نصف الكرة الشمالى حول مدار السرطان ومن نوفمبر إلى أبريل فى نصف الكرة الجنوبى حول مدار الجدى (ويعد هذا النطاق المدارى يوجد النطاق الصحراوى (الصحراء الكبرى فى الشمال وصحراء جنوب غرب أفريقيا فى الجنوب) . كذلك تتماثل النطاقات النباتية مع النطاقات المناخية السابقة حيث توجد غابات « السلفا » الاستوائية حول خط الاستواء ثم تبدأ بعد ذلك الغابات المدارية فى النطاق المدارى وكلما ابتعدنا شمالا وجنوبا كلما قلت الأشجار وحلت محلها الحشائش « السافانا » ثم الحشائش القصيرة إلى أن تصل إلى المنطقة الصحراوية حيث تتأقلم النباتات مع هذه الظروف الجافة . وفى نطاق السفانا تسود حرفة الرعى نطاق واسع أما فى النطاق

---

(1) W. Fitzgerald : Africa P. 2/8.

الصحراوى فان حياة البداوة والتنقل هى السائدة فى حين أن حرفة الزراعة والصيد والجمع والالتقاط تعتبر أساساً الحرف الأصلية فى المنطقة الاستوائية (١) .

وبناء على ماسبق فان منطقة أفريقيا الوسطى بمعناها الفلكى الرياضى تطلق على المنطقة التى تحاذى خط الاستواء شمالا وجنوبا وتمتد من المحيط الاطلنطى إلى المحيط الهندى ، ولكن هذه المنطقة لاتتجانس فى ظروفها الجغرافية سواء الطبيعية أو البشرية الأمر الذى أدى إلى صبغ الجزء الاوسط والغربى منها بسمات تختلف عن تلك السائدة فى الجزء الشرقى منها إلا أن التماثل لا يوجد إلا فى منطقة حوض الكنغو والمناطق المجاورة له مباشرة ، تلك المنطقة التى تنصرف إليها روافد هذا النهر العظيم ، وتتسم هذه المنطقة الحوضية بأنها منخفض ترصعها مسطحات مائية ويحيط بها من جميع النواحى مرتفعات تبدو على هيئة مدرجات شبيهة بمدرجات المسرح الرومانى amphitheâtre على أرتفاعات ٣٠٠ ، ٦٠٠ ، ١٠٠٠ متر وذلك قبل أن تخترق مياه نهر الكنغو حافة الهضبة نحو المحيط الاطلنطى . وبناء على ذلك — حتى داخل هذه المنطقة المتماثلة بصفة عامة — فان درجة الحرارة والرطوبة تختلف باختلاف التضاريس الموجودة فى هذه المنطقة الواسعة حيث تسود الغابات الكثيفة اعماق هذا الحوض ثم تقل رويدا رويدا حتى تصل إلى نطاق الحشائش فوق المرتفعات المحيطة بالحوض فى المناطق التى تفصل بين كل من حوض الكنغو وأحواض النيجر والنيل والبحيرات الكبرى والزمبيزى والانهار الصغيرة التى تصب فى المحيط الاطلنطى نحو الاطراف ، أو بصفة — أعم من خط الاستواء نحو المدارين حيث يبدو التتابع عموما من التضاريس المنخفضة إلى المرتفعات ومن المناخ الاستوائى إلى المدارى ، ومن الغابة إلى السفانا ومن حياة القنص والالتقاط إلى حياة الزراعة وتربية الحيوان(٢).

هذا فيما يتعلق بالجزء الغربى والأوسط من أفريقيا الوسطى Afrique Centrale هذا فى حين أن الظروف الجغرافية فى الجزء الشرقى من أفريقيا الوسطى تختلف عن تلك السائدة فى الجزء الأوسط والغربى ، حيث نجد فى هذا الجزء الشرقى أن الصفة الغالبة على التضاريس هى الارتفاع وذلك يرجع إلى أن عوامل التعرية لم تستطيع

---

(١) Geog. universelle. opcit P. 8.

(٢) Geog. Unit. opcit p.3

بسبب قصر فترة عملها من أن تخفض هذه المرتفعات ، لذلك توجد المنخفضات والانكسارات على نطاق واسع فى هذا الجزء الشرقى ، وكثير من هذه المنخفضات والانكسارات ملئت بالمياه مكونة بحيرات ضيقة يغلب عليها الصفة الطولية . وبجانب ذلك توجد قمم مرتفعة عملاقة تتراوح بين ٤٠٠ ، ٦٠٠ متر مثل جبال رويترورى ، كينيا ، كلمنجارو حتى تصل إلى الكتلة البازلتية الممثلة فى هضبة الحبشة ، ومن هنا فاننا نجد فى منطقة محدودة تنوع فى التضاريس بين المرتفعات والمنخفضات وبالتالى تنوع فى الظروف المناخية وأنماط النبات وطرق الحياة ، ومثل هذا لانجده فى منطقة الهضبة الكنغولية ، حيث نمر فى الجزء الشرقى عبر بضعة كيلو مترات بحرارة مرتفعة فى المنخفضات إلى ثلوج دائمة على المرتفعات كذلك نجد أن الرياح القادمة من المحيط الهندى لاتسقط ما تحمله معها من أمطار على الهضاب المجاورة للمحيط وإنما تسقطها على سفوح المرتفعات وقممها ومن هنا نجد أن المرتفعات ذات الأمطار الغزيرة التى تنمو عليها الغابات ، أما الهضاب ذات الامطار المتوسطة فتنمو عليها الحشائش . هذا فى حين أن المنخفضات فقيرة الأمطار تبدو فيها الظروف الصحراوية أو شبه الصحراوية ، ويساعد على ذلك ارتفاع درجة الحرارة بها نتيجة لانخفاضها ومن هنا تتعدد أيضا طرق الحياة [١] .

ولا يقتصر الأمر فى الاختلاف بين منطقتى أفريقيا الوسطى على الظروف الجغرافية الطبيعية فقط ولكن أيضا يمتد الاختلاف بينهما إلى النواحى البشرية حيث يقرر معظم الباحثين أن الجماعات البشرية جاءت إلى أفريقيا عن طريق البحر الاحمر من آسيا .

حيث أتى الاقزام أولا ثم استقروا فى الغابات الكثيفة والمناطق المنعزلة أمام ضغط عناصر الزنوج أو السود Les Noirs أو البانتو الذين أتوا بعدهم من آسيا أيضاً . واستقر العنصر الزنجى على هضاب شرق أفريقيا ، وكانوا يزرعون الأرض بالفأس بعكس الاقزام الذين كانوا يشتغلون بالقنص والالتقاط . ثم أمام الهجرات المتتالية من الزنوج القادمين من آسيا بدأت الهجرات الزنجية اتجاهات مختلفة داخل القارة حيث اتجه بعضهم نحو الجنوب واتجه البعض الآخر نحو حوض الكنغو فى الوسط

---

(١) Geog Universelle p. 4

فى حين اتجهت جماعات زنجية أخرى نحو مناطق تقسيم المياه بين الكنغو والنيل والنيجر بينما البعض الآخر من الزنوج واصل المسيرة نحو غرب أفريقيا حتى سواحل أفريقيا الاستوائية وهنا التقت الجماعات الزنجية القادمة من الجنوب من هضبة الكنغو — الزمبيزى مع الجماعات القادمة من الشمال .

ومنذ ذلك الوقت لم يتغير توزيع عناصر السكان فى الجزء الأوسط والغربى من أفريقيا الوسطى . أما بالنسبة للزنوج السودانيين (الذين أتوا من جهة الشمال مثل الهوسا والسونراى Sonrai وغيرهم فقد توقفوا عند حوض النيجر وتشاد . أما الاثيوبيون السود والدناقل ، والصومالى ، والجالا — وهم جماعات رعوية بدوية — فقد أتوا إلى مناطقهم عن طريق البحر الأحمر أيضا حيث احتلوا الهضاب المتوسطة أو المنخفضة من أفريقيا الشمالية الشرقية بينما نجـــد أن نظراءهم من الموسى Mossi اختلطوا مع البانتو الموجودين فى أفريقيا الشرقية — أما الاثيوبيون الحمر والاثيوبيون البيض والحاميون والساميون فقد استقروا فى منطقة أكثر شمالية ، وقد احتلت الموجة المتقدمة منهم الإراضى المرتفعة فى هضبة الحبشة . هذا فى حين أن العرب الذين نشروا الاسلام والتجارة قد أنشأوا لهم مستودعات تجارية على الهضاب المجاورة للمحيط الهندى وعلى الهضاب الوسطى بين أعالى النيل والكنغو واخيراً على حدود الصحراء والاقليم السودانى ، ولكنهم لم يستطيعوا الوصول إلى منطقة حوض الكنغو الحقيقى إذ أن التجارة العربية نشرت الاسلام فى أجزاء كثيرة من أفريقيا ولكن هذا الانتشار توقف حول خط ٥ شمالا وخط البحيرات الكبرى من جهة الشرق .

وصفوة القول أن أفريقيا الوسطى تنقسم إلى منطقتين واضحتين سواء بسبب الاختلافات الطبيعية والبشرية .

الأولى : تضم حوض الكنغو والمناطق المجاورة له (الحافة المحيطة) وسكانها من البانتو باستثناء بعض عناصر قزمية .

الثانية : تشمل هضاب البحيرات الكبرى حتى المحيط الهندى وسكانها مختلطون بشكل واضح حيث نجد أولا الأساس من العناصر البانتوية ثم تبع ذلك موجات من

الاثيوبيين السود ، الموسى وغيرهم من الجماعات الرعوية وتكونت مناطق نفوذ عربية تزادد قوة واتساعا كلما ابتعدنا عن حوض الكنغو واقتربنا من المحيط الهندى.

ومن هنا نجـــد أن افريقيا الوسطى التى اطلق عليها الألمـــان Mitel Africa او التى اطلق عليها الفرنسيون Afrique du Milieu منطقتان متميزتان كل منها تختلف عن الأخرى – الوسط والغرب فى مقابل الشرق ، حيث تقدم الأولى بالظروف الطبيعية الموجودة بها عناصر سكانية متجانسة وحيث تسود طرق حياة استوائية ومن هنا يطلق عليها افريقيا الاستوائية Equatorial Africa اما الثانية فرغم أنها تقع فى منطقة استوائية فلكيا إلا ان تضاريسها المتباينة وتعرضها لتأثيرات المحيط الهندى مباشرة انتجت طرق حياة مختلفة للسكان الذين يعيشون فيها والذين هم أصلا يختلفون من حيث الجنس عن سكان المنطقة الأولى ، ومن ثم كان لهذه المنطقة الشرقية وضعها المتميز ولذا يطلق عليها افريقيا الشرقية Afrique Orientale .

وسوف نركز دراستنا الحالية فى الجغرافية الطبيعية على افريقيا الاستوائية التى تضم منخفض الكنغو الحواف المحيطة به وهى بهذا تكون على وجه التقريب دول الكنغو الديمقراطى والكنغو الشعبى وجابون ، وأفريقيا الوسطى والكمرون وجزءاً من أنجولا بالاضافة إلى غنيا الاستوائية .

أولا – البنية

تشير النظريات الجيولوجية المختلفة التى مازالت سائدة حتى الوقت الحاضر إلى أن قارة أفريقيا كانت جزءا من قارة قديمة كبرى هى قارة جندوانا وفى الزمن الجيولوجى الثانى بدأت هذه القارة الكبرى فى التكسر ونكون المحيطان الاطلنطى والهندى وابتعدت كل من كتلة برازيليا وشبه جزيرة الدكن وكتلة استراليا وكتلة انتاركتيكا . هذا هو الاطار العام مهما اختلفت التفصيلات والنظريات التى نادى بها كل من جريجورى Gregory وفجنر Wegner وغيرهما .

(١) للتوسع فى هذه النقطه يمكن الرجوع الى ما يأتى :

1. Geog. Universelle. op. cit. P. 5, 6, Pierre Vennetier et Jules Wilmet et Jacques Denis L' Afrique centrale et orientale, paris 1971

2. Fitzgerald. op. cit. P. 286.

3. A. Wegner : The origin od continents and oceans. London, 1966 Methuen Series.

وبعد عملية زحزحة القارات هذه Continental drift كما أطلق عليها فجنر اصبحت كتلة أفريقيا هضبة ثابته جيوليوجيا لم يطرأ عليها من جديد فيما عدا غزو البحر لبعض المناطق الهامشية وإرساب تكوينات جيرية والاضطرابات الأرضية التى حدثت فى الزمن الجيولوجى الثانى والثالث وحدوث الانكسارات والارتفاعات الأمر الذى أدى إلى تكوين الوادى الأخدودى العظيم G. R. V. فى شرق أفريقيا والالتواءات الحديثة فى كل من شمال غرب أفريقيا والجزء الجنوبى الأقصى من القارة . وظهور الصخور البركانية فى أجزاء مختلفة من القارة خصوصاً فى الشرق ثم بدأت بعد ذلك وخلال ذلك عوامل التعرية المختلفة محاولة تخفيض المرتفعات وملء المنخفضات بالرواسب التى تحملها .

ويعتبر حوض الكنغو أحد الأحواض السائدة فى القارة الافريقية والتى أطلق عليها نتيجة لذلك قارة الأحواض مثل حوض تشاد والنيجر والنيل غرب الصحراء الكبرى والزمبيزى وكلهاى ويفصل بين هذه الاحواض كتل هضبية مرتفعة مكونة خطوط تقسيم مياه لهذه الاحواض .

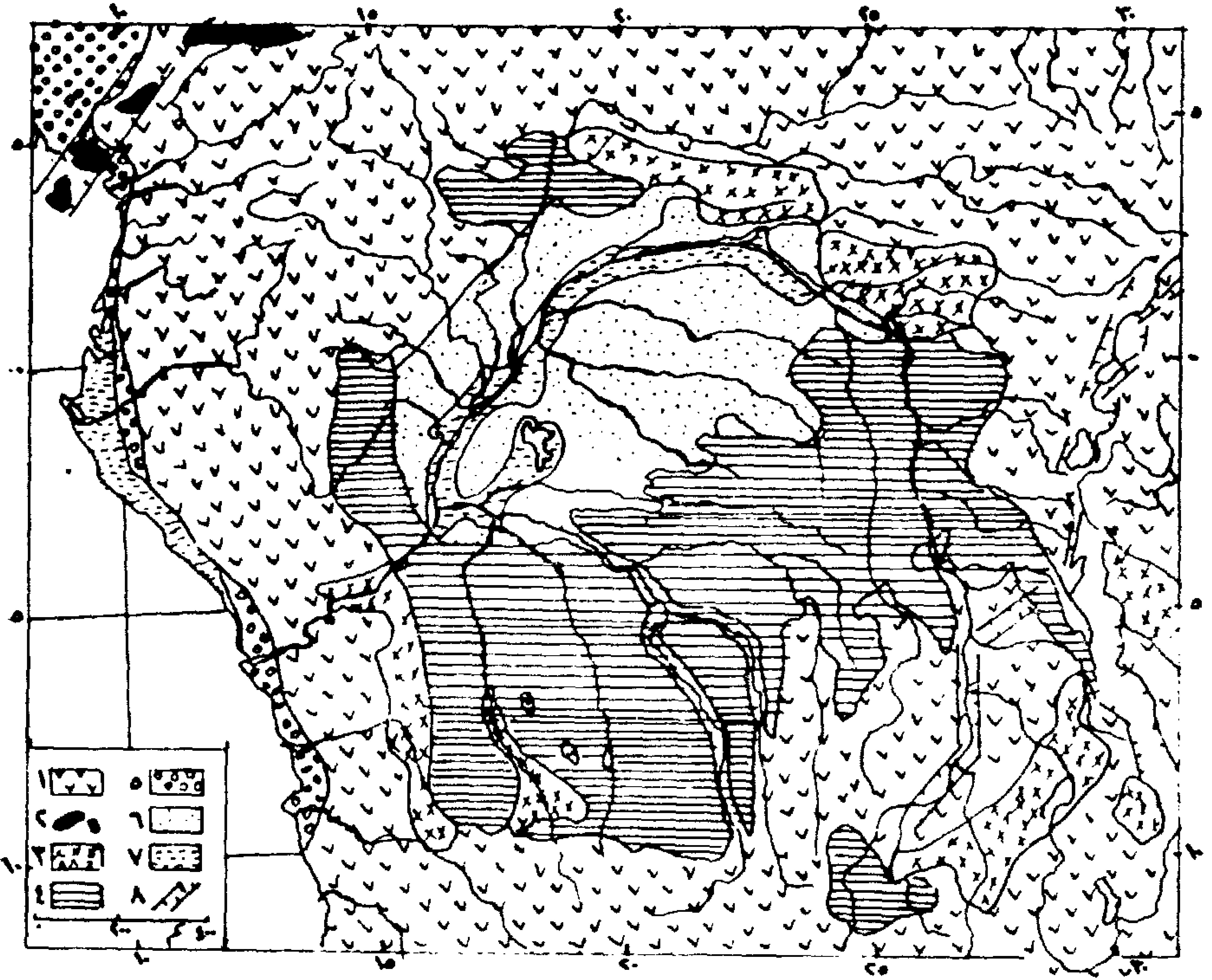
ويتضح من الدراسة الجيولوجية لافريقيا الاستوائية أن الأساس الصخرى الاركى القديم يحيط بمنخفض الكنغو من جميع الجهات كما يرصع حواف هذا المنخفض أيضا تكوينات آثار ركامية نتيجة لوجود ثلاجات خلال العصر البرمى حتى العصر الترياسى كانت تغطى كل الإقليم إلا أنه يرجح أن القطب الجنوبى كان فى منطقة ما من تلك التى يشغلها المحيط الهندى حاليا وكان خط الاستواء يعبر أوربا فى ذلك الوقت مارا بخليج غينيا والبحر المتوسط . ومن ثم نجد آثار الركامات الجليدية فى منطقة افريقيا الاستوائية وأطلق عليها اسم تكوينات كوندلونجو ولوالابا Koundeloungo et Loualaba (من الـــرمل الخشن الصلب والكوارتزيت) وبجانب ذلك توجـــد تكوينات لوبيلاش Lob::i-lache (من الرمل الناعم غير الصلب) .

ثم نجد بعد ذلك تكوينات الزمن الثانى والثالث على شكل شريط ضيق قرب الساحل . أما فى مركز المنخفض فتوجد رواسب فيضية قديمة (تكوينات بوصيرا) وأخيراً تكونت إرسابات فيضية حديثة بحذاء نهر الكنغو الأصلى فى المنطقة التى يمر فيها عبر المنخفض . أما بالنسبة للانكسارات والتكوينات البركانية الحديثة فلا

توجد إلا فى أقصى الشمال الغربى من المنطقة (منطقة الكمرون) وفى أقصى الشرق (الفرع الغربى من الاخدود) [١] .

(انظر الخريطة الجيولوجية)

التكوين الجيولوجى لإفريقيا الاستوائية - مقياس ١ : ٢٠,٠٠٠,٠٠٠



(١) تكوينات أركية قديمة - (٢) تكوينات بركانية حديثة - (٣) تكوينات كوندولنجو ولوالابا - (٤) تكوينات لوبيلاش
(٥) تكوينات الزمن الثانى والثالث على الساحل - (٦) تكوينات فيضية قديمة (٧) تكوينات فيضية حديثة (٨) خطوط انكسار

وقد كان لهذا التكوين الجيولوجى أثره على الثروة الاقتصادية الموجودة فى المنطقة . إلاان الثروة المعدنية التى تشمل الذهب ، القصدير ، الكوبالت الماس ، فضلا عن النحاس فى حوض الكنغو ترتبط أساساً بوجود الصخور القديمة التى تحولت إلى ظهور مستديرة outcrop of ancient rocks بفعل عوامل التعرية والتى تكونت فى الزمن الأركى والقديم (الأعلى) والتى تحيط بالمنخفض الاستوائى

(١) Geog. Universelle. op. cit. P. 7, 8 + Jacques Denis, Pierre Vennetier et Jules Vilmet = L' Afrique Centrale et orientale Paris 1971 P.P. 18-33.

العظيم فى اقليم الكنغو حيث تغطى النواة الأصلية رواسب اكثر حداثة نسبيا كما ذكرنا وترتبط رواسب النحاس أساساً فى منطقة كاتنجا بصخور الدولوميت Dolomitic Rocks التى تكونت فى الزمن الجيولوجى القديم (الأعلى) والتى تعرف بمجموعات كامبو فى Kambove Series وبالاضافة إلى ذلك بدأ التوسع بعد الحرب العالمية الثانية فى إنتاج اليورانيوم من هذه التكوينات بما له من قيمة إستراتيجية عظمى[1] .

أما فى التكوينات الصخرية الحديثة فقد اكتشف البترول والغاز الطبيعى كما هو الحال فى كل من جابون وأنجولا فى المناطق القريبة من الساحل . كذلك كان لوجود الصخور البركانية الحديثة أثرها فى منطقة الكمرون حيث كونت تربة بركانية خصبة للزراعة فى نفس الوقت منطقة مرتفعة عدلت المناخ الحار الرطب الموجود فى البيئة الاستوائية إلى مناخ معتدل الحرارة يساعد على الاستيطان والعمل .

ثانياً — التضاريس

نتيجة للاحداث الجيولوجية سالفة الذكر والتى حدثت فى منطقة أفريقيا الاستوائية أصبحت صورة التضاريس فيها تتكون على الوجه التالى :

١ — فى وسط المنطقة منخفض حوضى تغطية طبقات من الارسابات الحديثة .

٢ — على حواف هذا الحوض منطقة مرتفعات عبارة عن هضاب ، تنقطع فى بعض الأماكن وتبدو فيها بعض الاحواض الصغرى .

فى هذا الحوض المنخفض يجرى نهر الكنغو روافده ، من الشمال الأوبانجى سانجا Sanga من الجنوب لوى Lomami كاساى .

وكما اشرنا يحيط بهذا الحوض إطار خارجى من المرتفعات وبالتالى فان النهر لايستطع أن يجد له مخرجا إلا عند بحيرة ستانلى[2] .

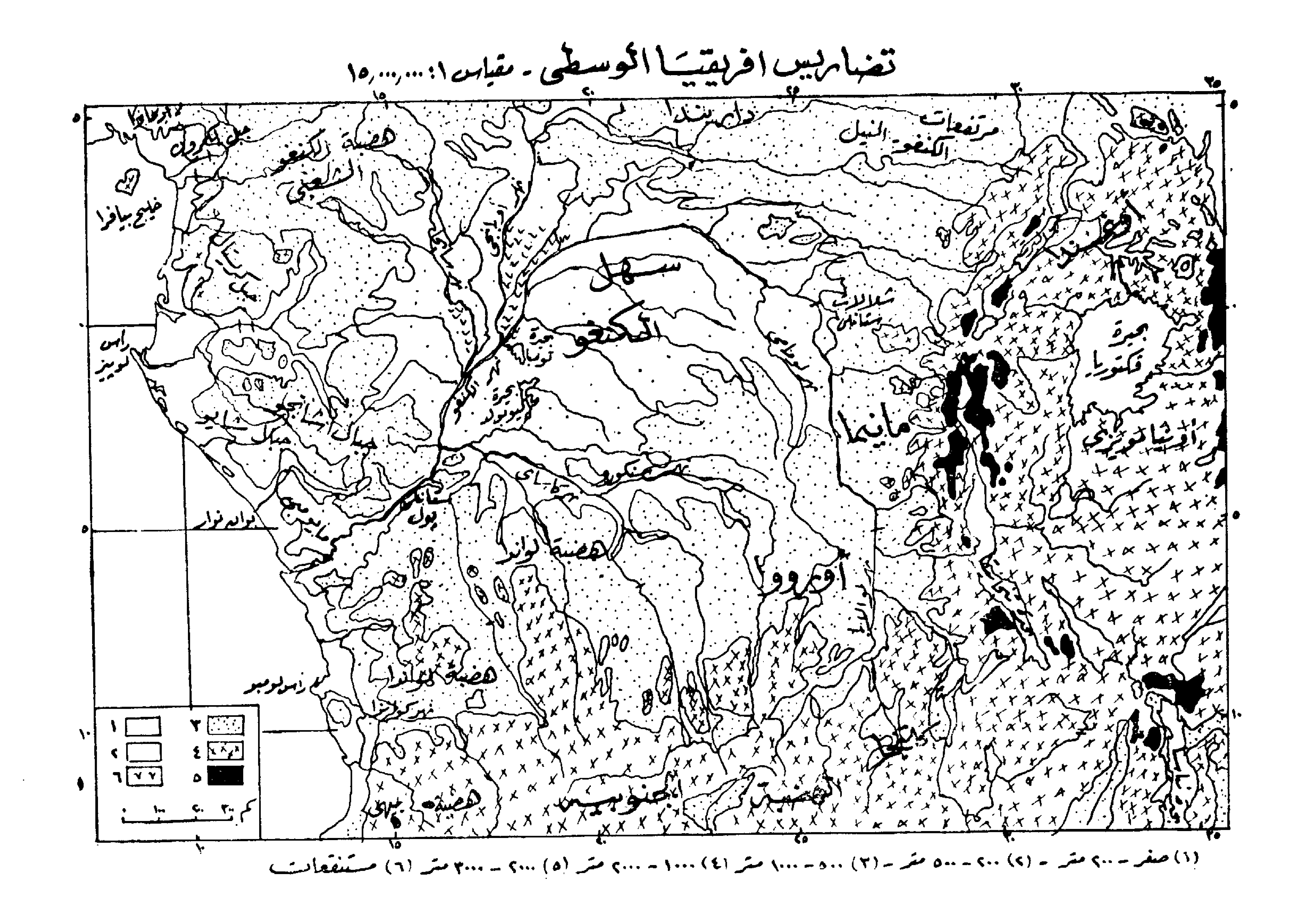
ويعتبر الملمح الاقليمى السائد فى جميع أنحاء هذه المنخفض الواسع هو تواتر

---

(١) Fitzgerald. op. cit. P. 286.

(٢) Goeg. Universelle. P. 6.

تضاريس افريقيا الوسطى - مقياس ١: ١٥,٠٠٠,٠٠٠



(١) صفر - ٢٠٠ متر - (٢) ٢٠٠ - ٥٠٠ متر - (٣) ٥٠٠ - ١٠٠٠ متر (٤) ١٠٠٠ - ٢٠٠٠ متر (٥) ٢٠٠٠ - ٣٠٠٠ متر (٦) مستنقعات

الأنهار الروافد الكبرى التى تبدو على شكل مروحة تنتشر تجاه الغرب قبل أن تنضم فى مخرج واحد يعبر الخانق الضيق خلال حافة الهضبة . من مركز الحوض الذى لا ينخفض الارتفاع فيه عن ١٠٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر يوجد تزايد غير منتظم فى الإرتفاع فى كل إتجاه وتبدو جوانب المنخفض كما لو كانت مدرجا شاسع الإتساع .

ويبدو التناقض واضحا بين هذا الحوض المنخفض الأوسط وحافة الهضبة – التى لا تنقطع إلا حيث يعبر نهر الكنغو جبال كريستال – بسبب الاختلاف أو عدم التناظر الجيولوجى Geolog ical dissimilarity ، فكما أشرنا كانت افريقيا الوسطى خلال الفترة الممتدة من العصر البرمى حتى العصر الترياسى أقرب إلى القطب الجنوبى ومن ثم فانها كانت مغطاة بالجليد بصفة كلية Entierly glaciated وقد تركت غطاءات الجليد أثناء هذه الفترة عند تقهقرها مواد كثيرة من الركامات الجليدية morainic material هى التى تبدو الآن على شكل حصى وحصباء وتكوينات الحجر الجيرى بالإضافة إلى التكوينات التى ذكرناها والتى يطلق عليها تكوينات « كوندلنجو » ومن ناحية أخرى فأنه خلال العصر الجوراسى تكونت رواسب على نطاق واسع عندما كان يغطى منطقة افريقيا الوسطى بحر داخلى ضحل وقد أدى إلى ما يعرف بتكوينات لوبيلاشى . وقد بدأ هذا البحر الداخلى ينصرف بالتدريج عن طريق نهر الكنغو الناشىء فى ذلك الوقت حتى أنه لم يعد يتبق من هذا البحر القديم الآن سوى بحيرتى لوبولد الثانى ، تومبا . وأكثر الارسابات حداثة فى الكنغو الأوسط هى تكوينات بوصيرا الطميية التى تقدم أعظم التربات خصوبة وتنمو عليها أغنى الغابات فى افريقيا الوسطى هذا فضلا عن الارسابات الطميية الحديثة جداً والتى تحف بنهر الكنغو فى مركز المنخفض كما أشرنا (١) .

ومن هذا نرى أن هناك إختلافاً واضحا فى التضاريس من حيث الشكل (الإرتفاع) ومن حيث المضمون (نوع التكوينات) بين مركز الحوض والحافات المحيطة به .

---

(١) Fitzgerald. Africa P. 291-2

وبعد مستوى الحوض المنخفض الذى لاينخفض عن ١٠٠٠ قدم كما اشرنا يبدأ المدرج الثانى والذى يتراوح ارتفاعه بين ٥٠٠ ، ١٠٠٠ متر ويبدا هذا المدرج من التقاء نهر كاساى بنهر الكنغو الأصلى حتى المجارى العليا من نهـــر اويلى Ouelle وهنا نجد ندرة فى الارسابات البحرية وتسود بدلا منها التكوينات الجوراسية .

وفى هذا المستوى نلاحظ أثر التعرية المتمثلة فى المجارى المائية واضحآ حيث شقت لنفسها طرقا تجاه مركز الحوض متخطية بذلك المندفعات المائية . ومن هنا نلاحظ أن الخط الذى يهبط عنده كل نهر من الأنهار من كاساى حتى أويلى يمثل الخط الفاصل بين المستوى الأعلى والأدنى من المنخفض وعند هذا الخط تضيق المجارى المائية حتى تكاد تختنق تحيط بها المرتفعات بشكل واضح .

وتظل الإرتفاعات فى الازدياد حتى تصل إلى ارتفاع ٢٠٠٠ متر فى الجنوب عند هضبة بيهى Bihê فى أنجولا التى تبعد عن المحيط الاطلنطى بحوالى ٣٠٠ كم ، حتى جبال Mitoumba التى تنتهى عند بحيرة تنجانيقا وتمثل هذه المنطقة المرتفعة خط تقسيم المياه بين نهرى الكنغو والزمبيزى . أما فى الشرق فان التضاريس اقل انتظاما وذلك يرجع إلى تأثرها بالاضطرابات الأرضية السابقة التى حدثت فى منطقة شرق افريقيا حيث نجد أن منطقة كاتنجا التى تمثل الجزء الجنوبى الشرقى من الهضاب تتكون من نطاقين : —

١ — الأكثر شمالية والذى يرتبط بالمدرج العلوى من الحوض الكنغولى وهى منطقة عملت فيها عوامل التعرية وحولتها إلى سهل تحاتى .Pênêplaine .

٢ — المنطقة الجنوبية حيث تجد آثار الالتواءات التى حدثت فى العصر الترياسى وهنا تبدو المنخفضات والمندفعات المائية بشكل واضح .

وإلى الغرب من الحوض الكنغولى توجد منطقة مرتفعات تجاور المحيط الأطلنطى وتمتد من مرتفعات الكمرون وهضبة ادماوا فى الشمال إلى هضبة انجولا فى الجنوب ولاتنقطع هذه الحافة إلا عند ما يجتاز هذا النهر العظيم هذه الحافة الهضبية القديمة وإلى الشمال من مخرج الكنغو يوجد نهر أجوى ، كامبو Campo اللذين ينبعان من

هذه الحافة المرتفعة عبر غنيا الاستوائية (الاسبانية سابقا) كما يقطع هذه الحافة المضبة أيضا نهر الفندلو Livindo من الشمال إلى الجنوب وهو رافد لنهر أوجوى .

اما فى الجنوب فلا نجد إلا انخفاضا جنوبيا شرقيا فى الجزء الشمالى من كاتنجا اما فى الشمال الغربى من الحوض فتوجد وديان نهر سنجا وأعالى نهر أوجوى . بين الحافة المضبية الساحلية التى تقـارب الفى متر ارتفاعا ، والمحيـط الاطلنطى يوجد سهل ساحلى ضيق يمتد من خليج بيافرا شمالا حتى رأس Lombo ومخرج نهر كوانزا جنوبا والذى يعتبر الحد الفاصل بين افريقيا الاستوائية افريقيا الجنوبية . ويضيق هذا السهل الساحلى فى الشمال والجنوب بحيث يصل إلى مائة كم فقط . اما فى الجزء الاوسط فانه يصل حوالى ٣٠٠ كم . يجاور الساحل تيار بنجويلا البارد الذى يلطف من درجة الحرارة حتى راس لوبيز(١) .

اما عن ساحل افريقيا الاستوائية المطل على المحيط الأطلنطى فهو ساحل بسيط حيث يجاوره فى المنطقة الممندة من راس لومبو فى الجنوب حتى مرتفعات الكمرون فى الشمال سهل ساحلى . وفى هذه المنطقة لا ينخفض السطح عن ٥٠ متراً إرتفاعا ثم ينخفض تدريجيا إلى قاع المحيط ولا يزيد عمق الرصيف القارى عن ١٠٠ متر فى الخمسة وخمسين كيلو متر التى تجاور الساحل . ونلاحظ أن مصب نهر الكنغو فى هذه المنطقة عبارة عن مصب خليجى غائر فى المحيط الاطلنطى . وتترسب الارسابات التى يحملها النهر فى المنطقة الممتدة من راس لوبيز شمالا حتى مصب النهر جنوبا وذلك نتيجة لحركة التيارات البحرية . وخلف هذا الساحل توجد مجموعة من البحيرات الساحلية ، ولكن المنطقة التى تقع إلى الشمال مباشرة من مصب النهر فى الكنغو الشعبى (برازا) إلى الشمال من كابندا البرتغالية توجد منطقة صالحة لاقامة الموانى مثل بوان نوار ، لوانجو Loango فى الكنغو الشعبى . اما الساحل إلى الجنوب من مصب نهر الكنغو فانه شبيه بالساحل شماله حيث يحمل تيار بنجويلا — رواسب نهر كوانزا متجها نحو الشمال ويرسب معظمها عند راس لومبو التى تشابه فى هذا الصدد رأس لوبيز . وأفضل الاماكن لاقامة الموانى تلك التى تقع إلى الشمال

(١) 1 Geog. Universelle of cit. pp. 6-12·

من دلتا كوانزا فى خليج بنجوBengo ونلاحظ ان هذا الساحل من كوانزا حتى راس لوبيز ليس من السهل الإقامة به أو انشاء الموانى الطبيعية به إلافى أماكن محدودة اهمها عند مصب نهر الكنغو لكن سوف نرى فيما بعد أنه فى داخل هذا النهر لاتستطيع السفن أن تتوغل بعيداً فى مجرى النهر . هذا فى حين أننا نجد العكس فى المنطقة الممتدة من راس لوبيز حتى خليج دوالا حيث أنها لاتتعرض لارسابات طميية نتيجة لاتجاه الساحل إتجاها شماليا جنوبيا ومن اهم الاماكن لانشاء الموانى الطبيعية خليجى بيافرا ودوالا .

ومن الواضح أن ظروف الساحل هذه توثر تأثيرا واضحا على النواحى الأقتصادية الخاصة بالمنطقة سواء من ناحية انشاء الموانى الطبيعية او الثروة السمكية أو الاستغلال الإقتصادى الزراعى التعدينى حيث نجد أن ضيق السهل الساحلى يقلل إلى حد كبير من فرص الزراعة ولكن من ناحية أخرى نرى أن التكوينات الساحلية ادت إلى وجود التكوينات الحالية للبترول فى كل من جابون وانجولا (١) .

ثالثا ــ التربة

سبق ان اشرنا إلى لمحات من صفات التربة فى افريقيا الاستوائية عند دراستنا للبنية والتضاريس إلاأنها فى الواقع نتاج للتكوين الصخرى وتفاعله مع الظروف المناخية والنباتية السائدة فى اى منطقة كما ان النبات فى نفس الوقت نتاج لنوع التربة وظروف المناخ . ويلاحظ على التربة فى هذه المنطقة الاستوائية من افريقيا أنه رغم تجانسها وتشابهها إلا انه توجد بعض الاختلافات فى طبيعتها La nature de sols وذلك يرجع إلى اختلاف التكوين الصخرى داخل المنطقة والذى سبق أن أشرنا إليه ، كما يرجع كذلك إلى اختلاف شكل السطح من حيث الأرتفاع والإنخفاض وكذلك بسبب غزارة الأمطار فى بعض الأجزاء وإنخفاضها فى أجزاء أخرى داخل المنطقة نفسها .

(١) Goeg. Universelle Opcit. p. 12.

اما بالنسبة للتربة التحتية **Sous-Sols** فانها مغطاة بطبقة سميكة من الإرسابات سواء تلك التى جلبتها المجارى المائية أو تلك التى ترسبت فى قيعان البحيرات القديمة .

ونلاحظ بصفة عامة أن الطبقة السطحية من التربة قد تحللت على نطاق واسع نتيجة للظروف الجوية السائدة من ارتفاع درجة الحرارة طول العام وارتفاع الرطوبة ايضا طول العام . لكن رغم ذلك فأننا نجد فى هذه الطبقات السطحية تربات خصبة خصوصاً فى المناطق المنخفضة التى تتمثل فى مركز المنخفض الكنغولى (تكوينات بوصيرا) بالاضافة إلى الوديان النهرية خصوصاً الوادى الأوسط لنهر الكنغو والوادى الأدنى لنهر الأوبانجى حيث توجد الإرسابات الحديثة (١) .

ورغم سيادة الغنى النباتى الغابى وغيره فى هذه المنطقة وكذلك ارتفاع درجة الحرارة والرطوبة فانه لاتوجـد طبقة غنيـة من المواد العضوية **Humus fertile** فوق التكوينات الرسوبية كما يحدث فى المناطق المعتدلة وذلك يرجع كما أشرنا إلى التحلل المستمر نتيجة لغزارة الامطار طول العام وارتفاع درجة الحرارة من ناحية أخرى فان هذه الإرسابات الطميية تنمو فوقها غابات كثيفة من الصعب ازالتها وقيام الزراعة محلها .

أما على الحواف الخارجية للحوض فان الغابات لاتوجد إلا فى أماكن محدودة وإنما تنمو هنا السفانا ، كما يحدث فى المناطق المدارية فأنه يوجد فصل جاف آخر ممطر ، وفى خلال الفصل الجاف تتم عملية تجفيف الرطوبة من الطبقة السطحية من التربة **dêshydratation** نتيجة لعملية التحلل والتفاعل بين مياه الأمطار والصخور خلال الفصل الممطر وعملية التجفيف خلال الفصل الجاف يغلب أوكسيد الحديد على التكوين السطحى للتربة وبالتالى يعطى لها اللون الأحمر (القرميدى) الذى خلب المكتشفين الأوائل عندما وطئت اقدامهم هذه الاماكن لأول مرة . ولايقتصر فقر التربة على السطح الخارجى فقط ولكن أيضا يمتد إلى الداخل حيث لانجد إلا أوكسيد الألمنيوم والحديد . وبذلك يطلق على هذه التربة فى مناطق الحافات التى تحيط بالمنخفض الكنغولى اسم تربة اللاتريت التى تعنى باليونانية الطوب الأحمر .

---

(١) **1 — Goeg. Univ. op. cit P. 12.**

ومن ناحية أخرى فان إرتفاع الحرارة أثناء النهار يؤدى إلى تمدد الصخور وتخفإاضها النسبى أثناء الليل يؤدى إلى إنكماشها وبالتالى تبدو ظاهرة تقشر الصخور واضحة exfoliation الأمر الذى يساعد عوامل التعرية على أن تمارس أقصى تأثير لهـــا لازالة هذه الطبقة الخارجية ومن هنـــا تأتى مشكلة جرف التربة Soil erosion فى المناطق الاستوائية والمدارية (١) .

ولكن رغم فقر التربة الخارجية فان الصخور الداخلية Sous-sols تحوى ثروة معدنية كبيرة مثل الذهب والفحم واليوارنيوم فى الهضبة الجنوبية والبترول فى التكوينات الساحلية ، كذلك يوجد النحاس فى التكوينات الهضبية الهرسينية فى مرتفعات ما يومبى ، والكنغو الشعبى ولوندا ، ولواندا وفى أقليم نيارى كويلو Niari-Kouilou وخصوصاً فى كاتنجا وهنا يوجد بكثرة وقد كان هذا المعدن يستغل فى مرتفعات كاتنجا الوسطى من جانب الوطنيين قبل أن تطأ أقدام أى أوربى أرض إفريقيا الوسطى ويكون هذا الخام فى المنطقة الممتدة بين نهرى لوفيرا ، لوالابا تجاه الغرب منطقة من أغنى مناطق العالم فى النحاس . كذلك يوجد بكاتنجا القصدير والماس والحديد كما هو الحال فى تكوينات الهضبة الجنوبية من إفريقيا .

ولقد كان لهذه الثروة المعدنية أثرها فى التطور التاريخى والسياسى فى حوض الكنغو لأنها كانت بمثابة الضوء الذى جذب إليه المستعمرين الأجانب(٢) .

ومن الواضح أنه ينبغى الاهتمام بدراسة التربة فى إفريقيا والمحافظة عليها إلا أنه وفق ما يقرر ورثنجنون Worthington (يمكن أن ينظر إلى التربة كنقطة إرتكاز fulcrum تتوازن عليهـــا كل إيكلوجيا الأرض Land ecology البيئة الطبيعيـــة من جانب ، والبيئة البيولوجية من جانب أخر) ومع ذلك وبالرغم من عيوب التربة فى إفريقيا إلا أنها مازالت تعد أثمن مواردها الطبيعية(٣) .

(١) Geog. Univ. op. cit. p. 14.

(٢) — Geog. universelle Ibid p. 15.

(٣) — Hance, W. : The geography of modern Africa; Columbia University Prees New York 1965 p. 16

رابعاً – المناخ

العامل المؤثر الرئيسى فى المناخ فى إفريقيا الإستوائية هو الموقع الجغرافى حول خط الاستواء حيث يلاحظ أن إفريقيا الإستوائية ينصفها خط الاستواء إلى حـــد كبير . كذلك ينبغى أن نلاحظ هنا أن هناك اختلافا بين خط الاستواء الحرارى Thermique وخط الاستواء الرياضى أو الفلكى Mathêmatique إذ أن خط الاستواء الحرارى يقع إلى الشمال قليلا من خط الاستواء الفلكى فى هذه المنطقة نتيجة لاتساع اليابس فى الجزء الشمالى من القارة وضالته نسبيا فى الجزء الجنوبى .

وفى هذه المنطقة تسود الظروف المناخية الاستوائية حيث توجد قمتان للامطار وقت تعامد الشمس على خط الاستواء وفى هاتين الفترتين يسود مايسمى لدى الفرنسيين بحلقة السحاب Anneau de nuages وتعرف لدى الإنجليز بنفس الإسم Cloud ring أو كما يقول البحارة الفرنسيون بأنها Pot au noir ويقصد بهـــا منطقة سحاب كثيف يخشاها الملاحون حيث تبدو السماء ملبدة بالغيوم باستمرار . أما فى الفصلين الاخرين حيث تقل الأمطار نوعا فان السماء تبدو صافية .

كذلك نجد أن أرتفاع السطح فى اجزاء من هذه المنطقة يوثر فى المناخ خصوصاً فى الجهة الشرقية ابتداء من جبل ميتومبا Mitoumba حتى مرتفعات رواندا ورويترورى وكذلك فى الغرب حيث يفصل حوض الكنغو عن المحيط الاطلنطى مرتفعات واضحة . وتبدو تأثيرات التضاريس واضحة فى الجزء الشمالى من الإقليم الساحلى حتى خليج غينيا وخليج دوالا ، ومن ثم فان الامطار هنا أكثر غزارة نتيجة لهبوب الرياح المحيطية الجنوبية الغربية التى غيرت إتجاهها بعد مرورها على خط الاستواء واصطدامها بهذه المرتفعات .

وبجانب العاملين السابقين يوجد تيار بنجويلا البارد الذى يتقدم من الجنوب إلى الشمال وهو فى تقدمه هذا له تأثيران :

الأول : تلطيف الحرارة على الساحل .

الثانى : قلة الأمطار خصوصاً فى المناطق الجنوبية الغربية من القارة حيث تتكون الصحراء وذلك لأن مياه التيار تميل إلى الدفء كلما اقتربت من خط الاستواء .(١)

---

(١) 1— Geog. Univesrelle. Op cit. p. 16

هذا من حيث العوامل التى تؤثر فى الميكانيزم المناخى mechanisme climatique أما بالنسبة لعناصر المناخ وأهمها الحرارة والأمطار . فاننا نلاحظ أن الحرارة فى هذه المنطقة تتأثر بالتضاريس وتيار بنجويلا كما أشرنا حيث تجدها منخفضة على الساحل فى جنوب المنطقة فى حين أنها تصل فى بنانا على مصب نهر الكنغو إلى ٥٦° مئوية وفى داخل حوض الكنغو تصل ٢٧ – ٢٨° مئوية فقط وذلك يرجع أساساً إلى الاختلاف فى مستوى الإرتفاع . أما إلى الشمال من الحوض قليلا حيث خط الاستواء الحرارى فان الحرارة ترتفع إلى ٣٠ مئوية أما فى المرتفعات فان الحرارة تنخفض حيث تصل فى كاتنجا إلى ٢٣° م فقط .

أما بالنسبة للمدى الحرارى السنوى فانه ضئيل إلى حد كبير حيث أن الحرارة متقاربة طيلة شهور السنة ، ولكن يبدو المدى الحرارى اليومى واضحا إلى حد ما خصوصاً فى المناطق الداخلية المرتفعة حيث يصل المدى اليومى فيها إلى ٩ درجات مئوية كما هو الحال فى لولوا بورج Loulouaborrg (على أرتفاع ٢٦٠ متراً) أما فى المناطق الساحلية فان المدى اليومى يتراوح بين ٣ ، ٤ م فقط . وبالطبع فأن المدى الحرارى اليومى والسنوى يصبح ملحوظا كلما ابتعدنا عن خط الاستواء شمالا وجنوبا .

ولهذه الحرارة المرتفعة طيلة العام تأثيراتها الاقتصادية من حيث زراعة المحصولات الملائمة لها وكذلك على النواحى البشرية والتاريخية والسياسية خصوصاً فى موضوع صعوبة استيطان الاوربيين فى هذه المناطق نتيجة لارتفاع الحرارة وإرتفاع نسبة الرطوبة .

وإذا كانت الحرارة المرتفعة فى هذه المنطقة شيئا عاديا فان الأمطار من العوامل التى تدرس بعناية حتى داخل المنطقة الاستوائية لأنها تختلف من مكان إلى آخر تبعا للاختلافات الموضعية الخاصة بكل مكان .

ويلاحظ على خريطة توزيع الأمطار أن المياه التى تسقط على هذه المنطقة كافية طول العام ولكنها تختلف فى الكمية من منطقة إلى أخرى حيث نجد أنها تصل إلى متر ونصف فى معظم أنحاء المنطقة فى المتوسط ولكنها تزيد عن ذلك وتصل إلى مترين

فى المناطق المرتفعة فى الجزء الشمالى الغربى من هذا النطاق الاستوائى من رأس لوبيز حتى خليج بيافرا والكمرون . أما فى الهضاب الجنوبية من المنطقة فان متوسط الأمطار لا يزيد عن ١ — ١,٥ متراً إبتداء من هضبة جنوب الكنغو حتى رويزورى ، وفى نفس الوقت نجد أن النطاق الساحلى الجنوبى شبه جاف حيث لا تزيد الأمطار سنوياً عن ٥٠٠ ملمتر فقط وتصل فى الداخل إلى ٥٠٠ — ١٠٠٠ ملمتر إلى أن تصل إلى ١,٥ متر فى هضبة لواندا(١) .

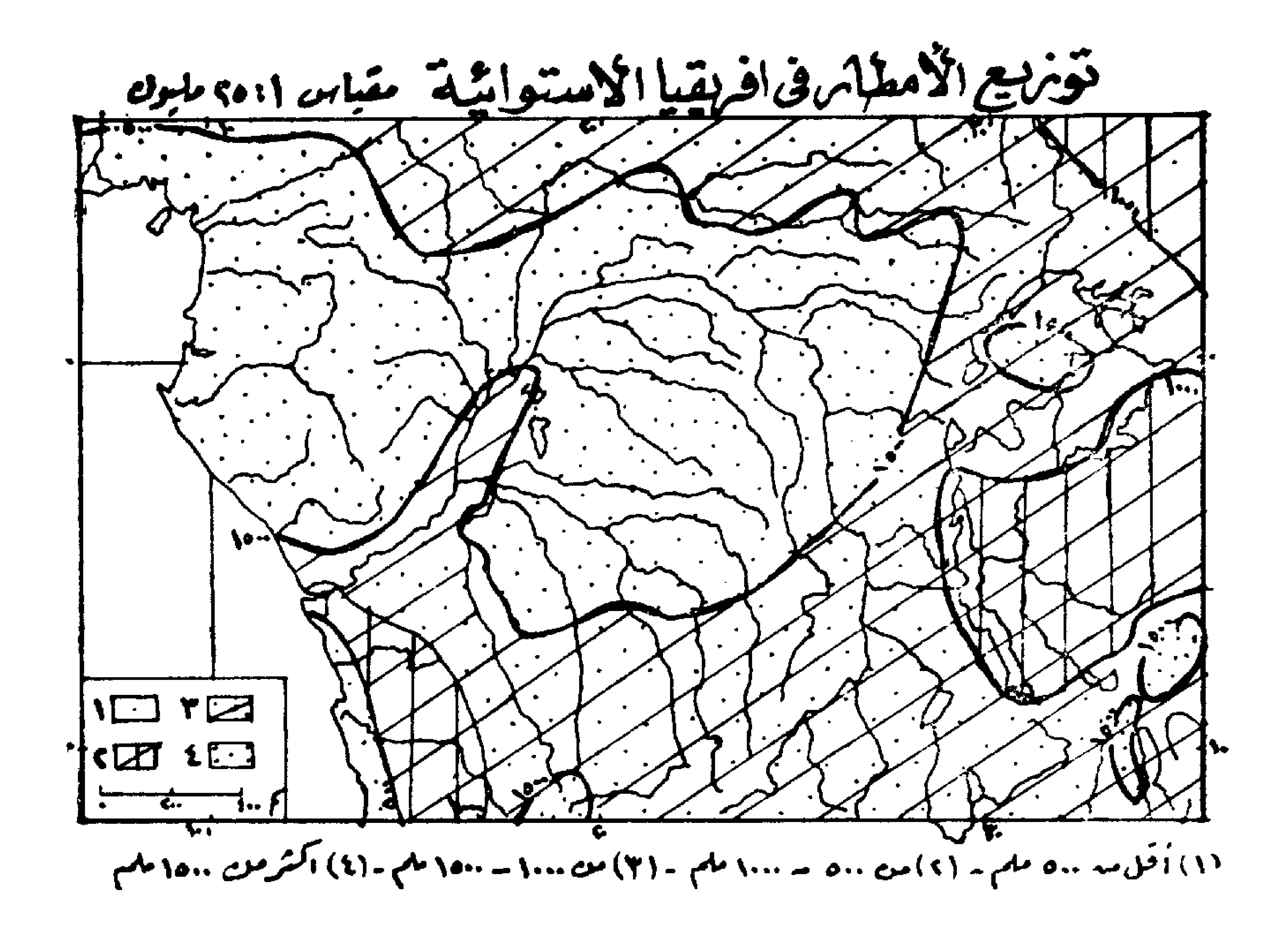
ويفسر هذه الاختلافات موقع كل منطقة بالنسبة لخط الاستواء وبالنسبة للمحيطين الاطلنطى والهندى وكذلك توزيع الضغط والرياح وإرتفاع السطح والمسطحات المائية وبالتالى تتم عملية التبخير ثم تسقط الأمطار يوميا فى فترة مابعد الظهيرة ثم تصفو السماء قبل غروب الشمس وتقل درجة الحرارة ليلا ثم تعاود الكرة فى اليوم التالى طيلة أيام السنة وتزداد هذه الامطار كما ذكرنا آنفا وقت تعامد الشمس على هذه المنطقة فى فصلى الربيع والخريف . وقد انعكس هذا على الحياة البشرية خصوصاً بالنسبة للأوربيين كما تصفه الـ Geog. Univ. أفضل وصف بالآتى :

C'est cette continuitê des pluies, beaucoup plus que leur quantitê qui rend le climat si penible à l'European : l'Homme vit dans une humiditê permanente, dans la vapeur ou suos la pluie, sauf la nuit, où le refraichissement subit de la tempêrature sous un ciel clair peut étre autrement mais êgalement dommageable à sa santê (1)

أما فى المرتفعات الشمالية والشرقية والجنوبية فان الأمطار أقل فى الكمية وفى المدة معا ، حيث تتركز الأمطار بصفة فصلية على فترة تعامد الشمس على كل من هذه المناطق ، فمثلا فى الاجزاء الشرقية نجد الظروف المناخية تختلف عن تلك السائدة فى منخفض الكنغو رغم وقوع هذه الأجزاء داخل النطاق الاستوائى كما هو الحال بالنسبة للمنخفض ولكن الأجزاء الشرقية تخضع لتأثيرات المحيط الهندى خصوصاً وأنها مرتفعة وبالتالى تسقط عليها أمطار تضاريسية ولكن نظراً لأن نسبة التبخر هنا

(١) 1-Geog. Univ. Op.cit. p. 18+ L'Afrique centrale et orientale Op.cit pp. 44-55.
(أنظر خريطة توزيع الأمطار) .

(٢) 1-Geog. Univ. op.cit. p. 20



اعلى من تلك الموجودة فى المنخفض الكنغولى بسبب نوع الغطاء النباتى السائد وهو السفانا والاستبس وبسبب عدم وجود المجارى والمسطحات المائية التى تعتبر خزانات مائية بعكس الحال فى المنخفض المجاور . نتيجة لذلك تقل الأمطار هنا عن المنخفض الكنغولى سواء فى الكمية أو فى الانتظام . كذلك نجد فى شمال حوض الكنغو فصلا جافا من ديسمبر إلى فبراير . أما فى كاتنجا – فى جنوب المنخفض – فلا تسقط أمطار بصفة كلية خلال شهور يونيو ، يوليو ، أغسطس . وبناء على ما سبق نجد أن المنطقة الاستوائية الداخلية لها نوعان من الأمطار : الأول : منخفض الكنغو ، الثانى الهضاب الداخلية . كذلك نجد أن – النطاق الساحلى له نوعان أيضا :

الأول : إلى الشمال والغرب حيث تغزر الأمطار بدرجة تفوق النطاق الاستوائى فى منخفض الكنغو ذاته وهنا نجد أيضا قمتين للأمطار نتيجة لهبوب الرياح الجنوبية الغربية المحيطية ، ولكن فى نفس الوقت يؤدى وجود فصلين تقل فيهما الأمطار إلى تحسين الموقف كثيراً عن النطاق الاستوائى الكنغولى .

الثانى : إلى الجنوب من رأس لوبيز حيث يوجد التيار البارد وبالتالى فان الرياح الغربية لاتسقط ما بها من بخار ماء على اليابس بعد مرورها على هذا التيار

وإنخفاض درجة الحرارة بها ، وتعتبر هذه المنطقة منطقة شاذة فى إفريقيا الاستوائية نتيجة لقلة الأمطار وإنخفاض الحرارة[1] .

ويمكن أن نخرج من العرض السريع السابق للظروف المناخية فى المنطقة الاستوائية إلى أن المناخ هنا يتحدد بنسبة الرطوبة ، وفى هذه المنطقة التى تزيد مساحتها عن سبعة أمثال مساحة دولة كفرنسا يمكن أن نجد خمس درجات من المناخ هى : —

١ — **المناخ الكنغولى: Climat Congolais** ويضم منخفض الكنغو كله ويتصف بالرطوبة الدائمة وقمتين للأمطار فى الربيع والخريف والحرارة المرتفعة طوال العام .

٢ — **مناخ أوبانجى : Climat oulbanguie** فى المرتفعات التى تفصل بين حوض الكنغو وأعالى حوض النيل وهنا نجد فصلا رطبا — الصيف — وآخر يسوده الجفاف — الشتاء — ورغم ذلك نجد تأثير موقعه بالقرب من خط الاستواء الحرارى واضح حيث الحرارة مرتفعة طول العام رغم إرتفاع السطح ، كما أن فصل الجفاف به أمطار أيضا نتيجة للتأثيرات الاستوائية .

ومن ثم فانه يطلق عليه اسم مناخ دون استوائى أو شبه استوائى Subequatoriale أكثر أن يكون مناخا مداريا .

٣— **المناخ الكاتنجى : Climat Katanguien** وهو مناح مدارى حقيقى ويمتد من هضبة لواندا عبر كاتنجا حتى المرتفعات التى تحيط ببحيرة تنجانيقا من الغرب . ونظراً لأن هذه المنطقة أكثر بعدا عن خط الاستواء الحرارى فان الحرارة بها منخفضة نوعا ومحتملة ويوجد فصل لطيف بين يونيو وأغسطس حيث تصل الحرارة فى البزابث فيل (لوبومباشى الآن Lubumbashi) ١٦ مئوية فقط فى خلال شهر يوليو ، أما فى شهر أكتوبر (شهر الحرارة) فأنها تصل إلى ٢٤ م . كذلك يوجد هنا فصل جاف بشكل واضح كما أشرنا . وهذا المناخ هو الذى يحتمله الأوربيون فى منطقة الكنغو كلها . ومما ساعد على ذلك وجود ثروة معدنية متنوعة وغنية فى هذه المناطق المعتدلة .

---

(١) Geog.Univ op. cit. 21-22 + Fitzgerald. op. cit. 293.

٤ — المناخ الجابونى : Climat Gabonai ويقع إلى الشمال والغرب من حوض الكنغو ، ويؤدى الموقع الاستوائى إلى الحرارة المرتفعة الدائمة والأمطار الوفيرة لكنه يختلف عن نظام الحوض الكنغولى فى وجود فصلين وشبه جافين وفى بعض الأماكن يصبحان جافين تماما .

٥ — المناخ البنجويلى : Climat benguellien ويقع فى جنوب غرب المنطقة الاستوائية — وقد سمى بهذا الاسم نظراً لسيادة تأثير تيار بنجويلا البارد الذى يؤدى إلى إنخفاض درجة الحرارة وسيادة الجفاف النسبى[١] .

ومن العرض السابق يتضح أن المناخ الكاتنجى هو أكثر أنواع المناخ فى أفريقيا الاستوائية ملاءمة للاستقرار البشرى يضاف إلى ذلك كما سبق أن أشرنا وجود ثروة اقتصادية غنية . أما أقلها ملاءمة فهو منخفض الكنغو حيث الحرارة والرطوبة مرتفعة وكذلك النوع البنجويلى حيث الجفاف.أما النوعان الاوبانجى والجابونى فانهما من الأنواع الإنتقالية المتوسطة،ولكن مما يعوض من صعوبة الظروف المناخية فى هذه المناطق الساحلية قربها من المحيط الاطلنطى .

خامساً — نظم المياه والملاحة

يسيطر على حوض الكنغو النهر العظيم الذى عطى اسمه لهذا الحوض ذلك بسبب طول هذا النهر وكمية المياه التى يحملها معه من الداخل إلى المحيط الاطلنطى . ولكن رغم أن المياه التى يحملها نهر الكنغو إلى المحيط الاطلنطى أقل من تلك التى يحملها نهر الامزون إلى نفس المحيط رغم وقوعهما فى نطاق استوائى واحد . والسبب فى ذلك يرجع إلى موقع كل منهما بالنسبة للقارة التى يوجد بها فالكنغو فى غرب القارة الافريقية والامزون فى شرق قارة أمريكا الجنوبية الأمر الذى يؤثر على كميات الأمطار الساقطة على كل منهما — ورغم ذلك فأن نهر الكنغو يتصف بظاهرة فريدة وهى أن فيضانه دائم طول العام بعكس أنهار أخرى مثل النيل والنيجر اللذان يقتصر الفيضان فيها على فصل واحد من السنة وترجع هذه الظاهرة الفريدة إلى موقع حوض الكنغو ذاته حيث أنه يحيط بخط الاستواء وبالتالى فان الروافد التى تأتى إليه من

---

(١) Geog. Univ. op. cit. pp. 22-25 + Fitzgerald op. cit. p. 293.

نصف الكرة الشمالى وأهمها أوبانجى ، سانجا تحمل إليه المياه الوفيرة فى الفترة من مارس إلى نوفمبر يصل ذروته فى المجرى الأدنى للنهر فى شهر إبريل ويستمر كذلك حتى شهر أكتوبر ويبدأ فى التناقص التدريجى حتى ديسمبر . هذا فى حين أن أنهار والابا الوسطى لنهر الكنغو التى أهمها لومامى وكاساى فأنها مياههما تصبح وفيرة فى الفترة بين أكتوبر ومارس ويصل فيضانها إلى أدنى النهر فى أوائل نوفمبر ويستمر كذلك حتى فبراير ومارس وهنا يبدأ فيضان الروافد الشمالية مرة أخرى وهكذا .. ومن هذا الفيضان الدائم طوال العام استطاع النهر أن يشق طريقه عبر ا لحافة الهضبية الصلبة والتى تفصل حوضه عن المحيط الاطلنطى .

ونتيجة للظروف التكتونية التى حدثت فى منطقة حوض الكنغو وتكوين ثلاثة مستويات من المرتفعات أن أصبحت معظم روافد نهر الكنغو والنهر نفسه صالحة للملاحة فيما عدا المناطق التى يحدث فيها سقوط المياه من مستوى إلى مستوى آخر أقل . ومن هنا توجد عند مصب النهر سلسلة المندفعات المائية عند المستوى أو المدرج الأول bas Palier عند أدنى النهر (٥٠٠ متر تقريبا) ثم نجد بعد ذلك مندفعات المدرج الثانى عند المستوى العلوى من الحوض haut palier وأخيراً نجد المندفعات المائية على الهضبة sur les plateaux حيث توجد الصخور القديمة الصلبة من الجرانيت والنيس الاركى .

ومن المناطق الهامة الصالحة للملاحة biefs navigables سواء بالنسبة لنهر الكنغو أو روافده الهامة تلك التى توجد فى الجزء الأدنى من النهر حيث ترتبط هذه المسافات بعضها وتكون شبكة متصلة صالحة للملاحة . وفى أدنى النهر تستطيع السفن حمولة ٥٠٠ طن أن تصل إلى هذه المناطق خصوصاً وأن هذه المنطقة من النهر لا تنخفض فيها المياه طول العام كما أشرنا . كذلك نجد أن روافد نهر الكنغو التى توجد سواء فى الشمال أو الجنوب بها مسافات طويلة صالحة للملاحة للسفن ذات حمولة ٢٢ — ١٥٠ طن .

ولكن لسوء الحظ توجد عقبة واضحة بين المحيط الاطلنطى وحوض الكنغو يضطر النهر لاجتيازها وبالتالى فانها غير قابلة للملاحة فى المنطقة بين متادى وليوبولدفل (زائير الآن) حيث توجد شلالات لفنجستون . هذا فى حين أن منطقة

المصب الخليجى لنهر الكنغو صالحة للملاحة . كذلك توجد عقبة أمام الملاحة فى منطقة ستانلى فيل حيث توجد شلالات ستانلى (كيزنجانى الآن) وعلى نهر لوالابا بعد كيزنجانى نجد شلالات أخرى بعد مسافة ٣١٥ كم صالحة للملاحة ، إذ توجد شلالات شامبو Chambo حتى ميناء انفير Enfer وبعد هذه الشلالات نجد منطقة أخرى صالحة للملاحة من كونجولو حتى بوكاما طولها ٦٤٠ كم إلى أن تقابل أخيرا سقوط المياه من على الهضبة نفسها .

هذا مثال يوضح المراحل الثلاث التى تمر بها الارتفاعات فى حوض الكنغو وبلاشك فان حمولة السفن تقل كلما اتجهنا مع الروافد الأصلية للكنغو إلى أعالى مجاريها . ومن المقدر أن مجموع المسافات الصالحة للملاحة فى أنهار حوض الكنغو تصل إلى حوالى ١٢ ألف كم . ولكن لايوجد طريق ملاحى متصل حتى فى نهر الكنغو ذاته ، وإنما توجد أربع مسافات قابلة للملاحة تعترضها ثلاث مناطق تسقط فيها المياه مكونة الشلالات .

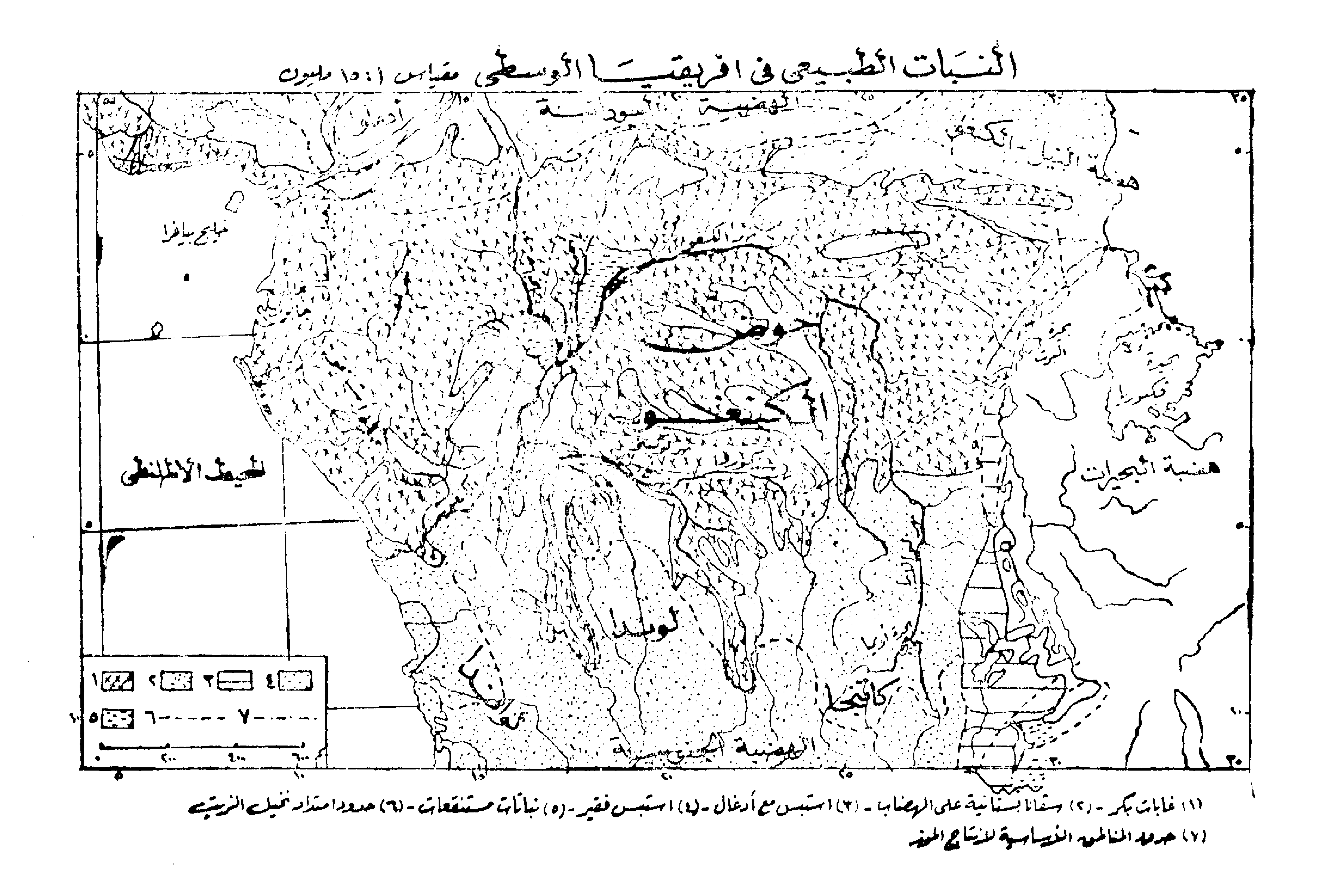
وبهذا نلاحظ إلى أى مدى يساهم نهر الكنغو وروافده فى الملاحة الداخلية والتجارة الداخلية والخارجية ، ولكن يقف أمام هذه التسهيلات من جانب آخر كثافة النباتات الطبيعية وكذلك الحشرات التى تجاور ضفاف الأنهار بصفة خاصة .

وبجانب نهر الكنغو وروافده يوجد نهر أوجوى ogooué الذى يعتبر صالحا للملاحة فى مجراه الأدنى حتى يصل إلى جبال كريستال حيث توجد المندفعات المائية . وكذلك الحال بالنسبة للانهار الساحلية الصغيرة حيث توجد مسافات صالحة للملاحة تعترضها عقبات طبيعية[1] .

سادساً ـ الحياة النباتية والحيوانية

تتركز العوامل الجغرافية المؤثرة على الأنماط النباتية وأنواع الحيوانات فى هذه المنطقة الاستوائية من أفريقيا فى عاملين هما الحرارة والضوء بالاضافة إلى عامل

(١) Geog. Univ. op. cit. pp.26- 29 + Fitzgeral, op. cit. pp. 265-297. + L'Afrique Centrale et Orientale op. cit. pp: 34-44.



(١) غابات بكر - (٢) سفانا بستانية على الهضاب - (٣) استبس مع أدغال - (٤) استبس فقير - (٥) نباتات مستنقعات - (٦) حدود امتداد نخيل الزيت
(٧) حدود المناطق الأساسية لإنتاج الموز

الرطوبة ، حيث نجد أن الرطوبة والحرارة يساعدان على نمو غابات كثيفة الامر الذى يمنع الضوء من الوصول إلى أرضية هذه الغابات . هذا في حين أن الرطوبة تقل كلما بعدنا عن خط الاستواء : وبالتالى تقل كثافة النباتات . وكلما ابتعدنا أكثر كلما وجدنا نباتات الحشائش (السفانا) أما فى المناطق المنخفضة فتوجد نباتات المستنقعات وهى مناطق ضئيلة إلى حد كبير : وبناء على ذلك فان توزيع أنماط النبات فى هذه المنطقة ما هو إلا إنعكاس للدرجة الرطوبة قبل أى شيء آخر Fonction du degré d'humidité وفيما يلى توزيع هذه الإنماط .

١ — الغابات البكر : La forét Vierge

وهى غابات كثيفة تتركز فى منطقة التقاء نهر الكنغو الرئيسى مع رافديه أوبانجى ، كاساى ,وكذلك الشريط الساحلى حول نهر أوجوى ، وكلما إقتربنا من المرتفعات بدأت هذه الغابات فى التلاشى وتحل محلها السفانا البستانية : وتصل هذه الغابات فى المساحة إلى حوالى ١,٥ مليوم كم ٢ . وفى هذه الغابات نجد أشجار المطاط ونخيل الزيت والموز وغيرها من أشجار الأخشاب مثل الاكاجو Acajuo (شجرة ذات خشب صلب يميل لونه إلى الأحمرار وهو قابل للصقل) والتك والاكومه O Koumé (شجرة ذات خشب وردى يستعمل فى النجارة)ومن المعروف أن هذه الغابة تبدو كما لوكانت خيمة من القمم الخضراء المتلاصقة حيث أن الأوراق تتجدد يوميا وبصفة مستمرة ، وتحت هذه الأشجار السامقة توجد أشجار أقل منها وهكذا ... وكما تصف الـ geog. Univ. ذلك خير وصف :

Sous l'enorme Voûté de feuillage s'est répandue une veritable profusion de Végétaux de toutes sortes, comme étages les uns au-dessus des autres.

وتعتبر الأنهار هنا من أهم الطرق الطبيعية فى هذه الغابات الكثيفة ومع ذلك فانها تعتبر أيضا أكثرها خطورة وذلك بسبب كثافة الأشجار حولها وكذلك بسبب الحيوانات والحشرات بجوارها أيضاً[1] .

---

(١) geog. Univ. Op. cit. p. 32-3

أنظر كذلك : Fitzgeral. Op. cit. pp. 39-42.

ومن أهم الحشرات السائدة هنا ذبابة تسى تسى ذات الأثر الضار بالنسبة للإنسان والحيوان وهذه هى مأساة الغابة الاستوائية حيث أن الحشرات الضارة تعيش بجوار الأماكن التى تجذب الإنسان إليها سواء لتسهيلات المواصلات أو لاستصلاح الأراضى أو لإمكانيات الصيد والقنص .

٢ ــ غابات الدهاليز : La forét-Gallerie

لايتحدد توزيع الغابات الاستوائية الكثيفة على المناطق السابقة وإنما تمتد منها ألسنة على طول المجارى المائية والوديان المنخفضة الرطبة حتى داخل المضبة المحيطة بحوض الكنغو نفسها . وهذه الأذرع هى التى يطلق عليها غابات الدهاليز . والاختلاف الوحيد بينها وبين الغابات البكر هو كثافة الغطاء النباتى حيث أن الاشجار هنا أقل أرتفاعا وأقل كثافة .

وقد نتج عن قلة الكثافة هنا آثار اقتصادية وبشرية هامة حيث أن الحياة هنا أكثر يسراً إذ أنه يصبح فى الإمكان استغلال الأراضى زراعياً بعد تقطيع الغابات كذلك نشأت العلاقات التجارية والتحركات السكانية بين هذه الأماكن قبل مجىء البيض . هذا بالإضافة إلى أن قلة الكثافة النباتية ساعدت على وجود حياة حيوانية ثديية فى حين أن ذبابة تسى تسى يقل وجودها هنا نتيجة لوصول الضوء بقدر أكبر من الغابات البكر .

ويتركز وجود غابات الدهاليز فى المنطقة المحصورة بين غابات منخفض الكنغو الاستوائية الحقيقية وبين المحيط الاطلنطى سواء من جهة الشمال أو بالغرب وتتركز أكثر ما تتركز حول المجارى التى تتصل بالكنغو الأدنى . كما توجد فى مرتفعات مايومبى ، نيارى ، كويلو .

٣ ــ السفانا البستانية والأدغال : Savana, Parc et Brousses

كلما اتجهنا شمالا أو جنوبا كلما حل نظام المطر الموسمى محل الأمطار الاستوائية الدائمة طول العام بقمتين واضحتين . وهنا تحل حشائش السفانا والبساتين محل الغابات الاستوائية . ولكن يلاحظ أنه نظراً لأن خط الاستواء الحرارى يقع إلى

الشمال من خط الاستواء الفلكي فان السفانا والبساتين تبدأ فى نصف الجنوبى فى مناطق كاتنجا وهضاب منطقة تقسيم المياه بين الكنغو والزمبيزى أى فى عروض أقرب إلى خط الاستواء الفلكي من تلك التى توجد فى نصف الكرة الشمالى التى لا تبدأ إلا إلى الشمال من الأوبانجى ومنابع نهر سانجا حيث يوجد النطاق السودانى .

ونظراً لأن الأمطار هنا فصلية فان الحشائش تزدهر فى فصل الأمطار ومابعده فى حين أنها تجف فى فصل الجفاف ومن ثم فان التربة هنا تبدو عارية من النبات فى فصل من السنة . كما أن هناك بعض المناطق التى توجد فيها الأشجار المبعثرة مع الحشائش فى حين أنه فى أماكن أخرى توجد الأدغال التى تتلاءم مع ظروف الجفاف .

وأهم الأشجار السائدة هنا من فصيلة السنطيات Acacia والشجرة المميزة لهذا النطاق هى شجرة التبلدى أو الباوباب وتوجد بكثرة فى كل الأجزاء الغربية من هضاب إقليم الكنغو الأدنى . ما يومبى ، كاساى . وكلما أتجهنا ناحية الجنوب كلما بدأ الاستبس والحشائش الجافة فى الازدياد خصوصا فى المنطقة الغربية من أنجولا حيث تيار بنجويلا البارد .

وفى داخل السفانا توجد مجموعات من الأشجار المتكاثفة نوعا ما وهى التى يطلق عليها البساتين أو كلما يطلق عليها علماء التربة الألمان Park land schaft. وتوجد هذه الغابات فى المناطق الرطبة ويطلق عليها فى منطقة كاتنجا اسم تندا Tenda أما من حيث الحيوانات فانه نظراً لطبيعة الغطاء النباتى السائد هنا فأنه توجد الحشرات والحيوانات الضخمة مثل الفيل والكركدن والزواحف وغيرها .

وكذلك يوجد النمل الأبيض الذى يدمر الطبقة العضوية اللازمة للزراعة ويبنى له بيوتا عالية يصل إرتفاعها إلى خمسة أمتار يؤمها الأهالى عندما تحدث فيضان ويطغى على مساكنهم (١) .

٤ — النباتات المائية : Formation Aquatique

توجد على ساحل المحيط الاطلنطى إلى الشمال من خط الاستواء وكذلك فى

---

(1) Geog. Univ. Op, cit. pp. 34-5. + L'Afrique central et orientale pp. 62-65. (١)

داخل حوض الكنغو مناطق أمغبية حقيقية . فعلى الساحل الممتد من كويلو (نهر كلويلو إلى الشمال من مصب نهر الكنغو عند ٥ شمالا تقريبا) حتى خليج بيافرا فى الشمال توجد المستنقعات الساحلية lagunes التى تمتد بحذاء الساحل وفيها توجد نباتات المنجروف التى تتكون من اشجار تنمو فى المستنقعات (ذات قشور طبية) Palétuviers ذات جذوع تخرج من الطين لتنتهى فى الهواء ولها أنواع كثيرة من النخيل والرافيا Raphia والكاذى Pandanus * والروتانج Rotins (أسل الهند) والركام Fouillis ويوجد هذا الغطاء النباتى بين اليابس والماء والاجزاء الوسطى الموحلة الأمر الذى يجعل الاتصال صعبا بين اليابس والماء .

كذلك يوجد مظهر نباتى آخر هام لأنه يمتد فى مساحات واسعة وبالتالى يؤثر فى حياة إفريقيا الوسطى ، يوجد فى الأحواض الواسعة ذات المستنقعات فى المنطقة بين Mongala * وادنى نهر اوبانجى والكنغو الأوسط وكذلك حول بحيرة ليوبولد الثانى كذلك توجد بمحاذاته ادنى نهر سانجا . وفى أعالى نهر لفندو Livindo إلى رافد الأوجوى وحول دلتا نهر اوجوى وفى هذا النمط النباتى توجد الأشجار والحشائش والبردى وتعوق حركة الملاحة فى هذه الأنهار كما توجد بها الحشرات . ولكن النبات النافع منها هو نبات البردى .

أثر الظروف الجغرافية الطبيعية على الموارد الطبيعية

والسؤال الآن : ماهى الفوائد التى يمكن أن يستفيد منها السكان الوطنيون من هذه الموارد الطبيعية ؟ فيما يتعلق بالموارد الزراعية يمكن استغلال الظروف الجغرافية فى زراعة كثير من المحصولات الهامة سواء الغذائية أو النقدية وقد استغل السكان هذه الظروف فى زراعة الموز الذى يقدم الغذاء والملبس والمأوى longement, vêtement et nourriture وقد اتى هذا المحصول أصلا من الهند . كذلك يزرع نخيل الزيت الذى أتى أصلا من أمريكا بالاضافة إلى الفول السودانى الذى لم تعرفه إفريقيا الوسطى إلا فى القرن السادس عشر ، والكسافا (المانيوق) الذى وصل إلى هذه المنطقة فى القرن السابع عشر وكذلك يزرع الأرز والسورغم والذرة والطباق والخضروات

* شجر للزينة جميل رائحة الزهر .
* مونجلا أحد روافد نهر الأوبانجى .

والفواكهه مثل الأناناس والجوافة ، المانجو ..... الخ بجانب قصب السكر والموالح والسمسم . اما بالنسبة للمحصولات الليفية فيزرع القطن والنخيل والباوباب .

ويكفي أن نذكر هنا أن إنتاج قصب السكر بلغ حوالى مليون طن في الكنغو الشعبي وحده فى عام ٦٩–٧٠ وزيت النخيل وصل انتاجه فى الكمرون فى عام ١٩٦٩ حوالى نصف مليون طن . وفى الكنغو الديمقراطى حوالى ٢ مليون طن . وبلغ إنتاج المطاط الطبيعى فى الكمرون فى عام ١٩٦٩ حوالى ١٣ الف طن وفى الكنغو الديمقراطى – ٣٥ ألف طن وبلغ انتاج البن فى الكمرون حوالى ٨٢ الف طن وبذرة الكاكاو فى الكمرون حوالى ١,١ مليون طن وفى غينيا الاستوائية – ٣٠ الف طن وبلغ انتاج الذرة فى الكمرون حوالى ٣٢٠ الف طن [١] .

كذلك تحوى المنطقة كما سبق ان ذكرنا ثروة خشبية كبيرة وقد بلغ انتاج الكنغو الديمقراطى من الأخشاب غير المصنعة فى عام ١٩٦٩ حوالى ١١,٥ مليون متر٣ والكمرون حوالى ١١ مليون م٣ وبلغت قيمة الصادرات ومنتجات الغابات فى عام ١٩٦٩ من الكنغو الديمقراطى بما قيمته ٢٤,٥ مليون دولار إمريكى والكمرون بما قيمته حوالى ٢٠ مليون دولار وجابون حوالى ٥٢,٥ مليون دولار .

أما عن الثروة الحيوانية فهى بلاشك ثروة ضئيلة نتيجة للظروف الطبيعية السائدة فى المنطقة وانتشار الحشرات الضارة المترتبة على هذه الظروف .

ولاشك أن الظروف الطبيعية بما فيها من غزارة فى الأمطار وإرتفاع درجة الحرارة وسيادة الغابات الكثيفة فى مساحة كبيرة من المنطقة قد وقفت أمام التقدم الزراعى وتربية الحيوان فى هذه المنطقة الاستوائية من افريقيا إلا فى بعض المناطق وهما حرفتان لهما تأثير واضح على التطور الحضارى بصفة عامة وهذا بعكس الحال فى إفريقيا الشرقية التى اتى إليها العرب والأوربيون بالمحصولات الجديدة والحيوانات الأجنبية وانتشر كلاهما على نطاق واسع . وتقتصر الزراعة والرعى فى إفريقيا الاستوائية على الحواف الخارجية المحيطة بمنخفض الكنغو . ومن هذا نرى أنه ابتداء

---

(١) U.N. Etudes des conditions Economiques en Afrique Partie I 1970 pp. 282-286.

من التكوين الجيولوجى حتى الغطاء النباتى نجد أن هناك تعارضا بين منخفض الكنغو والحواف المرتفعة المحيطة به هذا التعارض الذى نجده أيضا فى حياة السكان الوطنين[1].

ولتبيان العلاقة الضيئلة بين السكان والأراضى القابلة للزراعة فى إفريقيا الاستوائية نذكر البيان التالى[2] :

الدولة أو المنطقة	العلاقة	مساحة الأرض القابلة للزراعة
أفريقيا الوسطى عموما *	٠,٦٩	٢٧,٣٩ مليون هكتار
الكمــرون	٠,٧٧	٤,٣٠ مليون هكتار
أفريقيا الوسطى	٤,١٣	٥,٩٠ مليون هكتار
الكنغو الشعبى	٠,٧٠	٠,٦٣ مليون هكتار
الكنغو الديمقراطى	٠,٣٥	٧,٢٠ مليون هكتار
غنيا الاستوائية	٠,٧٨	٠,٢٢ مليون هكتار
جابــون	٠,٢٧	٠,١٣ مليون هكتار

ولكن الظروف الطبيعية التى وقفت أمام حرفتى الزراعة والرعى فى أفريقيا الوسطى الاستوائية عوضتها فى الموارد المعدنية حيث تكون هذه المنطقة مخزنا كبيراً لكثير من المعادن ، فضلا عن عدد من المعادن ذات القيمة الاستراتيجية الكبرى مثل اليوارنيوم والكوبالت وغيرهما إذ تنتج كاتنجا وحدها نصف إنتاج العالم (باستثناء الاتحاد السوفيتى) من اليورانيوم وتنتج جابون ٤,٥ ألف طن (١٩٦٦) والكنغو الديمقراطى عموما ٥,٥ ألف طن (١٩٦٦) ولتوضيح هذه الثروة المعدنية فى المنطقة نذكر البيان التالى[3] :

البترول الخام (١٩٦٩)

جابون	٥,٠٥	مليون طن
أنجولا	٢,٤٦	مليون طن

(١) 1 — geog. Univ. Op. cit. p. 37

* يقصد بافريقيا الوسطى هنا روافدا ، بوروندى ، غينيا الاستوائية ، الكمرون ، الكنغو بنوعيه ، إفريقيا الوسطى ، تشاد ، جابون .

(٢) 2 — U.N. Op. cit. p. 287.

(٣) 3 — U.N. Op. cit. pp. 300-302.

الغاز الطبيعي (١٩٦٩)

جابون	٢٤	مليون متر مكعب

النحاس (١٩٦٩)

الكنغو الديمقراطي	٣٥٦	ألف طن

الذهب (١٩٦٩)

الكنغو الديمقراطي	٥,٥	طن
الكنغو الشعبي	٠,١	طن
جابون	٠,٤	طن

الماس (١٩٦٩)

الكنغو الديمقراطي	١٣,٨٧	مليون قيراط
الكنغو الشعبي	١,٤٥	مليون قيراط (مبيعات)
إفريقيا الوسطى	٥,٤	مليون قيراط

مراكزات القصدير : (١٩٦٩)

الكونغو الديمقراطي	٦٦٨٢	طن

وتكون هذه الثروة المعدنية نسبة كبيرة من صادرات دول إفريقيا الإستوائية (١٩٦٩) حيث تكون فى جابون ٥٩٪ من البترول ، وفى إفريقيا الوسطى ٤٤,٤٪ من الماس ، الكنغو الشعبي ١٣,٥ ٪ من الماس ، والكمرون ٥,٩ ٪ من الالمنيوم والكنغو الديمقراطي ٨٦٪ من النحاس .

إلا أننا نعود مرة أخرى فنؤكد الملاحظة السابقة وهى أن معظم الثروة المعدنية أيضا تتركز على حواف منخفض الكنغو وكأننا بذلك أمام رقعة من قماش حواشيها من ذهب . ولكن هذه هى النظرة الحاشرة إلا أن المستقبل كفيل بتذليل العقبات التى تقف أمام الاستغلال الأمثل لهذه الثروات الطبيعية سواء فى المنخفض الكنغولى أو فى الحواف المحيطة به كما أنه كفيل باظهار ماهو مخبوء من ثروات لم تكتشف بعد .

---

(١) U.N. op. cit. p. 306

قرية هـــورين

دراسة انثروبولوجية ميدانية

للدكتور سعاد شعبان

An Anthropologicol Study of Horeen Village

Dr. Soad Shaaban

A study of the social and cultural aspects of a rural community. The data was collected through intensive field work by means of participant observation of individual behavior and attitudes as indicative of the prevailing values and beliefs of the community.

It is indeed noticable that in Egypt today, as in some other African countries, rural communities are undergoing radical changes which have been caused by a number of factors. There is an increasing demand today calling for the development of the Egyptian village as one of the objectives of national plans for development.

The situation precipitated the need for studies covering the various aspects (economic, religious, political, as well as the patterns of kinship relatious, etc.) of the existing social systems. The anthropological approach is the most suited for giving a comprehensive and over all picture of a community.

The research revealed an urgent need for the study of rural communities bringing to light their cultural traitsbefore they are ovorwhelmed by the accelerating social changes. Such a written resord of the Egyptian villages will serve in the future as a mainstay for further research aiming at a deeper understanding and insight into rural life.

يهدف البحث إلى التعرف على جميع عناصر الحياة الاجتماعية والحضارية فى مجتمع قروى عن قرب ، دراسة ميدانية مركزة تعتمد على الملاحظة والمشاركة لسلوك وتصرفات الأفراد فى ضوء القيم والعقائد السائدة فى المجتمع . وذلك لأنه مما يلاحظ فى هذا العصر أن المجتمعات الريفية فى مصر وبعض بلدان أفريقيا قد شهدت

تغييرات جذرية نتيجة عوامل متعددة ، وقد ارتفعت الصيحات بضرورة تطوير القرى المصرية فى خطط انمائية وعمرانية . لذلك كان لابد من القيام بدراسات تتناول الأنظمة الاجتماعية من جميع جوانبها – الاقتصادية والدينية والسياسية والقرابية. والدراسات الانثروبولوجية هى أفضل المناهج للوصول إلى الصورة الكلية الشاملة للمجتمع .

وقد أوضحت الدراسة أهمية التعجيل بدراسة المجتمعات الريفية وتسجيل ملامحها الثقافية قبل أن يدهمها تيار التغير الاجتماعى السريع ، حتى نعثر لقرانا فى يوم ما على تاريخ مكتوب يمكن الاستفادة منه كمنطلق للأبحاث المستقبلة لفهم حقيقة الحياة الريفية .

وقرية « هورين » تقع على الطريق الزراعى الذى يصل بين مدينتى بركة السبع (محافظة المنوفية) ، ومدينة زفتى (محافظة الغربية) ، وإن كانت أقرب من بركة السبع عن زفتى ، فهى لا تبعد عن الأولى سوى حوالى ٥ كم فى حين أن المسافة بينها وبين زفتى حوالى ٢٠ كم .

وتعتبر قرية هورين من القرى الكبرى فى مركز بركة السبع ، وتعتبر مركز اشعاع بالنسبة للعزب والكفور المجاورة لها ، حيث أنه يتبعها اداريا قرى (كفر هورين ، كفر نفزه ، كفر عليم ، كفر الشيخ طعيمة ، الحلاشة ، كفر هلال) . أما من الناحية الطبيعية فانها لا تتميز بملمح تضاريس واضح سواء من حيث الارتفاع أو الانخفاض . ولا تختلف عن الأراضى الزراعية المجاورة لها [1] .

وكانت هورين تابعة لمركز السنطة ، الذى يتبع محافظة الغربية حتى عام ١٩٦٣ وبالتالى كانت صلتها بزفتى أقوى من ناحية الخدمات رغم قرب المسافة من بركة السبع [2] .

وقد كان للموقع الهام للقرية وتوسطها تقريبا على الطريق الرئيسى الذى يربط مدينة زفتى بمدينة بركة السبع – أن أصبحت لها وظيفة مركزية على هذا الطريق

---

(١) من واقع بيانات وزارة الزراعة . الإدارة العامة للأراضى . ١٩٦٦ .

(٢) ملاحظات شخصية .

فهى تمثل مركز الدائرة تتناثر حولها القرى وترتبط بها وتعتمد عليها فى مختلف الخدمات الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية .

لذلك أختيرت هورين مقرا للمجلس القروى ونقطة الشرطة ومختلف الخدمات المركزية الريفية التى تخدم هورين والقرى السبع المجاورة لها .

ولقد تبع زيادة العلاقات بين أهالى هورين والقرى المجاورة لها ، أن زادت الصلات الاجتماعية بين الأهالى ، وارتبطت العائلات فى تلك المنطقة بروابط المصاهرة .

دراسة ميدانية

فى قرية هورين المصرية

قرية هورين قرية قديمة ، ذكرت فى كتاب وقف الأشرف برسباى المحرر سنة ٨٤١ هـ ، ثم تتابع ذكرها . فى القاموس الجغرافى[1] ورد أن هورين قرية قديمة وردت فى قوانين ابن مماتى وقد ذكر أنها من أعمال جزيرة قويسنا لمجاورتها لناحية (تطالية) تطاى ولتميزها من هورين بهرمس ، وفى تحفة الارشاد وردت محرفة باسم هروين تطاية من الأعمال المذكورة ، وفى التحفة هورين تطاية من أعمال الغربية ولما اندثرت هورين بهرمس وأضيف زمامها إلى ناحية المحلة الكبرى حذف المضاف إليه من هورين تطايه فأصبحت بغير مميز ، ولذلك وردت باسمها الحالى فى تاريخ عام ١٢٢٨ هـ .

ومن التاريخ الأسطورى ما يحكيه المسنون عن أصل كلمة هورين وكلها روايات متشابهة تقريبا .

كان فى قديم الزمان سيدة غنية اسمها « رين » وكانت تهوى الرحلات ، فضمن جولاتها مرت على هذه القرية ، فعجبها الهواء واتخذت لنفسها مقرا بها ، وكان كلما مر علنها إنسان يعجب بهذا الهواء ويقول :

« ما أجمل هوارين » وأخيرا حرفت إلى هورين ، وتجمع حول هذه السيدة

---

(١) القاموس الجغرافى - تحقيق محمد رمزى ص ١١ ، ١٢ الجزء الثالث .

جمع من الناس استقروا بالقرية . ونفس الأسطورة تحكى ولكن بطريقة مختلفة ، فقد قيل :

إن رين هذه ابنة ملك . وذات يوم مرضت ودار البحث لها عن مكان لتشفى من مرضها وكان قد وصل بها المطاف إلى هذه المنطقة ، وبمجرد أن مكثت فترة ، شعرت بالراحة وشفيت من مرضها ، وقالت ضمن ما قالته : « الله هوارين » بمعنى (هواء نقى) — ثم حرفت إلى هورين البشرى بمعنى (هواء جميل) .

ومما يقال أيضا أنها ربما تكون كلمة فرعونية .

كما يقال أيضا أنها نسبت إلى هارون الرشيد ، وذلك عندما كان حاكما ، ومر فى ذلك الوقت بهذه البلدة ، وبذلك نسبت إليه وحرفت إلى « هورين »[1] .

ومن الروايات التاريخية القريبة نسبيا أن سيدى فهد الرجال وسيدى حسين المغربى هما بدء نشأة القرية وتعميرها حيث التف حولهما الأتباع والمحاسيب واستوطنوا بالقرية .

ويعيش الفلاح — داخل القرية فى منزل يطلق عليه (الدار) وهو منزل كبير يتسع للعائلة بأكملها ويتكون عادة من طابق أو طابقين ويشتمل على عدد كبير من الحجرات .

ويتوسط الطابق الأول صالة يطلق عليها (وسط الدار) توجد على جانبيها مصاطب طينية أو أرائك خشبية (كرويته) أو الاثنان معا .

والحجرات جميعها مساحاتها كبيرة وارتفاعها لا يقل عن أربعة أمتار ، وتختلف أسماؤها باختلاف الغرض منها .

فالحجرة التى يوجد بها الفرن الكبير وتستخدم للنوم شتاء تسمى بالقاعة (الآعة) ، والحجرة المستخدمة للجلوس فقط تسمى (المندرة) ويحتفظ فى (المتبن) — وهو حجرة أو مخزن للتبن — بعلف الماشية . أما الحظيرة أو (الزريبة) وهى فى نهاية وسط الدار ، فهى مكان ايواء الماشية .

---

(٢) من راويات كبار القرية .

وحجرات المعيشة تخلو من أى أثاث سوى الحصير المجدول أو الاياس . كما توجد أيضا المساند بجوار الحوائط . وفى المندرة أو الآعة قد نجد دولابا أو أكثر فى (الحائط) ويستخدم لحفظ الأشياء . أما الملابس فغالبا ما تعلق على مسامير فى الجدار ، أو على حبل مشدود بين مسمارين ويسمى (السيارة) . ولا تخلو دار من وجود (الصفة) وهى عبارة عن مخزن على شكل صندوق طويل يتوسطه باب يسمح بدخول أحد أفراد الأسرة لوضع أو استحضار الأشياء المحفوظة داخله — والصفة هى أفضل مكان لحفظ الأشياء الضرورية مثل اللبن والسمن والزبد والخبز بعيدا عن الحشرات وتقلبات الجو .

ويوجد أسفل السلم الداخلى المؤدى إلى الطابق العلوى أو بجوار الزريبة فى نهاية وسط الدار يوجد حجرة صغيرة ، تستخدم كمرحاض — وهى عبارة عن فتحة سفلية تنتهى بخزان أو بئر ينزح ما به مرتين أو أكثر سنويا . ويوجد بداخل المرحاض اناء صغير للاغتسال (عادة ابريق مصنوع من الفخار) .

وحجرات المعيشة تشتمل على نافذة أو أكثر ذات باب خشبى ، أو طاقة بغير باب أو ذات قضبان حديدية . أما الحجرات الخالية من النوافذ أو الطاقات فتوجد بها فتحة علوية يطلق عليها (ناروزة) . تستخدم للتهوية وكمنفذ للضوء .

وإذا كان بالدار طابق ثان فان سلما جانبيا مصنوع من الطوب والطين ، يفضى إليه ، وغالبا ما يكون هذا السلم بغير سور خارجى ، وربما يستخدم السلم التقالى (سلم خشبى متنقل) للوصول إلى الطابق الثانى .

ويؤدى السلم إلى صالة يطلق عليها البعض كلمة (سباط) وهى تتوسط الطابق العلوى . وتوجد على جوانب الصالة أو السباط حجرات كتلك التى توجد فى الطابق السفلى وان كانت أقل عددا وأصغر مساحة . والحضير هو أصغر هذه الحجرات ويستخدم لحفظ الأشياء ، وقد يستخدم أحيانا للنوم . ويوجد فى جوانب الصالة عشش للطيور والأرانب .

وحجرات الطابق العلوى — ماعدا الحضير — يطلق عليها جميعا (مآعد) . وفوق السطح (أعلى المآعد) تخزن الغلال والذرة (كيزان الذرة بأغلفتها (والمسكة)

وهى أقراص مصنوعة من روث الحيوانات المخلوط بالتبن وتستخدم للوقود . وتسمى مخازن الغلال (بالزواليع) مفردها (زلوع) ، وهى تبنى على شكل أقماع من الطوب والطين ، ومغلقة تماما من جميع جوانبها ويمكن فتحها من أعلى عند اللزوم . وأمام الدار توجد غالبا مصاطب تستخدم للجلوس فى أوقات العصر أو فى المساء خاصة فى فصل الصيف ، وغالبا ما تفضل المرأة الجلوس على الأرض أمام الدار تاركة لزوجها وضيوفه المصاطب .

أما الباب المفضى إلى داخل الدار فهو ضخم طولا وعرضا ويتكون من ضلفة واحدة ، وأحيانا قليلة من ضلفتين ويغلق من الخارج بواسطة مفتاح طويل . ومن الداخل يقفل بالضبة والمفتاح . وقد يوجد عليه مقبض من الحديد أو الخشب يدق من الخارج عند اللزوم .

إلى جانب الفرن الكبير فى (الآعة) يوجد أيضا مواقد أخرى فى وسط الدار — ويطلق على الموقد الصغير (الفرن النقالى) وعادة ما يكون تحت السلم أو فى ركن داخلى من وسط الدار . وكذلك يوجد (الكانون) . وكلها تستخدم لطهى الطعام أو لعمل الخبز .

كذلك توجد طلمبة المياه (الطرمبة) فى ركن من أركان وسط الدار . وأحيانا لا توجد . فتضطر نساء الدار إلى احضار الماء فى آنية من طلمبات بالخارج . أما الدار فتصنع من (الطوب النيىء) . وهو صناعة محلية . وسقف الدار عبارة عن جذوع الأشجار ، غالبا من شجر الكافور أو البأس — ثم يوضع البوص أو الغاب البلدى المجدول بالتيل . فوقها بعكس اتجاهها ، ثم توضع طبقة من الطوفة(الطين المخلوط بالتبن) فوقها جميعها ليتماسك السقف (وهذه العملية تسمى الترصيعة) . إن وجدت وليصبح السقف أكثر تماسكا واحتمالا . ولبناء الدار وعمل السقف يستأجر عامل خاص (البناء) . وقد يقوم أهل الدار من الرجال بهذا العمل — إن كان لهم خبرة به — أو الاثنان معا (أهل الدار بمساعدة البناء) أما عمليات الدهاكة فتقوم بها نساء الدار دون الرجال . وأما أرضيات الدار فكلها من الطين المدهوك دهكا جيدا وترش بالماء عند تنظيفها . إلى جانب هذا النوع من البيوت — وهو الغالب لدى الفلاح العادى — دور أخرى بنيت حديثا من الطوب الأحمر ، وتتكون

فى الغالب من طابق واحد وأحيانا من طابقين . وهى لا تختلف عن منازل المدن إلا من حيث اتساعها واحاطة معظمها من الخارج بحديقة صغيرة تربى فيها الدواجن .

ولا يستخدم هذه المساكن سوى الموظفين من أهل القرية . كما أن أثاث هذه المنازل يشابه اثاث منازل المدن .

هذه هى إنماط السكن داخل القرية . ولكن غالبا ما يكون للفلاح دار اخرى — مؤقتة — فى الحقل يبيت فيها عند نضوج المحاصيل التى يخشى عليها من السرقة لحراستها ، أو التى تحتاج لرعاية دائمة خاصة حدائق الفاكهة — أو فى أوقات الرى.

وهناك بعض الاختلافات بين الدار فى القرية ومثيلتها فى الحقل . فبينما يتسع دار القرية للأسرة جميعا — إن لم تكن عائلة — فان دار الحقل لا تتسع إلا لعدد من الأفراد غالبا ما يكون من عمال الحقل أو واحد أو أكثر من رجال الأسرة . لذا فانها تتكون من حجرة واحدة قد توجد بها نافذة واحدة أو لا توجد على الاطلاق. وليس بها شىء سوى حصيرة أو كمية من القش . بدلا من الحصير وأدوات عمل الشاى . وقد تلحق بها حجرة أخرى — مشابهة — للماشية إن وجدت .

هذا ودور القرية متجاورة وملتصقة ببعضها . وتفتح على حارات طويلة متعرجة وملتوية وأحيانا على حارات مغلقة (أزقة) مفرد (زقاق) ولا توجد أسماء للحارات أو أرقام الدور . ولكن يسهل الاستدلال على الأشخاص فى القرية بمجرد السؤال رغم عددهم الكبير (حوالى ١٠ آلاف نسمة) .

وقد لوحظ بقايا بوابات خشبية ضخمة عند مدخل بعض الحارات . كانت تستعمل فيما مضى خشية هجمات اللصوص . فلا يستطيع أحد الدخول إلى الحارة بعد غلقها .

وكانت الحارة تجمع فيما مضى أسر يرجع نسبها إلى عائلة واحدة ولكن هذه البوابات لا تستخدم الآن لتوفر الأمن ولاختلاف نسب الأسر التى تقطن الحارة الواحدة . لذا فقد نزع بعضها وبقى البعض مهملا وشاهداً على حالها السالف .

ورغم ضيق الحارات وانحناءاتها وتعرجاتها إلا أنها تبدو دائما نظيفة . فلا نلاحظ عند أى دار بقايا الحيوانات التى يستخدمها الفلاح كسماد لأرضه . فهو

يقوم بحملها إلى الحقل مباشرة ، وتقوم االسيدات بتنظيف المكان دائما أمام الدار فتبقى الحارات نظيفة .

ولم يلاحظ اختلافا ما بين دور للقرية ومثيلاتها فى القرى المجاورة — وان اختلفت بعض المسميات فقط ككلمات صفة — مسكة — آعة . ولكن توفر النظافة بشكل ملحوظ سواء داخل الدار أو خارجها يبدو بوضوح فى هذه القرية بالمقارنة لغيرها .

أما بالنسبة لمساحة الأرض المنزرعة فى هورين فهى لا تتعدى حوالى ٢١٤٣ فدانا . بينما يبلغ عدد السكان المقيمين بالقرية ٩ آلاف من السكان[١] .

يعتمد الفلاح فى غذائه على الذرة والقمح ، أما القطن فلم تعد له تلك المكانة العالية التى كانت له من قبل كمحصول نقدى بل أدخل محصولات أخرى نقدية كالنتيل مثلا[٢] .

إلى جانب الأسمدة الكيماوية الحديثة ، يعتمد الفلاح على الأسمدة العضوية (السباخ البلدى) اعتمادا كبيراً .

ووفقا للحصر التصنيفى للتربة الذى قامت به وزارة الزراعة عام ١٩٦٦ وجد أن معظم مساحة الأرض التابعة لهذه الناحية ، هى أراضى جيدة الإنتاج ، ويغلب عليها التربة الرسوبية العميقة سواء منها الأراضى الطينية ذات القوام الثقيل أوالخفيف كما أن معظم الأراضى هنا ذات نسبة عادية من الأملاح الذائبة فى الطبقة السطحية أو بطول القاع ، ويلاحظ أن جميع أراضى الناحية خالية من القلوية فى الطبقة السطحية أو بطول القاع .

وقد اتضح من دراسة الماء الأرضى للناحية (فبراير ١٩٦٦) أن مستوى الماء فى غالبية الأراضى عميق .

وفيما يخص نظام الرى ، نجد أن الرى بالقرية يعتمد على الرى بالراحة أو بالرفع عن طريق السواقى وعموما فان حوالى ٤٠٪ من جملة الأراضى التابعة للقرية تعتمد

---

(١) من واقع سجلات الجمعية الزراعية التعاونية بالقرية .

(٢) ملاحظات شخصية .

على نظام الرى بالراحة معتمدة على مياه بحر أبو زهرة ، أى أن الجزء الذى يقع إلى الشمال من الطريق الزراعى يعتمد كله تقريبا على نظام الرى بالراحة . هذا فى حين أن الجزء الذى يقع إلى الجنوب من هذا الطريق يعتمد على وجه العموم — على نظام الرفع عن طريق السواقى من مياه نرعة العطف . فالملاحظ أن الأراضى التى تقع إلى الجنوب وإلى الشمال الشرقى من ترعة العطف والتى تدخل فى زمام القرية تعتمد على نظام الرى بالرفع عن طريق السواقى . هذا فى حين ان الأراضى التى تقع إلى الشمال الغربى منها تعتمد على نظام الرى بالراحة من ترعتى الديسة والطويل . أما وسائل الرى القديمة مثل الشادوف أو الطنبور فلم تعد تستخدم .

وفيما يتعلق بنظام الصرف فان ثلثى الأراضى الزراعية التابعة للقرية تعتمد على نظام الصرف المغطى . وهو عبارة عن شبكة من المواسير الأسمنتية مختلفة الأقطار مدفونة تحت الأرض بأعماق متدرجة حتى يمكن سريان المياه منها إلى المصرف العمومى ويركب بين كل ماسورة وأخرى (فلتر) لامتصاص المياه الزائدة عن حاجة الرى وتوصيلها إلى المصرف . ويلاحظ ان ثلثى الأراضى الزراعية التابعة للقرية تعتمد على نظام الصرف المغطى . والثلث الباقى لايوجد به أى نظام للصرف فيما عدا بعض « الرشاحات » الضيقة التى لاتقوم بعملية الصرف كما ينبغى أن يكون — وتوصل هذه المصارف المغطاه — المياه المتسربة إليها إلى المصرف الرئيسى الذى يخترق اراضى القرية هو مصرف « كلاالباب » وهو بحالة جيدة ومنسوب الصرف على ١,٥ متر وهو يصب فى مصرف زفتى .

والأراضى التابعة للقرية جميعها تعتبر أراضى أملاك خاصة بالأهالى . والحيازة الزراعية بها صغيرة ، حيث لايزيد ما تمتلكه الغالبية العظمى من المزارعين عن خمسة أفدنة ، بينما تنحصر الملكيات الأكثر من عشرين فدانا فى ثلاث أفراد من عائلات مختلفة . وبذلك توزعت الملكيات الزراعية على العائلات توزيعاً متساوياً إلى حد كبير . ولم تستأثر إحداها أو بعضها بنصيب كبير من الأراضى ليعمل باقى سكان القرية أجراء فيها .

وكان صغر مساحة الأراضى المملوكة نتيجة تفتيت فى الملكية الزراعية نتيجة لثبات المساحة الزراعية وتكاثر السكان . ولكن للتغلب على هذه المشكلة اتبع نظام

الدورة الزراعية الثلاثية ، التى تعتمد على تجميع الأراضى الزراعية تحت محصول واحد ، وفقا لنوعية الأراضى الزراعية .

هذا وعندما صدر قانون الإصلاح الزراعى فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ وما تلاه من قوانين تحديد الملكية الزراعية . لم يكن فى القرية كلها من ينطبق عليه تلك القوانين وقد ادى هذا إلى التعاون بين العائلات وعدم ظهور الطبقات فى داخل المجتمع ، كما أن صغر الملكيات ساعد على التكاثف إزاء ما يعترض الزراع من مشكلات مشتركة . فقد يشترك عدد من صغار ملاك الأرض هم غالبية فى إقامة حلزونة كل بنسبة ما يمتلكه من أرض ستروبها هذه الحلزونة و كذلك المساهمة فى نفقات صيانتها أو تطهير مجرى مائى بالتعاون فيما بينهم .

وقد ساعد على نجاح هذا التعامل والتكامل أن نظام ملكية الأرض فى قرية هورين لا يرتبط ارتباطا وثيقا بالنظام السكنى فحسب ، مما يقوى العلاقات بين الأفراد وييسر سبل اتصالها ، بل يرتبط كذلك بالنظام العائلى السائد فى القرية . فكل عائلة تتخذ لها قطاعا سكنيا متميزا فى القرية يتجمع فيه أعضاؤها ويطلق عليه اسمها . كذلك تتوزع ملكية الأراضى الزراعية توزيعا عائليا إلى حد كبير بحيث تسود علاقات القرابة والجوار فى الحقل والمنزل فى آن واحد . ويبدو ان لتوزيع الملكية على هذا النحو علاقة وثيقة بنشأة القرية واستيطان العائلات فيها . فلقد تبين من البحث أن العائلات قد استقرت فى القرية فى أوقات متفاوته ونشأ عن ذلك ان استقلت كل عائلة بناحية معينة من زمام القرية .

والمحصولات الزراعية فى القرية لا تختلف عما هو سائد فى الوجه البحرى عموما ، سواء المحصولات الغذائية أو النقدية فيما عدا بعض الاختلافات الطفيفة ، حيث أن المساحة المنزرعة أرزا فى القرية ضئيلة للغاية .

وأهم المحصولات الزراعية هى .

القطن .

الذرة .

القمح — البرسيم — الفول .

هذا بالاضافة إلى بعض المساحات الضئيلة التى تزرع بالخضراوات والفواكه ، وكذلك تزرع بعض المساحات بالتيل ، وهو محصول نقدى مربح وكذلك زراعة نبات عباد الشمس للاستفادة من بذوره كبديل عن اللب ، الذى ارتفع سعره فى الآونة الأخيرة .

والدورة المتبعة هنا هى الدورة الزراعية الثلاثية . حيث تزرع الأرض سنة واحدة بمحصول القطن ثم تزرع سنتين بغيره من المحصولات الصيفية أو الشتوية والخضراوات المختلفة إذ أن المتبع أن يستغرق محصول القطن العام كله ثم تزرع الأرض فى السنة التالية بالمحصولات الصيفية وهى الذرة وبعض الخضراوات وهى القمح والفول والبرسيم .

ويتم تنظيم هذه الدورة عن طريق تبادل الأراضى الزراعية بين الأهالى كما هو متبع فى معظم القرى المصرية .

أما عن وسائل الزراعة فقد بدأت الآلات الحديثة تحل محل المعدات اليدوية فى الآونة الأخيرة ثم حلت المحاريث الآلية محل المحاريث الخشبية التى تجرها الماشية كما أن ماكينات درس المحصولات عم استخدامها بدلا من « النورج » القديمة .

هذا بالاضافة إلى وجود بعض ماكينات رفع المياه ، ولكن الساقية مازالت هى الوسيلة الأكثر استخداما فى رفع المياه فى المناطق التى لاتعتمد على نطاق الرى بالراحة .

ولكن هناك أعمال زراعية كثيرة مازالت تعتمد على جهد الفلاح اليدوى مثل جنى القطن وزراعة المحصولات المختلفة مثل القمح والفول ..... الخ .

وتتركز الثروة الحيوانية فى القرية فى الماشية (جاموس بصفة خاصة) والابل وبعض الأبقار والأغنام . وتستخدم الماشية عموما فى إدارار الألبان والتكاثر . والنوع السائد من الجاموس هو الجاموس المنوفى الذى يمتاز بكثرة إنتاجه من الألبان .

وتحتل الماشية مكانا خاصا فى نفس القروى نظرا للدور الذى تقوم به فى الحياة الريفية فى الحقل والدار ، فهى دائما نصب عينيه يراقب حالتها باستمرار ، وإذا مرضت سارع بعرضها على الطبيب البيطرى بوحدة القرية ، وإذا ماتت حزن

عليها حزنا شديداً إذ يمثل ذلك بلاء نزل به يستلزم معه تعزية الجيران والمقربين له قائلين « يعوض الله » أى يخلف عليك الله بما يعوضك عنها وتشترى غيرها .

وبقرية هورين وحدة بيطرية يشرف عليها طبيب بيطرى ، يعاونه عدد من المساعدين ويقيم الطبيب إقامة دائمة بالوحدة .

وتقوم الوحدة بالتنبيه على الأهالى بمراعاة تجنب رعى ماشيتهم فى المزارع المرشوشة بالمبيدات الحشرية خشية تسممها ، كما تقوم عن طريق الجهاز الإدارى (النقطة) باستدعاء الأهالى واحضار ماشيتهم لرشها بالمحاليل الطبية لقتل الحشرات الضارة العالقة بأجسامها مثل القراد والطفيليات الخارجية كما تشمل خدمات الوحدة علاج الحيوانات المريضة واجراء الجراحات وإعطاء الأدوية اللازمة لها .

ومن أهم مصادر الإنتاج الحيوانى اللحوم والألبان .

وتشكل منتجات الألبان نسبة كبيرة من دخل الفلاح سواء ما استهلك داخل المنزل أو ما تم بيعه خارجه .

ومن الملامح الثقافية المميزة فى هوروين أن بيع اللبن فى صورته الأولية وهو سائل يعد عيباً كبيراً ولاتجرؤ أسرة على بيع لبن ماشيتها . إذ يقابل ذلك باستهجان واستنكار من المجتمع الهوريني ، بينما لايعتبر هذا عيبا فى قرى أخرى مجاورة ولا تبعد عن هورين سوى كيلو مترين مثل قرية كفر هلال مثلا ، حيث تتنافس الأسر فى الحصول على أكبر عائد نقدى من بيع اللبن .

ويكمل النشاط الحرفى فى القرية متطلبات النشاط الزراعى من عدد وآلات ويسد حاجة الأهالى فيما يحتاجونه من مهن وخدمات أولية ، وهذه الحرف متعددة فى القرية ، حيث تفى بالاحتياجات الأولية البسيطة لسكان القرية . وتختص بالأعمال الحرفية طبقة معينة ، تتوارث هذه الحرف عن الآباء ، وبعض هذه العائلات لم تكن أصلا من أهل القرية ولكنها أتت من قرى أو مدن مجاورة منذ وقت مبكر ، وطاب لها المقام فاستقرت فى هورين وعلمت أعضاءها هذه المهن .

وتنقسم الحرف من حيث طريقة دفع الأجر إلى قسمين :

أولا : حرف يدفع مقابلها بالأجر العينى دون النقدى ، وذلك بأن يدفع

للقائمين بها نسبة معينة من المحصول (ذرة – قمح) مقابل الخدمات التى يقدمونها طوال السنة وهو ما يعرف بنظام المسانية .

ويمكن اعتبار نظام المسانية بمثابة وسيلة للتبادل الاقتصادى بين الحرفى والمزارع كما يتميز هذا النظام بعدة خصائص نجملها فيما يلى :

١ – أن لكل حرفى من أصحاب حرف المسانيات عائلات معينة يتعامل معها – وبذلك تتوزع القرية على عدد محدود من أصحاب هذه الحرف .

٢ – توجد علاقة تعاقدية عرفية غير مكتوبة بين حرفى المسانيات وعملائهم ، فيعرف كلا منهما حقوقه وواجباته . وتستمر هذه العلاقة لسنوات طويلة ولاتتأثر بوفاة رب الأسرة او أحد أعضائها ، إذ يقوم الوريث بأداء نصيب الحرفى عند جمع كل محصول من الذرة والقمح ، كذلك إذا توفى الحرفى أو لم يعد قادراً على العمل فان ابنه الذى ورث عنه هذه الحرفة يقوم بالعمل لدى نفس العائلات .

٣ – أن أمثال هؤلاء الحرفيين لايملكون غالبا أرضا زراعية ، وهم يعيشون عادة على ما يحصلون عليه من مسانيات .

٤ – تقتصر مهمة حرفى المسانيات على العمل بأدوات يمتلكها . أما الخامات الأولية أو الأخشاب التى سيتم تصنيعها . كما فى حالة النجار . فيقدمها صاحب الدار.

أما اصحاب هذه الحرف والمهن فهم : –

النجار الحفاوى : وهو الذى يقوم بصناعة وصيانة الأدوات الزراعية الثقيلة مثل المحراث والقصابية والزحافة والنورج ، والأجزاء الخشبية من الحلزونة ، ويصنع أيضا الأبواب والشبابيك وبعض الأثاث المنزلى البدائى مثل الأريكة (الكنبه) و (الطبلية) والكروتيه (الدكة) .

السمكرى : يقوم بتركيب وصيانة الطلمبات ، والطلمبات لها دور هام فى حياة أهالى هورين حيث يعتمدون عليها منذ أمد بعيد بصفة أساسية كمورد للمياه النقية .

ويقوم السمكرى أيضا بصناعة بعض الأعمال المعدنية الخفيفة .

العددى (السروجى) : يقوم بصناعة وصيانة الامتعة (العدد) التى تركب

على ظهور وسائل الركوب والنقل من الحيوانات مثل الجمال والحمير والخيل ، والتى تصنع من الجلد والقش وبعض أنواع من القماش السميك وبعض القطع الخشبية .

القصاص : وهو المختص بقص شعر الحمير والخيول ووبر الجمال وجز صوف الغنم .

القارىء (الفقى) : يقوم بتلاوة القرآن الكريم فى داخل الدور مرتين فى الأسبوع ، ويقابل من أهل الدار باحترام وتبجيل .

الحلاق : (المزين) : — ومهنته تقتصر على الرجال والأبناء ويطوف الحلاق على زبائنه فى المنزل أو فى الحقل .

وللحلاق أيضا دور فى اعداد العريس يوم الحنة ، حيث يقوم بوضع الحنة فى يدى العريس ورجليه .

وهناك عدد من الحرف والصناعات اليدوية تندرج تحت نظام المسانية يدفع مقابلها للحصول عليها نقودا أهمها :

صناعة النسيج : تنتشر الأنوال الخشبية اليدوية التى تقوم بنسج المنسوجات القطنية والحريرية وإنتاج أقمشة المفروشات (الكوفرتات) .

صناعة الفحم : وتختص بهذه الصناعة عائلة واحدة بالقرية . ويقوم العمال بقطع أخشاب الأشجار بالطرق البدائية الأولية دون الاستعانة بوسائل آلية حديثة . فيستخدمون البلطة والمنشار الكبير الذى يمسك به عاملان . وصناعة الفحم بالقرية تتم عن طريق وضع قطع الخشب فى حفرة وتغطيتها بطبقة من الطين المخلوط بالتبن وتترك فتحة من أحد الجوانب . ثم تشعل النار بها وتترك عدة أيام حتى يتم تفحيم الخشب . ثم يصدر إلى الشركات المستهلكة و يباع لتجار الفحم فى المدن .

حرفة الشلف : الشلفة عبارة عن شبكة كبيرة تصنع خيوطها الغليظة من حبال التيل وتجدل بطريقة معينة و تستخدم الشلفة لأغراض مختلفة منها تعبئة التبن والقطن والمحاصيل الزراعية الكبيرة الحجم لا مكان تحميلها على الدواب .

جساس الماشية : وهو الذى يقوم بالكشف على الحيوانات لكى يعرف ما إذا كانت (عشر) أم لا ، وفى أى مرحلة من مراحل الحمل . كما يستعان به عند شراء الماشية أو بيعها .

قياس المساحة : وهو شخص تخصص فى قياس مساحة الأراضى الزراعية ومعرفة حدود وزمام كل حوض . كما أنه يعرف إلى حد كبير تطور تاريخ ملكيات الأراضى .

تقسيم العمل بين الجنسين :

تقوم الأسرة بوظيفة إنتاجية متكاملة حيث يتعاون أفرادها فى العمل والإنتاج الزراعى . فيتوزع العمل بينهم بشكل يتكامل فيه الإنتاج . فالرجال يقومون بالأعمال الزراعية الخارجية عن نطاق الدار . بينما تختص النساء بالأعمال التكميلية أو المتصلة بالماشية داخل الدار وإعداد الأغذية والأعلاف الخاصة بها . كما تقوم بحلب الماشية وصنع منتجات الألبان من مسلى وجبن . كما تختص النساء بعملية دهك (ترصيع) الحوائط والأسقف بالطين سواء عند بناء منزل جديد أو عند عمل العمرة السنوية التى تتم عادة فى فصل الصيف بسبب ما تحدثه أمطار الشتاء من اتلاف بالأجزاء الخارجية من الدار . ويقع على النساء أيضاً عبء جميع الأعمال المنزلية وبخاصة تلك التى تختص بغذاء الأسرة وما يتصل بها من شراء السلع الغذائية والاستهلاكية من السوق والذهاب إلى ماكينة الطحين لطحن الحبوب . وكذلك عملية عجن الدقيق وخبزه فى فرن الدار . وتتزامل النساء فى عملية الخبز والعجن .

الأسواق : يقام فى قرية هورين سوق محلى (سويقه) مرتين فى الأسبوع ، ويعرض به الخضروات والفاكهة وكذلك الأدوات المنزلية البسيطة والأقمشة الشعبية .

ويقوم بعرض هذه السلع تجار وسطاء يجوبون أسواق القرى المجاورة كما يعرض بعض الحرفيين مصنوعاتهم المحلية ، وقد تنزل إحدى القرويات للسوق لبيع بعض المنتجات الزراعية أو منتجات الألبان كالزبد أو الجبن .

ومما يلاحظ أن الذى يقوم بالشراء هن النساء ، حيث أن شراء احتياجات

الأسرة من اختصاص المرأة فقط . ولاتباع فى هذا السوق الماشية أو الحيوانات ، حيث أن ذلك مقصور على الأسواق الرئيسية التى تقام فى مراكز المحافظات مثل سوق بركة السبع حيث توجد جميع احتياجات الفلاح .

وأحيانا لايقتصر التعامل بالسوق على النقود ، فقد يتم على نطاق ضيق تبادلات سلع ومنتجات بسلع أخرى كمبادلة كمية من الردة بكمية من الملح مثلا .

وبجانب الوظيفة الاقتصادية التى للسوق ، فانه يقوم بوظيفة اجتماعية أيضاً ، حيث تتداول فيه أخبار القرية وأحوال أهلها ومعرفة آخر التطورات فى المسائل التى تهم القرية مثل وصول السماد الكيماوى أو البذور أو الكسب للجمعية .

إلى جانب هذا فأن الشباب يذهبون إلى مكان قريب من السوق لاختيار فتاة أحلامهم .

نظام الزمالة : ينتشر نظام الزمالة فى هورين وهو نظام يقوم أساساً على التعاون والتكامل بين صغار الفلاحين ويحتم على كل عضو منضم لجماعة زمالة بمساعدة زميله فى العمل الزراعى فى مختلف الحالات التى لا يستطيع أن يقوم بها بمفرده على أن يرد له هذا العمل فى أيام أخرى تالية .

ويتميز نظام الزمالة بعدة خصائض أهمها :

– كثيراً ما تمتد الزمالة لتشمل العلاقة بين أكثر من زميلين .

– لا تقتصر الزمالة على الجهد البشرى وحده بل تتسع لتشمل إعارة الزميل أحد قطعان الماشية أو الدواب .

– ليس من الضرورى أن يرد الزميل بنفسه أيام العمل التى قضاها عنده زميل له ، فأحيانا يرسل عوضاً عنه أحد العمال الأجراء ليقوم بهذا العمل أو أحد ابنائه القادرين .

– إن الحقوق والواجبات بين أطراف الزمالة فردية . بمعنى أن كل زميل مسئول أمام زميله فى سداد التزامات العمل ، وليس أمام مجموع الزملاء للفرد الواحد . كما أن فض الزمالة من جانب فرد لايستلزم فضها بين جميع الزملاء .

– الاتصال بين الزملاء للاستدعاء للعمل يجب أن يتم فى مساء اليوم السابق للعمل (يبيت عليه) حتى يمكن للمزامل ضمان تفرغه فى اليوم المحدد للعمل .

– هناك مواسم زراعية تتطلب أكبر عدد ممكن من الأيدى العاملة فى الزراعة وفى تلك المواسم يقسم الزملاء أنفسهم للعمل عند كل منهم أياما محددة .

الأجهزة الادارية بالقرية :

من الملاحظ أن قرية هورين كانت تابعة لمركز السنطه محافظة الغربية منذ عشر سنوات ، وانتقلت إلى زمام محافظة المنوفية بعد إعادة تنظيم الإدارة المحلية الذى استتبع انشاء مركز بركة السبع .

وبهورين مجلس قروى يشرف على سبع قرى هى :

هورين – كفر هورين – الحلامشة – كفر نفره – كفر هلال – كفر الشيخ طعيمة – كفر عليم ، ورئيس المجلس القروى يختار من بين أعضاء الإتحاد الأشتراكى العربى بالمركز . وهو متفرغ بالمجلس .

ويمثل كل قرية من القرى السبع مندوب فى المجلس القروى يشغل منصب رئيس الإتحاد الإشتراكى العربى بها . كما يضم المجلس اعضاء بحكم وظائفهم مثل طبيب المجموعة الصحية ورئيس نقطة الشرطة وبنك التسليف والشئون الإجتماعية بهورين .

والإتحاد الإشتراكى من أهم التنظيمات الرسمية بالقرية ، حيث أن أعضاءه يمثلون أبرز الشخصيات فى القرية ، كما أنهم ينتمون لعائلات لها مكانتها الإجتماعية والسياسية . وذلك ييسر لهم القيام بوظيفتهم على أكمل وجه . فمثلا فى لجنة فض المنازعات ، يتم كل شىء فى جو تسوده الروح العائلية أكثر من كونها اجراءات رسمية ، وبذلك يقبل الأفراد المتنازعين حلولها عن طيب خاطر . كما أنه فيما يخص المشروعات الإجتماعية التى تحتاج إليها القرية نجد أن القادة السياسيون يلعبون دوراً هاماً فى السعى لدى الجهات المسئولة لتسهيل مهمة إنجاز هذه المشروعات .

هذا ومما هو جدير بالذكر مساهمة ومشاركة التنظيمات الشعبية والأهالى فى هذه المشروعات ...

وقد وجد أن بعض المشروعات العمرانية والإجتماعية لها جاذبية خاصة فى نفوس الأهالى وإقبالهم على المساهمة فى تكاليف إقامتها مثل المساجد والمدارس .

ويلعب القادة المحليون دوراً كبيراً فى تجميع الجهود وتنظيم حملات جمع المال اللازم لاقامة هذه المشروعات .

ومن وسائل الضبط الإجتماعى التربية والعرف والقانون — حيث يتدرب الفرد على مختلف أنماط السلوك السائدة فى المجتمع منذ طفولته ، حيث يتلقى التراث للجماعة التى يعيش فيها وذلك عن طريق إتصاله بالجماعات الأولية التى تعيش فى بيئته كأفراد الأسرة أو الجيران أو أى جماعة أخرى يتصل بها فى مراحل نموه المختلفة . ويتخذ هذا التدريب إما طرقا مباشرة ومنظمة كما هو الحال فى المدارس والأندية ، وإما طرقا غير مباشرة وغير ظاهرة كما هو الحال فى الأسرة وزمرة الرفاق فى القرية وكذلك كبار السن . حيث يحاط الفرد بعدة جماعات تمارس عليه ضبطاً إجتماعياً فى كل وقت عن طريق الثواب أو العقاب أو مايعرف فى القرية باسم « العيب » ولا يقل عن هذا قوة العرف والتقاليد ، لأنها تعتبر أحيانا أقوى من القانون . لأن السلطة التنفيذية التى تطبق القانون والمتمثلة فى جهاز الشرطة فى القرية لاتتواجد فى كل أرجاء القرية وبين الحقول ومساكن القرويين فى الأوقات المختلفة . فبينما يشترك كل أهالى القرية فى مراقبة سلوك وتصرفات بعضهم بعضاً . مما لايدع مجالا لخروج الأفراد على الأنماط العرفية . فكل فرد يعرف نوعية الأفعال التى تعتبر مقبولة إجتماعياً . وما هى الأفعال التى تعد من قبيل الخروج على النظام العام فى القرية .

كما تشكل أيضاً مجموعة القواعد الدينية بأوامرها ونواهيها ضوابط إجتماعية ذات سلطة عليا . والقروى شديد التدين بطبعه . وذلك بحكم النشأة والتكوين ورؤيته المباشرة للظواهر الطبيعية فيما يصادفه فى عمله من زرع وإنبات .

ولذلك يعرف القروى أن الله يراقبه فى سلوكه وتصرفاته وبذلك نجد أن الدين كضابط إجتماعى أكثر تغلغلا وشمولا فى نفوس الأفراد من الضوابط الإجتماعية الأخرى .

أما القانون كضابط إجتماعى فيعتبر أقل تأثيرا فى مجتمع القرية عنه فى مجتمع المدينة . وذلك لأن القرية مجتمع متجانس متكامل إلى حد كبير مما لا يتيح الفرصة للأفراد للخروج عن النظام العام .

ولكن نظراً لعوامل التغير الإجتماعى التى بدأت تظهر فى القرى مؤخراً ، وإتساع دائرة العلاقات الخارجية بين القرى والمدن لسهولة المواصلات وتعددها وخروج غالبية أفراد المجتمع سواء للدراسة أو العمل خارج القرية . ضعفت الروابط الإجتماعية الضابطة بين أفراد المجتمع الريفى وأصبحوا بمنأى عن الرقابة المباشرة لسلطة الجماعات الأولية التى اعتادوا عليها فى مجتمع القرية . لذلك قويت الحاجة إلى الاستعانة بالقانون وتزايد الإتجاه للالتجاء إلى السلطات القضائية أو التنفيذية للفصل فى منازعاتهم وشهدت ساحات القضاء بعض القضايا التى كانت من قبل يفصل فيها عن طريق كبار السن فى القرية .

العلاقات القرابية لسكان القرية :

أما عن العلاقات القرابية . فقد عرف من الروايات المتداولة[1]. أن معظم العائلات الحالية قد وفد مؤسسوها إلى القرية منذ فترة لاتزيد عن أربعمائة سنة تقريبا ، وإن زادت أو قلت عن هذا . فذلك تبعاً لظروف مؤسسى كل عائلة . كما تختلف الجهة التى هاجر منها . فمؤسس عائلة « اللاشاينة » هاجر من بلدة قمبوط القرد — محافظة الغربية . أما عائلة الرخاوى . فقد هاجر مؤسسها من بلدة ميت الرخا مركز زفتى محافظة الدقهلية . ومؤسس عائلة نصار هاجر من بلدة من الوجه القبلى . ومؤسس عائلة الشرقاوى أتى من بلدة القرين . محافظة الشرقية . أما مؤسس عائلة الحوالة فأتى من بلدة الباجور . محافظة المنوفية .

ولقد دامت الإتصالات والزيارات المتبادلة بين مؤسسى هذه العائلات وأصولهم فى البلاد التى هاجروا منها . ثم انقطعت بمرور الوقت ، ولم يعد الأبناء الحاليون يعرفون عن أسلافهم فى الوطن الأول شيئاً . سوى ما يذكره لهم كبار السن من

(١) هذه المعلومات أخذت شفهياً من كبار السن فى القرية .

روايات تتعلق بالنشأة الأولى للأجداد الأوائل والظروف التى أحاطت بمقدم كل منهم إلى قرية هورين واستقراره بها .

وعندما استقر هؤلاء المهاجرون تزاوجوا من القرية وكونوا عائلات تحمل أسماءهم واستقل كل منهم بناحية معينة من البلدة . ولظروف الأمن والحماية التى لم تكن قائمة فى تلك العهود أقاموا بوابات عند المداخل المؤدية إلى مساكنهم كانت تغلق ليلا ، ولازال بعضها موجوداً حتى اليوم .

القرابة بين العائلة الكبيرة والأسرة :

نظراً لما أشرنا إليه ، كان الزواج من داخل العائلة الواحدة (الاندوجامى) مرغوبا فيه لكى تحتفظ بتماسكها وزيادة عدد أعضائها وحتى بالأرض الزراعية المملوكة للعائلة وعدم انتقالها عن طريق الميراث إلى عائلات أخرى .

وبذلك كانت كل أسرة وحدة اقتصادية وقرابية واحدة ، يعيش أفرادها فى مسكن واحد أو عدة مساكن متجاورة تكون نسباً قرابياً واحداً . وينتسب جميع أفرادها لرب العائلة الذى يتولى الزعامة السياسية والإجتماعية للعائلة فى كافة المناسبات ولا يخرج أفراد العائلة عن طاعته .

أما الآن فقد تفككت العائلة ، وزاد الميل للزواج خارج نطاق الجماعة القرابية التى ينتمى إليها الشخص . وذلك نتيجة التغيرات الإجتماعية التى حدثت فى شكل العائلة بعد زيادة عدد أفرادها زيادة هائلة ، مع بقاء مساحة الأرض الزراعية كما هى وتفتيتها عن طريق التقسيم على عدة أفراد وتطلع أفرادها إلى الاستقلال عن العائلة وانتشار التعليم ، وظهور أنماط للعمل لاتقتصر على العمل الزراعى . وبذلك لم تعد العائلة الكبيرة وحدة أساسية فى البناء الإجتماعى للقرية بل حلت محلها الأسرة التى تتألف من زوج وزوجته وأطفالهما .

وهذا النمط من الأسرة عدة أشكال منها :

– أسرة مستقلة من الناحية الإقتصادية والسكن .

---

(١) تسمى بعض هذه البوابات ، بوابة أبو أحمد ، بوابة الشراقوة ، بوابة التراكوه ... الخ .

— أسرة مستقلة من الناحية الإقتصادية ولكنها لاتزال تقيم بمنزل العائلة القديم .

— أسرة شبه مستقلة من الناحية الإقتصادية ولكن لاتزال تشترك مع العائلة فى العمل الجماعى والسكن .

ومع أن استقلال الأسرة الجديدة أصبح ظاهرة ملفتة للنظر إلا أنه لازالت توجد القليل من الأسرة التى تعيش فى كنف العائلة الأبوية أو الأموية فى حياة إقتصادية وإجتماعية واحدة . ويشرف على شئونها الأب الكبير ، كما تشرف الأم الكبرى على زوجات أبنائها وتتولى تقسيم العمل بينهن فى الدار .

ومما هو جدير بالذكر أن الإتجاه الآن للزواج خارج العائلة (الاكسوجامى) وسع من دائرة العلاقات القرابية التى يمارسها الشخص ، وبذلك تغير أسلوب التماسك القرابى وتحول مساره من تماسك بين أعضاء العائلة الواحدة إلى تماسك بين أكثر من عائلة وبذلك زاد التماسك بين مختلف العائلات التى قد تصل إلى القرية كلها ، وعلى هذا أحيط الفرد بشبكة من العائلات القرابية بالعصبة أو بالمصاهرة .

أما فيما يخص التعليم بالقرية فهناك نوعان من التعليم :

١ — التعليم غير الرسمى : من المعروف أن تربية الأطفال فى مرحلة الطفولة المبكرة يعتمد أساساً على الأم وذلك إلى أن يبلغ الطفل السن المدرسى ، ولكن غرس البذرة الأولى فى التعليم يرجع إلى جهود شخصية فى البداية قام بها أحد المتحمسين المستنيرين من أهالى القرية . والذى قام بهذا العمل فى قرية هورين هو ظهور رجل من أهلها يسمى الشيخ الشرقاوى الذى وصل إلى مرتبة علمية عالية بأن كان أحد علماء الأزهر الشريف — ولقد بدأ الشيخ الشرقاوى فى نشر التعليم بالقرية عن طريق إنشاء (الكتاتيب) لتعليم الأطفال القرآن الكريم ، وبعد ذلك القراءة والكتابة . وقد اتصفت جهود هذا العالم بأنه لم يكن داعيه لنشر التعليم بين أبناء القرية فقط ، ولكنه كان مصلحاً إجتماعيا أيضا ، حيث نادى بنبذ بعض العادات البالية ودعى الناس إلى الاقتداء به ، ثم تابع هذه الرسالة الشيخ الرخاوى ، وهو عالم آخر فى الأزهر الشريف . فتابع حالة التعليم فى القرية ، وارسال التلاميذ النابهين من أهلها إلى القاهرة ، لاستكمال تعليمهم فى المعاهد الدينية أو دار العلوم ، وحث الأهالى

على إتاحة الفرصة أمام الأبناء لمواصلة التعليم فى المراحل المختلفة ، ورعايتهم إجتماعيا ومادياً على حسابه الخاص .

(ب) وقد تحول بعض هذه (الكتاتيب) إلى مدارس إبتدائية ، بعد اهتمام السلطات الرسمية بادخال التعليم فى القرية ، ولازالت إحداها تحمل اسم مؤسس التعليم فى القرية — ثم تبعها انشاء المدارس الابتدائية فى القرية ثم مراحل التعليم التالية — وذلك بعد أن تنافست العائلات فى تعليم ابنائها ، وأصبح يقاس مركز الفرد الإجتماعى بمقدار ما علم من أبناء . ومستوى ذلك التعليم ، مما كان له أكبر الأثر فى نشر التعليم وزيوعه فى القرية ، وكان نتيجة ذلك تغير ملحوظ فى مختلف مجالات الحياة الإجتماعية

ويوجد الآن خمس مدارس ابتدائية ، إلى جانب مدرسة أعداديه وقد انشات حديثا مدرسة ثانوية نتيجة لمطالب أهل القرية والجهود الذاتية للأهالى ، بالتعاون مع وحدة الاتحاد الاشتراكى العربى بالقرية ، وأيضا مدرسة تجارية ثانوية . كما أن عددا ليس بالقليل من شباب القرية قد وصل إلى المراحل الجامعية المختلفة ولكن يغلب عليهم التعليم التجارى العالى .

وعندما نتحدث عن دورة حياة الفرد فى قرية هورين ، لابد أن تبدأ بالميلاد وغالبا ما تكون السيدة الحامل تحت رعاية وإشراف الداية أو المولدة التابعة للوحدة الصحية طوال فترة الحمل ، وخاصة خلال الأشهر الأخيرة . وإذا أستعين بالداية فانها تقيم قبل موعد الوضع الذى تعرفه غالبا بالتحديد فى دار الزوجة لملاحظتها والعناية بها إستعداداً للحظة الوضع . . . وهى أثناء ذلك تشارك أهل الدار معاشهم . أما إذا استعين بالمولدة فانها تدعى فقط حين تشعر المرأة بآلام الوضع . وربما تقيم والدة الزوجة الحامل أو إحدى أخواتها إقامة كاملة معها وتعاون الأم والحماة والأخوات فى الإعداد للوضع

وغالبا ما يكون للمولود الذكر فرحة أكبر من الأنثى . ويحتفل يوم السبوع — الذى تحضره الداية أو المولدة — وإذا كانت الداية ، فانها تقوم بدور كبير فى تنظيم الحفل والتغنى فيه للطفل والدعاء له بالعمر الطويل والسعادة ، وربما تقوم بعمل حجاب للأم أو لطفلها أو لكليهما أو تعهد بذلك بنفسها لمختص .

كما أنها تقيم ببيت الأم ولا تغادره إلا بعد السبوع – وكأنها واحدة من أهله . . وكما يشارك الأهل والأصدقاء فى الأفراح بهدايا عينية أو مالية فانهم أيضا يشاركون فى السبوع وربما تكررت العملية فى حالة ختان الأولاد .

وفى يوم الاحتفال بالسبوع يحضر الأهل والمعارف مصطحبين معهم أولادهم ، وتوزع على الأولاد شموع وأكياس مليئة بالفول السودانى والحمص والحلوى . ويبدأ الاحتفال باشعال الشمعة الكبيرة (يجهز أبريق فى حالة المولود الذكر ، وقلة فى حالة المولود الأنثى حيث يزركش كل منهما بعد أن يملأ بالماء ويوضع على على الفوهة شمعة كبيرة كما يغطى باشارب أو مفرش ويزين بالذهب والمجوهرات من عقود وأقرطة وأساور) . وفى بداية الحفل تشعل الشمعة الكبيرة ثم يشعل الأولاد شموعهم ، وتقوم الداية بوضع المولود فى (غربال) ، وتهزه يمنة ويسره بين يديها عدة مرات مع ترديد بعض الأغانى (وربما كان من بين ما تقوله للطفل وهى تهزه (اسمع كلام أبوك ، ما تسمعش كلام أمك . . اسمع كلام عمك ، ما تسمعش كلام خالك) . إلى مثل هذه العبارة التى تدعو الطفل لاحترام خط الذكور من أهله ويردد الجميع خلفها مقاطع من أغانيها . بينما تقوم فتيات الدار برش الملح على المدعوين (لمنع الحسد) وأما فى مرحلة الطفولة والشباب فنجد أن الفرد لا يكتسب من أهل البيت قيمهم وعاداتهم وسلوكهم وتصرفاتهم ولهجتهم فحسب . . بل أن اكتسابه لمعظم هذه العناصر يأتيه كذلك من خارج البيت ، من أبناء وبنات الجيران – حيث يقضى الطفل معظم وقته إن لم يكن كله معهم خارج البيت .

وتنحصر ألعاب الأطفال – خاصة الأولاد فى الجرى وتسلق الأشجار – وربما الاستحمام فى الترع – وكل الألعاب التى تحتاج إلى سرعة وحركة – بينما تفضل البنات تقليد الأمهات منذ الصغر فيغلب عليهن الهدوء ويملن إلى حمل الصغار والتغنى لهن بأغنيات يسمعنها فى الأفراح وغيرها .

ويظل الأبناء حتى النساء خارج البيوت ، وربما يعودون مرة أخرى بعد العشاء ليتوجهوا إلى الطريق الزراعى ، حيث يتحاكون ويتسامرون – هذا فى الصيف – أما فى الشتاء فانه يختلف عن ذلك حيث البرد قارس والندى منتشر وأحيانا الأمطار –

فيلجأ الأبناء إلى بيوتهم مبكرين . والشتاء هو الوقت الذى يتجمع فيه أفراد الأسرة جميعا فى المساء داخل البيت يلتفون حول حلقة نار أو مدفأة أو بالقرب من الفرن الكبير المنبعث منه الدفء ، يناقشون مشاكل العمل والبيت والجيران أو يقصون الحكايات المختلفة عنهم أو عن معارفهم من خلال تداعى الذكريات . أما البنات فهن عادة يلزمن البيت عند المساء فيجلسن بين أمهاتهن وأخواتهن أو يزرن معهن جيرانهن .

وغالبا ما يمد الطفل — الذى بلغ السن المدرسى — يد المساعدة لأبيه وأخوته فقد يعود الابن من المدرسة ليتجه إلى الحقل مشاركا الأب عمله بقدر استطاعته وعلى وجه الخصوص أثناء الصيف ، إذ يصبح أحد الأشخاص المعتمد عليهم فى الحقل .

أما البنت فتدخل المرحلة التى تبدأ فيها معاونة الأم والأخوات فى البيت وتوصيل الطعام إلى الحقل أو حمل أشياء أخرى منه أو إليه واستحضار المياه من الطلمبة الخارجية ، إلى البيت ، وغسل الأوانى والملابس وكل الأعمال الخاصة بالمرأة .

وليس هناك وسيلة لشغل وقت الشباب أو استثماره غير مركز للشباب غير المعد اعدادآ كافيا ولا يستوعب الجميع . ولذا يفضل بعض الشباب بأن يتجمعوا فى أحد الدواوير (١) لممارسة بعض النشاط — كنواة لناد خاص .

وسن الزواج بالنسبة للشباب يختلف بحسب حالته التى وصل إليها . فالشباب الذين اختاروا طريق التعليم — وهم الغالبية العظمى — لا يقبلون على الزواج إلا بعد أن يلتحقوا بوظائف مضمونة . أما الشباب منهم الذين اختاروا طريق العمل فى الحقل أو الذين انتهوا من دراستهم المتوسطة والتحقوا بأعمال — فهؤلاء يتزوجون مبكرا . وفى الأغلب يتزوجون من فتيات يماثلنهم فى التعليم — أى ربما يكتفى الفلاح بزوجة لم تستكمل المرحلة الابتدائية . وربما اكتفى الشاب متوسط التعليم بزوجة كالسابقة أو أعلى قليلا من حيث التعليم . أما الجامعيون فغالبآ ما يتزوجون من جامعيات .

---

(١) جمع دوار .

وبالنسبة لاختيار المتعلمين لزوجاتهم – فغالبا ما يتزوجون من بنات أقاربهم ، أو معارفهم بالقرية . ويسهل الوصول للاختيار من بينهن ، إذ أن الجميع يعرفون بعضهم البعض – وخاصة وأنهم تلقوا فى سن الطفولة تعليمهم معا ، وربما كانت هناك عاطفة حب – سرية للغاية – تربط بين الاثنين . وربما تحدث ذلك أيضا بالنسبة لشباب الفلاحين ، إلا أنه من التقاليد الشائعة أن يتوجه نفر من هؤلاء الشباب الذين وصلوا إلى سن الزواج ، يذهبون إلى مرتفع معروف فى (السويقة) ويجلسون منتظرين مرور الفتيات أثناء شرائهم لوازم البيت أو بيعهن منتجات مختلفة . وذلك لكى يختاروا من بينهن زوجاتهن .

بعد أن يجد الشاب الفتاة المناسبة ، يعود إلى البيت ويخبر أمه أو أخته « باختياره » وعندما يتم الاتفاق على الفتاة المذكورة ، يتوجه أكبر العائلة سناً إلى بيت الفتاه ويخبر أمها أو أباها (بأنهم) سيمرون (عليهم) فى المساء ، ليشربوا القهوة ، وهذا يعنى أنه جاء ليخطب إحدى الفتيات لأحد شباب عائلته . وعادة لا يضم هذا المجلس سوى الرجال من كلتا الأسرتين فاذا اتفق الحاضرون على خطبة الشاب للفتاه ، قرئت الفاتحة ، واتفق على قيمة المهر والشبكة ، والتزامات أهل العروس لتقبيض فى شراء الجهاز . وتتفاوت قيمة المهر والشبكة باختلاف حال الأسرتين .

ويحدد (لتقبيض المهر) جلسة ، حيث يقوم كبير أسرة الفتى بتقديم المهر والشبكة السابق الإتفاق عليهما لكبير أسرة الفتاة بحضور أفراد كثيرين من كلتا العائلتين . وعلى أهل العروس الانتهاء من إعداد الجهاز فى أقرب وقت ممكن ، كما تحاول العروس الانتهاء بسرعة من إعداد الملابس والمفروشات .

وغالبا ما يذهب عدد كبير من الأسرتين لشراء ما يحتاجه العروسان من جهاز وأدوات .

وقد يتم عقد القران مع الدخلة فى يوم واحد . وهو الشائع . وفى عقد القران يقام حفل كبير فى بيت العروس يحضره عدد كبير من المعارف والأصدقاء .

وتنتقل حاجيات العروس من أدوات ومفروشات من بينها إلى بيت العريس ، يوم الدخلة أو فى يوم سابق له . وتسبق الدخلة عادة ليلة تسمى (ليلة الحنة) – وهى

عادة يوم الأربعاء ، وفى هذا اليوم تحضر الماشطة إلى بيت العروس ، وتقوم باعداد الحنة لتضعها على يدى العروس ورجليها وكذلك صديقات العروس وأولاد الجيران كما تقوم بتزيين العروس وتعطيرها . ويتم ذلك أيضا للعريس فى بيته بواسطة الحلاق. وفى يوم الدخلة يصطحب أحد الكبار من أسرة العريس – ربما الخال أو العم أو الأخ الأكبر بعض الأقارب ويذهبون لاستحضار العروس ، ويعود الجميع مصطحبين العروس وسط موكب بهيج ويتوجهون إلى بيت العريس (من التقاليد المرعية حتى الآن أن يبدأ خروج موكب العروس من بيتها – وكذا دخوله إلى بيت العريس – بالرجل اليمنى) . ويسير الموكب ناحية اليمين حتى لو كان بيت العريس ناحية الشمال (وهو نوع من التفاؤل والاستبشار) .

ويقف العريس فى داره منتظرا الموكب ، حيث يتقدم نحوه ويحيى عروسه ومن معها (ويتسلمها) ويدخل بها إلى داره مع ارتفاع الزغاريد والتصفيق وعبارات التحية والمباركة . وتقام وليمة كبيرة فى بيت العريس ، ولا يجب أن يمتنع أحد عن تناول الطعام .

وفى صبيحة اليوم التالى – وهو ما يطلق عليه اسم « الصباحية » تعد أم العريس طعام الإفطار وتوقظ العروسين . وبعد الفطور تحضر أم وأخوات العروس للتهنئة، ثم يتتابع حضور أهل العروسين ومعارفهما وأصدقائهما .

وتبدأ العروس ابتداء من اليوم الثانى مباشرة – العمل داخل المنزل بمساعدة أخوات العريس . ويخرج العريس إلى عمله ابتداء من اليوم الثالث مباشرة ، بينما لا تبرح العروس البيت حتى لزيارة أهلها إلا بعد مرور شهر كامل . ويقدم العريس لعروسه فى بعض المناسبات هدايا رمزية (كعروسة حلاوة) فى أول مولد نبوى ، تحتفظ بها حتى تنجب الطفل الأول ، أو قطع القماش الملون أو الملابس فى الأعياد. وعادة تتعجل الأسرتان العروسين لإنجاب الأطفال ويكون السؤال الرئيسى لأم العريس أو أم العروس متصل بهذا الموضوع دائما .

عادات متصلة بالوفاة : عند حدوث وفاة بالقرية ، يخرج مناديا ليعلن على أهل القرية نبأ وفاة فلان من عائلة كذا . وتقام ليلة المأتم التى قد تمتد إلى ثلاثة أيام متتالية لاستقبال المعزين من أهل القرية والقرى المجاورة .

وكانت كل أسرة فى القرية — فى الماضى — تخرج صينية عليها بعض أنواع الطعام مشاركة لأهل المتوفى فى إطعام وفود المعزين ، التى ترد إليهم بالتالى عند حدوث وفاة عندهم . وعلى هذا تصبح هذه الصينية دينا واجب الأداء عندما تحين الفرصة لردها .

ولكن أحد كبار رجال القرية — الذى نادى بإبطال بعض العادات القديمة وأسس التعليم فى القرية — نادى ضمن ما نادى به من إبطال عادة ارسال الصوانى وإقامة السرادقات وما يستتبع ذلك من تكاليف تشكل عبئا على كاهل أهل المتوفى ماديا ونفسيا . وليس هناك طقوس معينة فى الوفاة ، إلا الصلاة جماعة على الميت فى المسجد ، ثم تلاوة القرآن بعد العودة من الدفن ، وتقبل العزاء من المعزين .

ولكن زيارة المقابر تلعب دورا هاما فى القرية ، حيث أنهم يزورون المقابر كل يوم جمعة وخاصة النساء ، وأيضا فى المواسم والأعياد .

الرعاية الصحية : أنشئت بقرية هورين وحدة صحية لخدمة هورين والقرى المجاورة لها . وتنقسم الوحدة إلى عدة أقسام منها : القسم الباطنى ويشرف عليه الطبيب المقيم ، وقسم الأسنان وتشرف عليه طبيبة غير مقيمة ، ثم قسم الولادة وبه مساعدة مولدة مقيمة إلى جانب تمورجى وتمورجية

والأمراض المنتشرة بالقرية هى : البلهارسيا ونسبتها كبيرة جدا ، والانكلستوما . ورغم وجود الوحدة نجد أن الأهالى يفضلون الالتجاء إلى الأطباء الخصوصيين فى المدن القريبة كزفتى أو بركة السبع .

ومع ذلك نجد أن الكثيرين يفضلون العلاج بالطرق البلدية أو بأعمال الشعوذة : ويشيع هذا الاعتقاد بصفة خاصة بين السيدات كبار السن . فمثلا عند علاج الأطفال المستعصى علاجهم بالطرق أو الوصفات البلدية يوضعون فيما يسمى « الطاقة » وهى (نافذة المسجد الصغيرة) . وذلك عن طريق وضع الطفل المريض فى طاقة المسجد ثلاث جمع متتالية عند الصلاة . وتقوم اثنتان من السيدات بادخال الطفل فى الطاقة وتتلقاه الأخرى من الناحية المقابلة ، وتقولان أثناء هذه العملية « خذوا بنتكم وهاتوا ابننا » إذا كان الطفل المريض ذكرا أما إذا كانت المريضة أنثى

فيقال « خذوا ابنكم وهاتوا ابنتنا » ويقال أنهن يقصدن من هذه العملية إبطال العمل الأرضى « الجن » الذى سبب المرض للطفل واستعصى علاجه بالطرق العادية ويعتقدون أن العمل يبطل فى ثالث جمعه [1] — وهذه الطاقة تكاد تكون مهجورة ويوضع فيها الطفل دون أن يسمى عليه « أى قول بسم الله الرحمن الرحيم » .

ويشترط فى هاتين السيدتين أن تكونا من كبار السن ويشهد لهما بالتقوى والإيمان. ومثل هذه العملية تجرى أيضاً لمثل هذا الطفل فى ثلاث جمع متتالية ولكن فى المقابر حيث يترك الطفل هناك قبل صلاة الجمعة وتعود به الأم بعد ذلك ويقال أنه فى ثالث جمعه : إما أن يشفى الطفل تماما من مرضه أو يموت .

أما فى حالة عدم الإنجاب ، فان الشخص يسير حول البلدة من جهة اليسار فى آخر جمعة من الشهر العربى ، وذلك قبل طلوع الفجر ماسكا بيده عمود من الحديد ، ولا يتكلم أثناء سيره . ويعتقد فى أن السيدة ستحمل فى نهاية هذه الحلقة .

ومنها أيضاً أن تصعد السيدة العاقر المئذنة يوم الجمعة اليتيمة وتدور حولها وفى نظير ذلك تدفع مبلغا لخادم المسجد .

أما عمل الأحجبة والتعاويذ والذهاب إلى المنجمين وعمل حفلات الزار فهو شيء سائد بكثرة فى البلدة للوقاية من جميع الأمراض .

فمثلا تعمل الأحجبة « عمل » لجلب الحب والكره . وتعمل الأحجبة للوقاية من الأمراض أو لايذاء الأشخاص أيضاً مثل الكتابة على الباذنجان الأسود ويقال أن مثل هذا الشخص الذى كتب له على الباذنجان يصاب بالجنون فى موسم الباذنجان ويزول عنه المرض بعد هذا الموسم .

ويلاحظ أن الذين يقومون بهذه الأعمال لديهم كتب قديمة أصلها من المغاربة ، وهى أساس السحر فى هذه البلدة . وقد تركوا كتبهم لبعض عائلات القرية التى مازالت تحتفظ بها وتمارس معظم أنواع السحر عن طريقها .

الدين : يدين أهالى القرية جميعاً بالإسلام وليس بينهم واحداً يدين بغيره ، ولذلك فأماكن العبادة كلها تنحصر فى المساجد .

---

(١) هذه المعلومات أخذت عن بعض السيدات والمسنات اللاتى يقمن فعلا بهذه العملية .

ومن العوامل التى أثرت فى الناس وجعلتهم يتمسكون بالدين فى تعاملهم ، ما ورثوه عن أهليهم الأولين ، فلقد حظيت القرية قديماً بعدد من (الأولياء) أو المشايخ الصالحين الذين كانوا يعتبرون (قادة) فى القرية ، وهؤلاء لقنوا من تلاهم هذه التعاليم وتناقلت عبر الأجيال .

ويعرف معظم الذين قابلناهم أثناء البحث الكثير عن الدين الإسلامى معرفة صحيحة وأما معظم المساجد الموجودة بالقرية يوجد بداخلها أضرحة لأولياء الله الصالحين الذين يقال عنهم أنهم كانوا أصحاب (كرامات) أى فى استطاعتهم الاتيان بأعمال خارقة . ويتسمى المسجد باسم الشيخ أو الولى صاحب المقام .

ويرتبط موضوع الأولياء أو ذوى الكرامات بوجهين ، الوجه الدينى ، والممارسات السحرية والشعوذة كوجه ثان . بمعنى أننا سنتطرق إلى الحديث ع السحر إذا تناولنا موضوع الدين والعكس .

وإذا كانت نظرة الناس إلى أصحاب المعرفة بالدين لاتختلف عن نظرتهم إلى باقى الناس — وإن كان هؤلاء العالمون به قد يحتلون أحيانا مكانا يتسم بالإحترا والتبجيل — فان نظرتهم إلى الممارسين لأنواع السحر والشعوذة تختلف كثيراً عن ذلك ، وإن كان شعور المتدينين بما يدينون به يضفى عليهم نوعا من الطمأنينة والراحة ، فأن شعورهم تجاه السحر والشعوذة يختلف عن ذلك كثيراً .

ولكن قد يقترب اعتقادهم فى بعض الأحيان فى الأولياء والصالحين وما يؤتونه من معجزات خارقة من اعتقادهم فى السحرة والمشعوذين — وما يقومون به من ممارسات تقترب إلى حد الإعجاز .

وقد أتاحت لنا دراستنا فرصة للتعرف على بعض هؤلاء المشعودين وما يقومون به وأثر هذه الأعمال فى الناس وفى حياتهم اليومية . من هؤلاء من يقوم بأعمال الربط ، وفتح الكتاب ، وقراءة النوى ، والزار ...... وبالرغم من أن بعض هؤلاء كان من الصعب التدخل فيما يقومون به أو محاولة التعرف عليه أو مشاركتهم أعمالهم إلا أننا استطعنا مع كل الصعوبات التى واجهتنا أن نقف على ما يقومون به وأثره فى الناس ونظرة الناس لهم ومكانتهم بينهم .

فالقائمة بأعمال الربط — وهو عمل يؤدى إلى فشل الزوج فى الاقتراب من عروسه . . . . . . يعرفها الجميع ويعرفون مدى قوتها فى هذا المجال ويخشونها حقاً حتى ولو لم يصرح بعضهم بذلك ..وهذه المرأة كانت تقوم أصلا بأعمال (الماشطة)[1] فى القرية ولكن نظراً لضعف نشاطها فى السنوات الأخيرة ، حيث أصبحت الفتيات تتزين بالطرق الحديثة وليست فى حاجة ماسة إلى الماشطة من ثم فقدت مورد رزقها فتحولت إلى عملها الجديد (الربط) بعد أن قام بتلقينها (سر المهنة) رجل مغربى ، تعرفت به أثناء قيامها خارج القرية — وقد نجحت فى هذا العمل الجديد . ويؤكد الجميع — حتى المتعلمين منهم — أن لها قدرة سحرية وأنها قادرة مثلا على (إيقاف) الزيجة :

ويتلخص ما تقوم به من أعمال فى حصولها على كبشة من الدقيق المطحون توا — حيث يكون دافئاً —أو حفنة من تراب الأرض التى سار عليها العريس أوعروسه وقراءة (تعويذة) معينة عليها (تقول أنها بعض آيات قرآنية) وفى حالة الدقيق لابد أن تعرف اسم العريس وأمه — أما فى الحالة الثانية (حفنة التراب) فلا يهم معرفة الأسماء ثم تأتى بشعرة من ذيل جمل أو (قشة) من حصيرة وتقوم بعمل ثلاث عقد بها وتضعها مع الدقيق أو التراب فى قطعة قماش وتحفظها معها . وتستطيع (فك) هذا الربط (العمل) بمجرد حل العقد الثلاث ونثر التراب أو الدقيق فى الهواء . .

وأما قارىء الكتاب فلا يتعدى عمله ، قراءة صفحات معينة فى كتب الطب القديمة وذلك بعد تحويل اسم الشخص إلى أرقام . وعمل عملية حسابية يعرف من خلالها رقم الصفحة والسطر الذى يخص هذا الشخص .

أما عن قارئة النوى ، فعملها ينحصر فى قراءة المجهول عن طريق عدد من النوى (نوى البلح) ... عددها ٧ ، تمسك بها صاحبة الحالة وتهمس إليها بما فى داخلها من رغبات ثم تلقى به أمامها وأمام القارئة على الأرض .

وهناك من يقوم بعمل الزار — وهو عبارة عن إقامة حفل موسيقى راقص

---

(١) لقد استطعنا أن نصادق هذه المرأة ونتعرف على بعض خفاياها . وجميع هذه المعلومات أخذت منها شخصيا .

(باستخدام الناى والدف والطبلة) فى حلقة شبه مظلمة يقوم المدعوون من رجال ونساء بالرقص على نغمات الآلات .

وهو فى الحقيقة حالة نفسية معينة تحتاج لتفريغ شحنات انفعالية عن طريق الرقص والموسيقى .

خاتمــة

موجز لأهم حقائق ومحصلات البحث

— فى دراسة النواحى الإقتصادية لمجتمع قرية هورين أظهر البحث أن لبعض الاستخدامات التكنولوجية الحديثة أثر هام وسريع على نواحى الحياة الإجتماعية . كما يلاحظ أن نظام الصرف المغطى قد زاد من المساحة المنزرعة وتبعه بالتالى آثار إجتماعية وصحية — وأن المجتمع الريفى قد استبدل من الاعتماد على محصول نقدى واحد كالقطن مثلا إلى محصولات أخرى .

كما تبين أن ارتفاع نسبة المتعلمين بالقرية قد انعكس على نظمها السياسية والإقتصادية والقرابية وكذلك على نمط الملكية السائد . وأن نظم التبادل الموجود بالقرية قد لا تعتمد على النقود كوسيلة وحيدة للتبادل ولكن توجد أنظمة إقتصادية أخرى تفوق فى أهميتها قيمة النقود كوسيلة للتبادل ، وذلك بتبادل السلع أو الخدمات أو حتى مجرد جهد العمل . وأن هذه النظم تكون ما يسمى « نظام المسانية » .

كما أن المجتمع الريفى يحافظ على تماسكه وتكامله وحماية صغار الزراع فيه بتبادل العمل ومساندة بعضهم البعض فى إطار نظام اقتصادى متكامل يحكمه العرف ويحافظ على بقائه التقاليد — يعرف بنظام « الزماله » ... وأظهر البحث أن مفهوم السوق فى القرية يختلف عنه فى المدينة نظراً للروابط والعلاقات الإجتماعية التى تصاحب الأنشطة الإجتماعية ، وبذلك يقوم السوق بدور اقتصادى وإجتماعى معا .

— وفى مجال النظام السياسى أبان البحث أن القيادات المحلية رغم احتفاظها ببعض سلطاتها القديم على الأفراد فى القرية ، إلا أن سلطاتهم قد بدأت تضمحل .

ويعطينا هذا إشارة تحذير لإيجاد وسيلة بديلة من هيئات أو تنظيمات تقوم بهذا الدور القيادى فى مجتمع القرية . وحتى يمكن استغلال الطاقات وخلق الشخصيات السياسية التى تسوس القرية بمفاهيم حديثة تمشيا مع الإتجاهات المعاصرة وهو ماتحاول أن تتوبه التنظيمات الشعبية بالقرية معتمدة على شخصيات لها وزنها السياسى والمكانة المرتفعة .

هذا وقد قل اعتماد المجتمع الريفى على العرف والتقاليد والسلطة الأولية الممثلة فى كبار السن بالقرية كوسائل مغالة فى الضبط الإجتماعى ، وزاد الاتجاه إلى الالتجاء للسلطات الأدارية والقضائية لفض هذه المنازعات .

– أما فى مجال العلاقات القرابية وتركزها فى عائلات كبيرة مغلقة على أفرادها. فقد تبين أن هناك تحولا ظاهراً لاستقلال الأسر الجديدة فى معيشة منفردة بعيدة عن تمركز العائلة وأحيانا يتجه نمط الزواج من داخل العائلة إلى خارجها فى مساكن مستقلة . مما كان له أكبر الأثر على البناء الاجتماعى فى القرية ، فأدى إلى زيادة الجماعات القرابية التى ينتمى إليها الشخص ، وزيادة التماسك بين أفراد القرية جميعاً . بل وتعدى ذلك إلى القرى المجاورة . وبذلك أصبحت الأسرة هى الوحدة الإجتماعية بدلا من العائلة فى البناء الإجتماعى القروى . وتغير الكثير من وظائفها وأصبح الفرد ينظر إلى مصلحته الشخصية مضحياً ببعض المصالح العائلية فى سبيل ذلك .

– وفيما يخص العمران . فقد وجد أن القرية قد إتسعت عمرانيا كما تبين الخريطة رقم (٢) (١) وقد وجد أن سمة امتداد قرية هورين كباقى قرى الجمهورية وان كانت تتصف بالقدم الزمنى .

ويلاحظ أن شكل القرية يأخذ شكل هندسى دائرى تمثله سكن قرية هورين والتى تميزها طريق يحزم القرية من كل اتجاهها ويأخذ الشكل الدائرى وهو كما يظهر من أسمه – طريق داير الناحية – .

---

(١) الأصل من مصلحة المساحة بالقاهرة . والاضافات العمرانية الحديثة قام بتوضيحها السيد ه حسن الخولى ه المدرس المساعد بقسم الجغرافيا بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية ، وذلك بعد زيارة القرية .

– ويغلف نواة القرية السكنية سكن ناحية هورين وهو امتداد عمرانى يتجه ناحية الجنوب والجنوب الغربى . ظهرت الإضافات السكنية والتى سجلت على الخريطة الأصلية لمصلحة المساحة مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠. واعتبرت الفترة منذ ١٩٤٠ تاريخ آخر مسح للمنطقة وزيارة فريق البحث ١٩٧٢ : ما أضيف هو امتداد للعمران لم تسجله الخرائط المساحية ولكنه مجهود انشائى جاء نتيجة دراسة ميدانية تم التوقيع على كل إضافة فى الاتجاهات الأربع الأصلية وكان امتداد سكن القرية فى كل الاتجاهات شمالا وشرقا وجنوباً وغرباً .

وظهر أن أعظم امتداد للعمران فى هذه القرية ناحية الشرق والجنوب كما يلاحظ على طول الطريق الزراعى مبانى حديثة « الطوب الأحمر والمسلح » . بعضها خاص بالأهالى والبعض الآخر منشآت حكومية مثل : المدينة السكنية للمغتربين « مدرسين وموظفين » الوحدة البيطرية على الطريق الزراعى فى اتجاه بركة السبع وبعض المدارس الإبتدائية – الوحدة الصحية ومساكن الأطباء والمجلس القروى والمدرسة الإعدادية والثانوية التجارية أيضاً على الطريق الزراعى فى إتجاه زفتى . هذا مع بقاء البقعة الزراعية كما هى .

أما إذا تكلمنا عن مستقبل الامتداد فالمؤشر واضح أن تأثير سهولة المواصلات ناحية القرية « إلى بركة السبع » وكذلك امتداد الطريق الزراعى البرى « بركة السبع – زفتى » كان له الفضل فى أن تحدد أن مستقبل العمران سيكون فى هذا الإتجاه .

ولعل العوامل السابقة هى نفسها التى حددت عدم نمو العمران فى الإتجاهات الأخرى .

– وتبعاً لمشروع كهربة الريف المصرى ، فقد شمل هذا المشروع أيضاً قرية هورين مما ظهرت آثاره واضحة بالنسبة للشباب خاصة ، وباقى أفراد الأسرة عامة ؛ حيث يحلو السهر فوق أسطح البيوت ويستمر اللهو واللعب حتى الفجر ومن الشباب من يقوم بقراءة بعض الكتب العلمية أو مناقشة بعض المسائل الهامة ، أو ممارسة لعب الطاولة والكتشينة [1]

---

(١) ملاحظات شخصية .

– ومما لاحظه أيضاً فريق البحث على قرية هورين بصفة خاصة أن معظم الشباب يتجه إلى التعليم بجميع مراحلة والكثير منهم ممن أتم تعليمه العالى . أصبح يعمل فى المدن أو فى العاصمة ، وهذه الفئة ليست قليلة – حيث أنها تزيد سنة بعد أخرى مما يدعو للقلق وخاصة أن العمال الزراعيون أيضاً بدأو يتجهون إلى العمل فى المدينة لزيادة دخلهم وللمزايا التى وجدوها بالمدينة . من مسكن نظيف وملبس وملهى مما جعل القرية تكاد تكون خالية إلا من كبار السن وذلك على مدار السنة ولكن هذا لا يمنع من أن الغالبية العظمى تحس بالحنين دائماً إلى مسقط رأسها وإلى الريف المعروف بهدوئه وجماله وخاصة فى الأجازات (فتنعكس الآية فى الصيف) حيث يعود معظم الشباب إليها . والمراد هنا هو أن هذه الأقلية المسنة هى التى تمارس الزراعة لكى تحافظ على مستوى الإنتاج الزراعى مما يدعو إلى الخوف والقلق ويجعلنا نتساءل ماذا سيكون مصير القرية ومصير الزراعة والإنتاج الزراعى بعد أن تنقرض هذه الأقلية من المسنين .

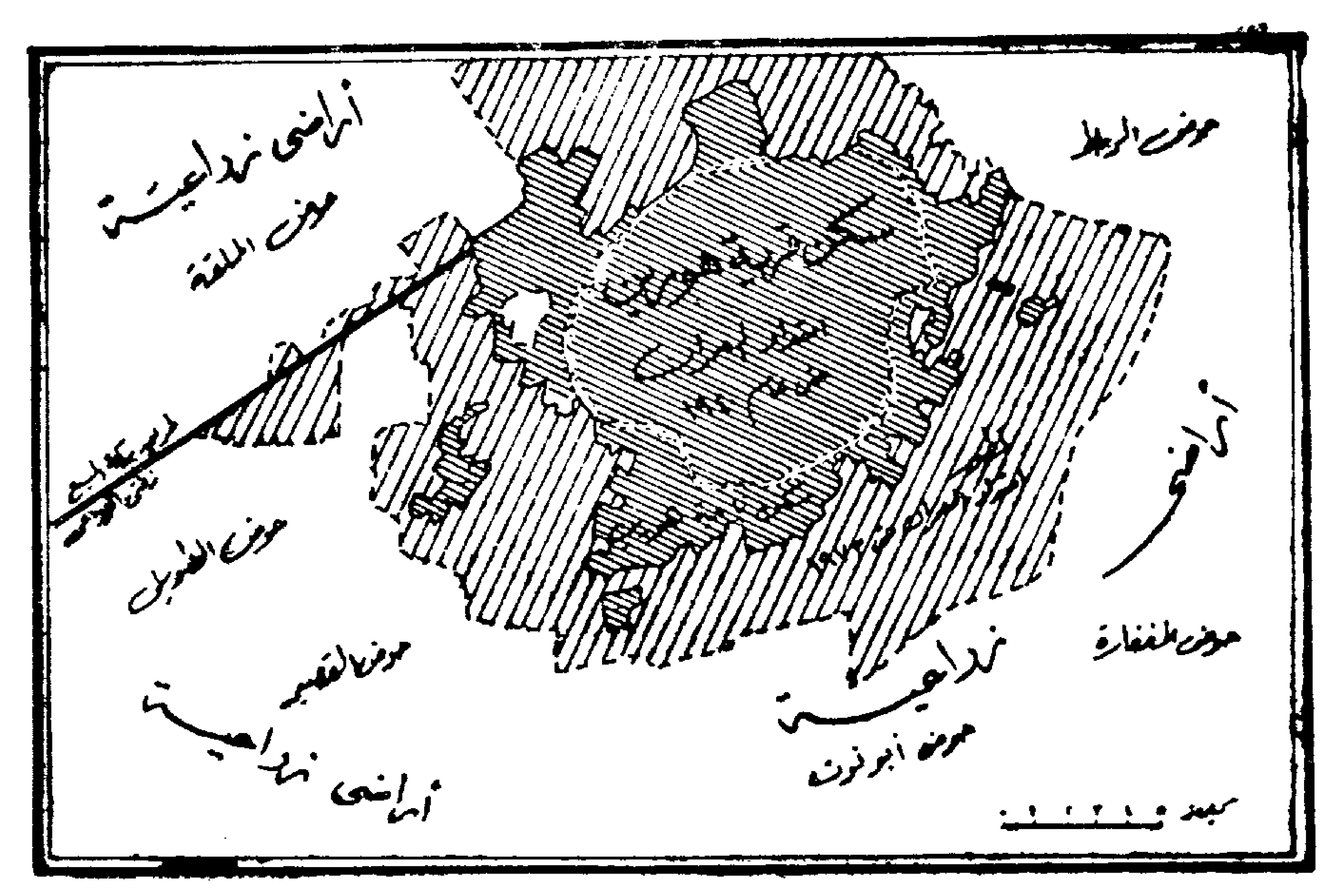
سيجىء اليوم الذى تصبح فيه أراضى هورين الزراعية جميعها للأجراء وأن هذا اليوم ليس بالبعيد – ومن العادات التى بدأت فى الزوال تدريجياً عادة إرسال الصوانى وإقامة السرادقات فى المآتم وما يستتبع ذلك من تكاليف عبئاً على كاهل أهل المتوفى . كذلك زالت عادة الصوانى أيضاً فى الأفراح ، كذلك النقوط .

ومن العادات التى يجب أن تزول عادة زيارة المقابر خاصة أيام الأعياد ، حيث يصبح يوم العيد دائماً عزاء وألم على الأموات . بدلا من الفرح والسعادة والاحتفال مع جميع أعضاء الأسرة بهذا اليوم من أيام السنة .

– ومما يوصى به فريق البحث فيما يخص نظام المسكن ، هو تخصيص حجرة للقش والوقود ، تماماً كما تخصص الأسرة حجرة للتبن ، والاهتمام بالمكان المخصص للمواشى ، وياحبذا لو كان خارج الدار حيث يقام لجميع عائلات الحى مكان واسع لمواشيهم ويحرسه الأهالى بالتناوب أو يخصص حارس بالأجر لذلك .

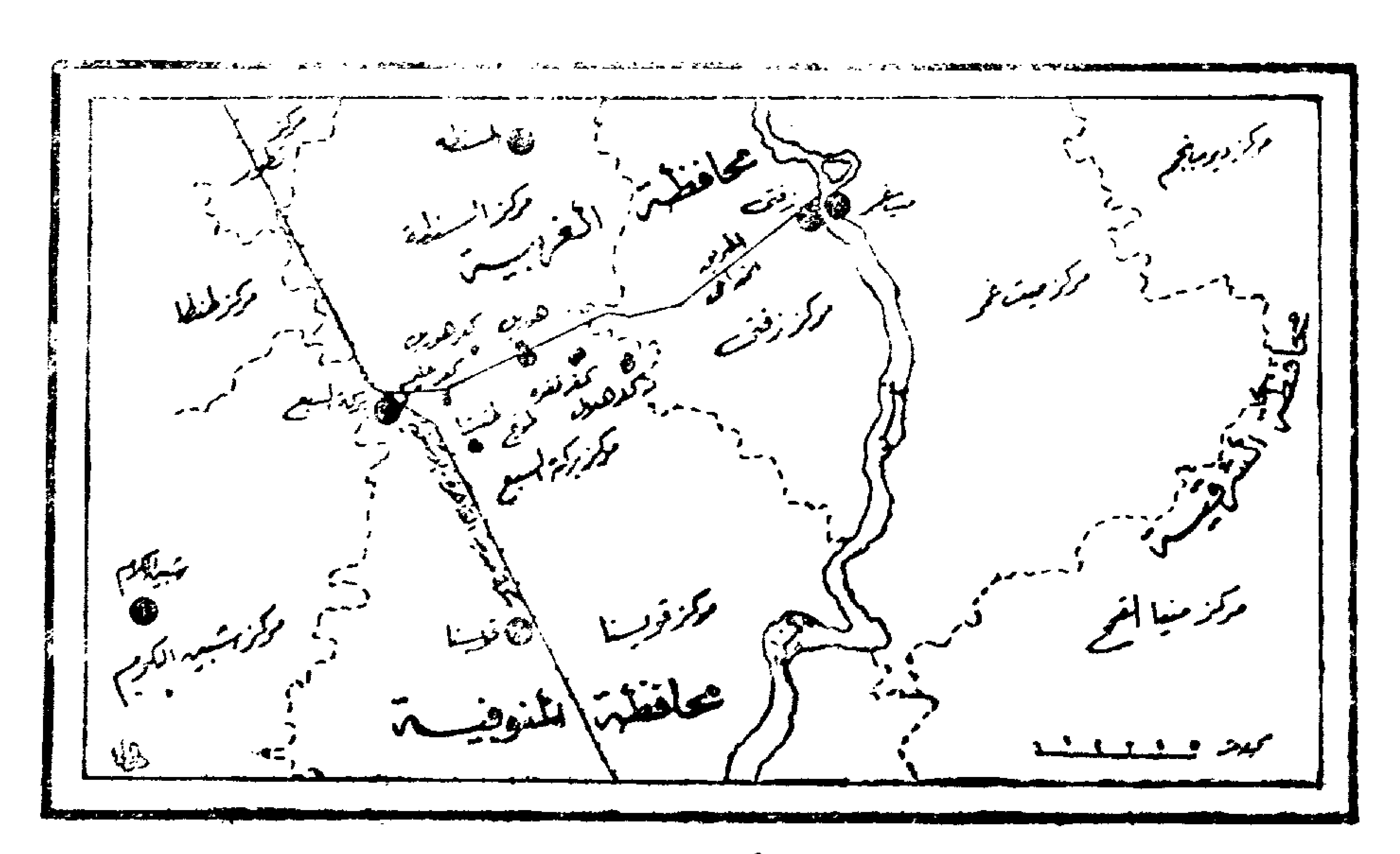
– كما يجب التفكير فى إدخال المياه فى المنازل ، وتطهير الترع .

– هذا ويراعى الإهتمام بالعمال الزراعيين ومد الأهالى بما يلزمهم من أدوات زراعية وأسمدة كيماوية وغذاء للمواشى .



امتداد العمران في قرية هورين

خلال الفترة من ١٩١٠ الى ١٩٦٢

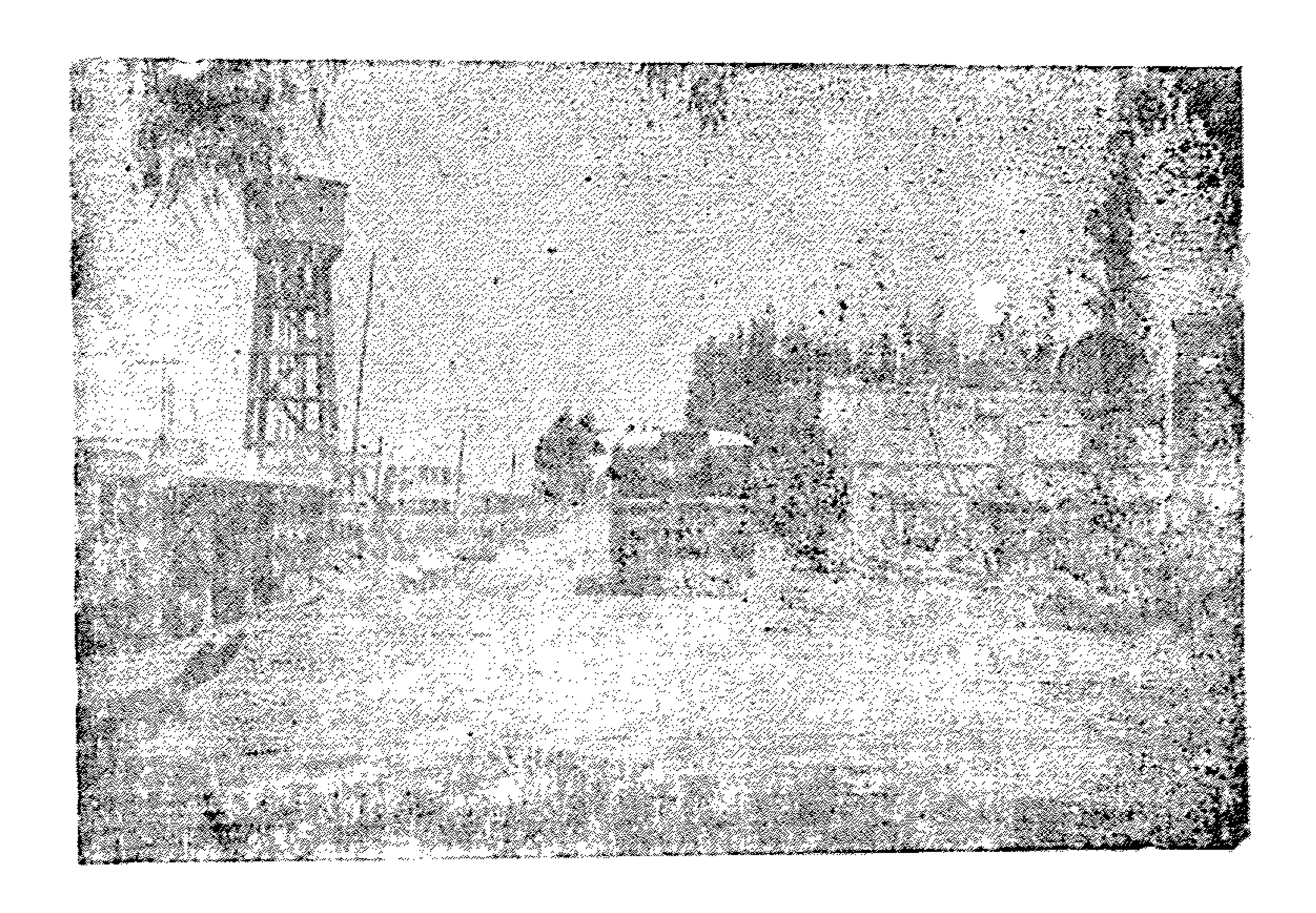


موقع منطقة البحث

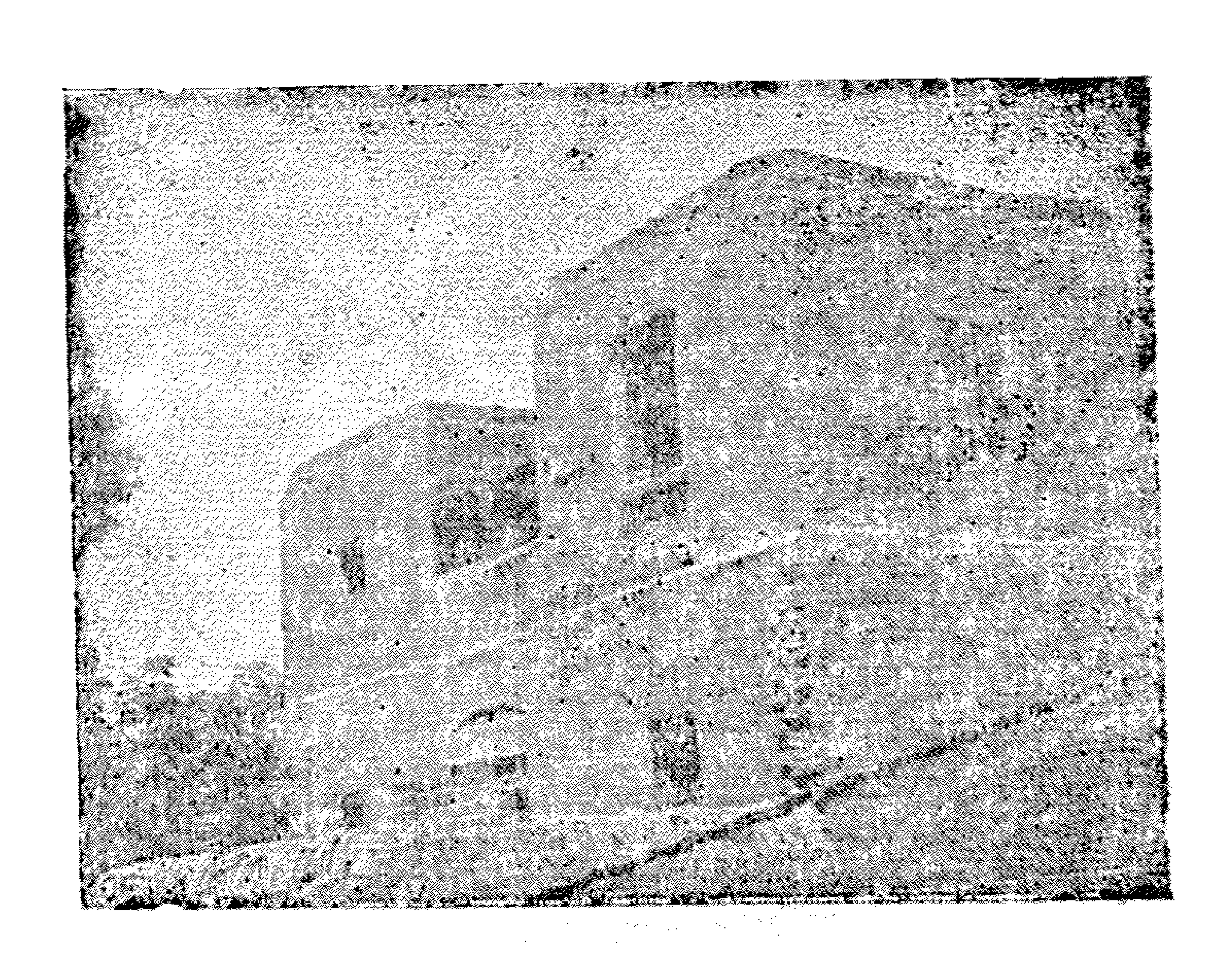
بين المراكز والمحافظات المجاورة

صور ملحقـــة بالبحث

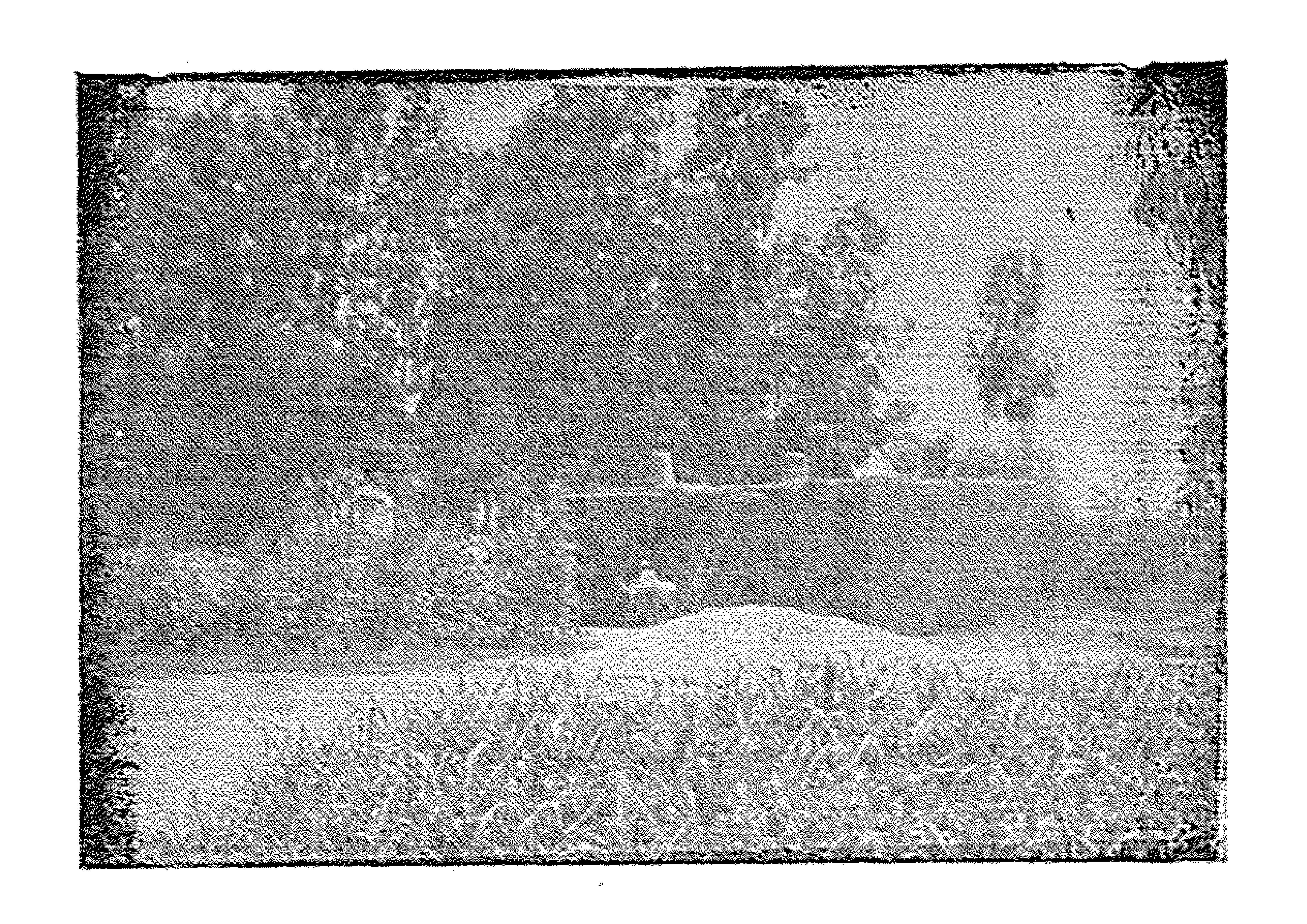
عن قرية هورين



١ – الطريق الرئيسى الذى يربط قرية هورين بالمدينتين الكبيرتين (بركة السبع وزفتى) .



٢ – منزل داخل القرية ويتكون من دورين .



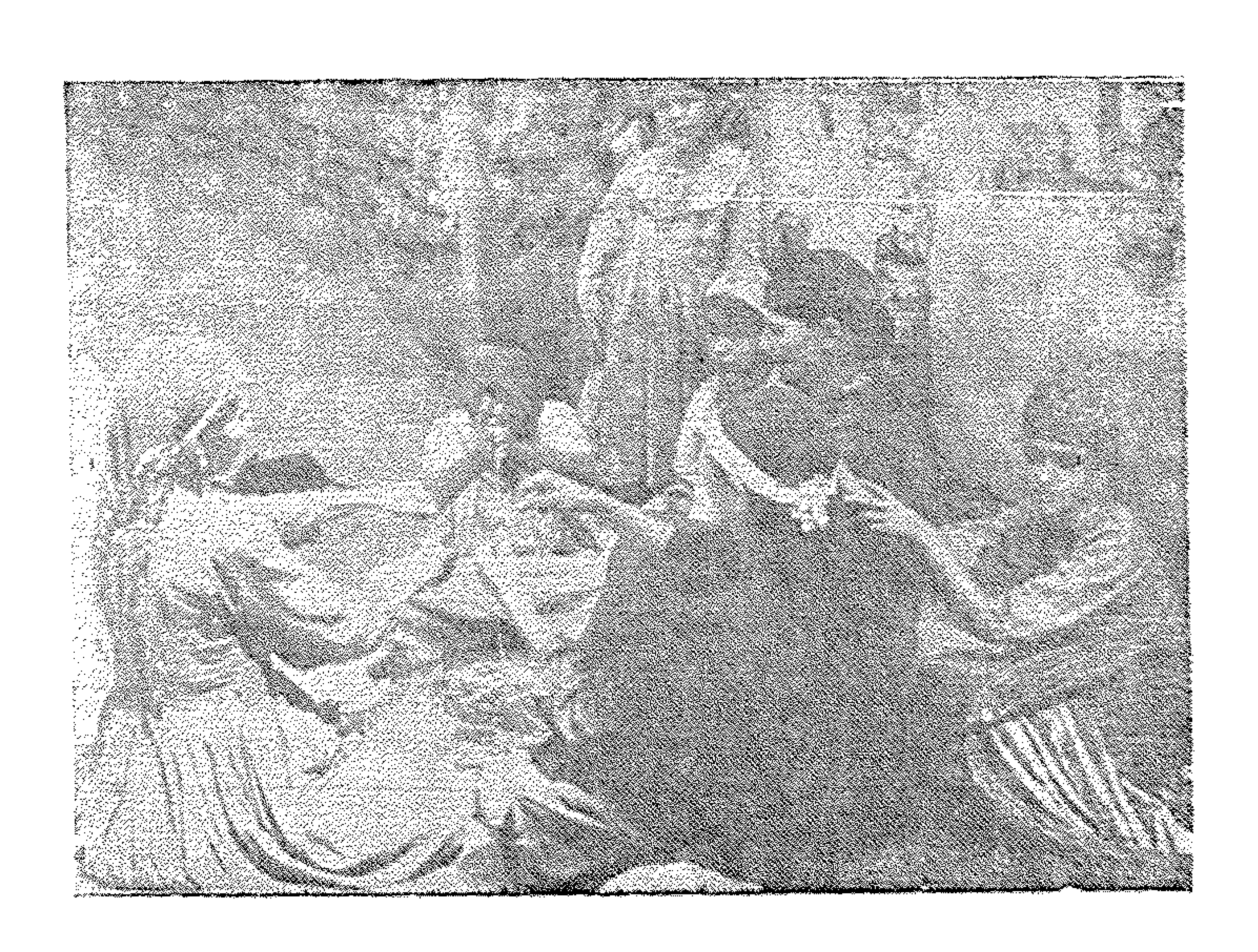
٣ – نموذج للبيت الذى يبنى فى الحقل دور واحد **ولايزيد عن حجرتين**



٤ – تمورجى **الوحدة** البيطرية وهو يقوم بتفريغ كيس فى رقبة عجل



٥ – **الشخص المختص** بقص شعر المواشي وهو يجز صوف الغنم



٦ – السيدات يتعاون فى عمل الشعرية



٧ – الماشطة تقوم بوضع « الحنة » للعروس



٨ – العروس فى طريقها إلى بيت الزوجية يوم الزفاف



(مطبعة جامعة القاهرة ١١٠٤/١٩٧٣/١٠٠٠)

طبعت بمطبعة جامعة القاهرة

مدير المطبعة
على محمد حسن اسماعيل
٧٤/٧/١٤



REFERENCES

1. TOUSSOUN, Prince OMAR (1922) : Memoire sur les Anciennes Branches du Nil. Epoque Ancienne. PP.60. Société Royale Geographie d'Egypte, Le Caire.

2. TOUSSOUN, Prince OMAR (1926) : La Geographie de L'Egypte a L'Epoque Arabe. Tome VIII, Premiere partie. pp.1--214. Sociéte Royale de Geographie d'Egypte, Le Caire.

of sediments associated with limited green cover rendered it very similar to the coastal swamps (Sabakhas) and those to the south of the northern lakes. The most characteristic plant in this habitat is *Schanginia baccata* Moq.-Tand.

CONCLUSIONS AND RECOMMENDATIONS

The area of Gamasa (Dissa in old maps), represents a wide plain that could be differentiated into a number of geomorphic units. It is one of the famous sites where wide expanses of sandhills have spread inland from the lowlying coast. The occurrence of old indurated dunes in this district is of particular interest to Geologists, Geographers and Botanists. Their plant cover is denser and more rich in species than other zones. These sediments are believed to be transported by one of the old Nile branches that once debouched in the Mediterranean in classical times. This tributary followed the Atribic Canal (Bahr Basandila) traced by Toussoun, 1922. It is considered, as far as the authors are aware, the only site in northern delta where such indurated sediments are recorded. Similar occurrence is met with to the south-west of Gamasa, where another ancient branch was traversing the district of Abu-Madi as illustrated in Toussoun, 1926.

It is recommended that a research work be undertaken to reveal the nature, and delineate accurately the course, of these extinct branches and compare their sediment load with those existing at present. Statistical geomorphological studies of recent dunes, their areal distribution, orientation with respect to the prevailing wind would be of interest to interpret this peculiar phenomenon and compare it with other localities along the north coastal stretch of the Nile Delta.

The mineralogical composition and the frequencey of each heavy fraction would reflect the nature of the source area and the load acquired by the main river down to its lower reaches.

It is also recommended to carry out comparative mineralogical and, if possible, palynological studies with other Nile deposits in and around the Nile delta. These investigations should also include ancient Nile deposits in Abbassia and Heliopolis to the east of Cairo; Maadi, Tura and Helwan to the south of Cairo. These studies would emphasize the chronological relation, evolutionary history of the Nile delta and lead to a better understanding of the paleoecologic and paleogeographic conditions that prevailed in the past.

M. G. Barakat and M. Imam

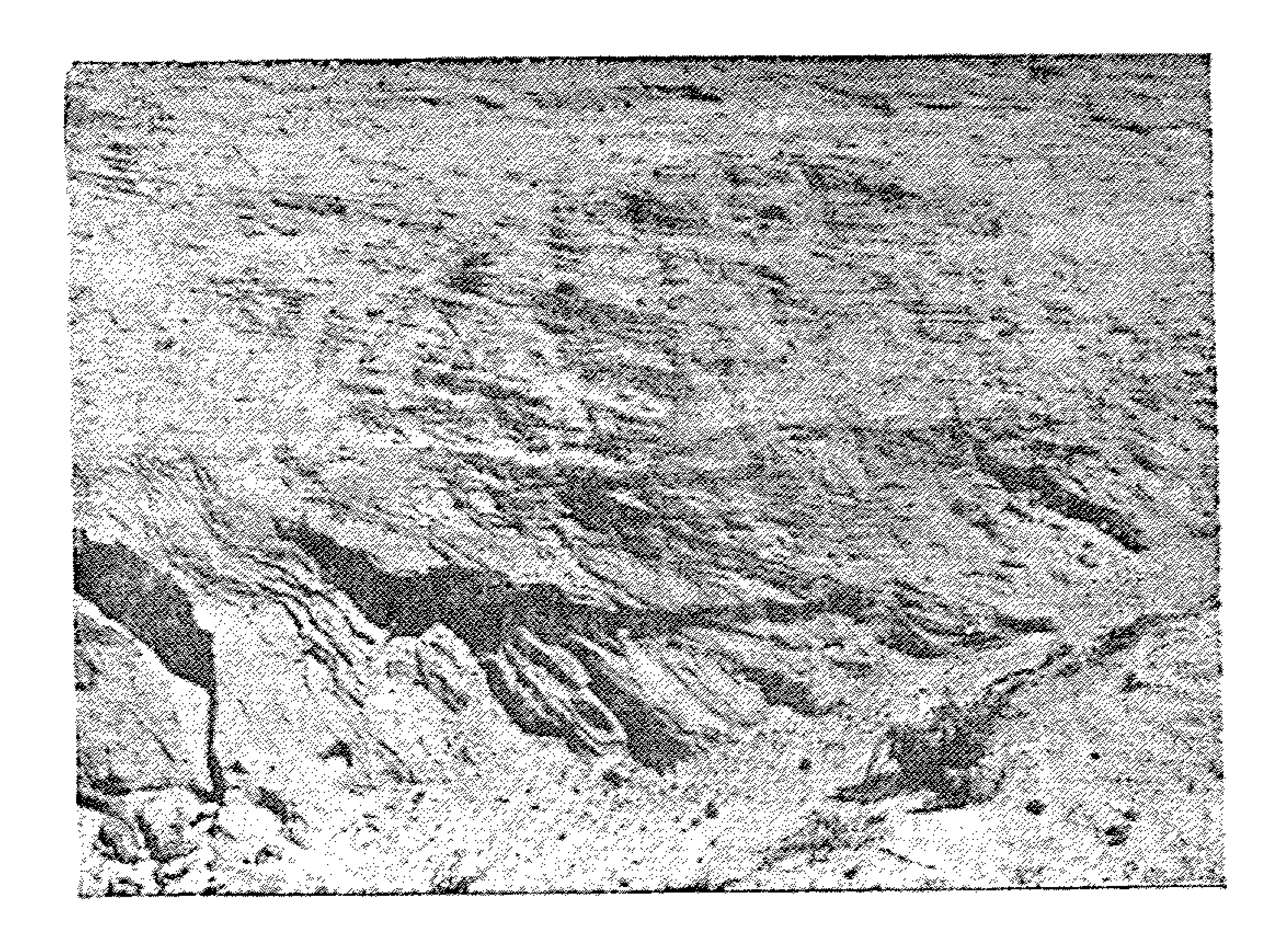


FIG. 1.—Finely stratified and cross-bedded old indurated dunes.

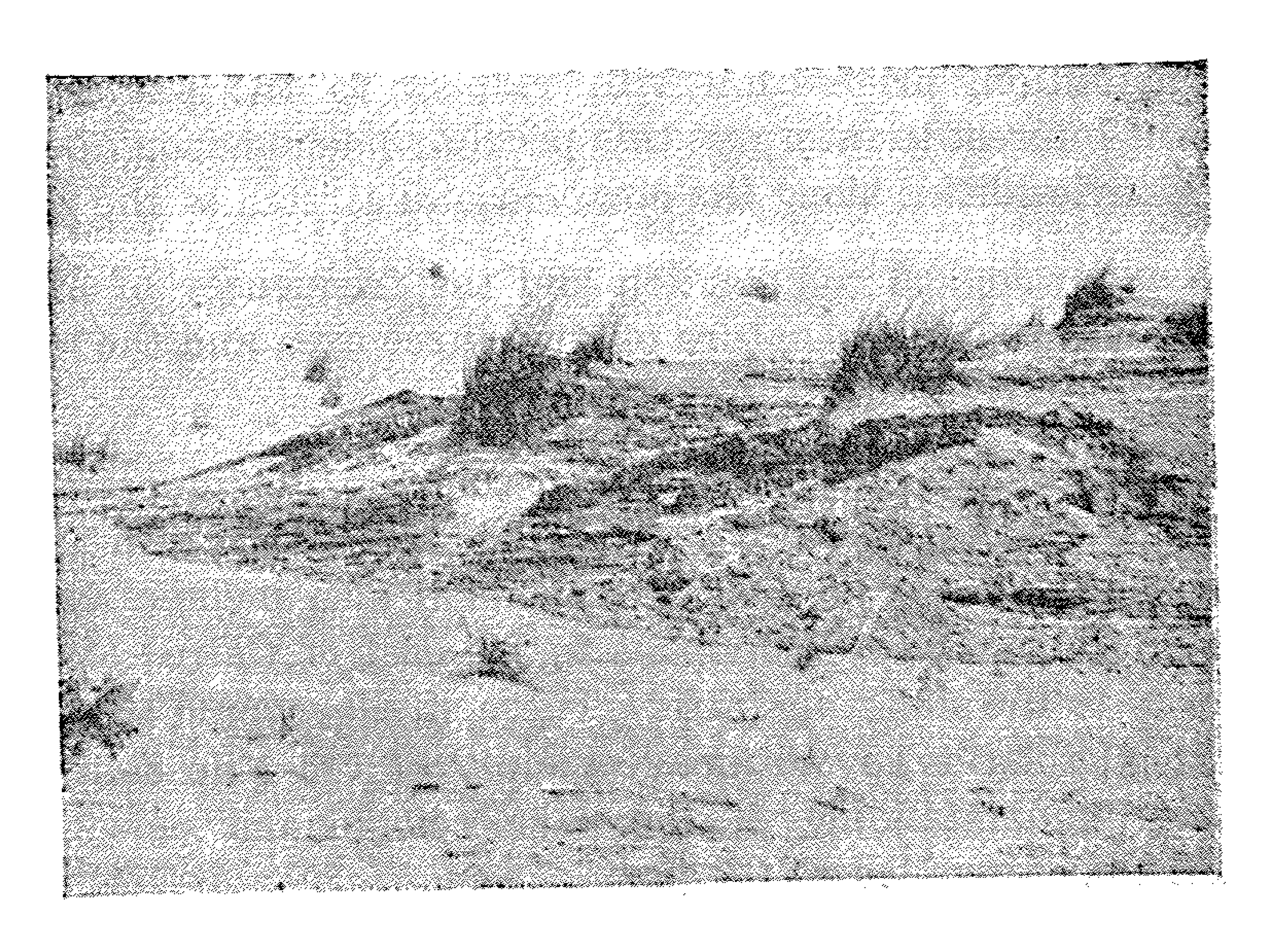


FIG. 2.—Elongate erosional remnants of old indurated dunes with tussocks of *Agropyron elongatum* (Host) Beauv.

Fine streaks of heavy mineral fractions are interbedded. Quartz sand, fine to medium grained, is the main building mineral. Fine sand and silt give these sediments their reddish brown colour. Some of these old dunes are concealed below recent dune belts, others are covered by a thin veneer of wind blown sand. This geomorphic unit, in general, stands as an elevated bank, and could be traced to the south and southwest of the investigated area· It rises about 3 meters above sea level. It gradually diminishes in height northwards, south and westwards. Northwards, these old dunes are washed away by the repeated sea invasion in winter. Parallel lineation of variable slightly hard interbeds is faintly noticed in the interdunal plains and beneath the inward migrating recent dunes.

They differ from recent dunes by their slight induration, brown colour, gentle sloping back and less elongated outlines. Shallow seismic holes were drilled along a north-south direction and a dark grey lagoonal clay with brackish molluscan shell fragments was reported with depth. These hummocks are distingushed by a unique green cover characteristic to this soil particularly at the northern tip of each hillock. (See Plate 1, Fig. 2). The green cover of this geomorphic habitat is denser and more rich in species than in the other zones. The most characteristic species are :

Agropyron elongatum (Host) Beauv., *Calligonum comosum* L'Herit, *Salsola kali* L. Del., *Aristida lanata* Forssk., *A. scoparia* Trin. & Rupr. and *A. plumosa L.*

These hummocks build up an outstanding geomorphic feature and drew our attention from the first glance.

4. *Inland flat and drainage marsh :* This unit occupies the low land between the southern boundary of recent dune belt with the hummocky indurated dunes and the cultivated strip along drain No. 2 to the south. It is flat and rises insensibly to the south where the newly reclaimed terrain occurs. This slight rise is attributed to the entrapment of the deflated sand stopped by the cultivated land and increase in moisture. It is dark grey to reddish in colour, with soft sediments and thin salt crust. It is bare of proper dune accumulation and free from topographic or organic obstacles. Some of these washed old dunes are observed extending south wards in this inland flat. *Zygophyllum album* L. f. is common in this habitat.

The lowest strip of this flat is turned to an artificial lagoon where the drainage water is discharged. The high organic content and the fouling nature of this low strip as well as the saliferous impregnation

of migration varies narrowly and it is estimated to be 1 meter/year. Some however, migrate by a higher rate and they interfere with each other and a continuous but serrated rige is developed. These long seif dunes are distinguished in their geomorphic pattern from the other sand accumulations along the northern coast. They vary in height, being within the range of 5—8 meters and border bare interdunal plains in between. These are usually oval in shape, perfectly levelled, with thin saliferous crust, soft soil and appear dark grey in colour. Characteristic species of this habitat are : *Zygophyllum album* L.f., *Halocnemon strobilaceum* M. Bieb. and *Arthocnemon glaucum* (Del.) Ung. Sternb. Some of the dune sand follows the proper direction of the prevailing wind and cross the interdunal plains diagonally bridging the neighbouring belts. These moving sand belts are bare of vegetation cover except at their periferies. *Zygophyllum album* L.f. is the only species growing in such habitats as it can float over moving sand and tolerate high levels of soil salinity. By winter gales and rough sea conditions, sea water invades these low plains and remain inundated during the winter season. Some of these plains act as a corridor for sea water to reach the inland flat and threaten the cultivated land in the interior. Small heaps of pumice and molluscan shell fragments are noticed between, and on the slopes of, these sand bodies. These fragments are drifted by strong wind and high waves as they pass into shallower water. Reed fences are planted in threatened agricultural regions to restrain the advance of this dune belt.

3. *Weathered hummocky old indurated dunes :* These are in the from of elongated ridges, oriented parallel to the direction of the prevailing wind (NW-SE). They are coloured pale brown to pale reddish brown, stand prominently among the surrounding low land and cover a wide area with the long axis of each individual hillock oriented to the northwest. They possess a surface crust of variable thickness ranging from a few cms. to more than 2 m. Loose friable sand underlies this indurated mantle. This cohesion phenomenon is also observed as a thin crust parallel to the long axis and over the slopes of some recent dunes.

Some of these hillocks are quite spectacular, mimicking pedestal rocks. These have been partially cut by undercutting by windblown sand. They exhibt an irregular topographic relief through the effect of long acting differential weathering. They manifest thin lamination, cross-bedding and are usually tilted to the east by about 20°. (See Plate 1, Fig. 1).

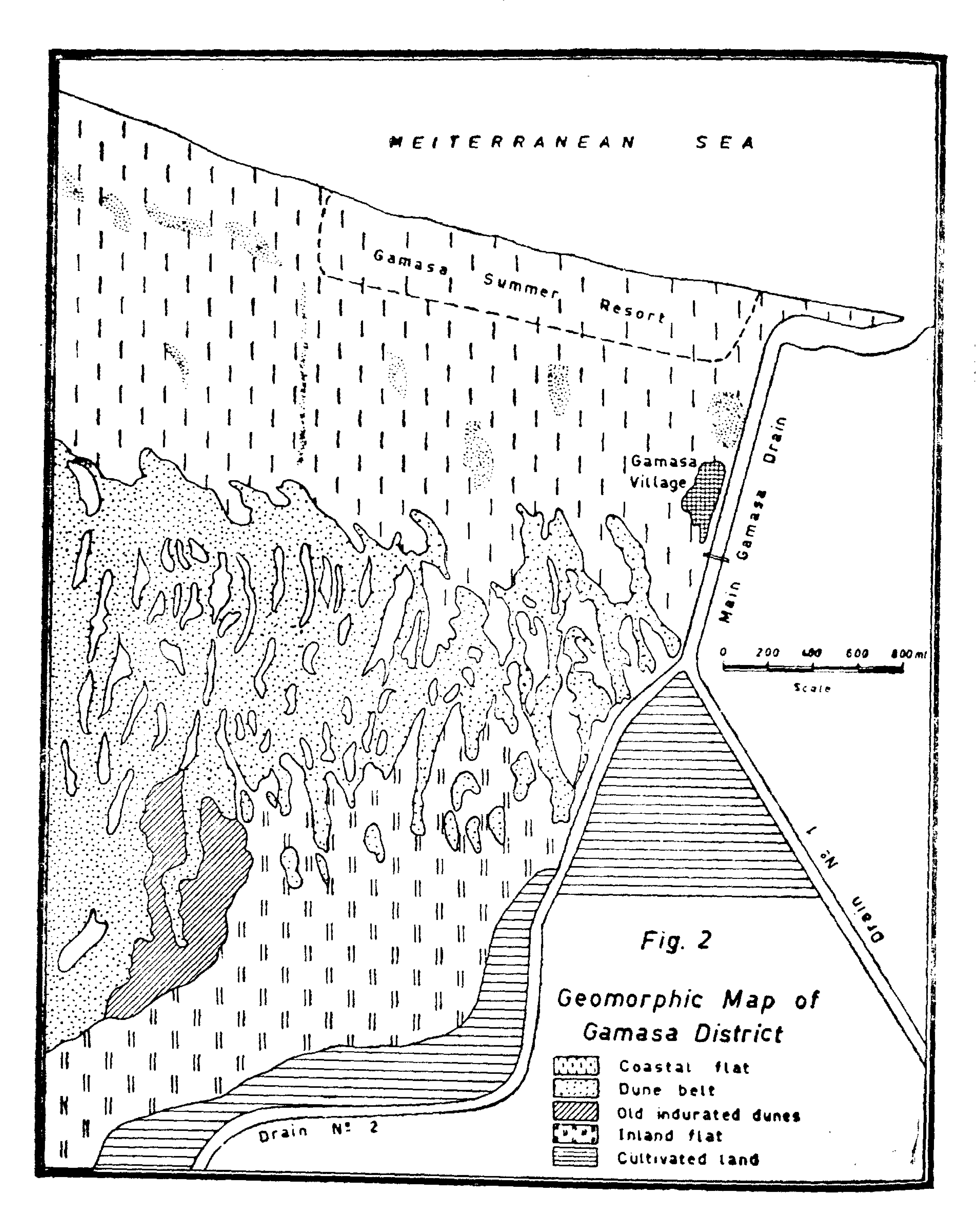


Fig. 2

Geomorphic Map of Gamasa District

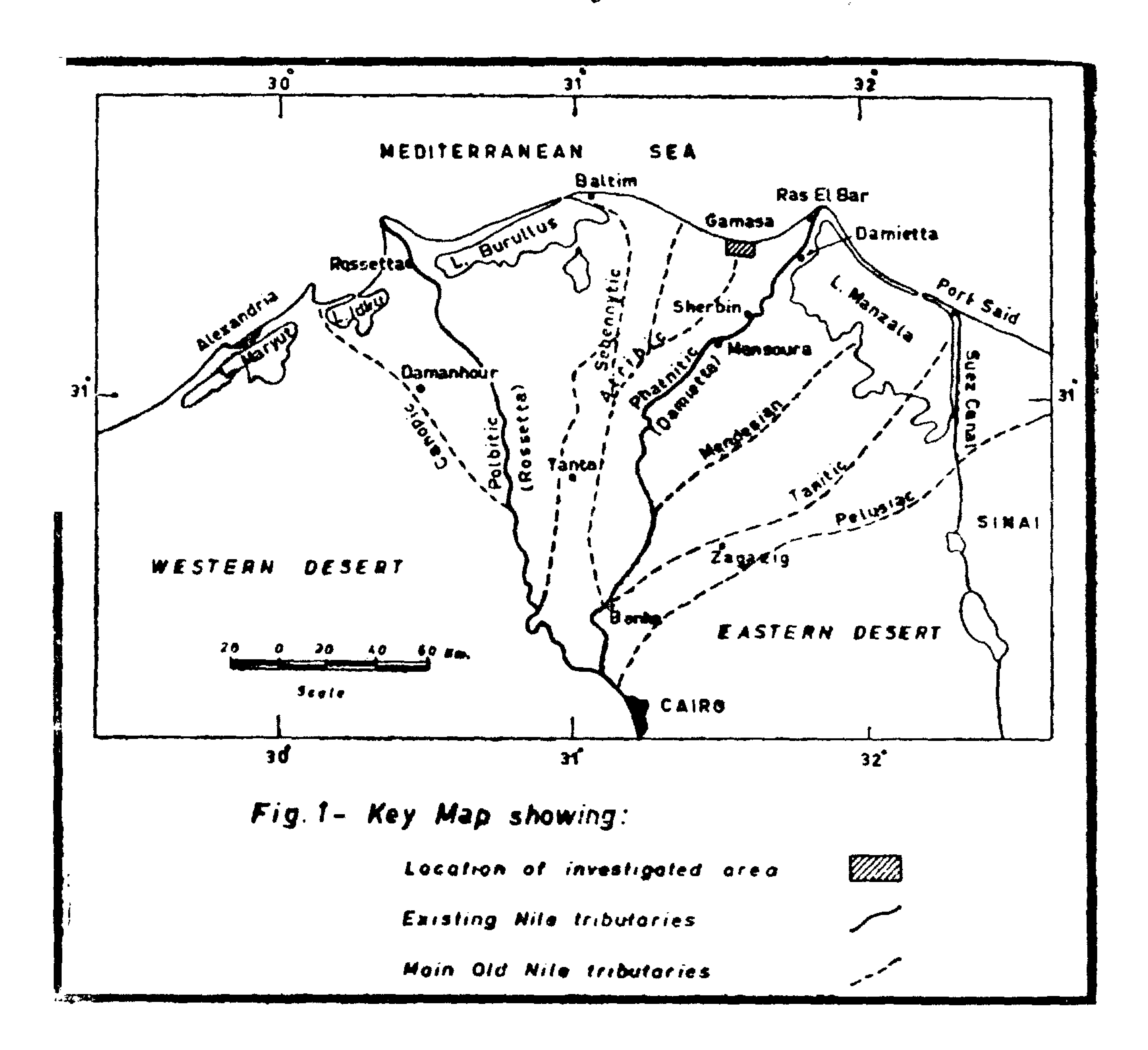


Fig. 1- Key Map showing:

studies in Summer and Autumn 1973 by the Desert Institute field crew. These studies aim at revealing the evolutionary history of the Nile Delta, and at classifying the northern coastal plain to the depth of 20 kms. to the south into a number of geomorphic units and interpr-eting their mutual relations for the purpose of beach protection research. In the meantime, this area has been the site of land recalam-ation at the expense of the northern coastal swamps.

FIELD OBSERVATIONS

During the field trips carried by the authors in the periods of 3—6, 17—20 July and 22—23 August 1973, the investigated area which covers about 20 kms.², was subdivided into the following geomorphic units :—

1. Coastal flat and low coastal dunes.
2. Longitudinal dune belt and interdunal plains.
3. Weathered hummocky old indurated dunes.
4. Inland flat and drainage marsh.

A brief review is made to describe each of these geomorphic units with special emphasis on the old indurated dunes. See geomorphic map, Fig-2.

1. *Coastal flat and low coastal dunes* : This geomorphic unit occupies the low land area delineated by the dune belt from the south and by the shore line from the north. It has a levelled surface and the ground elevation does not exceed one meter above sea level. This flat is dotted by a few ill-defined sandy pillows with characteristically chao-tic relief. These sand mounds are haphazardly scattered, depending largely on surface irregularities including topographic obstacle or plant cover. *Zygophyllum album* L.f. is characteristic for such sand accumu-lation. It indicates habitats rich in salts. Generally, this coastal flat is covered by dirty yellow quartz sand, fine to medium grained with a broad berm of coarse sand in few stretches. Sometimes, a thin salt is persent. This low land is usually inundated by sea water during the winter season.

2. *Longitudinal dune belt and interdunal plains:* This unit is characterized by wide expanses of dunes migrating inland away from the beach following a direction slightly deviated to the north from that of the prevailing wind. These represent the removed material conti-nually on the move from the sea-margin towards the interior. The rate

PRELIMINARY NOTE ON THE OCCURRENCE OF OLD INDURATED SAND DUNES IN THE DISTRICT OF GAMASA NORTHERN NILE DELTA

نبذة مبدئية على تواجــد رواسب كثبانية قديمة بمنطقة جمصة بشمال الدلتا

محمد جابر بركات ومصطفى امام

قسمت منطقة جمصة على الساحلْ الشمالى لدلتا النيــل الى وحــدات جيو مورفولوجية مميزة مرتبة من الشمال الى الجنوب على النحو التالي : السهل الســاحلى ، مجموعة الكثبان الرملية الحديثة ، بقايا كثبان رملية قديمة والسهل الداخلى .

وقد وصفت كل وحدة على حده مع التركيز على الكثبان الرملية القديمــة من حيث شكلها الخارجي وعصانه انسيابى .

ويرجع الباحثان أن الرمال الكثبانية القديمة قد جلبها الفرع الأتريبى " أحد فروع النيل القديمة » وهــو ما يعرف حاليا ببحر بسنديله ".

ABSTRACT

This note aims to throw light on the occurrence of old indurated sand dunes in Gamasa area, North Nile Delta. The clastics building up these dunes are believed to have been transported by the Atribic branch that was active in classical time. A location map, geomorphic map and illustrative photographs are presented.

INTRODUCTION

The district of Gamasa lies on the Mediterranean coast to the NNE of Cairo by about 220 kms. and to the west of Ras El Bar (Damietta branch mouth) by about 30 kms. This district gains more importance since it is a new summer resort. It is accessible from Mansoura via Sherbin by an asphalt road, as well as from Damietta via Ras El Bar. See location map, Fig.1.

No delailed work has been conducted in this area· It is Planned however, to carry out explaratory geological and geomorphological.

CONTENTS

Page

In Arabic :

1. M. A. SEOUDY : The Volta Dam 1

2. S. Z. A. Abdrabou : The National movements in Angola. 31

3. S. A. EL JAMAL : The Rhodesian case 69

4. S. GHABOUR : The African Fishery Resources 121

5. H. OSMAN : Some African Features in Danty's Purgatorio 157

6. M. N. NASSAR : Conservation of Heredity Resources 179

7. M. M. AMIN : The rolle of Abdullab in the fall of Alwa Kingdom. ... 219

8. S. EL BADAWY : Equatorial African A Study in Physical Geography 219

9. S. SHABAN : Horein Village (A Study in Social Anthoropology ... 253

In Non Arabic Languages :

1. Dr. M. G. BARAKAT and Dr. M. IMAM : Prelimnary Note on the Occurrence of Old Indurated Sand Dunes in the Distric of Gomasa Northem Nile delta 1

Editor : Prof Dr. M. EL SAYED GHALLAB.
Editorial Secretary : Dr. M. A. SEOUDY

Contributions to this magazine are welcomed and should be sent to:
Dr. M. A. SEOUDY
33 Misaha Street, Dokki, Cairo Egypt.

AFRICAN STUDIES REVIEW



Vol. 2 1973

Issued by the Institute of Research and African-studies Cairo University

AFRICAN STUDIES REVIEW



Vol. 2 1973

Issued by the Institute of Research and African-studies Cairo University